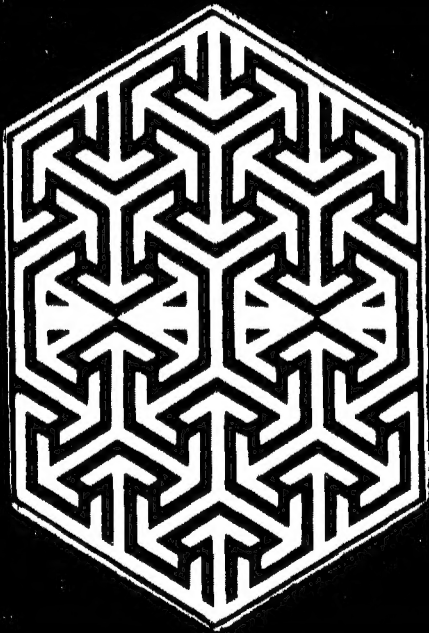
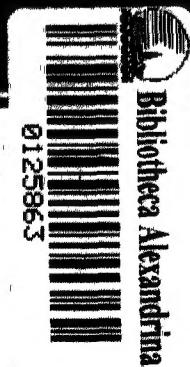


الدعوة الإسلامية والإعلام الديني



د. عبد الله شحاته



الهيئة العامة للكتاب

الدعوة الإسلامية والإعلام الديني

د. عبد الله شحاته

رئيس قسم الشريعة
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة



المكتبة المصرية المسماة للكتاب

١٩٨٦

الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الدعوة الى الله رسالة الالبياء والمرسلين ، وسبيل الهداة والمصلحين ، وقد اصطفى الله الدعاة والهداة لنيل رسالته وشرح دعوته ، (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير) الحج ٧٥
وفي الحديث الشريف (لا يزال الله يرسل لهذه الأمة على رأس كل مائة عام من يجدد لها أمر دنياها)
ومن هؤلاء الاعلام الامام الطبري ، والائمة الاربعة ابو حنيفة ومالك والشافعي واحمد .
ومنهم الامام ابو حامد الغزالي ، والسيد جمال الدين الافغانى ، والشيخ محمد عبده ، والاستاذ حسن البنا ، والاستاذ سيد قطب . طيب الله ثراهم اجمعين .
والدعوة الاسلامية غنية برجالها ، بل ان الرجال يشرفون بانتسابهم للاسلام وعملهم له ، وتضحيتهم في سبيله ، فمن انتدبه الله لذلك فقد حظى بالنعمة الكبرى ، والفضل العميم ، وقد جعل الله التفقه في الدين لونا من ألوان الجهاد ، لانه الجهاد الفكرى الذى يشرح العقيدة ويحمى الرسالة ، ويرد كيد المعتدين ويثبت ايمان المؤمنين .
قال تعالى (وماكان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) التوبة ١٢٢ .
وقد اصبح الاعلام فنا من الفنون ، تخصص له المعاهد والكلليات ، وبواكب الحروب ويسبب الهزائم والانتصارات . والاعلام الدينى ، ينبغى أن يواكب العصر ، وأن يستخدم أسلحته ، وأن يجود فنون الدعوة الى الله .

قال تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة)

والحكمة هي توجيه الدعوة بالأسلوب المناسب والوسيلة
المناسبة .

وقد تناولت في مقدمة هذا الكتاب فصولا عن الدعوة
الاسلامية واطوارها وثقافة الداعية ، وعن الخطابة الدينية ،
وكيفية النهوض بها ، وعن الاعلام الدينى والحديث الدينى
بالاذاعة والتليفزيون . ثم قدمت بعض البحوث فى العقيدة ،
ونظام الاسرة .

واتبعت ذلك بعدد من الأحاديث فى فنون متعددة
شملت : العبادات ، والآداب الاجتماعية ، والمرأة ، والجهاد،
والأخلاق ، والذكرات الاسلامية . وهذا هو الاسلام ، ومن
هدى القرآن ، والحلال والحرام ، وسؤال وجواب وقصص
القرآن الكريم ، وتربية الهية كريمة .

وهى موضوعات قصيرة قندم أكثرها فى الاذاعة أو
التليفزيون آمل أن يجد فيها القارئ صورة مناسبة لعرض
الفكرة الاسلامية بأسلوب العصر ، واضحة الهدف ، سهلة
الأداء ، تيسر ولا تعسر ، وتثير الطريق لمن أراد الهدى

قال تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام)

أسأل الله أن يجعل هذا العمل مفيدا ونافعا .

وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

د. عبد الله شحاته

الدعوة إلى الإسلام

رسالة الاسلام

اختار الله بلاد العرب لتكون مقر الرسالة الأخيرة التي جاءت للبشرية جميعا ، والتي تتضح عالميتها منذ أيامها الأولى ، كانت الأرض المعمورة – عند مولد الرسالة الأخيرة – تكاد تنقسمها إمبراطوريات أربعة هي : الإمبراطورية الرومانية ، والفارسية ، والهندية ، والصينية . وفي هذا الوقت جاء الاسلام لينقل البشرية كلها ، مما انتهت اليه من انحلال وفساد واضطهاد ، وجاهلية عمياء في كل مكان من المعمورة . جاء ليهيمن على حياة البشرية ويقودها في الطريق إلى الله على هدى ونور ، ولم يكن هنالك بد من أن يبدأ الاسلام رحلته من أرض حرة لا سلطان فيها لإمبراطورية من تلك الإمبراطوريات ، وكانت الجزيرة العربية وأم القرى وماحولها بالذات ، هي أصلح مكان على وجه الأرض لنشأة الاسلام يومئذ ، وأصلح نقطة يبدأ منها رحلته العالمية .

لم تكن في بلاد العرب حكومات منظمة ، ولا ديانة ثابتة واضحة المعالم ، وكان خلخلة النظام السياسي للجزيرة ، إلى جانب خلخلة النظام الديني ، أفضل ظرف يقوم فيه دين حديد ، متحررا من كل سلطان عليه في نشأته .

وهكذا جاء القرآن لينذر مكة ومن حولها من البلاد ، قال تعالى :
(وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها) الشورى ٧ .

وامتد نور الاسلام إلى المدينة ، ومنها إلى سائر الجزيرة العربية . ولما خرجت الجزيرة من الجاهلية إلى الاسلام ، حملت الراية وشرقت بها وغربت وقدمت الرسالة للبشرية جميعها ، وكان الدين حملوها هم أصلح خلق الله لحملها ، وقد خرجوا بها من أصلح مكان في الأرض لميلادها ، وهكذا تبدو سلسلة طويلة من الموافقات المختارة لهذه الرسالة : (الله أعلم حيث يجعل رسالته) الأنعام ١٢٤ .

وسائل نجاح الدعوة إلى الله

لقد رسم القرآن دستور الدعوة إلى الله في قوله سبحانه : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن أن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) النحل ١٢٥ .

وقد عرض القرآن في كثير من سوره أهداف الدعوة الجديدة ، وأركانها وحقائقها الأساسية ، ومن هذه الحقائق : الإيمان بالله وحده ، وبالحياة الآخرة ، وبالوحي والرسالة . كما أرسى القرآن قواعد الدعوة ومبادئها ، وعين وسائلها وطرائفها ، ورسم المنهج للرسول الكريم ، وللدعاة من بعده ، فللنظر في دستور الدعوة الذي شرعه الله في هذا القرآن :

ان الدعوة دعوة الى سبيل الله :

لا لشخص الداعي . ولا لقومه ، فليس للداعي من دعوته الا انه يؤدي واجبه لله ، لا فضل له يتحدث به ، لا على الدعوة ولا على من يهتدون به ، وأجره بعد ذلك على الله .

والدعوة بالحكمة : وهي النظر في أحوال المخاطبين وظروفهم ، والفدر الذي يبينه لهم الداعية في كل مرة حتى لا يثقل عليهم ، ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها ، والطريقة التي يخاطبهم بها ، والتنوع في هذه الطريقة حسب مقتضياتها ، فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغيرة ، فيتجاوز الحكمة في هذا كله وفي سواه .

وبالموعظة الحسنة : التي تدخل الى القلوب برفق ، وتعمق المشاعر بلطف لا بالزجر والتأنيب في غير موجب ، ولا يفضح الأخطاء الى قد تقع عن جهل أو حسن نية ، فان الرفق في الموعظة كثيرا ما يهدي القلوب الشاردة ، ويؤلف القلوب النافرة ، ويأتى بحير من الزجر والتأديب والتوبيخ .

والجدل بالتي هي أحسن : بلا تحامل على المخالف ولا ترذيل له وتقبيح ، حتى يطمئن الى الداعي ، ويشعر ان ليس هدفه الغلبة في الجدل ، ولكن الاقناع والوصول الى الحق ، فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها ، وهي لا تنزل عن الراى الذى تدافع عنه الا بالرفق ، حتى لا تشعر بالهزيمة ، وسرعان ما يختلط على النفس قيمة الراى وقيمتها هي عند الناس ، فتعترس التنازل عن الراى تنازلا عن هيبتها واحترامها وكيانها ، والجدل بالحسن هو الذى يطمئن من هذه الكبرياء الحساسة ، ويتسع المجال ان ذاته مصونة ، وقيمتها كريمة ، وان الداعي لا يقصد الا كشف الحقيقة في ذاتها ، والاهتداء اليها ، في سبيل الله ، لا في سبيل ذاته ونصرة رأيه وهزيمة الراى الآخر .

النبى الداعية

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى للدعاة والهداة ، فهو صادق النية مخلص في دعوته ، واضح الهدف شديد اليقين ، لقد وقف على جبل الصفا وقال : «والله الذى لا اله الا هو انى لرسول اليكم خاصة والى الناس عامة» .

ثم هو النبى الحكيم استاذ التربية السلوكية ، لقد أسر الدعوة وصبر في سبيلها وتحمل الوان الأذى والاضطهاد ، وكان يصنع الرجال في مكة ،

ويكون لهم القدوة الحسنة ، والامام والفائد ، فهو المثل الاعلى في الصلاة وانصياف والزكاة والحج ، وسائر العبادات والمعاملات .
وهو صاحب الموعظة انحسنة ، التى سلك طريقها الى القلوب بعد تشويق وتمهيد . وقد وضع دعائم التوحيد والايمان فى وصيته الجامعة لعبد الله بن عباس :

عن عبد الله بن عباس رضى الله عنه قال : كنت رديف النبی صلى الله عليه وسلم على بغلته فقال لى يا غلام : هل اعلمك كلمات ينفعك الله بهن فى الدنيا والاخرة ؟ قلت بلى يا رسول الله علمنى ، فقال يا غلام : « احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشئ مانفعوك الا بشئ قد كتبه الله لك ، واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان يضروك بشئ مضررك الا بشئ قد كتبه الله عليك ، جفت الاقلام وطويت الصحف » .

وقد ناقش عليه الصلاة والسلام اهل مكة ، ونغل اليهم نقاش القرآن وادلته وحججه على وجود الله ، من مشاهد الكون ، ومشاهد النفس ، وخلق الليل والنهار ، والسماء والارض ، والجبال والبحار ، وبيان ان الاصنام لا تنفع ولا تضر ، ولا تسمع ولا تجيب . وقد نوع القرآن فى اساليب الدعوة وطرقها ، وفى سبيل ذلك اشتمل على الامور الالية :

- ١ - العقائد والمثل والايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .
- ٢ - قصص المرسلين وجهادهم مع قومهم ، ثم بيان العقابة وهى نصر المؤمنين ، وخذلان الجاحدين .
- ٣ - التشريع للجماعة المسلمة فى امور العبادات والمعاملات .
- ٤ - الاخلاق الاسلامية والحث على السلوك السليم ، وقد حفلت كثير من السور ببيان قيمة الاخلاق والهداية والايمان .

وقد شقت الدعوة الاسلامية طريقها الى المدينة ، وبنى بها المسجد النبوى ، وقد كان دارا للعبادة وبرلمانا للشورى ومؤسسة لرعاية الفقراء ، ومدرسة للدعوة وتعاليمها . ومن هذا المسجد تخرج الدعاة والهداة والائمة .

وارسل النبي معاذ الى اليمن ليقضى بكتاب الله ، ثم بسنة رسول الله ، ثم يجتهد بعقله وفكره وقلبه ليعمل بروح الشريعة ومبادئها السمحة .

ان الاسلام دعوة هادنة لخير الفرد والجماعة ، ومن تعاليم الاسلام : الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وتبليغ الدعوة وتعليمها لمن لم يعلمها ، وطلب العلم فريضة ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، والبحث عنه جهاد .

وقد حملت دعوة الاسلام وسائل النجاح فى بساطتها وسهولتها ، ويسرها ومرونتها . فالطفل يحفظ سورة قصيرة هى سطر واحد فيعرف احكام العقيدة من قوله تعالى :

(قل هو الله احد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا احد)

ومن سورة الفاتحة نجد اهداف الايمان بالله وطلب الاستقامة والبعد عن الاعوجاج والضلال .

ان الايمان بالله ، والاخلاص له ، ووضوح الفكره ، وحاجه الناس اليها ، وتواضع الداعية ، وحرصه على تبليغ الدعوة ونشرها : كل ذلك من عوامل نجاح الدعوة .

والداعية هو الايمان المتحرك ، والفرآن الحي ، والفدوة العملية ، والنموذج المحتذى ، وكلما الصق بالفرآن قراءه وطبقا كلما زاد نجاحه وتأثيره . وعندما تبجح اهل مكة ووقعوا في وجه الدعوة والداعية نزل الادب الالهى يقول للرسول الامين وللدعاة والهداة من أمته :

(ومن احسن فولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين ، ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن ، فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانهولى حميم ، وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) فصلت ٣٣ - ٣٥ .

سنن الله فى الدعوة والدعاة

جاء الاسلام دعوة عالمية ، تؤمن بالكتب والرسل ، وتدعو الى الوحدة والجماعة فالله واحد ، والامه واحدة ، والكتاب واحد ، والهدف من الرسالات السماوية واحد ، وهو هداية البشرية ودعوتها الى الايمان ، وصيانتها من الفرقة والاختلاف .

وفى آيه مشهورة من سورة الشورى تطالعنا وحدة الرسالات جميعا ، ووحدة الرسل ، ووحدة الدين ، ووحدة الهدف للجميع ، وهو بوحيد الله ، وتدعيم الفيم ومحاربة الردائل والانحراف . قال تعالى :

(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما اتعوههم اليه الله يجتبى اليه من يشاء ويهوى اليه من ينيب) الشورى ١٣ .

وتقرر الآية التالية بعد ذلك أن التفرق قد وقع مخالفا لهذه التوصية ولم يقع من جهل من اتباع أولئك الرسل الكرام ولكن عن علم ، وقع يفسا وحسدا :

(وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) الشورى / ١٤ .

ثم تصسف أتباع الأديان وحملة الكتب السماوية بأنهم فى حيرة وشك لاضطراب أحوال الديانات ، وخروجها عن الهدف الذى جاءت له :

(وان الذين اوردوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب)

الشورى ١٤ .

ان اقصى ضربة توجه الى الدعوة ، هى شك أصحابها وارتياهم فيها ، فاذا فقد الداعية ثقته فى دعوته ويقينه بها ، فقد الحرارة والايمان ، وفقد القدرة على هداية الآخرين لان فاقد الشيء لا يعطيه .

ولقد قدم لنا القرآن هذا الدرس الحى ، وبين أن أصعب داء يصيب الدعوة يكمن فى شيئين :

اولهما : ضعف الايمان بالله .
ثانيهما : الفرقة والاختلاف .

ومن كلمات أحد الدعاة المخلصين لاتباعه :
لا أخشى عليكم الدنيا كلها ولكنى أخشى عليكم أحد أمرين :
اولهما : أن تفتروا بانفسكم وتفقدوا صلتكم ويقتينكم بربكم ، فينزع الله عنايته عنكم :

(ويوم حنين اذ اعجبتمكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا) التوبة ٢٥ .
ثانيهما : أن يختلوا فتنفسوا ، قال تعالى (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين) الانعام ٤٦ .

ان الضربة القاضية التي اصابته الدعوات السابقة على الاسلام ، هي فقدان اتباع هذه الديانات لحراره الايمان ، وقوة العاطفة ، ثم انتشار الفساد والكساد ، واستمراء اللهو والمتعة والابتعاد عن القيم والمثل ، وقد حذر القرآن من هذه الحال فقال سبحانه :

(اثم يان للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) الحديد ١٦ .

ان العميدة الصادقة والايمان الصادق ، والاستعداد للبلل والغذاء من اسباب نجاح الدعوه .

وقد حرص الانبياء والرسول على دعوة قومهم ، وتحملوا الالام في سبيل هذه الدعوة . مكث نوح في قومه ألف سنة الا خمسين عاما ، ووضع في النار ابراهيم وتحمل يوسف السجن ، وابتلع الحوت يوسف ، وخرج موسى من مصر خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين ، وحاول الأعداء قتل المسيح وصلبه ورفع الله اليه ، وكان محمد صلى الله عليه وسلم مثالا اعلى في تحمل تبعات الجهاد في مكة والطائف والمدينة ، وهذ ضريبة الدعوة والفكر لان الداعية يخرج على مألوف الناس ويدعو الى الخير وبأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويؤمن بالله ، قال تعالى (كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران ١١٠ .

الداعية أشد الناس بلاء ، وأكثرهم تحملا ، لانه قائد فكرة ، وحامل مشعل ، ورسول اصلاح ، وزعيم حركة تغيير ، ودائما يتحمل المعاة قسوة تغيير المألوف . وفي الحديث الشريف (أشدكم بلاء الانبياء ثم الأولياء ثم الامثل فالامثل) .

وعندما يصدق الايمان تفتح اقفال الارض ، وتكشف خزائنها . ولعل هذا يفسر لنا وجود هذا الحشد من الرجال العظام في الصحابة من أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وحزمة والعباس وأبي عبيدة وسعد بن أبي وقاص ، وخالد بن الوليد وسعد بن معاذ ، وأبي ايوب الانصاري وغيرهم وغيرهم ، من تلك العصبة التي ثلقت الاسلام ، فتفتحت له وحملته ، وكبرت به من غير شك وصلحت ، ولكنها كانت تحمل البذرة الصالحة للنمو والتمام .

(أولئك الذين هدى الله فبهم اهتد) الانعام ٩٠ .

الاسلام دين القيم

التأمل في صفات المؤمنين يوحى بأن الاسلام دين القيم ، دين يهتم بالجوهر لا بالمرض ، ويتوكل النفس البشرية لا بالقيم الزائلة فما هي قيم الجماعة المؤمنة .

انها الايمان ، والتوكل ، واجتناب كبائر الاثم والعواش ، والمغفرة عند الغضب ، والاستجابة لله ، واقامة الصلاة ، والشورى الشاملة والانفاق مما رزق الله . والانتصار من البغى ، والعفو والاصلاح ، والدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتحمل تبعات الجهاد والصبر على البلاء والشكر على النعماء والثقة بالقضاء .

وبهذه القيم يحول العرب من اشتات مختلفين الى امة متماسكة ، متراحمة مؤمنة بالله مستقيمة على هداة ، فوطأ الله لهم اكناف الارض وصاروا خير امة اخرجت للناس .

قال تعالى :

(فما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها ، وما عند الله خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، والذين يجتنبون كبائر الانثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون ، والذين استجابوا لربهم وافاموا الصلاة وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ، والذين اذا اصابهم البغى هم ينتصرون ، وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلاح فاجره على الله انه لا يصيب الظالمين) الشورى ٣٦ - ٤٠

ضعف الدعوة

قال تعالى : (فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) مريم ٥٩ . فبعد النصر المبين ، والعصر الذهبي للاسلام ، وبعد أن فتحت الارض وجاء المال ، ضعف الوازع الديني ، وخفت صوت الدعوة وانتشر اللهو والترف ، وصارت بغداد عاصمة الخلافة نبع بالمتناقضات . فنرى مجالس اللهو والقيان والغلمان ، والفزل بالذكر والمؤنث ، حتى قال الشاعر :

اخلع ببغداد العذارى	ودع التنسك والوقارا
فلقد بليت بفتية	ما أن يرون العار عارا
لا مسلمين ولا يهود	ولا مجوس ولا نصارى

وعندما هان أمر الدعوة ، وضعفت قوة اليقين وحرارة الايمان ، سقطت همة المؤمن وسقطت بغداد في يد التتار سنة ٦٥٦ هـ ، لكنها سقطت في يد اللهو والعبث قبل أن تسقط في يد التتار ، ولما ذاق التتار حلاوة الاسلام تحولوا الى دعاة له ومؤمنين به .

ادوار الدعوة الاسلامية

المفتاء يدكرون أن العمه الاسلامى مر بمراحل مختلفة يمر بها الكائن الحى ، وهى دور النشأ والنمو ، ودور النضج والكمال ثم دور التقليد والجمود ، وأخيرا دور اليقظة الفقهية :

١ - دور النشأ والنمو من البعثة المحمدية الى سنة ١٠٠ هـ
٢ - دور النضج والكمال من ١٠٠ هـ الى سنة ٣٥٠ هـ ، وهو عصر ازدهار الفقه ، وانتشاره فى الكرة الأرضية .

٣ - دور التقليد والجمود من ٣٥٠ هـ - ١٢٨٦ هـ . وينقسم الى قسمين :
(١) بداية التقليد من سنة ٣٥٠ هـ الى سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ .

(ب) مرحلة التقليد المطلق والجمود والضعف من سنة ٦٥٦ هـ الى ظهور المجلة العدلية للاحكام الشرعية بتركيا سنة ١٢٨٦ هـ .

٤ - دور اليقظة الفقهية من سنة ١٢٨٦ هـ الى الوقت الحاضر .
وما يقال عن العمه يمكن أن يقال عن الدعوة الاسلامية .

لقد نلارم نجاح الدعوة مع وحدة المسلمين ، وحسن فهمهم وتطبيقهم للاسلام . فالاسلام دين عالمى ودعوه الله الى الناس أجمعين ، دين العدالة والمساواة والحريه والاخاء والتسامح ومكارم الاخلاق . وهذه الصفات تجعل من الاسلام ديناً ممتازاً ، وطبيعة الاسلام توجب على المؤمنين به الدعوة الى الله والجهاد بالقرآن قال تعالى : (وجاهدوهم به جهاداً كبيراً) الفرقان ٥٢ .

وقد روى مسلم فى صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« لأن يهذى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم » .

لقد امتد الاسلام الى الفرس والروم ومصر وشمال أفريقيا ، وامتد نوره الى أوروبا عبر أسبانيا .

وقد دخل المغول الى الاسلام بفضل الدعاة المسلمين ، ودخل البلغار على يد التجار المسلمين . ودخل الاسلام الهند فى وقت مبكر من طريق التجار العرب . كذلك وصل الاسلام الى أندونيسيا والفيلبين على يد الدعاة من العرب والهند . كما وصل الاسلام الى الصين فى القرن الاول الهجرى . كما وصلت جاليات مسلمة الى امريكا الشمالية والجنوبية وأقاموا هناك ، وأسسوا جمعيات ومساجد فى أشهر المدن ، ولهم سمعة طيبة فى كل حقل يعملون فيه من حقول التجارة والصناعة وغيرها . وللإسلام أعوان وأنصار فى كل جهات العالم .

ان عصور التقليد والظلام والضعف انما حلت بالمسلمين نتيجة بعدهم عن دينهم ونتيجة فرقتهم واختلافهم .

لقد امرنا القرآن ان نجهر بالدعوة وان نستعلى على الاهواء ، وان نستقيم على امر الله ، فهو وحده مرسل الرسل ، ومنزل الكتب وولى المؤمنين وناصر المتقين . قال تعالى : (فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وفل آمنتم بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعمل بينكم الله ديناً وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير) الشورى ١٥ .

منهج الدعوة الإسلامية

أهداف المستشرقين :

الإسلام يحمل خصائص الدعوة العالمية ، وقد ختم الله به الأديان ، وجعله صالحا لكل تطور في الحياة البشرية على اختلاف بيئاتها ومستوياتها ، وهناك في الغرب حركتان قويتان تتصلان بالشرق والإسلام .
١ - أما الحركة الأولى فهي الاهتمام بالشرق ودراسة علومه ومعارفه وحضارته وإمكانياته ، لمعرفة الطريق إلى السيطرة عليه ثقافيا أو اقتصاديا .

وقد انشئت كراسي للدراسات العربية والإسلامية والشرقية في عدد من الجامعات الغربية .

٢ - أما الحركة الثانية فهي البحث من دين عالمي تطمئن إليه النفوس ويحل المشاكل الداخلية المعقدة التي لا يستطيع العلم حلها ، لأن العلم رغم تقدمه السريع لم ينجح في حل المشاكل الخلقية والنفسية ونرى أن الفرصة سانحة أمامنا لعرض الإسلام ، ففيه حل لمشاكل الإنسان في القرن العشرين .

من هدى القرآن

لقد سلك الإسلام أجمل الطرق للوصول إلى النفس البشرية عن طريق الهداية والدعوة إلى الإيمان بالحكمة والموعظة الحسنة .

وآيات القرآن وأحاديث الرسول خير شاهد . ففي القرآن الكريم :
(يا أيها المدثر قم فأنتد) • (وتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) آل عمران ١٠٤

(يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته)
المائدة ٦٧ .

أما النبي الكريم فكان المثل الأعلى للداعية وقد زوده الله بالحلم والحكمة والصبر وعندما يئس أهل مكة ذهب إلى الطائف يدموها إلى الإسلام فأوذى

البلغ الاذى ، واستجار بالله سبحانه في دعاء صادق فنزل جبريل من السماء وقال يا محمد ان شئت اطبق الجبال عليهم ففعلت ، فقال النبي لا تفعل انى لارجو ان يخرج من ظهورهم من يعبد الله ، اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون .

الدعوة الى الاسلام فى الوقت الحاضر

ان اقتناع المسلمين بأهمية دينهم ، وحاجة العالم اليه ، يعد أساسا سليما ونقطة انطلاق للدعوة الى هذا الدين .

وان التخطيط أمر ضرورى لنجاح كل مشروع ، واذا كان أعداء الاسلام يخططون للنيل منه ومن أمته ، فيجب أن نحاربهم بمثل سلاحهم .

أن القائد الحكيم هو الذى يتمتع بمرونة الحركة ، وسرعة اتخاذ القرار والقدرة على المناورة والمفاجأة ، والاحتفاظ بالسرية وتعبئة الروح المعنوية .

وجيش الدعوة الى الاسلام فى القرن العشرين ، بحاجة ماسة الى رجال على درجة عالية من الذكاء والبصيرة ، والثقة بالنفس والغيرة والحماسة وطهارة القلب والاخلاص لله سبحانه . (ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شئ عليم) التغابن ١١ .

اعداد الداعية

لابد من معرفة الداعية بحالة البلاد التى يتوجه اليها للدعوة ، حتى يكون كلامه وعمله مشمرا ومفيدا ، وينبغى أن يحيط الداعية بتاريخ البلاد ، ونظام الحكم ، والعقيدة والعادات والامكانيات المادية والظروف المختلفة ، ذلك أن ظروف العالم تتغير من زمن الى زمن ، ومن منطقة الى منطقة .

أن الله عز وجل حث على اعداد الدعاة بقوله سبحانه : (وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) التوبة ١٢٢ .

علينا أن نجهز هذه الطائفة التى تنفر الى الالمان ممن يجيدون الالمانية والى الامريكان ممن يجيدون الانجليزية ، فنخاطب الناس بلغاتهم ، ونحمل اليهم هداية السماء وختام الرسالات ونقدم الدواء لمن يحتاج اليه ، بعد تشخيص مناسب ، فالحكمة الحقة هى وضع الشئ فى موضعه ، وتقديم العظة المناسبة فى الوقت المناسب وبالحكمة المناسبة ، قال تعالى : (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب) البقرة ٢٦٩ .

التخطيط للدعوة

يبدل أعداء الاسلام جهدا منظما ، ويقومون بنشاط متعدد الاشكال والالوان ضد الاسلام والمسلمين ، فهم يشجعون الحركات الاقليمية كالدعوة الى الفرعونية والبابلية والفينيقية والبربرية ، لان هذه الدعوات تحطم الوحدة الكبرى التى خلقها الله بين المسلمين ، وهم يحاربون الوحدة بين الامم الاسلامية ، ويشككون فى قدرة الاسلام على القيام بدور حضارى بناء .

والدعوة الى الاسلام في حاجة الى تفنيد مفتريات العدو ، وتأكيد قدرة الاسلام الذاتية على العطاء ، وهذه الدعوة بحاجة الى انشاء جهاز مستنير ، جامع لارباب الفكر والتخصصات الفنية المختلفة التي تتصل بالدعوة ، وتكون مهمته الاولى الاساسية هي الدعوة النقية الخالصة بعيدة عن المؤثرات المحلية والاغراض الخاصة ، وليت هذا الجهاز يكون واحدا للعالم الاسلامي كله ، ويختار له مقر في القاهرة قلب العالم الاسلامي او الحجاز مهبط الوحي ، ويكون لهذا الجهاز فروع وادارات وشخصيات تمثله في الدول الاسلامية بقدر الامكان .

ان التفكير في تكوين جمعيات ، وانشاء منظمات واجهزة لمباشرة الدعوة بطريقة منهجية منظمة ، تفكير حديث في تاريخ الدعوة الاسلامية ، وفي سنة ١٩١٠م أسس السيد محمد رشيد رضا جمعية في القاهرة ، كانت تهدف الى تأسيس دار للدعوة والارشاد .

« وفي شبه القارة الهندية أربع وعشرون جمعية للدعوة الى عقائد الاسلام وعقد المناظرات مع غير المسلمين ، وطبع ونشر الكتب التي ترد على هجمات الجمعيات المعادية » (١) . ومن اهم هذه الجمعيات جمعية (انجومان حسامي اسلام) في اجمر ، وجمعية (انجومات حمايت اسلام) في لاهور ، ومن الهيئات التي تحمل عنوان اندعابة للاسلام ، المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة ، ومجمع البحوث الاسلامية بالازهر ، وجمعية التعريف الدولي بالاسلام في القاهرة .

ولمصر موقع جغرافي وتاريخي وثقافي وقيادي هام ، وهي قبلة فكرية للعالم الاسلامي ، وقد حملت لواء النهضة الحديثة ، وبها اعداد وافرة من الجامعات ومراكز البحث العلمي وهي تستقبل أبناء العالم الاسلامي للدراسة والتعليم والتدريب ، ويقوم الازهر بواجب في هذا المبدان ولكنه يحتاج الى عناية ورعاية وامكانيات مادية وفكرية حتى يؤدي واجبه على الوجه الاكمل .

ثقافة الداعية

ينبغي ان يتزود الداعية بمهارات وخبرات ودراسات مناسبة لما يقوم به ، ومن هذه الخبرات ما يأتي :

- ١ - التعمق في معرفة القرآن والسنة ، وعلوم الشريعة والسيرة النبوية والعبادات والمعاملات والاخلاق وغيرها من فروع الثقافة الاسلامية .
- ٢ - ان يجمع الى العلم القديم علما حديثا بالمعارف المختلفة التي توضح العلوم الدينية بأسلوب العصر ، وبذلك يكون نموذجا مشرفا يعيش مع العصر وأحداثه ويتصل بالمجتمع ومايمج به من مشاكل .
- ٣ - أن يكون متمكنا من لغة القوم الذين يخاطبهم .

(١) الدين العالمي ومهج الدعوة اليه ، للفضيلة الشيخ عطية صقر ، الكتاب الحادي عشر لمجمع البحوث الاسلامية ص ١٦٢ ، ١٦٣ .

٤ - أن يكون خبيراً بأسلوب الدعوة وطرق التربية والتعليم والرعاية والتوجيه،
فقد نصح النبي معاذاً وزميله حين أرسلهما إلى اليمن قائلاً : « يسرا
ولا تعسرا ، وبشراً ولا تنفراً ، وتطاولوا ولا تختلفا » (١)

٥ - أن يكون على خلق كريم ، فالأخلاق سلاح فعال في نجاح الدعوة ، وهي
في الوقت نفسه دعاية صامتة ، قد تغني عن الدعاية القولية ، ومن
أخلاق الداعية عدم الحرص على الدنيا ، والعفة والقناعة والصبر ،
والإخلاص لله في السر والعلن ، والاعتزاز بالإسلام ديناً وسلوكاً .

قال تعالى : (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال
إنني من المسلمين) فصلت ٣٣ .

ومن كلمات النبي صلى الله عليه وسلم لعمر : « أما علمت أن الحلم
كاد أن يكون نبياً » (٢) .

٦ - أن يكون الداعية حسن الهيئة ، طيب المظهر ، جميل الهندام «وقد كان
لرسول الله صلى الله عليه وسلم حلة يلبسها للعديد والجمعة » (٣) .
وفي الحديث يقول النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « ما على أحدكم
لو اشتري - أن وجد سعة - ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي
مهنته » (٤) .

وقد اعتنق اليهودي سعيد بن الحسن الإسلام سنة ١٢٣٨ م ،
بسبب رؤيته لمشهد صلاة الجمعة في مسجد عام وقال : « لما ظهر خطيب
الجمعة مرتدياً عباءته السوداء استولى على شعور عميق بالرهبة . .
وأيقنت في نفسي أنني خلقت لأكون مسلماً » (٥) .

٧ - أن يكون الداعية حكيماً ، سليم الفكرة ، حسن الأداء ، بعيداً عن السب
والشتم والتجريح ، قال تعالى (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله
فيسبوا الله عدواً بغير علم) الأنعام ١٠٨ .

وإذا أراد الداعية أن يبين خطأ فكرة ، أو يقتلع عقيدة باطلة فليوجه
الإنظار إلى بطلان ما يشبه هذه العقيدة ، أو يترك الفرصة للعقول أن
تستنبط الموعظة بالتفكير والتأمل ، وقد سلك القرآن ذلك في ضرب
المثل وحكاية القصص ، لأن القصة لا تحمل موعظة مباشرة وإنما تترك
فرصة للعقل أن يستنبط بنفسه العبرة والعظة .

٨ - أن يحسن الداعية اختيار الموضوع ، وأن يبتعد عن إثارة الشبهات وأن
يعرض التشريع مبسطاً ، والعقيدة واضحة عند الدعوة إلى الدخول في
الإسلام .

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه الدارقطني والبيهقي والحاكم .

(٣) زاد المعاد لابن القيم ج ٢ ص ١٢١ .

(٤) رواه غير داود وابن ماجه .

(٥) تاريخ الدعوة لأرنولد ص ٤٥٨ .

سئل اعرابي عن الدليل على وجود الله فقال : البعرة تدل على البعير ،
والاثر يدل على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار
ذات أمواج ، أفلا يدل ذلك على اللطيف الخبير ؟

وعندما سئل نيون (المنوفى ١٧٢٧ م) عن وجود الخالق قال : من
الجلي الواضح انه لا يوجد اى سبب طبيعى يمكن ان يعزى اليه توجيه
جمع الكواكب ونوابعها للدوران فى وجهة واحدة وعلى مستوى واحد ،
دون ان يحدث فيها اى تغيير يذكر ، فمجرد النظر لهذا التدبير يشعر
بوجود قدرة الهية .

٩ - الداعية امام وقائد ، وهو قدوة ومثل اعلى ، فعليه ان يلتزم بما يدعو
الى الله ، وان يحرص على هداية الناس ، وان يجد سعادته فى مساعدة
الآخرين ، ومن كلمات الاستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغى :

« من لوازم الداعى ان يكون شجاعا صادقا قوى الايمان بما يدعو
اليه ، يرى فى الاقدام لذة وحقا للنفس الخسرة ، وبؤده احتسابا لله
لا على انه مكلف به ، وبؤده للاجر وزيادة الدرجات والمرتبات ، ومن
حق الداعى ان يكون بصيرا بالوسط الذى يعيش فيه ، خبيرا بأحوال
النفس ، واسع الحيلة فى التنقل من طريق الى طريق ، يقصد الهداية
المطلوبة من طريقها النافع » (١) .

مقترحات لنشر الدعوة

مما يساعد على نشر الدعوة ويشد ازر الدعاة ماياى :

١ - استغلال كل الوسائل الممكنة للنشر ، فقد كان عصر الاسلام يعتمد على
الكلمة واللقاء المباشر . واليوم نجد وسائل لعلام عديدة منها : الاذاعة
والتليفزيون والصحافة والسينما والمسرح والمجلات والاعلانات والدعيات
المختلفة . فعلى دعاة الاسلام ان يستغلوا كل فرصة مناسبة للدعوة
اليه ، فى كافة وسائل الاعلام ، مع استخدام أسلوب العصر وطريقته
ومنهجه . قال تعالى (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم)
ابراهيم ٤ .

٢ - ينبغى ان تنشأ مراكز اسلامية للدعوة للاسلام ، وتعليم الدين واللغة عن
طريق التدريس والمحاضرات والندوات والكتيبات وغيرها .

٣ - التوسع فى ارسال البعثات الى كافة ارجاء الدنيا ، بعد اعدادهم اعدادا
سليما .

٤ - التوسل الى تدبير الاموال اللازمة والخبراء بالدعوة للاسلام ، وباحد
لو كان هناك صندوق عام يعول من كل الاقطار الاسلامية ، وباحد لو
زيدت فى ميزانية كل دولة المبالغ المرصودة لهذا العمل الجليل .

(١) جريدة الدستور ١٩٢٨ . والنظر : الدين العالمى ، للشيخ عطية صقر ص ١٣٦ -

٥ - من أهم مايساعد على قبول الناس الدعوة الاسلام ان يكون العمل بالدين ومبادئه واقعا حيا في المجتمع الاسلامي فالعمل بالدين اكبر دعاية له .

ان في الناس فراغا روحيا وقلقا نفسيا في هذه الايام بعد كثرة الحروب وبعد الصراع الدموي المادى ، وليس الا الدين سكنا للنفس ، ويقينا للقلب ، وحصنا في الشدائد ، وصلة بين المخلوق والخالق ، وامانا في البأساء ، وعزاء في المصائب ، وقوة في النوائب ، ان الايمان يعنى نفسا مطمئنة ، وقلبا نقييا تقيا من الشرك برييا لا كافرا ولا شقيا .

فن الخطابة والإعلام الديني

- (أ) الخطابة الدينية وأهميتها ، وأسباب ضعفها وطرق النهوض بها
(ب) الخطيب والصفات التي يحتاج إليها .
(ج) الخطبة : مقدماتها ، موضوعها ، خاتمتها

الخطابة :

الخطابة من مشافهة الجمهور واقتناعه واستمالته .
والخطابة - منذ كانت - سلاح المجتمع الانساني في سلمه وحربه وفي ترفيته والاسراع به نحو المثل الاعلى الذي يجب أن يفصل اليه .
فليس بدعا ان كانت بلاغ الانبياء الى اممهم وسبيل الدعاة الى الهداية والاصلاح . ولربما اثر الخطيب بحماسة وصدق عاطفته اكثر من تأثير الكاتب برزائمه واعداد بحثه .
فالخطيب يواجه الجمهور ويحاول التأثير فيه بطريقة أدائه ونبرات صوته وجودة لقائه وروعة بيانه .
والخطيب يواجه ويخاطب القارئ والامى والاعمى والبصير والطفل والكبير ، وهو يتعامل مع القوى البشرية مباشرة يخاطبها ويستميلها ويناجي ضميرها ويحرك بواعث الخير فيها ويسوق أدلته وبراهينه لاقتناعها ويغير من اساليب الخطابة وتعبيراتها حسب مايطرأ على الجمهور من تغيير .
فالخطيب قادر على الاطالة اذا رغب جمهوره في الاستزادة ، وعلى الإيجاز اذا ظهرت له علامات السامة والملل ، وعلى تغيير طريقته واسلوبه وتعبيره ليناسب السامعين .
قال صلى الله عليه وسلم (ان من البيان لسحرا) .

اقسام الخطابة :

تنقسم الخطابة الى سياسية وقضائية وحربية وحفلية ودينية . وسنقتصر هذا البحث على النوع الأخير وهو :

الخطابة الدينية

الخطابة الدينية : هي التي نعتد على الدين في مادها وموضوعها فتربط السامعين بالحال وتذكرهم بالثواب والعقاب وتدعوهم الى الخير وتحذرهم من الشر .

خطبة الجمعة :

وهي أشهر انواع الخطابة الدينية ، ففي كل اسبوع نجد ملايين المنابر في العالم الاسلامي وقد صعدوا الخطباء في زيهم الديني ليلفوا خطبة الجمعة .

والخطبة شرط في انعقاد الجمعة عند الجميع ويجب ان تشمل على خمسة اركان : حمد الله عز وجل ، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والوصية بالتقوى ، وقراءة آية من القرآن ، والدعاء للمؤمنين والمؤمنات عند الشافعي ، ولم يشترط شيئاً من ذلك عند « ابو حنيفة » ، وقال مالك الواجب ان ياتي الخطيب بما يسمى خطبة في العادة من كلام مؤلف به بال .

والقيام في خطبة الجمعة مع القدرة عليه مشروع باتفاق .

لماذا أخفقت الخطابة الدينية :

نلاحظ كثيراً من الخطباء الدينيين لم يبرعوا في خطاباتهم ، ويرجع ذلك للأسباب الآتية :

١ - خطبهم ذات موضوعات عدة من دعوة الى فضائل الى تنفير من رذائل ، فتبدو الخطبة كشكولا جامعا لموضوعات عدة مبتسرة مقتضبة لم يدرس واحد منها دراسة كاملة ترسخ في اذهان السامعين ، وتمتلك مشاعرهم ، والخطبة الناجحة لابد ان تكون ذات موضوع واحد .

٢ - وهذه الموضوعات الكثيرة ذات معان واحدة مكررة ، وأحيانا ذات اسلوب واحد تكرر على مسامع الناس فيملونها ، وقد مضت على الخطباء فترة من الزمن - وما زالت لها بقية - كأن الخطباء يحفظون فيها خطبهم ، او يلقونها من كتب مطبوعة متمشية مع اسابيع كل شهر من كل عام ، فلا تصرف ولا تجديد ولا مراعاة لاحوال المسلمين .

٣ - على انها بموضوعاتها المتعددة ومعانيها الواحدة متخلفة عن قافلة الزمن مباعدة للحياة الواقعية ، ليس فيها جدة ، وكثيرا ما يشغل الناس حديث جلال أو أمر طارئ ويتشوقون الى سماع كلمة الدين ، فإذا بهم يسمعون نغمات قديمة لاصلة لها يتوقعون ويتوقون الى سماعه .

٤ - ومن نتائج ذلك كله انها غير ملائمة لعقلية السامعين ، وغير مشوقة ، فاسلوبها متكلف ، ومعانيها لا تشويق فيها ، والقائما باحث للتثاؤب والملل .

كيف ننهض بها :

واذا ما اردنا أن ننهض بالخطابه الدينيه فعلينا أن نصلح هذه العيوب ، بأن نجعل كل خطبه موحدة الموضوع ، جديدة الافكار والمعاني ، مسايمة للحياة الواقعيه معروضه في معرض سائق رائق . وأن نجعلها بالوان من التشبيه والمقابلة وغيرها ، بحيث لا تنكف ولا تضعف ، ثم ليعلم الخطباء الذين هم في مسلكهم فدوة للناس ومنل ، فبدن الناس بأقوالهم ووعظهم ان كانوا صالحين ، ولا يهدون بوعظهم ان كانوا غير صالحين . فالخطيب الذي يلقي خطبه كل اسبوع مره ، ثم لا يجس نفسه على الفضيلة ، بهدم بيده مكانته . ويقدم بنفسه دعاواه ضد السابر بها بقول :

وذموا لنا الدنيا وهم برضعونها أفانق حتى ماسد لنا ثمل (١)
قال الشيخ حسين المصفي : «ان من نصب نفسه لوظيفة الهدى ، ودعاء الناس الى الخير ، يجب أن يكون بعدهم من المصنع وأحرصهم على الكمال فان أدنى هفوه منه سقط اعتباره ونسهل النهاوس به فلا يكون لكلامه تاثير في القلوب . ويصير مجلسه مسلاة تسلي الناس بحضوره . وقالوا :

ما أحسن التاح وعلى رأس الملك أحسن ، وما أحسن الدرة وهى على نحر الفتاة أحسن ، وما أحسن الموعظة وهى من الفاضل التقى أحسن .
ثم ان الخطيب الدينى ان لم يكن متأثرا متحمسا لما يدعو اليه فلا ار لخطابته .

قال حسن البصرى لواعظ لم تقع موعظه بموضع من قلبه ، ولم يرق عندها .

« ناهذا ان بقلبك لشرا او بقلبي » (٢) .

ولابد أن يكون الخطيب الدينى منقفا نقافة دينية واجتماعية وتاريخية وأدبية ، ليمتلك قلوب السامعين بطلاوة عبارته ، وحلاوة تصوره ، وطرافة معانيه وحدائمه موضوعاته .

ثم لابد من اجادة الالقاء . ومما يبشر بالخير ان كثيرا من الخطباء المعاصرين تحلوا من القيود التى انحدرت اليها من عصور الضعف العقلى والادبى ، فجددوا وأنشأوا وتمشوا مع الحوادث . وأحسنوا الالقاء . وانا لنتنظر في شوق ولهفة أن يكون خطباء الدين جميعا لسنا مصاقع ، لبطهروا النفوس من الاثرة والشر ولبسهموا في اعزاز الدين واعلاء كلمة الله في عصر يتحلل الناس فيه من الدين وينسلون ، وهم انما ينقلتون من سعادة الى شقاء ومن هوى الى ضلال ومن شرف الى ضعة ومن حاة الى فناء .

خطبة لعمر بن عبد العزيز

« ايها الناس انكم لم تخلقوا عبثا ، ولم تتركوا سدى وان لكم معادا بحكم الله فيه بينكم ، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التى وسعت كل

(١) اطماء الناقة والقرة والشاة ، والطي لذات الخف والطف كالنذى للمراه وفى الجمع

اطماء مثل فقل واقفال ، وتقريب معنى ثمل هو ثدى ، انظر المصباح المنير .

(٢) البيان والتبيين، ٨٤/١ .

شيء وحرم الجنة التي عرضها السموات والأرض . وأعلموا أن الأمان غدا لمن
خاف ربه وباع قليلا بكثير وفانيا بباقي ، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين
وسيفخلكم من بعدكم الباقون حتى تردوا إلى خير الوارثين ؟

ثم أنتم في كل يوم تشيعون غاديا ورائحا إلى الله ، فذ قضى نحبه وبلغ
أجله ، ثم تغيبونه في صدع من الأرض ثم تدعونه غير موسد ولا ممهد ، قد
خلع الأسباب وفارق الأحباب وواجه الحساب ، غنيا عما ترك فقيرا إلى
ما قدم .

وأيما الله أنى لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحدكم من الذنوب أكثر
مما عندي فاستغفر الله لي ولكم « (١) » .

الخطيب الديني

صفات الخطيب :

- ١ - الاستعداد الطبيعي .
- ٢ - سداد الرأي .
- ٣ - صدق اللهجة .
- ٤ - طلاقة اللسان .
- ٥ - سعة الثقافة .
- ٦ - معرفة نفسية السامعين .
- ٧ - روعة المنظر وجودة الالتقاء :

(١) الوقفة

(ب) حسن الإشارة

٨ - سمو الخلق .

الخطيب الديني داع إلى دين الله ، مرشد إلى الفضيلة والهدى ، ناصح
باتباع الحق والسداد ومحذر من الوقوع في الرذيلة . وليس كل من صعد
المنابر هز القلوب وأبكى العيون وحقق للسامعين الفائدة والهداية . ولذلك
يحتاج الخطيب إلى صفات وآداب يجب أن يتحلى بها في نفسه وفي سياسته
السامعين وملاحظة أحوالهم .

١ - الاستعداد الطبيعي :

الخطابة فن من فنون القول تحتاج إلى موهبة واستعداد ، ويجب أن
يكون الخطيب مغطورا على حب الخطابة ، والميل إليها ، ولا بد له مع ذلك من
المران والمزاولة حتى يصقل فطرته وينمي مواهبه واستعداده .

قال أبو الحسن الرماني : أصل البلاغة الطبع .

(١) فن الخطابة ، دكتور أحمد الحوفي ، ص ١٣٢ ، ط ٣ .

٢ - سداد الراى :

وذلك بدراسه الخطيب للموضوع الذى يحط به فيه دراسة مامه ، فان الراى المحكم لا يكون الا بدراسة عميعة واحاطة نامة واطلاع واسع وعلم غزير وفكر قوي . وليس معنى ذلك انه لا يحط به الا اذا كان محضرا مهيا للكلام ، بل المراد الا يتكلم الا فى موضوع سبعت له دراسته والاحاطة به حتى يكون كلامه مسددا ، سواء اكان يلقى الخطبة بعد نهية ، ام يلقى الكلام ارتجالا من غير سابقة تحضير . فان المرئى لا يحسن ارجاله فى كل الاحوال ، بل لا يحسن الا اذا القى كلاما فيها آراء محكمة ، ولا يسم له ذلك الا اذا كانت له سابقة اطلاع على ذلك الموضوع ، او له به علاقة تمكنه من ان يدلى فيه برأى قيم له شأن ، فعلى الخطيب الا يتعرض لحدث ليس له به علم ، حتى لا يشط فيبدي رأيا فطيرا ، والراى الفطير مبتسر لا ينال الحق من كل نواحيه وقد يكون مع الحق على طرفى نقبض ، ومما يساعد على تكوين الراى الناصح بعد الدراسة النامة ، سلامة الفكر من هم قاطع وقم شافل ، لان من شغل بالهم لا يخلص له رآى ولا فكر . وقد قال الفزالى ان من عارضت فكره شوايب الهموم لا يسلم له رآى ولا يستقيم له خاطر . وكان كسرى اذا دهمه امر بعث الى مرأبته فاستشارهم فاذا قصروا بالراى ضرب فهارمته وقال « ابطاتم بأرأاقهم فاخطاوا فى آرائهم » .

وقال بشر بن المعتمر فى وصاياه للخطيب : « خذ من نفسك ساعة نشاطك ، وفراغ بالك ، واجابتها وأياك ، فان قليل تلك الساعة اكرم جوهرا واشرف حسبا ، واحسن فى الاسماع واحلى فى الصدور واسلم من فاحش الخطأ . واجلب لكل عين من لفظ شريف ومعنى بديع » . فصفاء الذهن وسلامة القلب لهما اثرهما فى احكام الراى واجادة اللفظ .

٣ - صدق اللهجة :

وهو ان يظهر الخطيب مخلصا فيما يدعو اليه ، حريصا على الحقيقة فما يعمل ، فانه ان ظهر كذلك وثق الناس به وصدفوه فيما بدعوا اليه ، واحسوا بانه شريف تجب اجابته لشرفه وشرف مابدعوا اليه ، ومن أجل ان يكون الاخلاص بادبا يجب ان يكون من حاله مايطابق مقاله ، فلا يتجافى فى عمله عن قوله بل يكون أكثر الناس اخلا بقوله .

لا تعجبك من خطيب فوله حتى يكون مع اللسان اصيلا ان الكلام لفى الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا ويقول الحكماء : حال رجل فى الف ابلغ من وعظ الف لرجل .

ان القدوة العملية والسلوك المستقيم ابلغ فى الموعظة من الأقوال المنمقة ، والحكم الرائعة . وقد كان الانبياء والمرسلون نماذج هادية وأمثلة تحتذى ومتلا على فى السلوك والاعمال والأقوال . قال تعالى (فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل) . وقال سبحانه (لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) . وقد ذم القرآن مناقض الأقوال مع الأفعال وجعله من أبشع الخصال . قال تعالى (يا ايها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون) .

ويقول القائل :

يا أيها الرجل المعلم غيره
تصف الدواء لدى السعامة وذى الضنا
أبدأ بنفسك فانهها عن غمها
فهناك يسمع ما يقول ويهتدى
لأنه من خلق وأبى مثله
هلا لنفسك كان ذا التعليم
كما يصح به وأب مستقيم
فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
بالقول منك وينمى التعليم
عار عليك اذا فعلت عظيم

٤ - طلاقة اللسان :

اللسان أداة الخطيب الأولى فلا بد أن تكون الاداة سليمة كاملة لتسنى له استعمالها على أكمل وجه وأمنه .

ولا بد للخطيب أن يكون فصيحاً ، ذرب اللسان ، بلبل الريق ، فديراً على التعبير لأن منطقته هو تروته وعدته وهو بمنطقته بقنع وبمنطقته بسميل . وماهر بالمنابر في القديم والحديث ، ولا نزعم الامم وقاد الجماهير ، الا اللسان الفصحاء .

قال بهلة الهندي . . « أول البلاغة اجتماع آلة السلافة وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح متخير اللفظ ويكون في كلامه الصرف في كل طبقة ، ولا يدقق المعاني كل التدقيق ، ولا ينقح الالفاظ كل النقح ، ويصفى كل التصفية ويهدبها كل التهذيب ، ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيماً وفيلسوفاً عظيماً » .

٥ - سعة الثقافة :

يجب أن يكون الخطيب ملماً بفسيط وافر من المعلومات والثقافة ، دائم الاطلاع على كثير من المعارف والفنون فانه يعرض عقله على الناس .

قيل لعبد الملك بن مروان : عجل اليك التميمي يا أمير المؤمنين . قال كف لا يعجل الي وانا أعرض عقلى على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين ، أو قال : شسبني صعود المنابر والخوف من اللحن .

وليس للخطابة موضوع خاص تبحث عنه بمعزل عن غيره فانها لا تنحصر عن النظر في كل العلوم والفنون ، ولا شيء الا ويتناول اليه جيد كلامها ويخضع لسلطان لسانها ومن ثم يجب على خطيب الدين أن يكون ملماً بمعارف شتى من علم الاجتماع الدنى ، والتاريخ العام ، والتاريخ الاسلامى ، وعلم النفس وطرق التهذيب والتربية الدينية ومعرفة نفسه الجمهور اطفالاً أو شباباً أو رجلاً ، فقراء أو أغنياء ، تحاراً أو موظفين ، حكماً أو محكومين ، فلكل فئة طرق تناسبها وأساليب تستميلها .

ولا يستغنى الخطيب عن الاطلاع الدائم ، والا تخلف واكدى وفقد تأثيره ، فالروح نار اذا أنت لم تطعمها لتزيد وتقوى تناقصت وخبت . والانسان بالتعلم ومجالسة العلماء وبطول التقليب للكتب يحود لفظه ويحسن أدبه . وهو كما يقول الجاحظ لا يحتاج في الجهل الى أكثر من ترك التعلم ، وفي عدم

البيان الى اكرم من ترك التخير . ويقول في موضوع آخر «وأنا أوصيك الا بدع التماس البيان والتبيين ، وأن ظننت أن لك فيها طبيعة وانهما يناسبانك بعض المناسبة وبشاكلتك في بعض المسائلة ، و نهمل طبيعتك فسنولى الاهمال على قوه الفريجه ، وسند بها سوء العاده » .

ويحذر من مخالطة غير المتقين ومن ترك الاطلاع بقوله «ولو جالس الجهال غير المعفين سهرنا فقط لم ننق من أضرار كلامهم وخيال معانهم بمجالسة أهل السان دهرنا ، لان الفساد أسرع الى الناس وأسد النجاس بالطبائع » .

٦ - معرفة نفسية السامعين

هدف الخطيب أن يتغلغل في نفوس سامعيه فحركها كما شاء معتمدا على اثاره عواطفهم واشعال مشاعرهم .

وسيله الى ذلك أن يلم بعلم النفس الاجتماعى لسير روح هذا المجتمع ، ويقف على طبائع النفوس وعواطفها ، ويعلم ماينثر هذا المجتمع أو يهدئه ، وما يرضيه أو يغضبه ، وأى الاساليب ملائم له : أهو أسلوب البسط والادلائل أم أسلوب الاختصار والإيجاز ؟ .

والخطيب الناجح من أمزجت بروح السامعين روحه وكان هو وهم كسلكين كهربيين سالب وموجب بلتقيان فيشع منهما ضوء وحرارة .

والسامعون من طبقات سى وبنات عده فهم الكبير والصغير ، والمتعلم والامى ، والفقر والعنى ، والخصم والولى . فعليه أن يهد الطريق الى افئاع هذا الجمهور المتباين والى التاثير فيه ، فالعواطف يختلف حسب الموضوعات من سكينه وهياج ، وطمانينة وخوف ، وكره وحب ، ورضا وسخط . ويختلف فيما يشرها ، فعواطف الفقير شرها ملايشير عواطف الفنى ، وعواطف الشاب بهيجها غير مابهيح عواطف الشيخ . ثم هى تختلف تباعا لمزاج السامعين ومبولهم ، فبعضهم حساس فيما يتصل بالوظيفة ، وبعضهم فيما يتصل بالدين أو الفضلة . . وهكذا .

فمثلا الخطابه أدلة وجدانية تثر الرغبة والاحساس ، وهذه صالحة للتاثير فى العامة فى مجال الوعظ والارشاد واسعال ثورة أو اخمادها .

ومن أمثلة ذلك خطبة الامام على (رضى الله عنه) وقد أثار الضحاك بن قيس على الحيرة من قبل معاوية وغنم من أموال أهلها ، فاستصرخ الامام على الناس فنقاعدوا ، فقام فيهم خطبا فوبخهم وقرعهم بأدلة خطابية ، ثم استحثهم على الجهاد لحمايه أعراضهم ودينهم ، ثم أقسم لهم انه لن يصدقهم ، ولن يرجو نصرتهم . ثم عجب من أن يكونوا رجلا كرجال معاوية . ولكنهم لايعملون عمل الرجال ، فقال : « أنها الناس المجتمعمة أبدانهم ، المختلفة أهواؤهم ، كلامكم بوهى الصم الصلاب ، وفعلكم بطمع فيكم الاعداء . تقولون فى المجالس كست وكبت ، فاذا جاء القتال قلتى حدى جباد ، ماعزت دعوة من دعاكم ، ولا استراح قلب من قاساكم ، أى دار بعد داركم تمنعون ؟ ومع أى امام بعدى تقاتلون ؟ المغرور والله من غررتموه ، ومن فاز بكم فقد فاز والله

بالسهم الاخيبي . ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل . أصبحت والله لا اصدق قولكم ولا اطمع في نصركم ، ولا أوعد العدو بكم ، مابالكم ، مادواؤكم؟ ماطيبكم ؟ القول رجال امثالكم « (١) .

ثم لابد للخطيب من دراية بنفسية السامعين ليشوقهم دائما ، حتى لا يملوا فان احس منهم فترة او من حركاتهم مللا ، شوقهم بفكاهة مناسبة او قصة طريفة ملائمة او عبارة ملهبة ، فانهم ان ملوا ابصروا عنه وصار يخطب لنفسه . ولذا قال عبد الله بن مسعود « حدث الناس ما حذوك باسماعهم ولحظوك بأبصارهم ، فاذا رايت منهم فترة فامسك » .

٧ - روعة المنظر وجودة الالتقاء :

لابد ان يكون الخطيب رائع المنظر ، جيد الالتقاء لان شخصيته ووقفته ، و اشارته وجهارة صوته وحلاوته ، وحسن هندامه ويزته ، وحسن خلقه ، كل هذه اعوان على التأثير والاستمالة . ونحن نقرا خطبا كان لهادوى حين سمعت فلا نحس بها روعة لانها استمدت تأثيرها من الاسباب التي صاحبت القاءها ، ولقد يعين على روعة المنظر واجادة الالتقاء عدة عوامل :

(١) الوقفة :

يقف الخطيب امام الجمهور لبشرف عليهم وليتطلعوا اليه . ويستطيع ان يقف وقفة تضيف عليه فخامة وعظمة . مع اجتناب بعض العادات المستهجنة كوضع اليد في الخصرة ، او كثرة الحركة ، وذلك بان يعتدل في وقفته ويبرز صدره الى الامام ويلزم المهابة والوقار .

(ب) حسن الاشارة :

الاشارة لغة منظورة او لفظة متحركة مفهومة فاذا اقترنت الاشارة باللفظة في موضعها الملائم اثرت تأثيرا عظيما ، وصوت الخطيب مهما تتغير نبراته ونغماته لا يكفى للتعبير عن العواطف كلها . فلا بد من ان تساعد حركات اليد والراس والمنكبين وملامح الوجه .

(ج) نظرات العينين :

فالعين هي النافذة التي تطل منها على العالم ، ويطل منها علينا ، تشف نظراتها العواطف ، وتكشف عما بداخله النفس .

فمثلا العين المفتوحة تمثل الغيظ او الخوف او الاعجاب ، والعين المفلتة تشير الى التواضع او البغضاء ، والنظر الشرز يترجم عن الاحتقار والاستهانة . والعين المتحركة يميننا وشمالا تنبئ عن الرياء والاشمئزاز ، والعين المطلقة الى السماء ترمز الى الدعاء ، والنظرة الى الارض تعبر عن

(١) جمهرة خطب العرب ٢٣٨/١ . وحيدى حياذ : كلمة يقولها الهارب الفار الى ابعدى وتحنى على ايهاا الحرب . والسهم الاخيبي : الذى لا يصيب . افوق ناصل : سهم ناقص خارج

التأثر والخشوع أو الحياء ، والعين المستقرة في نظرتها تفصح عن الشدة والثبات والرجاء ، والعين اللامعة ترجمان عن الظفر .

ولابد أن يراعى الخطيب عدة أمور :

- ١ - أن الاكثار من الإشارة باليد خطل وصرف للسامع عن الانتباه ، فعلى الخطيب أن يقلل منها .
- ٢ - أن يجعلها موافقة للمعنى وسابقة له ، فيشير ثم ينطق .
- ٣ - أن يذكر أن الموضوعات لاحتاج الى افتنان في الإلقاء ، فإذا لم يكن انفعاله قويا فليتكلم كما يحس .

الخطبة الدينية

أجزاء الخطبة :

(أ) المقدمة

(ب) العرض

(ج) الخاتمة

(د) الخطبة الثانية

١ - المقدمة :

المقدمة من الخطبة كالمطلع من القصيدة ، وهى أول ما يطرق الاسماع من الخطبة فيجب أن تكون جذابته جيدة الصياغة والاداء ، متصلة بموضوع الخطبة تخدمه وتمهد له . ويجب أن تشمل على حمد الله والشهادتين والصلاة والسلام على رسول الله ، مع تعظيم الخالق وذكر جلاله ووحدانيته حتى تخشع القلوب وتفتتح الاذهان لسماع الموضوع .

٢ - العرض :

يجب أن يعرض الخطيب الموضوع عرضا فنيا فيشرحه ثم يبدى رأى الدين فيه ، ويدلل على ذلك بالحجج والبراهين .

شروط جودة العرض :

- ١ - الوحدة ، وذلك أن تنبع مسائله كلها من ينبوع واحد كأنصاف أقطار الدائرة تنتشعب كلها من مركز الدائرة . وقد سبق أن من أسباب ضعف الخطبة الدينية أن الخطبة الواحدة ذات موضوعات شتى .
- ٢ - الترتيب ، فيعرض الخطيب موضوعه متسلسلا يسلم كل جزء الى مابعد ، وبذلك تعهد الاجزاء كلها الى النتيجة التى يريدها .

٣ - الوضوح : وهو اساس الخطبة الناجحة ، وكلما كان الخطيب واضح المعنى سهل الأسلوب كلما كان أقرب الى الفهم وادعى الى التأثير .

٤ - التدليل بالأدلة المنطقية أو الخطابية ، والاستشهاد بالقرآن الكريم والاحاديث النبوية أو بما أُرِ عن الصحابة أو السلف الصالح .

٣ - الخاتمة :

هي آخر مايمعى في آذان السامعين واذهانهم من الخطبة ، وفيها يتجلى نجاح الخطيب في أفناع الجمهور واسمائه .

انواعها :

للخطيب أن يلخص في خاتمته الافكار والعناصر البارزة من خطبته ، وله أن يستشير السامعين ويلهب مشاعرهم ، وقد يجمع بين الطريقتين .
شروط جودتها :

- ١ - أن تكون قوية العبارة لتهمز المشاعر .
- ٢ - أن تكون قصيرة لان قصرها يكسبها روعة .
- ٣ - أن تكون مغايرة في أساليبها لتعبر عن الخطبة .
- ٤ - أن يتبعها بحديث نبوى يؤيد موضوع الخطبة ويؤكدده .

خطبة الجمعة الثانية

يجلس الخطيب جلسة قصيرة ثم يقف فيحمد الله ويشنى عليه وينشده ويصلى على النبى وآله ثم يدعو الناس الى الخير ويوصيهم بتقوى الله وطاعته ، أو يشرح معنى من المعانى التى لم تتسع له الخطبة الاولى . ثم يعقب ذلك بالدعاء للمؤمنين والمؤمنات .

وهذه خطبة تقليدية من كتاب غالية المواعظ المطبوع بمطبعة السعادة بالقاهرة .

«الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا اله الا الله البر الرحيم ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله الصادق الوعد الامين ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد ،

عليكم ايها المسلمون بطاعة ربكم وبر آبائكم وامهاتكم والتزود لمعادكم ، فكأنى بك يا غافل وعمرى قد انقضت بوجهك المرض وغاب كل مراد وغرض ، واذا بالتلف قد عرض اخاذا ، لقد كنت في غفلة من هذا .

شخص البصر وسكن الصوت ، ولم يمكن التدارك للفوت ، ونزل بك ملك الموت وحادا لقد كنت في غفلة من هذا ، ثم ادرجوك في الكفن وحملوك الى بيت العفن على العيب والفبيح والافس ، واذا الحبيب من التراب قد حفن وصرت فى القبر جدا اذا .. لقد كنت في غفلة من هذا . وتسريت عنك الأقارب تسرى ،

في مالك تفري وتمري ، وغاية امرهم ان تجرى دموعهم رذاذا .. لقد كنت في غفلة من هذا . قفلوا الاقفال ، وبضعوا البضاعة ، ونسوا ذكرك يا حبيبيهم بعد ساعة ، وبقيت هناك الى يوم الساعة لاسجد زادا ولا معاذا .. لقد كنت في غفلة من هذا .

وبعيت هناك الى ان قمت من قبرك حسيرا ، لامتلك من المال نقيرا واصبحت بالذنوب عفيرا ، فلو قدمت من الخير حقيرا صاروا ملجأ وملاذا .. لقد كنت في غفلة من هذا .

ونصب الصراط والميزان ، وبغيرت الوجوه والالوان ، ونودى شقى فلان وسعد فلان ، ومارى للعذر نفاذا .. لقد كنت في غفلة من هذا .

اللهم يامصلح الصالحين اصلح فساد قلوبنا ، واستر في الدنيا والآخرة عيوبنا واغفر بعفوك ورحمك ذنوبنا ، وامح عنا زللا وانما .

اللهم اشف مرضانا . اللهم ارحم موتانا . اللهم ارزقنا علما نافعا وقلبا خاشعا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء .

اللهم اختم لنا بالايمان والاسلام يارب العالمين .

ويمكن للخطيب ان يسوق بعض النصوص أو الاحاديث التي ترقق القلوب ، ونجدها في البخارى تحت عنوان كتاب الرقاق ، او كتاب الادب . ونجدها في صحيح مسلم ، وفي مسند الامام احمد ، وفي غيرها من كتاب السنن ، وكتب الاحاديث القدسية ، وقد طبع المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة كتابا جامعا للاحاديث القدسية .

نماذج من الاحاديث القدسية :

روى البخارى عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله قال : من عادى لى ولما فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب الى عبدى بشيء احب الى مما افترضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه ، فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وان سألنى لامطينه ، ولئن استعاذنى لافيدنه ، وما ترددت من شيء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا اكره مساءته » .

وروى مسلم في صحيحه عن ابي ذر الغفارى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فيما يرويه عن ربه عز وجل انه قال : « يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا . يا عبادى كلكم ضال الا من هديته فاستهدونى اهتدوا . يا عبادى كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعمونى اطعمكم يا عبادى كلكم عار الا من كسوته فاستكسونى اكسكم . يا عبادى انكم تخطئون بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب جميعا فاستغفرونى اغفر لكم . يا عبادى انكم لن تبغوا ضرى فتضرونى ، ولن تبغوا نفعى فتتفغونى ، يا عبادى لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك فى ملكى شيئا ، يا عبادى لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على افجر

قلب رجل واحد مانقص ذلك من ملكي شيئا ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته مانقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم أياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه .

نموذج من النظم الدينى

والكون مشحون بأسرار اذا	حاولت تفسيرها لها امياكا
قل للطبيب بخطفته يد الردى	يا شافى الامراض من ارداكا
قل للسليم يموب لا من عله	من بالمنايا ياسليم دهاكا
قل للمريض نجبا وعوفى بعدما	عجزت فنون الطب من عافاكا ؟
قل للبصير وكان يحذر حفره	فهوى بها من ذا الذى ارداكا
بل سائل الأعمى يمر فى وسط الزحاه	م بلا اصطدام من ذا بقود خطاكا
قل للجنين يعيش معزولا بلا	راع ولا مرعى من ذا الذى يرهاكا
واسأل بطون النحل كيف تقاطرت	شهدا وقل للشهد من خلاكا
الله فى كل الحقائق مائل	أن لم تكن لتراه فهو يراكا

امل ورجاء

مجتمعنا مجتمع متدين للدين فيه منزلة وكلمة مسموعة ، وخطبة الجمعة زاد اسبوعى يقدم لجمهور المسلمين ، ونأمل أن تكون الخطبة زادا روحيا ووسيلة فعالة لبناء الامة والنهوض بها والدعوة الى التعاون والتكافل والتحذير من الرذائل وتصحيح القيم والمفاهيم ، وتوضيح اصول الشريعة الاسلامية .

الاقتصاد فى التفرع والتحذير :

الاسس التربوية نرى أن يتم بناء الايمان بالله عن طريق المحبة والمودة وعرض نعم الله وآلائه حتى ينشأ النشء سعيدا بايمانه سديد اليقين بربه ودينه وحيدا لو كانت العبادة لله أساسها الحب والرغبة وقوة الثقة والايمان بالله .

« وقد درج بعض الخطباء على تحذير الناس من الشر وتذكيرهم بالموت وتكرير نفمة ربيبة عن فساد المجتمع وما أصاب النساء من الخلاعة وما منى به الشباب من الاستهتار ، وهذا كلام للاستهلاك المحلى ، لا يفيد إلا اليأس والاسف . ولانمانع من التعرض له تعرضا يسيرا بقصد التوجيه والافادة ، ولكننا نمانع تكرير الخطب فى أمور سلبية كالاسف على فساد الزمان أو التخويف من الموت والبلى . وفناء الدنيا وهجوم الموت على الإنسان ، نريد أن تكون الخطبة أسلوبا للبناء وطريقا لحياء العادات السليمة والمنهج القرآنى الحكيم ، الذى أمد الرجال ومنهم العزيمة والثقة والايمان والثبات ، ورسم الطريق للأسرة المؤمنة ولتكافل المجتمع ، وتواصى الناس بالخير والصبر ، ودفع المؤمنين الى الجهاد والنضال وبناء صرح الاسلام عاليا حتى يكون المسلمون خير أمة أخرجت للناس » (١) .

(١) د. عبد الله شحاته ، أركان الاسلام ، ص ١٤٣ .

قال النووي : يستحب كون الخطبة فصيحة بليغة مرتبة مبينة من غير تمطيط ولا تقصير ، ولا تكون الفاظا مبتدلة ملفقة لأنها لاتقع في النفوس موقفا كاملا ، ولا تكون الفاظها وحشية لأنها لا يحصل مقصودها ، بل يختار الفاظا جزلة مفهومة .

وقال ابن الغيم :

« وكذلك كانت خطبه صلى الله عليه وسلم إنما هي تفرير لاصول الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه ، وذكر الجنة والنار وما أعد الله لاوليائه وأهل طاعته وما أعد لأعدائه وأهل معصيته فيملا القلوب من خطبه ايمانا وتوحيدا ومعرفة بالله وأيامه ، لا كخطب غيره التي نفيد أمورا مشتركة بين الخلائق وهي النوح على الحياة والتخويف بالموت ، فان هذا امر لا يحصل في القلب ايمانا بالله ولا توحيدا له ولا معرفة خاصة ولا نذكيرا بأيامه ولا بعثا للنفوس على محبته والشوق الى لقائه ، فيخرج السامعون ولم يستفيدوا فائدة غير أنهم يموتون وتقسم أموالهم ويبلى التراب أجسامهم ، فياليت شعري أى ايمان حصل بهذا وأى توحيد وعلم نافع يحصل به ؟ ومن تأمل خطب النبي صلى الله عليه وسلم وخطب أصحابه وجدها كفيلا ببيان الهدى والتوحيد وذكر صفات الرب جل جلاله وأصول الايمان الكلية والدعوة الى الله وذكر آلائه تعالى التي تحببه الى خلقه وأيامه التي تخوفهم من بأسه والامر بذكره وشكره الذي يحبهم اليه ، فيذكرون من عظمة الله وصفاته وأسمائه ما يحبه الى خلقه ويأمرون من طاعته وشكره وذكره ما يحبهم اليه فينصرف السامعون وقد أحبوه وأحبهم ، ثم طال العهد وخفى نور النبوة وصارت الشرائع والاوامر رسوما تقوم من غير مراعاة حقائقها ومقاصدها فأعطوها صورها وزينوها بما زينوها به ، فجعلوا الرسوم والاضاع سننا لاينبغى الاخلال بها وأخلوا بالمقاصد التي لاينبغى الاخلال بها فرصعوا الخطب بالتسجيع والفقر وعلم البديع ، فنقص ، بل عدم حظ القلوب منها وفات المقصود بها .

الإعلام الدينى

أرسل الله الرسل لهداية البشرية وأنزل عليهم الكتب والصحف وأمرهم أن يبلغوا الرسالة للناس . قال تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) .

وقد بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم رسالة ربه بالكلمة والحديث العادى والخطبة والكتاب وكل ما أتيح له من وسائل الاعلام فى عهده .

وفى عصرنا الحاضر تطورت وسائل الاعلام وتعددت ، وبعد أن كانت الكلمة والخطبة تمثل ٨٠٪ من وسائل الاعلام ، أصبحت لا تمثل الا ٢٠٪ ، وجدت وسائل كثيرة للاعلام مثل الاذاعة والتلفزيون والسينما والمسرح والمجلة والكتاب والصحيفة والانشيد والتمثيلات والملصقات والمنشورات وغيرها . وعلى الدعاة الى الله أن يستغلوا جميع الوسائل المتاحة لنشر الدعوة وأن يستخدموا سلاح العصر وأساوئه . فالله تعالى يقول (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) والعلماء يقولون : ان القوة تكون فى كل عصر بما يناسبه . ولا بد أن يكون سلاح المؤمن ارقى سلاح ممكن لاحتراز النصر لان ملائمتهم الواجب الا به فهو واجب .

وكذلك أسلوب الدعوة وأدائها ، لابد أن نستغل مايتاح لنا من الاذاعة والتلفزيون والصحافة والمجلات وغيرها وأن نعرض الاسلام بلغة العصر حتى نؤدى فريضة الله ، فقد أخذ الله الميثاق على العلماء (لتبيننه للناس ولا تكتمونه) .

واسلوب الدعوة يكون فى كل عصر بما يناسبه حتى تقوم الحجة لله على عباده ويتحقق ابلاغ الناس دين الله بطريقة تحرك فيهم دواعى الاقتناع والقبول . قال تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) .

وقد أدت وسائل الاعلام دورا بارزا فى العصر الحديث ، ونريد أن نقدم للدعاة الى الله رسالة علمية ، فيها خبرة عملية وتجربة مفيدة عن تقديم البرامج الدينية وعن خطبة الجمعة والحديث الدينى بالتلفزيون والاذاعة .

١ - خطبة الجمعة بالتلفزيون

من حوالى سنة ١٩٦٣ م والتلفزيون العربى بالقاهرة يؤدى شعائر خطبة الجمعة وصلاتها من مسجد التلفزيون . حيث نقرأ القرآن أحد مشاهير

القراء . ثم يؤدي خطبة الجمعة وصلابها أحد العلماء المختارين ، وخطبة الجمعة مقصورة على عدد معين من العلماء اذ تتطلب حسن المظهر وجودة الالتقاء وسهولة العبارة وحضور البديهة وانطلاق اللسان والاحاطة بعلوم الشريعة وشئون الحياة . ونداء خطبة الجمعة على الهواء مباشرة من مسجد التلفزيون، ولذلك اثره في ارتباط المشاهدين بالخطيب ومتابعتهم له وصدق تجاوبهم معه .

ويستدعى ذلك ان يكون الخطيب محل ثقة وكفاءة عالية . ولاختلف خطبة الجمعة بمسجد التلفزيون عنها في أى مكان آخر ، ولكن المستوى والموضوع والاسلوب وطريقه معالجة الموضوع يختلف ، ذلك ان خطيب التلفزيون يخاطب جماهير متعددة وأصنافا مختلفة وثقافات متنوعة ، وذلك كله يستدعى ان يكون حديثه سهلا ميسرا مسترسلا متناسبا مع جميع الفئات . وأغلب من يستمع لخطبة الجمعة بالتلفزيون من النساء والاطفال والشيوخ الكبار والاجانب والمتخلفين عن أداء فريضة الجمعة ، حيث أن جموع الشباب والرجال تتجه الى المساجد يوم الجمعة لأداء هذه الفريضة . وفي العادة يختار لخطبة الجمعة موضوعا عاما . مثل الوحدة الاسلامية الاخوة بين المسلمين ، السلام في الاسلام ، الانسان في القرآن ، حكمة العبادات من هدى القرآن ، اخلاق الاسلام ، المرأة في الاسلام ، الدعاء ، الاسرة في الاسلام ، حقوق الابناء والاباء في الاسلام .

ويلاحظ أن عددا من الاجانب والسياسيين والدبلوماسيين وغيرهم ربما شاهدوا الخطبة ولذلك ينبغي تخير اللفظ والاسلوب والعبارة .

وخطبة الجمعة في التلفزيون مقيدة بزمن معين قرابة ثلث ساعة . ولذلك ينبغي للخطيب أن يركز ذهنه وأن يحصر الموضوع ويرتب الخطوات وأن يكون حكيما لبقا حسن التأتى للامور .

وتستغرق الخطبة الاولى حوالى ربع ساعة يتبعها جلسة بين الخطيبين، ثم الخطبة الثانية ويعقبها الدعاء للمسلمين والمسلمات ، وتستغرق حوالى خمس دقائق .

ويعقب ذلك صلاة الجمعة ، وعادة يكون الامام حسن القراءة ، يقرأ القرآن في خشوع وترتيل حتى يستأنس به المشاهدون ، ويهتدون بما يسمعون .

وفي أيام حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ خطب أول جمعة في الحرب بمسجد التلفزيون فتركت الخطبة أثرا حميدا في نفوس الجنود والضباط ، وبلغ ذلك المسئولون فأمروا بأن يبقى الدكتور عبد الله شحاته يخطب الجمعة بالتلفزيون فترة حرب أكتوبر وانضمت الاذاعة الى مسجد التلفزيون في هذه الفترة ، وكانت الخطب تتجاوب مع الجهاد واحكامه وبطولاته وحقوق الانسان في تحرير أرضه ومواقف اليهود في الماضي والحاضر ، وفي نهاية الخطبة الثانية كان الدماء يصعد الى السماء مع الايدى المرفوعة والقلوب الضاربة والنفوس المتضرعة الى الله راجية منه النصر والتوفيق . (وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم) الانفال/ ١٠ . .

٢ - الاحاديث الدينية بالتلفزيون

التلفزيون وسيلة هامة من وسائل الاعلام ، يستمعها الكثير من المواطنين ،
وتصل الى الناس في منازلهم وبها تأثير على المشاهدين .

وللاحاديث الدينية جانب من برامج التلفزيون العربي بالقاهرة ، فنرى
من البرامج الدينية برنامج نور على نور ، في نور القرآن ، اقوال الرسول ،
من هدى النبوة ، هدى الله ، ندوة العلماء ، الدين والحياة ..

وبعض هذه البرامج تقليدى يفسر آية أو يشرح حديثا ، وبعضها متطور
يعرض شئون العلم والاختراع ويبين آثار قدرة الله في هذا الكون . أو يشرح
أسرار الشريعة الإسلامية وفنونها أو يوضح احكام الدين ويربطها بالحياة ،
أو يعرض مشكلة أو رسالة من الحياة ويحل المشكلة أو يجيب على السؤال .

ومن اقدم البرامج الدينية برنامج « نور على نور » ، وهو يعتمد على
استضافة بعض العلماء المتبحرين في الدين وي طرح قضية أو موضوعا امامهم
ويحدد جواب الموضوع ويدعو احد المتحدثين ليتحدث في جانب منه ، ثم يدعو
المتحدث الثانى ، وربما تحدث الاول أو اشترك في مناقشة مع زميله أو مع
احد السائلين في استديوهات التلفزيون .

ويدير الندوة الاستاذ احمد فراج ، وله قدرة ممتازة في تحضير الموضوع
والاحاطة بمراجعته ، وتحديد النقاط لكل متحدث ، وتحضير الاسئلة وتوزيعها
على السائلين ..

ومن البرامج النى تلحقه «ندوة العلماء» حيث يختار احد اساطين
العلم ليعرض افكاره وتجاربته وكتبه ، وتصوراته لامور معينة من الدين
والحياة .

وهناك برامج : « اقوال الرسول » و « من هدى النبوة » ، ويعتمد على
اختيار احاديث دينية من كتب السنة ثم شرحها والتعليق عليها بأسلوب عصرى
مناسب يساهم في نهضة الامة ، وتقويم المعوج وتهذيب السلوك ، وبيان احكام
الشريعة .

ومن البرامج الدينية برنامج «في نور القرآن» وهو يعتمد على تفسير
القرآن الكريم تفسيرا موضوعيا . فيتناول موضوع الصلاة في القرآن ويجمع
آيات الصلاة ويوزعها على عدد من العلماء ، مثل : خشوع الصلاة ، فضل
الصلاة ، اوقات الصلاة .. الخ. ومثل الزكاة في القرآن ، أو الدعاء في القرآن
أو الاسرة في القرآن .

ويقدم المتحدث تفسيرا للآيات يعتمد على عرض الافكار العامة للآيات ،
وبيان المقاصد الرئيسية لها والتركيز على عنوان الحلقة .

وقد قدم البرنامج الكثير من الحلقات وأسهم في تفسير آيات القرآن وفي
تقديم تفسير عصرى سهل ميسر ، وفي تيسير قراءة القرآن وفهمه .

ومن البرامج الدينية «هدى الله» ، وهو يعتمد على عرض موضوعات عامة
مثل تحريم الخمر أو لباس المرأة وزينتها ، ويستضيف بعض الاساتذة أو
المختصين ويوجه اليهم بعض الاسئلة .

وتباع نسخ مختارة من البرامج الدينية في البلاد العربية والإسلامية وتلقى نجاحا واثباتا لأن الدين من أهم العوامل في هداية البشر وتقويم السلوك وتصحيح مسار الحياة ولأن للدين تأثيرا كبيرا في نفوس الناس في هذه المنطقة، فهي أرض الديانات والكتب الإلهية والرسالات السماوية .

تحضير الحديث الديني للتلفزيون

الوقت محدود أمام المتحدث ، وهو جالس أمام الكاميرات والتصوير ، وفي العادة يسجل التلفزيون الحديث قبل أذاعته ، وأحيانا يتوجه الحديث على الهواء مباشرة .

ومدة الحديث محدودة ، فهي بضع دقائق في العادة ، وأحيانا عشر أو خمس عشرة دقيقة ، ولذلك لابد من بهيئة الحديث في الدهن ، وتحضير نقاط الموضوع ومراعاة أن يكون التمهيد قصيرا ومناسبا ، ويتبع ذلك حسن التخلص والوصول إلى الموضوع ، ومعالجة الموضوع في نقاط مركزية لتغطية جوانبه وتقديم التصور العام له . ومناقشة الأفكار والمعارضة له في سهولة ويسر .

ويلاحظ المتحدث أنه ليس في قاعة بحث ، ولا في مركز أكاديمي جامعي . أنه يتحدث في جامعة شعبية هي جامعة التلفزيون ، ويستدعى ذلك سهولة العبارة وسلامة الحديث وعرض الجوانب الأساسية للموضوع ، والبعد عن الخلافات والأقوال المتعددة التي تشوش فكر الإنسان العادي .

ويكفي أن يذكر أقوى الآراء ، وأن تعرض للذكر أكثر من رأي فينبغي أن يكون ذلك في حيل محدود .

وعلى المتحدث أن يكون هادئا رزينا متمكنا من الموضوع مهتما بالأمور الكبرى تاركا للتفريعات والجزئيات ، وأن يحضر بعض الأمثلة أو القصص أو الأحاديث التي يستشهد بها ، ولا يلزم أن يقدم للناس كل ما حضره ، بل يختار أحسنه ويترك الباقي غير آسف على ذلك حتى لا يخرج عن الوقت المحدد للبرنامج .

٣ - الحديث الديني بالإذاعة

تقدم إذاعة القاهرة أحداث الصباح الدينية من البرنامج العام ، وتقدم فقرة دينية في برنامج ربات البهوت تذايع يوم الأحد والأربعاء . وتقدم الإذاعات الأخرى فقرات دينية في أوقات مختلفة ، فيقدم صوت العرب (في نور التلاوة)، وتقدم إذاعة الشعب فقرة دينية كل مساء فيها القرآن الكريم والحديث الديني ، ويتكرر ذلك في ركن السودان والبرامج الموجهة التي تنطق باللغة الأجنبية ، فضلا عن إذاعة القرآن الكريم إلى تقدم القرآن والتفسير والأحداث الدينية .

تحضير الحديث الديني للإذاعة

الإذاعة أصعب من التلفزيون ، لأنك في التلفزيون تعرض فكرتك على الناس ، ساعدك في ذلك قسما وجهك وإشارة بذك ، وصورتك وحركتك

وطريقة عرضك للموضوع . اما الاذاعة فالصوت وحده هو الذى يصلك بالجمهور ولذلك ينبغى أن يكون الصوت معبرا ، وأن يقوم الصوت بجميع وسائل الايضاح . وفى الاذاعة نجد العرصه ميسرة لتحضير الموضوع وتنظيمه وينبغى أن نحصر هنا ايضا على سهولة العبارة وقصر الفواصل وتحاشي الكلمات الصعبة فى النطق واسبدالها بكلمات أيسر وأسهل ، وفى اللغة العربية من المترادفات فى الالفاظ الكثير .

والمتحدث يكون بصيرا بنفسه ، خبيرا بالكلمات السهلة عليه فى النطق والكلمات والحروف الصعبة .

وكمثال لذلك كان نطفي لحرف السين رديئا فى بعض الكلمات ، فكتب استبدالها بغيرها ، وقد تفاجأ أثناء تسجيل الحديث أمام المذيع بخطأ لفظي أو أعرابي فتصحح الخطأ ، وبمكنتك أن توقف التسجيل اذا كتب سجلت خطأ ، أو تعاود استماع الحديث اذا كنت تشك فى صحة ماذعته ثم نصوب الخطأ ، أو تسجل ما هو أولى وأوفق ، أو ما هو بعيد من الخلاف والشك . واذا كانت الاذاعة على الهواء مباشرة فلا مجال لذلك .

وأفضل الاحاديث ما كان بعيدا عن التكلف ، معبرا عما يعتقد الانسان ، محققا للصدق والواقع ، متجاوبا فيه الانسان مع نفسه ومجتمعه .

ونلاحظ أن الخطيب أمام الجماهير ربما احتاج الى الشجاعة والحماسة والتدفق ، ولكن المتحدث بالاذاعة ليس خطيبا ، انه يأخذ من الخطيب ، ومن المتحدث ، ومن المدرس ، ومن الممثل ، ومن المذيع ومن غيرهم بعض الصفات .

فهو أهدأ من الخطيب ، وهو أكثر حماسا من المتحدث العادى ، وهو ممثل غير محترف يجسد الحقيقة ويبرز المعنى ويجعل الصوت يعبر عن الحزن أو الفرح ، وعن علامات الاستفهام ، وادوات التعجب والتأثر .

فالمذيع أو المتحدث فى الاذاعة نمط فريد ، يجنح الى الهدوء وحسن الالتقاء ومخاطبة الناس جميعا فى بيوتهم وفى أماكن راحتهم ، وهذا يدعوهم أن يكون هو نفسه مستريحا ومربحا ، وأن يكون حلو الحدث هادىء النفس صادق اللهجة واضح التعبير متمتعا بالموهبة وحسن الصوت ، متمرسا بالتمرين وحسن الاداء حتى يصل الى هدفه بأفضل السبل وانجح الوسائل، قال تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) . وقال سبحانه (وقولوا للناس حسنا) .

وقال صلى الله عليه وسلم « ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة » . وكان صلى الله عليه وسلم أصدق الناس لهجة وأفصح الناس حديثا ، ولم يكن يسرد الحديث سردا سرعا ، وانما كان يلقيه بهدوء حتى يفهم منه ، وكان الانسان يستطيع أن يعد حديثه حرفا حرفا . وكان عليه الصلاة والسلام يختار الوقت المناسب للنصحة ، ويتحدث مع أصحابه فى شؤونهم الدنيوية والدينية . يقول أحد الصحابة : « كان صلى الله عليه وسلم يتخوننا بالموعظة مخافة السامة علينا والملل » .

قال فى المصباح المنير : (تخونت الشيء) تنقصته .

والمقصود ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يطيل الموعظة أو النصيحة،
فخير الكلام ما قل ودل .

وأفضل المتحدثين من ينتهي حديثه والجمهور متعطش الى سماع المزيد
منه ، فكثرة الكلام تنسى بعضه .

مراجعة الحديث

ينبغي مراجعة الحديث بعد اعداده ، وتنظيم فقراته ، وتشكيل كلماته
الصعبة ، وتكرير قراءته حتى يصبح سهلا ذلولا .

كما ينبغي التثبت من الآيات القرآنية ومراجعتها في الوصف ومعرفة
رقم الآية والسورة زيادة في التثبت ، لان المتحدث يخاطب الآلاف والملايين ،
والخطأ في الإذاعة يشيع وينتشر .

وعليه ان يراجع الاحاديث النبوية وان يتأكد من درجتها وصحتها
ويسجل ذلك بايجاز ، حتى يكون الحديث وثيقا سليما .

وعليه ان يتأكد من صحة النصوص التي ينقلها ، وسلامة المصدر الذي
ينقل عنه .

وبعبارة موجزة ان المتحدث يعرض عقله على الناس ، فعليه بحسن التخير
وتزيين حديثه بالفكرة المناسبة والخبر الطريف ، والشاهد المختار ، وأن
يقصد بعمله وجه الله ونفع العباد . وقال تعالى (ومن احسن قولا ممن دعا
الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين) .

البحث والمقال

- الداعية محتاج الى الناس ليلفهم دعونه ، ويلتمس سعادته في الدنيا والآخرة بنشر الهدى وشرح احكام الاسلام .
- ومن شأن الداعية أن يسلك جميع السبل في سبيل الوصول الى الهداية والاقتناع .
- ومن ذلك كتابة البحث والمقالة والقصة والنشيد والتمثيلية وغيرها .
- والبحث موضوع يتعمق فيه الباحث فيحيط بمراجعته ويقرأ ماكتب فيه قديما وحديثا . ثم يبدأ في الكتابة ومما يجعل البحث غنيا وثريا مراعاة قواعد البحث العلمي ، ومنها :
- ١ - كثرة المصادر والمراجع وحسن الاستفادة منها .
 - ٢ - مراجعة قوائم دور النشر وفهارس المكتبات العامة ، وتدوين مايهمه منها .
 - ٣ - جمع المادة العلمية ووضع الخطوط الكبرى للبحث في ضوء ماجمع الباحث من معلومات .
 - ٤ - قراءة البحث واخراجه في ثوبه الجديد .
- ويحسن بالباحث أن يسير الى المراجع والمصادر ، وأن يلاحظ علامات الترقيم ، وأن يحسن استعملها في مواضعها ، وأن يعتنى بأسلوبه فيؤدي مايريد في قوالب جذابة وعبرة واضحة .

★ ★ ★

والمقال بحث ميسر يتناول موضوعا من موضوعات الساعة يشغل الازهار أو مشكلة من المشاكل ، أو أصلا من أصول الدين ، وينبغي أن تكون صفحاته مناسبة للمجلة أو الجريدة التي سينشر منها وقد يكون بحث من صفحة واحدة ينشر في جريدة سيارة أوسع انتشارا وأكبر نفعا من بحث كبير .

ان العاقل ينبغي أن يكون بصيرا بزمانه ،

فان وجد السبيل الى الكتابة في صفحة دينية في الاهرام أو الاخبار أو الجمهورية أو غيرها . فعليه مراعاة مقتضى الحال واختصار المقال الى صفحة

أو بعض صفحة ويلجأ عندئذ للوضوح والتركيز وتجنب التشعب والبعد عن الخلافات .

فان كان المقال في مجلة شهرية مثلا ، فان عدد صفحاته ننراوح من خمس صفحات الى سبع صفحات وربما زاد على ذلك .

والمقال الذي ينشر في مجلة دينية غير المقال الذي ينشر في مجلة ثقافية أو علمية أو أدبية .

فالبلاغة مراعاة مفضى الحال ونجاس المقال مع المجلة .

والمقال العادى يضع صفحات يتناول موضوعا معينا .

ولابأس أن يرجع الكاتب الى مراجع اذا كان الموضوع مطروقا من قبل وأحيانا يكتب الباحث خبرته ، ويسجل معاناته الخاصة فيكون مرجعه الوحيد هو الذاكرة وماسبق أن شاهده خلال تجاربه ، وقد مكثت قرابة خمسة عشر عاما انحدث في التلفزيون والاذاعة وأخطب الجمعة بمسجد التلفزيون ، ثم كتبت هذه التجارب من الذاكرة وأكملت بها موضوع الخطابة الدينية ، فقد أستولى التلفزيون على منصة الخطابة وأحاديث المحافل وقلت رغبة الافراد والجماعات في حضور الندوات العلمية والأدبية والاجتماعية لاسباب متعددة من بينها قيام التلفزيون والاذاعة بمخاطبة الناس في بيوتها وأماكن راحتها .

وسبظل اللقاء المباشر له أهميته ودرجته العالية ، بشرط أن يدخل ميدان المنافسة مع التلفزيون ، ويقدم الخصائص والموضوعات التي لم يقدمها التلفزيون ، ويتيح الفرصة للندوات والمناقشات والاستفسارات ..

نماذج من البحوث

وبين يديك نماذج من البحوث عن العقيدة ، وعن نظام الاسرة .. وعن السلام في الاسلام .

العقيدة والإيمان بالله

- ١ - المفيدة والإيمان بالله
- ٢ - نظام الأسرة في الإسلام
- ٣ - الإيمان سبيل السلام للفرد والمجتمع

أرسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم على حين فرة من الرسل يدعو الى توحيد الله وينهى عن عبادة الاوثان والاصنام وانزل الله عليه كتابا مبينا يلفت نظر الانسان الى قدرة الله وجلاله وعظمته ، فيقول في أول آية منه **اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم)** .

واستمرت آيات القرآن الكريم تدعو الى توحيد الله ويقدم الأدلة المتعددة على وجوده وتبين أن الناس جميعا متساوون أمام الله مهما اختلفت ألوانهم أو أصولهم أو مراكزهم وانما يتفاضلون عنده بالتقوى ويدركون ثوابه بالعمل الصالح .

ونالت حملات القرآن على عبادة الاوثان والاصنام فبينت أنها لا تنفع ولا تضر ولا تسمع ولا تجيب ولا تملك لنفسها ولا لغيرها نفعا ولا ضرا ، وعلى ذلك فهي لا تخلق ، ولا توجد ، ولا ترفع سماء ولا تبسط أرضا ولا تدبر كونا ولا يصح أن تعبد .

وقد حكى القرآن قصة ابراهيم مع قومه حين حذرهم من عبادة الأوثان ثم حطم الاصنام بيده وقال : **(افتعبون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم ، أف لكم ولا تعبدون من دون الله أفلا تعقلون (١))** .

ضلال الوثنية

كانت الوثنية وباء أصاب المجتمع الجاهلى فأصبح نهبا رهيبا للاوهام والخرافات وأفسحت الطريق امام طوائف من المستغلين جعلوا أنفسهم كهانا وأحبارا وسحرة وعلماء كما كانت الوثنية عقبة امام وحدة الأمة السياسية ، وعقبة في سبيل استخدام العقل ، والتفكير الحر .

(١) الانبياء ٦٦ ، ٦٧ .

وفد أحسن مولاى محمد على فى وصف حالة وثنية العرب فى كتابه عن محمد رسول الله اذ قال (وكانوا منكبين على الوثنية يسودهم اعتقاد أن العلى العظيم قد عهد الى نهر من الآلهه والآلهات ، والأصنام المسيطرة على العالم ، فكانت العرب تولى وجهها شطر الاصنام ، بتهل وتتضرع فى طلب رضوانها وشفاعتها . فى كل مايقومون عليه من الامور وهكذا كان اعتقادهم خاويا ، فارغا لا يبدو له أثر فى شئوبهم اليومية ، ولم يكتفوا بالاصنام ، بل كانوا يعتقدون أن الهواء والشمس والقمر والكواكب تتصرف فى أمورهم ومستقبل حياتهم ، وعبدوها بهذه الصفة وقد هوى الى الحضيض فى عبادتهم ، فعبدوا قطع الاحجار والاشجار ، وبلال الرمال ، وكانوا يخرون ساجدين أمام اية قطعة جميلة من الحجر يصادفونها فى طريقهم . . . وكانوا ينظرون الى الملائكة كأنهم (بنات) . . . وفوق الـ ٣٦٠ صنما التى كانت مقامة بالكعبة فقد كان فى كل منزل صنم خاص وباخضرار غدت الوثنية طبعاً ثابتاً فيهم وأثرت فى حياتهم اليومية ، ومختلف نواحيها) (١) .

هداية الاسلام

استطاع الاسلام أن يقتلع جذور هذه الوثنية ، وأن يقيم على أشلائها صرح التوحيد ، وقواعد الإيمان ومكت القرآن فى مكة ثلاثة عشر عاما يدعو الى الإيمان بالله ونقيم الأدلة على وجوده ويناقش مزاعم المشركين ويحكى قصص الرسل والأنبياء مع قومهم ويبين أن الدعوة الى توحيد الله كانت أساس كل رسالة والقاعدة فى دعوة الانبياء جميعا وفى سورة هود نجد السورة تحكى قصة نوح مع قومه وهود وصالح وشعيب وإبراهيم ولوط وموسى مع قومهم وتذكر أن كل نبي من هؤلاء كان يبدأ عمله بدعوة قومه الى التوحيد فيقول (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من الله غيره) (٢) .

فالتوحيد فى الاسلام ، هو حجر الزاوية فى بنائه بل هو جوهره النقى الصافى ومعينه الأصل الرائق ، (فالله فى الاسلام واحد لا يتجزأ ولا يتعدد ، ولا يتخذ صورا ، ولا يتمثل فى مخلوقاته ، لا تدركه العقول ، ولا تحيط به الافهام ، هو الخالق والبارئ ، والمصور ، وهو الاول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو الحى القيوم العلى القدير السميع العليم البصير ، يبدى الخلق ويعيده ، فعال لما يريد ، وهو الفرد الصمد لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ، ثم ليس كمثله شيء . . .

وهو أبدى أزلى لا يعتره قصور ولا عجز ، ولا يمرض له فناء ولا موت) (٣)

وقد سأل كفار مكة النبى عن ربه ما شكله وما لونه وما نسبه ؟

. . . فأنزل الله عليه سورة جمعت أساس التوحيد وهى :

(قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد)

(١) محمد رسول الله لمولاى محمد عل - ترجمة مصطفى فهمى ، نشر لجنة الجامعيين ١٦

(٢) سورة هود الآية ٥٠ وتكرر ذلك فى الآية ٦١ ، ٨٤ .

(٣) فتحى رضوان من فلسفة التشريع الاسلامى ص ٩٣ .

فهو واحد في ذاته وفي صفاته ، وفي أفعاله ، وهو متفرد في خلق الكون والقيام عليه وتدبير نظامه المحكم بقوانين ماثلة في جميع الأشياء .

وهو الصمد المقصود في الحوائج فهو الملاذ وهو الملجأ وهو المستعان وهو المستغنى عن كل أحد والمحتاج إليه كل أحد .

وهو المنزه عن النظير والمثيل فلم يتخذ زوجة ولا ولدا ، وليس له والد يدمى ولا قريب يرجى ، لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير (١) .

أدلة الايمان بالله

من الفطرة والعقل والتاريخ (٢)

(١) الفطرة

في فطرة الانسان نزعة طبيعية الى التدين والايمان ، فقد خلق الله في الانسان العقل والفكر وميزه بهذا العقل على جميع الموجودات وبهذا العقل يدرك الانسان جمال هذا الكون وجلال هذه الصنعة الرائعة ، ويدرك ان وراء هذا الجمال والجلال قدرة فادرة وعظمة باهرة .

(ألسنت اذا وقعت أمام امر فنى بارع فملاً صدرك ، واستبد باعجابك ، تجد في نفسك باعثاً قويا للتفسير لصاحب هذا الاثر عن شعور الاكابر لصنعتهم ، والاعتراف بعظمته ، كان هذا دين في عنقك تؤديه ، لا تنفى منه جزاء ، ولا تقضى به وطرا ، غير الترجمة عن صدق شعورك وتقديرك لهذه الآلة القيمة ؟ فما ظنك بأعظم الآثار وأبهرها ؟ الا يستحثك على التوجه لصانعه بهذا التعظيم البليغ ، تسببها بحمده ، وتقديساً لجلاله بغير فرض ولا عوض ؟ فاذا شعرت بأنك أنت نفسك جزء من هذا الاثر العظيم ، وأنت مدين بوجودك وفهمك وقوتك لهذا الصانع الذى خلقك وصورك ، وشق سمعك وبصرك ومنحك العقل والبيان ، ومكنك من الانتفاع بما في السماء والارض ، ألسنت تقبل عليه بفلبك وجوارحك مقيدا بقيود احسانه اليك معترفا بعبوديتك له ؟ فهذه كلها غايات نبيلة تؤديها الأدبان ، ولم تفشل فيها يوما من الأيام) (٣) .

ومن شأن الانسان اذا نزل به مكروه أو حل به بلاء لا يستطيع مقاومه أو أصابته مصيبة لا يقدر على ردها بالاسباب العادية أن يتحرك في وجدانه شعور قوى بالتوجه الى قوة عليا يعتقد أن بمقدورها إزالة هذا الضر والبلاء ، أو تيسر له الصبر والعزاء ، وهذا امر لا ينكره الا معاند مكابر ، أما أصحاب الفطر السليمة فانهم يدركونه ، وقررون به ويدعون له ، قال تعالى (هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة

(١) د . عبد الله محبوب شحاتة ، فى نور القرآن ص ١٧٨ .

(٢) استفدت فى هذا البحث مما كتبه الزميل العاصل دكتور عبد الحليم مذكور بعنوان مذكرات فى علم الكلام .

(٣) د . محمد عبد الله دراز الدين ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

وفرحوا بها جاءها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين (٠٠) يونس ٢٢ ، وقال سبحانه (ام من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ءاله مع الله قليلا ما تذكرون) النمل ٦٢ .

وقد سئل الامام جعفر الصادق (١) عن الله وكيف يجده من يريده فعال لسائله الم بركب البحر يوما ؟ قال بلى ، قال : فهل هاجت الريح عاصفا بكم ؟ قال : نعم ، قال فهل خطر ببالك او انفدح في نفسك ان هناك من بسطبع ان ينقذك اذا شاء ؟ قال : نعم . قال : فذاك هو الله .

(ب) العقل

يدرك العقل ان لكل شيء سببا ولكل مخلوق خالعا وقانون السببية من القوانين الفطرية الاصلية في النفس ، والنفس بحسب هذا القانون تطلب لكل حادثة محدثا وهي تطبق ذلك على كل ظاهره او حادثة تراها ، ولو ادعى أحد الناس ان ظاهرة ما قد حدثت بلا سبب لأنكر الناس عليه هذا الادعاء ، وبحسب هذا القانون الفطري ينبغي البحث عن خالق لهذا الكون لانه لم يوجد وحده ، ولم يستمر في الوجود لذاته بل لأن له خالقا موجدا وهو الله تعالى . والقول بعدم احتياج هذا الكون الى خالق موجد عبث لاتصدقه أبسط العقول وأكثرها سداجة اذا احتكمت الى منطق العقل وحقائق الفطرة .

وقف قس بن ساعدة الايادي خطيبا في قومه قبل البعثة المحمدية بقليل فقال : يامعشر اياذ ان في السماء لخبرا وان في الارض لعبرا ، البعرة ندل على البعير وخط السبر يدل على المسير ، سماء ذات أبراج وارض ذات فجاج وبحار ذات أمواج الا يدل ذلك كله على اللطيف الخبير .

★★★

وروى ان بعض الزنادقة سأل الامام ابا حنيفة النعمان عن وجود الله فقال لهم دعوني فاني مفكر في أمر قد سمعت عنه : ذكروا لي ان سفينة في البحر موقرة فيها انواع من المتاجر وليس بها أحد يحرسها ولايسوقها ، وهي مع ذلك تذهب وتجيء ، وتسير بنفسها وتخترق الأمواج العظام حتى تتخلص منها وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد فقالوا : هذا شيء لايقوله عاقل ، فقال : وحكم ان هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي وماشتملت عليه من الاشياء المحكمة اليس لها صانع ؟ فبهت القوم وأسلموا على يديه .

(ج) التاريخ

يشهد التاريخ ان شعوب الارض كلها - في القديم والحديث ، مدنية او بدوية متقدمة او متأخرة ، نزل عليها كتاب سماوى أو لم ينزل - قد فكرت في قوة عليا ، أرجعت اليها الامر فيما نزل بها من خير أو شر وتوجهت اليها

(١) امام من أئمة الشيعة توفى سنة ١٤٨ هـ .

بالعبادة والخشعية ، وقد نختلف التصورات من شعب الى شعب ومن عصر الى عصر لكن الجميع متفق على وجود هذه القوة العليا ، وان من ضلال الراى ان يقال ان هذا الاتفاق كان صدفة او لا دلالة له ، فان دلالاته ظاهرة وهى ان هذا الايمان يمثل نزعة انسانية عامة لابد ان تكون موضع اعتبار .

يقول معجم (لاروس) للقرن العشرين : (ان الفريزة الدينية : مشتركة بين كل الاجناس البشرية ، حتى أشدها همجية ، وأقربها الى الحياة الحيوانية ... وان الاهتمام بالمعنى الالهى وبما فوق الطبيعه هو احدى النزعات العالمية الخالدة للانسانية) ويقول أيضا (ان هذه الفريزة الدينية لا تختفى ، بل لا تضعف ولا ندبل ، الا فى فترات الاسراف فى الحضارة وعند عدد قليل جدا من الأفراد) (١) .

فالايان بوجود اله هو اسنجابة لنداء الفطرة وتلبية لمنطق العقل وانسجام مع شهادة التاريخ .

العلم وادلة الألوهية

ادى تطور العلم وازدهاره واساع مجالاته الى نشأة تيار يتبناه بعض العلماء الماديين الذين فسروا الكون نفسرا ماديا أو آليا يجعل الطبيعة أو الكون نظاما من المادة المتحركة المضبوطة فى حركتها بقوانين صماء لا تقبل التخلف وكان تفسيرهم لظواهر الطبيعة قائما على الكشف عن السبب والنتيجة ، ومادام الأمر كذلك ، فليس هناك داع من وجهة نظرهم الى القول باله خالق مدير ، ومن هؤلاء الماديين من يجزم بأن هذا الكون كله لا يحتوى شيئا واحدا يلجئنا الى تفسيره بوجود غيره ولا استثناء عندهم فى ذلك للنظام الموجود فى الكون ولا للعقل الذى ليس بمادة الحياة الموجودة فى الكائنات (٢) .

ولكن هذا التفسير المادى للوجود بدأ ينحسر ويتراجع ، وأصبح كثير من العلماء يعتمدون على العلم فى الوصول الى اليقين بوجود الله ، وصرح كثير من هؤلاء (بأنه كلما تقدمت العلوم ضاقت بينها وبين الدين شقة الخلاف ، فالفهم الحقيقى للعلوم يدعو الى زيادة الايمان بالله) (٣) .

بل تراجع انصار الاتجاه المادى نفسه عن نظرياتهم التى عجزت عن تفسير نشأة الوجود من الجماد . (٤)

(١) الدكتور محمد عبد الله دراز ، الدين ص ٨٤ .

(٢) عباس محمود العقاد الله ص ١٩٢ .

(٣) الله يتجلى فى عصر العلم ص ٥٤ .

(٤) نديم الجسر قصة الايمان ص ١٦٣ .

ثلاث احتمالات لخلق الكون

أيدت التجارب والنتائج العلمية ان العالم له بداية وبهاية أى أنه موجود وحادث بعد ان لم يكن ومادام الكون مخلوقا وموجودا بعد ان لم يكن فان علينا ان نبحث عن السبب في وجوده ولدينا عدد من الاحتمالات العقلية .

- ١ - أن يكون قد أوجد نفسه
- ٢ - أن يكون وليد الصدفة العشوائية أى الوجود بغير قصد محكم ولا تدبير .
- ٣ - أن يكون قد أوجده خالق فاعل مختار حكيم .

فأما الاحتمال الأول فان العقل يرفضه لأن عدم لا ينتج الوجود اذ ان فاقد الشيء لا يعطيه ، ويؤكد المنطق الذى لا يتطرق اليه الشك أنه ليس هناك شيء ماضى يستطيع ان يخلق نفسه .

أما الاحتمال الثانى فهو وجود الكون عن طريق الصدفة عشوائية ترب عليها وجوده ، ورغم رواج هذا الاحتمال فى القديم الا أنه يلقى كثيرا من السخرية لذى جمهور العلماء فى الوقت الحاضر وهذا هو أحدهم يقول : (أن القول بأن الحياة وجدت نتيجة حادث انفاقى (صدفة) شبيهة فى مفزاه بأن تتوقع اعداد معجم ضخمة نتيجة انفجار صدى يقع فى مطبعة (١) .

وليس هذا رأى فرد واحد فحسب بل فروع العلم كافة تثبت ان نظاما معجزا يسود هذا الكون أساسه القوانين والسنن الكونية التى لا تتغير ولا تتبدل . (٢)

على ان العلم قد وضع للصدفة قانونا رياضيا يفسر امكانية وقوع حادث ماعن طريق الصدفة التى لا يحكمها القانون ، ويشرح العالم الأمريكى كريس موريسون رئيس أكاديمية العلوم الأمريكية هذا القانون قائلا : يمكننا ان نفهم شيئا عن قانون الصدفة من المثال التالى : لو تناولت عشرة دراهم وكتببت عليها من واحد الى عشرة ثم رميتها فى جيبك وخلطتها جيدا ثم حاولت ان تخرجها من جيبك من الأول الى العاشر بالترتيب العددي بحيث تلقى كل درهم فى جيبك بعد تناوله مرة أخرى فامكان ان تتناول الدرهم المكتوب عليه واحد فى المحاولة الاولى هو واحد الى عشرة محاولات وامكان ان تتناول الدرهمين ١ ، ٢ بالترتيب هو واحد فى عشرة آلاف محاولة . . وامكان ان تنجح فى استخراج الدراهم من واحد الى عشرة بالترتيب هو واحد فى عشرة بلايين من المحاولات . (٣)

والمأمل فى هذا الكون يجد من عجائب الخلق ودلائل الابداع وشواهد النظام ما يخلب العقل ويهز القلب ، فهل يعود ذلك كله الى الصدفة العمياء التى لا تمل ولا تعقل ؟

(١) الاسلام يصحى ، وحيد الدين خان ص ٦٥ .

(٢) الله يتجلى فى عصر العلم ص ٥ .

(٣) العلم يدعو للايمان .

ان الصدقة افتراض يرفضه العلم ويرفضه العمل فلا مناص اذن من التسليم بالفرض الثالث وهو ان هذا الكون من تدبير وصنع خالق حكيم وهذا هو الذى دعت اليه الاديان وأرشدت الناس اليه .

أدلة الألوهية بين القرآن والعلم

اهتم القرآن في كثير من آياته بأن يلفت نظر الانسان الى مافى الكون من آيات القدرة ودلائل الإعجاز وعجائب الصنع ومواطن الاعتبار ، فهذا الكون الفسيح الشاسع الأرجاء ، ومافيه من قوى منظورة لنا وغير منظورة وما يخضع له من نظام لا يحتمل الخلل ، ودقة لا تسمح بالعبث دليل على أن هذا الكون لم يوجد من طريق صدفة عمياء بل انه وجد لأن له خالقا حكيمًا هو الذى أوجده .

قال تعالى (صنع الله الذى أتقن كل شيء) (١)

وقال سبحانه (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قمناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) (٢)

وقال ايضا (انا كل شيء خلقناه بقدر) (٣) .

وقد قدم لنا العلم امثلة لاحصر لها تؤكد هذا المعنى وتؤيده ومن هذه الامثلة ما يأتى :

- ١ - الكون فسيح الأرجاء بصورة لافتة للنظر ، ووحدة المقياس فيه هي السنة الضوئية ومابه من الكواكب والنجوم والمجرات لا يقع تحت حصر ولكل منها مجاله الذى يسبح فيه فى الفضاء بسرعة مخصوصة وبنظام مخصوص ولكنها لا تصادم على الرغم من كثرتها وسرعتها وضخامتها .
- ٢ - ملائمة الأرض للحياة تتخذ صوراً عديدة تدل على تدبير اله حكيم عليم فالهواء مؤلف من الأوكسجين بنسبة ٢١٪ ومن النتروجين بنسبة ٧٨٪ ومن بعض الغازات الأخرى ، وهذه النسبة لا تزيد ولا تنقص ، وهى الملائمة للحياة والأحياء ، فلو زادت النسبة لأدت الى وقوع الحرائق فى الجو لأقل شراسة ، ولو نقصت لاختنقنا عند تنفسنا له ، والاجسام الحية تحتاج الى الأوكسجين فى التنفس لأنه يؤدى الى احراق الطعام وتحويله الى وقود وطاقة ، ونسبة الأوكسجين فى الجو ثابتة والسبب فى ثباتها يرجع الى أننا نتنفس الأوكسجين فيخرج من الرئتين هواء فاسداً هو ثانى اكسيد الكربون ، وهو غاز قاتل للانسان ، لكن هذا الغاز يؤدى فائدة عظيمة للحياة ، ذلك أن النباتات تنفسه لتحصل

(١) النمل ٨٨ .

(٢) يس ٣٨ - ٤٠ .

(٣) القمر ٤٩ .

على حاجتها من الكربون الذى عليه قوامها ، وحين تتنفس ثانى أكسيد الكربون تقوم بعملية اختزال تستبقى بها الكربون ، وتخرج الى الجو الأوكسجين الذى يساعد على استمرار الحياة ، ولولا ذلك لنفد الأوكسجين واختنق الأحياء (١) .

٣ - الجسم الإنسانى يعد أعجوبة من الإعاجيب لما به من أجهزة دقيقة مرئية وغير مرئية ، فالخ والقلب والرئتان والمعدة والكلى والكبد والأمعاء كلها أجهزة تؤدي عملها فى افان ونظام ، والحواس والأعصاب تشاركها هذه الخاصية ، فمن الذى ركبها ومن الذى جهزها وأمدّها بأسباب العمل والاتقان والنظام ؟

٤ - ارتفاع مستوى سطح الأرض عن مستوى سطح الأنهار ، وارتفاع سطح الأنهار من سطح البحار .

ولو حدث العكس لأغرقت الأنهار الأرض ولطمب البحار الملحة على الأنهار العذبة فافسدت صلاحيتها للشرب . وفى القرآن (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان) أى خلط النهر والبحر يلتقيان فى مكان معين يصب النهر فى البحر وبين الاثنين حاجز من قدرة الله لا يبغي أحدهما على الآخر ، لأن الله أودع الأسباب فى كل قوى الحياة حتى يستمر النظام فى الكون كما قال سبحانه (وكل فى فلك يسبحون) .

٥ - لو زرعنا فى مساحة صغيرة جداً من الأرض أصنافاً مختلفة من النباتات وسقيناها بماء واحد لخرج كل صنف منها بشماره المختلفة دون تدأخل أو اختلاط (٢) . قال تعالى (وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل أن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) . الرعد ٤ .

٦ - أن ازدياد العلم ونمو المعرفة سيكون سبباً فى نمو غريزة التدين لأن تقدمنا الحثيث فى العلوم يقربنا حقيقة من الاعتراف بجهالتنا ، والاقرار بأن مثل مانعلمه من الكون فى جانب مانجهله منه كمثّل قطرة واحدة من محيط خضم عميق (٣) .

وصدق القرآن حين يقول (وما أوتيتم من العلم الا قليلا)

٧ - اعترف مؤسسو الفلسفة الواقعية وكبار انصارها بأن نهاية العلم البشرى ليست هى اطفاء غريزة التدين بل زيادة أشغالها ومن ذلك شهادة أوجيست كونت ، وسبنسر ، وليتريه (٤) وغيرهم .

طريق المعرفة :

سئل الحلّاج بم عرفت الله قال بجمعه بين الضدين

-
- (١) عبد الحميد مدكور فى علم الكلام ص ٩٥ .
 - (٢) تديم الحسر ، قصة الإيمان ص ٣١٤ .
 - (٣) محمد عبد الله دراز ، الدين ٩٠ .
 - (٤) محمد عبد الله دراز ، الدين ٩٦ ٩٧ .

فهو أول وآخر ، وظاهر وباطن .

وسئلت رابعة العدوية بم عرفت الله ؟ قال : عرفت ربى برى ولولا ربى ما عرفت ربى (١) .

وسئل الامام الشافعى بم عرف الله قال (بالنحلة نصفها يلسع ونصفها يعسل) وسئل مره اخرى بم عرف الله فقال : بورفة التوت ناكلها دودة القز فيخرج منها الحرير وتاكلها النحل فيكون منها العسل ، وتاكلها الطيلاء (٢) فيكون منها المسك ، وتاكلها الشاه فيكون منها البعر .

وظيفة الأديان في المجتمع

الأديان مبعث السعادة والايمان بالله والسلوك السوى ، وهى وسيلة فعالة فى اصلاح الضمائر وبهذيب النفوس ونصحبح المعاملة وتطبيق قواعد العدل «ولها وظيفة ايجابية اعظم أثرا فى كيان الجماعة ، ذلك أنها تربط بين قلوب مصنفاتها برابط من المحبة والتراحم لا يعد له رباط آخر من الجنس أو اللغة أو الجوار أو المصالح المشتركة » (٣) .

وقد أدركنا بعد حرب العاسر من رمضان أثر الدين فى قوة اليقين وصدق البذل والفداء ، وجلال التضحية ، والرغبة فى الشهادة حتى كان الجيش يعبر وكأنه يعرف نفمة موسيقية دينية عمادها الله أكبر الله أكبر ، وقد فعل الأيمان فعل السحر فى نفوس الجنود الصائمين المصلين فأمدهم الله بعونه ومدمه ونصره وصدق الله العظيم (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين)

وبقول المارشال مونتجومرى فى خطبته امام الجيش الثامن يوم ٤ مارس ١٩٥١م (ان أهم عوامل الانتصار فى الحرب هو العامل الأخلاقى ، ولا يمكن لقائد أن يدفع جنوده الى بذل أقصى جهودهم فى العمل الا اذا كانت ضمائرهم مرتاحة الى ما يعملونه وبقبنى أن الجيش اذا سار على غير مرضاة الله سار على غير هدى .

ان خطر الانحطاط الخلقي فى أفراد الجيش أعظم من خطر العدو ولذلك لانستطيع أن ننتصر فى معركة ، الا اذا انتصرنا على أنفسنا قبل كل شئ (٤)

فادعاء المذاهب المادية بأن الدين أفبون الشعوب هو ادعاء باطل ، والحكم فى شريعة الله امانة وأصحابها مسئولون عنها امام الله والناس ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض من فرائض الله وهو من أسباب شرف هذه الأمة وعلو مكانتها ، والمال فى شريعة الله استخلاف يسأل صاحبه عنه كيف جمعه وفيه أنفقه فإذا فهم الناس الدين حق الفهم ، وقاموا بتماليمه على النحو الذى

(١) عرفت الله بهدايته لى ولولا فضله على ما عرفته .

(٢) التلبى : الغزال .

(٣) محمد عبد الله درار الدين ص ١٠٣ .

(٤) من الصحف المصرية فى ٥ مارس سنة ١٩٥١ .

يرضى الله فانهم يتأكدون من بطلان هذه الدعاوى المفترضة ، التي لا تليث ان تتهاوى أمام حجة الايمان وقوة الحق ، وصدق الله العظيم (**وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا**) .

أثر الايمان عند العقاد

الف الكاتب الكبير الاستاذ عباس العقاد كتابا عنوانه : الله تحدث فيه عن نشأة العقيدة وأطوارها قبل الاسلام وبعده وسرد البراهين على وجود الله ثم أكد حتمية الايمان وضلال الكفر حيث يقول في آخر الكتاب (ونحسب اننا نظل نصيب الحس اذا قلنا ان مسألة الايمان مسألة عقل ومسألة (وعى) وليس للحس فيها نصيب .

فنحن نستطيع ان نرى بأعيننا أن الايمان ظاهرة طبيعية في هذه الحياة لان الانسان غير المؤمن انسان (غير طبيعى) فيما نحسه من حبرته واضطرابه وبأسه وانزاله عن الكون الذى يعيش فيه ، فهو الشذوذ وليس هو القاعدة في الحياة الانسانية وفي الظواهر الطبيعية ، ومن أعجب العجب أن يقال ان الانسان خلق في هذا الكون ليستقر على ايمان من الوهم المحض او يسلب الاستقرار . وليس حجة للمنكر أن يقول ان الانكار ممكن في العقول ، بل حجة للمؤمن أن يقول ان حال المنكر ليست بأحسن الاحوال ، وأنه اذا أنكر عن اضطراب تبين لنا على الفور أنه في حال (غير الحال الطبيعى) الذى يستقيم عليه وجود الأحياء .

وخاتمة المطاف أن الحس والوعى والبدية جميعا تستقيم على سواء الخلق حين تستقيم على الايمان بالذات الالهية وأن هذا الايمان الرشيد هو خير تفسير يسر الخليفة يعقله المؤمن وبدين به المفكر وتطلبه الطبع السليم (١) .

ويقول الاستاذ محمد فريد وجدى في دائرة معارف القرن العشرين تحت مادة دين (نعم يستحيل أن تتلاشى فكرة التدين لانها أرقى ميول النفس وأكرم موافقها ، ناهيك بميل يرفع رأس الانسان ، بل ان هذا الميل سيزداد . . . ففطرة التدين ستلاحق الانسان مادام ذا عقل يعقل به الجمال والقبح وستزداد فيه هذه الفطرة على نسبة علو مداركه ونمو معارفه) .

نظام الأسرة في الإسلام

الأسرة هي الخلية الأولى في بناء المجتمع ، وقوة الأسرة وتربطها من اسباب قوة المجتمع وسلامته .

وقد اهتم الاسلام بالاسرة ووضع لها القواعد والنظم التي تضمن لها البقاء وتحقق لها السعادة كما حث الاسلام على الزواج لانه الوسيلة المشروعة لبناء الأسرة ، واشباع الحاجة النفسية والبيولوجية ووضع الاسلام نظاما سليمة لاختبار الزوجة ووضح حقوق الرجل والمرأة .

فأوجب على المرأة طاعة زوجها ورعاية اطفالها والقيام بأمور الأسرة وشئونها ، كما أوجب على الرجل أن يدفع المهر والنفقة وأن يتولى قيادة الأسرة والقوامة عليها ، وحث القرآن الرجل على العشرة بالمعروف وأمر بالتعاون المستمر بين افراد الأسرة وتدعيم الروابط وإزالة أسباب النزاع . ويتضح من مقارنة حال المرأة في الجاهلية بحالتها في الاسلام ، أن الاسلام أكرم المرأة وليدة وفتاة وزوجة وأما ، وشملها في جميع شريعته بعطف كريم ورعاية رحيمة وسما بها الى منزلة رفيعة لم يصل الى مثلها في أية شريعة من شرائع العالم قديمه وحديثه ، وسوى بينها وبين الرجل في معظم شئون الحياة ولم يفرق بينهما الا حيث تدعو الى هذه التفرقة طبيعة كل من الجنسين ، ومراعاة الصالح العام ، وصالح الأسرة ، وصالح المرأة نفسها .

وهذه دراسة لبعض الجوانب في شئون الأسرة تؤكد سمو الاسلام وتوضح ان الشريعة الاسلامية تحتوى على جميع المبادئ اللازمة للنهوض بالمجتمع في شتى نواحيه وانها شريعة حية صالحة للتطور وانها كرمت انسانة الانسان رجلا كان أو امرأة وسوت بينهما في خمس نواح هامة وهي القيمة الانسانية ، والحقوق المدنية وحقوق التعليم والثقافة ، وحقوق العمل ، وشئون المسؤولية والجزاء وستوضح هذه الامور بكلمة موجزة .

القيمة الانسانية :

سوى الاسلام بين المرأة والرجل في القيمة الانسانية المشتركة وبين انه لس لأحدهما من مقومات الانسانية أكثر مما للآخر وأنه لأفضل لأحدهما على

الأخر بحسب عنصره الانسانى وخلقه الأول وان المفاضلة بين أى رجل واية امرأة انما تقوم على أمور أخرى خارجة عن طبيعتهما ، وهى الأمور المتعلقة بالكفاية والعلم والأخلاق ... وما الى ذلك ، كما هو شأن المفاضلة بين الرجال انفسهم بعضهم مع البعض .

الشئون الدينية :

سوى الاسلام بين الرجل والمرأة فى الحقوق المدنية بمختلف أنواعها فاعطى المرأة الحقوق المدنية التى أعطاها للرجل ، فجعل لها الحق فى أن تتعاقد وتحمل الالتزامات وتملك العقار والمنقول وتتصرف فيما تملك .

يقول الاسناذ محمد عزه دروزه (١) من الحمائل المراتية الكبرى أن الفران قد قرر للمرأة أهلية تامة وحقا كاملا فى جميع التصرفات المدنية والاقتصادية والشخصية بحيث جعل لها الحق والأهلية لحيازة المال مهما عظم مقداره والارث والهبة والوصية والدين وملك العقار والتعاقد والتكسب والمصالحه والتفاضى والنصرف بما نحوز وتملك ، ويصل الى يدها من مال من أى نوع انفاقا وبيعا وعتقا وهبة وشرط موافقتها على الزواج ، وجعل لها الحق فى تزويج نفسها اذا ترملت ، وغير ذلك من الحقوق التى لم تصل المرأة الغربية اليها الا حديثا ، ولم نزل فى بعض بلاد الغرب محرومة من بعضها)

وبقعة الأمور التى سوى فيها الاسلام بين الرجل والمرأة ظاهره فحقها فى التعليم واضح لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وحقها فى العمل ظاهر لأنها كانت تشارك فى الغزو والجهاد فى عهد النبوه ونقوم بكبر من الأعمال داخل البيت وخارجه ، ونحن نرشح للمرأة العمل الذى يتناسب مع طبيعتها كالتدريس والتبريض بدلا من الأمور العنيفة والأعمال الشاقة .

ثم أن الله سوى بين الرجل والمرأة فى المسئولية والجزاء وكل ما فى القرآن والسنة من أحكام أو تشريعات فانها للرجال والنساء الا مانص الشرع على تخصيصه قال تعالى .

(من عمل صالحا من ذكر او أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم باحسن ماكانوا يعملون) النحل ٩٧

وجوه التفرقة بين الرجل والمرأة فى الاسلام

فرق الاسلام بين الرجل والمرأة فى بعض التكليف الدينيه ، والأعباء الاقتصادية والإشراف على الأسرة ، ولكن هذه التفرقة كان يراعى فيها طبيعة كل من الجنس ، وصالح المرأة نفسها وكان رائد الاسلام فى ذلك التخفيف عن المرأة وصيانتها ومراعاة أحوالها الجسمية ومبلغ احتمالها فمن ذلك مثلا أنه يسقط عنها الكلف بالصلاة فى مراحل حبسها وبفاسها وسقط عنها قضاؤها كذلك .

(١) محمد عزه دروزه : المرأة فى القرآن والسنة ص ٤٠ .

ومن ذلك ايضا أنه يجب عليها الافطار في رمضان في مراحل حيضها ونفاسها ، ويجوز لها الافطار في مراحل حملها ورضاعها ، ومن ذلك أنها تلبس ملابس الاحرام في الحج كاملة سابغة لصيانتها عن كشف أعضاء جسمها .

وربما تسأل الانسان عن الحكمة في التفرقة بين الرجل والمرأة في الميراث ولماذا جعل الله الرجال قوامين على النساء ، وماهى حكمة تعدد الزوجات ولماذا أبيع الطلاق في الاسلام وبين يديك توضيح لهذه الأمور .

الميراث

جعل الاسلام نصيب الذكور في الميراث أكبر من نصيب نساءهم من الاناث في معظم الاحوال فللذكر مثل حظ الانثيين من الأولاد والاخوة والاخوات . وللزوجة من زوجها المتوفى نصف نصيب الزوج من تركته زوجته ، ونصيب الأب من تركته ولده يبلغ احيانا ضعف نصيب الأم وحيانا يساويها .

وقد أعطى الاسلام الانثى نصف نصيب الذكر من الميراث للأسباب الآتية:

- ١ - البنت اذا كانت صغيرة فهي في رعاية أسرتها ، فاذا تقدم زوج لخطبتها فانه ملزم بالمهر وباعداد منزل الزوجية .

- ٢ - اذا تزوجت المرأة فان نفقتها وبفقه الدرية على زوجها ، واذا كان لها مال فان لها مطلق الحرية في التصرف في هذا المال فاذا كان زوجها فقيرا وانفقت من مالها على نفسها وأولادها فان هذه النفقة تعد دينا على الرجل يجب أن يردها الى زوجته عند يساره .

- ٣ - عند طلاق الزوجة يتحمل الزوج وحده جميع الاعباء الاقتصادية فعليه مؤخرا صداق زوجته ، وعليه نفقتها من مأكّل ومشرب وملبس ومسكن مادامت في العدة ، وعليه نفقة أولاده وأجور حضانتهم ورضاعتهم ، وعليه وحده نفقة تربيتهم بعد ذلك ، ولاتفى المرأة أى عبء اقتصادى في هذه الشئون .

- ٤ - الرجل هو الممثل للأسرة والمنكفل بالتزامها سواء اكان احا ام زوجا واذا رجعت المرأة يوما ما الى بيت أسرتها فستلقى رعاية واجبة وصلة للرحم مفروضة ، وقد كان الاسلام رحيما بالمرأة حين أعطاها نصف نصيب الرجل وأعفاها من أعباء المعيشة وألقاها جميعها على كاهل الرجل ، لأنه تنظيم الله السمع العليم .

الزواج

حث القرآن على الزواج ورغب فيه لأنه آية من آيات الله في اعمار الكون ونقارب الأسر ورعاية النشء وتيسير شئون الحياة قال تعالى : (ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) الروم ٢١

وفي الآية مايفيد أن الرجل والمرأة يكمل احدهما الآخر ، وقد شاءت حكمة الله أن تقوم الحياة بين الزوجين على أساس المودة والرحمة وقد قرر الاسلام حقوقا وواجبات لكل من الزوج والزوجة وجعل للرجل حق القوامة

على الأسرة والاشراف على شئونها قال تعالى **(الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم)** النساء ٢٤ .

وفيد الآية ان قوامة الرجل على المرأة سببها شيان

الاول : ان الرجل هو المكلف بالانفاق على الأسرة ، ولايستقيم مع العدالة في شيء ان يكلف فرد الانفاق على هيئة ما بدون ان يكون له حق القيام عليها والاشراف على شئونها .

الثاني : ان المرأة مرهفة العاطفة قوية الانفعال ، وان ناحية الوجدان ان تسيطر سيطرة كبيرة على مختلف نواحي حياتها النفسية

وقد سوى الله المرأة على هذا الوضع حتى يكون لها من طبيعتها ما يتيح لها القيام بوظيفتها الاساسيه وهى الامومه والحضانه على خير وجه فلا يخفى ان الوظيفة تحتاج الى عاطفة مرهفة ووجدان رقيق وحنان رحيم اكثر مما نحتاج الى التفكير والادراك والتأمل . ففوة العاطفة والوجدان في المرأة هي اذن مظهر من مظاهر كمائها وكمال انوثتها ، وليست نقصا في حقها كما قد يتبادر الى اذهان بعض الناس .

رياسة رحيمة

ورياسة الرجل في الأسرة لانقوم على السيطرة والاستبداد ولكنها تقوم على المودة والمحبة والارشاد ، وقد قيدها الاسلام بقود كثيرة تحفظ للمرأة كرامتها وتضمن حقوقها وتحقق مصلحتها على خير وجه .

وتتمثل رياسة الرجل على الزوجة في حقه في تدبير سياسة البيت في تعاون مع المرأة وفي ان تطيعه زوجته في دائرة المعقول والمعروف وقد فرض الاسلام عليه في مقابل ذلك عدة واجبات فوجب عليه الانفاق على الأسرة وصيانة أفرادها ورعاية حقوقهم ، كما أوجب عليه العدالة والمعاملة بالحسنى والرفق في علاج مشاكل الحياة الزوجية ، وأخذ الأمور بيسر وهودة وان يقوم المعوج في رفق ولين ، ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أرفق الناس بأهله وأكثرهم حلما ورأفة مع زوجاته وقال عليه الصلاة والسلام .

(خيركم خيركم لأهله)

وقد لخص القرآن الكريم هذا النظام الحكيم في عبارة موجزة بليغة

اذ يقول **(ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة)** (١)

فللمرأة من الحقوق في نظر الاسلام مثل ما عليها من واجبات ، والرجل مثلها عليه من الواجبات بمقدار ما له من حقوق ، وحتى الدرجة التي منحها الله له على المرأة وجعل له الرماية على الأسرة بسببها ليست حقا خالصا من الواجبات .

يقول المفسرون : في معنى **(ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف)** انها تعنى ان كل ما يحق للزوج طلبه وانتظاره من زوجته من أمور مشروعه من طاعة وأمانة

وعفة وإخلاص وحسن معاشرة ومعاملة ، يحق للزوجة طلبه وانظاره من زوجها ومن جملة ذلك أيضا اعتبار كل من الزوجين نفسه شريكا للآخر في مختلف نواحي الحياة ، ومعاملة كل منهما للآخر على هذا الاساس (١)
وقد قال المفسرون في معنى (وللرجال عليهن درجة)

أن الحياة الزوجية حياة اجتماعية ولا بد لكل اجتماع من رئيس ، وقد جعلت الرئاسة للرجل لأنه أعلم بالمصلحة وأقدر على التنقل بقونه وماله وللمزايا الطبيعية والاجتماعية التي أمار بها وللأموال التي تنفقها ومما كان ولا يزال متسقا مع طبائع الأمور ، ومما يعترف به المرأة ولو في قرارة نفسها وقد قال أهل التأويل أن حق الفواصة على الزوجة بزول إذا قصر الزوج في النفقة أو امتنع عنها (٢)

تعدد الزوجات

كان العرب قبل الاسلام يجمعون في عصمتهم زوجات عديدة بدون تحديد في وقت واحد وكانت الحياة الزوجية والعائلية تتعرض من جراء ذلك لصور عديدة من الضرر والشقاق والبلاء فشاعت حكمة الله أن يضع الحق في نصابه وأن يوضح أن اساس الحياة الزوجية هو المودة والرحمة وأن الاقتصار على زوجة واحدة ادعى الى العدل والمودة وأبعد عن الجور والظلم فقال سبحانه (وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدوا فواحدة) (٣)

وقد روى البخاري عن عائشة أنها سألت عن معنى هذه الآية فقالت (هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله ويعجبه جمالها ومالها فيريد أن يتزوجها بغير أن يوفي لها صداقها وربما طمع في مالها وأساء صحبتها) لأنها يتيمة ليس لها ولد يدافع عنها . . فنهاهم الله عن نكاح اليتيمة إذا خاف الإنسان ظلمها وأباح لهم الزواج بأكثر من واحدة عند الحاجة والضرورة .
فإذا خاف الإنسان على نفسه من الظلم أو الميل الى أحد الزوجتين وجب عليه الاقتصار على زوجة واحدة .

شبهات الأوروبيين

يتكلم الأوروبيون بكثير من الكلام المعسول عن تعدد الزوجات ويقولون (أن شرف الإنسان أسمى من أن يمتن أو أن يجعل أداة متعة) .
وفي الواقع هم الذين أباحوا اتخاذ الخليلات والعشيقات وجعلوهن أداة متعة فقط ومنعوهن حقوق الزوجية في النفقة أو الميراث أو الصاق الولد .
ونشأ عن كثرة الأخدان وانتشارهن في أوروبا انتشار الأمراض السرية الفظيعة ، وقلة النسل لأن النسل قد يخفق أو يجهض أو يمنع .

(١) محمد عزة دروزة المرأة في القرآن والسنة ص ٣٠ .
(٢) محمد عزة دروزة المرأة في القرآن والسنة ص ٢٢٠ .
(٣) النساء ٣ .

وهل غفل الأوروبيون عن المصير الشيء الذي ينتظرهم اذا استمر الحال على ذلك ؟ فالكبير يموت والنشء يقتل :

نجهوا لذلك فصدرت قوانين بقول أبناء الرواح الحر اذا اعترف بهم أبوهم الحقناهم به

فتأخذ الأولاد كل حقوق الابناء ، مهم تفادوا اسم الزوجة فقط وأما ابناؤها فانهم يسمعون بكل الحقوق اذا الحقهم بهم أبوهم . ويمكن أن ندون هنا بعض الملاحظات الآتية :

١ - أوروبا لا تبيح تعدد الزوجات بينما تبيح تعدد الخيلات ولكن القرآن حارب هذه العشرة الا بين الزوج وزوجته قال تعالى (محصات غير مسافحات ولا متخذات اخدان) النساء ٢٥ .

٢ - الرسول نهى عن الزواج المفصود منه المتعة وحدها ، وعن الرغبة في التنفل بين أحضان النساء فقال صلى الله عليه وسلم (ان الله لا يحب الدواقين ولا الدواقات فاذا تزوجتم فلا تطلقوا) .

٣ - الاسلام لم يأمر بالتعدد ولم يحض عليه بل أباحه عند الضرورة

٤ - من الضرورات التي تبيح التعدد أن تكون الزوجة عاقرا ، أو مريضة ولا يرى الزوج من الرأفة والانصاف طلاقها ، وهناك احتمال بتزايد عدد النساء في مجتمع ما على عدد الرجال - خصوصا في أعقاب الحرب - وتعرض الزائدات للشقاء والعوز والسقوط وهناك احتمال السفر والتغرب لمدة طويلة لأسباب متنوعة لا يكون في الامكان اصطحاب الزوجة فيها ففي ذلك يكون التعدد سائغا أو واجبا أو مرغوبا فيه وما عدا هذه الحالات فان التعدد بسبب المشاكل والبغضاء والتناحر في داخل الأسرة فيجعل حياتها جحيما (١)

٥ - الواقع ان أكثر المتزوجين من المسلمين حين يتزوجون بأكثر من واحدة ينوون عدم العدل فالجديدة هي المحظية والفديمة هي الضرة وابناؤها أبناء الضرة

٦ - يرى الامام محمد عبده ان تعدد الزوجات كان له محاسنه في عصر السلف الصالح حيث النفوس سليمة والفلوب نظيفة والجميع يمثلون أمر الدين ، وأصبح له مساوئ ظاهرة لكثرة مساوئ الناس وضعف أخلاقهم ، ولما تترتب على تعدد الزوجات من الكذب والخيانة والجبن والتزوير ، ونية عدم العدل ، مع أن تعدد الزوجات محرم قطعا عند الخوف من عدم العدل (٢)

٧ - يرى بعض المجتهدين المحدثين انه ليس في الشريعة ما يمنع أن يعهد بتقدير ظروف الناس في التعدد الى هيئة رسمية اجتماعية أو قضائية وأن يقيد الناس في التعدد بحكم هذه الهيئة جوازا أو منعا فان التعدد

(١) محمد مرة دروزة المراه في القرآن والسنة ص ١١٨ .

(٢) تفسير المنارج - ٤ ص ٣٥٠ .

مباح بشرطين ، أن يكون له مبرر وداع شريف معترف به شرعا . وشرط آخر هو ألا يؤدي إلى الجور وعدم العدل فموقف هذه الهيئة التاكيد من تحقيق الشرطين السابقين (١) .

٨ - الفت جمعية في المانيا تطالب بتطبيق احكام الشريعة الاسلامية في الزواج والطلاق . وطالب النساء هناك - بعد الحرب العالمية الثانية - بتعدد الزوجات حتى تجد النساء من يكفلن وينفق عليهن وعلى ماينجبن (٢) .

الطلاق

الزواج رابطة مقدسة ، يحرس الاسلام على دوامها ويحث على المحافظة عليها لأن فيها تحقيقا لتآلف الأسر وبرايتها ، وحماية النشء ورعايتها ، كما يحذر الاسلام من الطلاق ويأمر باجتناب هذه الكلمة وما يؤدي إليها ، قال صلى الله عليه وسلم (أبغض الحلال إلى الله الطلاق) (٣) .

مبررات عامة للطلاق

أحيانا تطرأ على الحياة الزوجية حالات تجعل الطلاق ضرورة لازمة فقد يصل الشقاق بين الزوجين إلى حد يستحيل عنده الصلح وتصبح الحياة الزوجية جحيما لا يطاق ، ويصبح أفراد الأسرة جميعا ذكورهم وإناثهم صفارهم وكبارهم ، مهددين من جراء ذلك بأسوأ النتائج وشر الكوارث في مختلف فروع حياتهم المادية والمعنوية والخلقية، وقد تتنافر طباع الزوجين كل التنافر ، أو يحمل أحدهما كراهة شديدة للآخر ، وتعجز جميع الوسائل الانسانية في علاج هذا الحال ، وقد تفسد أخلاق أحد الزوجين أو لايرعى لعقد الزواج عهدا ولا حرمة ، وقد ينج أحد الزوجين جنونا مطبقا ، وقد يصاب بمرض معد خطير لايرجى برؤه ، وقد يفقد مقومات جنسه وقد يكون عقيما لاند ، وقد يغيب غيبة طويلة ولايعرف أحى هو أم ميت ، وقد يحكم عليه بالسجن المؤبد، وقد يعسر الزوج فلا يستطيع الإنفاق على الزوجة ، وقد يرى الزوجان أنفسهما أن استمرار زواجهما متعذر من جميع الوجوه ويريد كلاهما أن يفارق الآخر بالمعروف ليفنى الله كلا من سعته .

ولما كانت هذه الأسباب لها نظائر وأشباه في حياة الأدميين ، ولما كان تحريم الطلاق مع هذه الحالات بوقع الناس في أشد مظاهر العنت والحرج ، لذلك أباح الاسلام الطلاق ولكنه لم يبيحه على الإطلاق بل أحاطه بأحكام وقيود وتكفل عدم ايقاعه الا في حالات الضرورة ، وبذلك جعله أداة لتحقيق الصالح العام وصالح الأسرة نفسها ومن الوسائل التي شرعها الاسلام لتفادي وقوع الطلاق مايلي :-

(١) محمد المدني عميد كلية الشريعة في كتاب المجتمع الاسلامي كما تنظمه سورة النساء

ص ٢٧٣ .

(٢) د . محمد عبد الله دراز تفسير سورة النساء محاضرات لكلية دار العلوم سنة ١٩٥٥

(٣) أخرجه أبو داود وابن ماجه .

- ١ - احاط الاسلام عقد الزواج بسياج من القدسية ، واضفى عليه من الجلال ما يدعو الى احترامه والالتزام به ، والوفاء بشروطه وسماه الله تعالى ميثاقا غليظا .
- ٢ - بغض الاسلام الناس في الطلاق لانه يزلزل كيان الاسر ويشتت شمل الذرية ويسنزل غضب الرحمن قال صلى الله عليه وسلم (تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز له عرش الرحمن) (١) .
- ٣ - امر الزوج ان يصبر على زوجته ، وان يهتم بالنظر الى محاسنها والنواحي الطيبة فيها والا يكرر النظر الى الناحية القبيحة فلكل شخص حسنات وسيئات قال صلى الله عليه وسلم
(لا يفرك مؤمن مؤمنة ان كره منها خلقا رضى منها آخر) (٢)
- ٤ - عند ضوب الحب بين الزوجين يمكن ان يصبر الانسان فلعل فليه ان ينحول الى الحب او لعل الله ان يرزقه بذريرة صالحة قال تعالى (وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) (٣)
- و قد جاء رجل الى عمر بن الخطاب يستشيريه في طلاق زوجته فقال له عمر لا تفعل فغال الرجل ولكنى لا احبها فقال عمر (ويحك : ألم تبين البيوت الا على الحب فآين الرعاية ، وآين التلمم (٤) وآين الوفاء)
- ٥ - يأمر الاسلام الزوجين عندما تتأزم الحياة الزوجية ويحدث النفور ، ان يتدافسا أسباب الخلاف ويعملا على تلافئها وان يحاولا - راب الصراع ، واصلاح الخطأ .
- ٦ - فان لم يستطيعا تحقيق الوفاق بوسائلهما الخاصة كان التحكيم وسيلة للعلاج قال تعالى (وان خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهله ان يريدوا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا) النساء ٣٥
- ٧ - رتب الاسلام على الطلاق من الناحيتين المالية والاجتماعية نتائج خطيرة وألقى بسببه على كاهل الزوج أعباء ثقيلة ، منها مؤخر الصداق ونفقة الزوجة ، ونفقة الاولاد ، ومن شأن هذه الأعباء ان تحمل الزوج على ضبط النفس وتدبر الامر قبل الاقدام على الطلاق .
- ٨ - لم يجعل الله تعالى الطلاق في مرحلته الأولى قاطعا لرباط الزوجية قطعا باتا ، ولكنه جعله رجعيا وأمر ان تقيم الزوجة في بيت زوجها مدة العدة دون ان تحتجب عنه فقد يكون ذلك وسيلة الى استئناف الرابطة الزوجية مرة أخرى .

(١) ذكره الكاساني في كتابه : (مدائع الصنائع في باب الطلاق) .

(٢) فرك الرجل زوجته من باب سمع كرهها وأبغضها وفركه كذلك .

(٣) النساء ١٩ .

(٤) الترح من أن يصح الرجل مصدرا للأسرة وتفريق شملها .

٦ - يقرر الاسلام ان الطلاق ينبغي ان يكون في طهر لم يحدث في اثنا اتصال بين الزوجين ، فمن عزم على الطلاق وجب ان ينتظر طويلا حتى تحيض الزوجة ثم تطهر ان شاء أمسكها وان شاء طلقها .

١٠ - امر القرآن ان يقع الطلاق امام شاهدين لاهمية هذا العمل ولان الزواج لا يتم الا امام شاهدين فلا يتم الطلاق الا امام شاهدين قال تعالى **(واشهدوا ذوي عقل منكم)** وقد ذهب الشيعة الامامية الى وجوب الاشهاد على الطلاق وهذا الاشهاد ركن من اركان الطلاق عندهم وكل طلاق بدون اشهاد يقع باطلا ولا يترتب عليه شيء ، وحجبا لو اخذ تشريعا بهذا الراى تضيقا لدائرة الطلاق .

عدد الطلقات

جعل الشرع الطلاق ثلاث مرات متفرقات لتهيئة الفرصة للتفكير في اصلاح الحال التى قد تنشأ من ثورة نفسية مؤقتة او تسرع بلا روية فان لم تنفع هاتان الفرستان في ازالة اسباب الخلاف كانت الطلقة الثالثة هي الفاصلة قال تعالى **(الطلاق مرتان فامسك بعمركم)** او تسريع باحصان (٥٠٠) البقرة ٢٢٩ ولقد احس الشرع المصرى صنعا اذ قرر القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ ان الطلاق المقترن بعدد لفظا او اشارة يقع طلقة واحدة .

وينبغى الا يقتصر المشروع على ذلك وان يصدر قوانين اخرى تحظر جميع انواع الطلاق المخالفة للنوع المبين في الكتاب والسنة .

ففى ذلك احقاق للحق ورجوع بنظام الطلاق الى الاوضاع الصحيحة التى سنها الاسلام وانحرف عنها بعض المسلمين ، فليس المقصود من الطلاق اللعب واللهو ومن يتجاسر على الحلف بالطلاق انما يفعل منكرا من القول وزورا ان الطلاق ابغض الحلال ولم يشرعه الله الا للضرورة القصوى ، منعا للحرص وعلاجاً للشقاق والضرار ويجب ان يتم في طهر الزوجة وفي هدوء نفس كامل ، وامام شاهدين

الإيمان سبيل السلام للفرد والمجتمع

١ - الإيمان بالله :

يتصف الله عز وجل بكل كمال ، وينزهه عن كل نقص ،
يتصف الله بالحياة والعلم والارادة والسمع والبصر ، فهو سبحانه بكل
شئ عليم فعال لما يريد ، وفي بداية سورة المجادلة ، سمع الله صوت امرأة
تشكو للنبي من زوجها واستجاب لرجائها حيث قال سبحانه :

**(قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع
تجاوزكما ان الله سميع بصير) المجادلة ١**

نقول السيدة عائشة رضى الله عنها ما سمع الله وما ابصره . لقد جاءت
المجادلة خولة بنت بعلبة نقول : يارسول الله ان زوجى اوس بن الصامت
نزوجنى وانا شابة مرغوب فى لى مال وجمال ، فانتظر حتى اذا ذهب مالى
وولى جمالى ونفرك اهلى قال لى انب على كظهر امى ، وارجو ان تردنى اليه .
فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ليس لى عندك حل ما اراك الا قد حرمت
عليه . فجاءت المرأة ثانية نقول : يارسول الله انى انجبت منه اولادا كان
بطنى لهم وعاء وكان ثديى لهم سقاء وكان حجرى لهم كفاء وان ضمهم اليه
ضاعوا وان ضممتهم الى جاعوا فردنى اليه . فقال النبى ليس لى عندك حل
ما اراك الا قد حرمت عليه . فجاءت المرأة مرة ثالثة نقول : ان زوجى لا يفيضنى
وانا لا ابغضه ولكنه دخل على وأنا فى الصلاة فلمع خلخالى فى ضوء القمر فرغب
فى بعد الصلاة مباشرة ولم اكن قد تهيأت بنفسى له ، فامتنعت عليه فغضب
وقال تمتنعين عنى ؟ انت على كظهر امى . ثم ندم على ذلك ورغب فى عودتى
الى فردى اليه .

وكان الظهار يحرم المرأة على زوجها فى الجاهلية ولم يكن قد نزل بشانه
شئ فى الاسلام . فقال لها النبى ليس لى عندك حل ما اراك الا قد حرمت
عليه .

وبكت المرأة وقالت للنبي انا لا اشتكى اليك ولكن اشتكى الى الله . وهنا
ظلل على النبى ونزل عليه وحى السماء ، واستجاب الله لرجاء المرأة وسمع
كلامها من فوق سبع سماوات .. ونزلت آيات كريمة فى أول سورة المجادلة

تنهى الرجل عن الحلف بالظهار ، وعن تحريم المرأة على نفسها . وبينت أن ذلك زور ومنكر من القول . ثم رسمت الطريق لمن وقع في الظهار وأراد الرجوع الى زوجته مبينة ان عليه أن يعتق رقبة أو يصوم سبتين يوما أو يطعم سبتين مسكينا كفارة عن قوله وتهديبا لنفسه .

قال تعالى (الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن امهاتهم ان امهاتهم الا اللاتي ولعنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور ، والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع فإطعام سبتين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب اليم) المجادلة ٢ - ٤

٢ - الايمان بالرسول :

لقد ارسل الله الرسل وانزل عليهم الكتب لهداية البشرية واخراجها من الظلمات الى النور ،

(رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما) النساء ١٦٥

هؤلاء الرسل نجوم هادية وعلامات مضيئة في تاريخ البشرية جعلوا للناس الدعوة الى التوحيد والايمان بالله وملائكته وركن به ورسله واليوم الآخر، وكانوا دعاء الى مكارم الاخلاق ودعائم الفضيلة وحربا على الرذائل والشذوذ والمنكر .

فهؤلاء الرسل يشتركون جميعا في الاساس العام وهو الدعوة الى الايمان بالله ربا وخالقا ورازقا بيده الخلق والامر وهو على كل شيء قدير ، والايمان بالملائكة وباليوم الآخر وبالبعث والحساب والجزاء .

وبنفرد بعض الرسل بدعوات اصلاحية تناسب المجتمع الذي ارسلوا اليه . فشعب عليه السلام حارب تطهير الكيل والميزان . ولوط عليه السلام حارب المثلية الجنسية بين الرجال ، وبين ان الطبيعة البشرية تقتضى ان التوافق الجنسى والتلاؤم لا يتم الا بين الرجل والمرأة . قال لوط : (اقتنوا الذكران من العالمين ، وتثرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم بل انتم قوم عادون) الشعراء ١٦٥ ، ١٦٦

وحارب موسى التفرقة المنصريه بين المصريين واليهود وظل بكافح فرعون وجبروته حتى نجى الله المؤمنين واهلك الظالمين : (ان فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستعجبي نساءهم انه كان من المفسدين ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحلون) القصص ٤ - ٦

وجاء المسيح عليه السلام في وقت غلا فيه اليهود في حب المال والاهتمام بالمادة ونعمت الرومان في الطفيان والجبروت ، فكانت دعوة المسيح عليه السلام صيحات ضارعة في التجرد من هوى النفس والخضوع للمال فقول : (لا تكنوا

أموالك في الأرض حيث يكون اللصوص والسراف ولكن اكنزوا أموالكم في السماء .

ويقول المسيح (من أحب مالا أو ابنا أكثر من الله فليس مني) ويقول أيضا (من ضحك على خدك الايمن فادر له خدك الايسر ، ومن طلب ردائك فاعطه ازارك ، ومن اراد أن تمشي معه ميلا فامش معه ميلين) . وكانت رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم عامة للناس اجمعين . قال تعالى **(وما أرسلناك الا رحمة للعالمين)** الانبياء ١٠٧

وقد اشتملت هذه الرسالة على الاسس العامة ، والخطوط الاصلية في الدبانات الالهية ، وجمع القرآن حقائق الالهات ، وصدق الكتب السابقة ، وهي التوراة والانجيل والزبور والفرقان ، لان هذه الكتب لاتضارب بينها ولا تعارض في الاسس العامة التي جاءت بها . قال تعالى : **(وانزلنا اليك الكتاب بالحق ، مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه)** المائدة / ٤٨ .

وفي اول سورة آل عمران يقول القرآن **(الم ، الله لا اله الا هو الحي القيوم ، نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل ، من قبل هدى للناس وانزل الفرقان)** . وقد دعا القرآن الى الايمان بالرسول جميعا ، وعدم التفرقة بينهم ، فربهم واحد ودعوتهم واحدة ، هي هداية البشرية ، وارشادها الى مكارم الاخلاق وحمايتها من الرذيلة والانحراف . قال تعالى : **(آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير)** البقرة / ٢٨٥ .

ولا تكمل ايمان المسلم الا اذا آمن بان الله ارسل رسلا وانبياء كثيرين لهداية الناس منهم من ذكر في القرآن ومنهم من لم يذكر ، قال تعالى **(ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك)** غافر / ٧٨ .

وقد اشتهر من الرسل خمسة سمووا بأولى العزم من الرسل ، لكثرة ماتحملوا من المشاق في سبيل الدعوة الى الله وهم : نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم . قال تعالى **(فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل)** الاحقاف / ٣٥ .

وقد ارسي القرآن دعائم الوحدة الالهية بين الرسل فبين ان هدف الرسل واحد وطريقهم واحد وغايتهم واحدة . . وبرزت آيات القرآن وحدة الدين عند الله وكررت هذه الحقيقة على لسان الرسل جميعا **(قولوا آمنا بالله وما انزل اليه وما اتى موسى وعيسى وما اتى النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون)** البقرة / ١٣٦ .

وقد اسطفى الله الانبياء ومنحهم الله الوحي والرسالة ، واختصهم بصفات كريمة هي الصدق والامانة والتبليغ والفتانة ، وجميع الصفات الطيبة التي تدعو البشر الى الاستماع اليهم وتقبل الحق منهم . يقول صاحب الرسالة منحة الهبة بختص الله بها من يشاء من عباده . يقول صاحب الجوهرة :

ولم تكن بسوة مكتسبة ولو رقى في الخير أعلى عهده
بل ذاك فضل الله يؤتته من ينسأ جل الله واهب المن
ان الاصطفاء للرسالة منة كبرى وبعمة الهية ، اذ هي رباط بين السماء
والارض (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير)
الحج/٧٥ .

وقد اصطفى الله للرسالة آدم عليه السلام ، ونوحا عليه السلام . كما
اصطفى سبحانه آل ابراهيم ومن نسله اسماعيل واسحاق والاسباط وآلاف
الانبياء . كما اصطفى آل عمران ومن نسله مريم وعيسى الذي جعله الله دليل
الفطرة الالهية فخلفه من أم دون أب ، كما خلق حواء من أب دون أم وخلق آدم
من دون أب ولا أم . قال تعالى (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب
ثم قال له كن فيكون) آل عمران/ ٥٩ . لقد اصطفى الله افرادا كما اصطفى ذرية
وسلالة من اعيان الانبياء للنبوة والهداية (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل
ابراهيم وآل عمران على العالمين ، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم)
آل عمران ٣٣ ، ٣٤ .

لقد اخلص الرسل في تبليغ رسالة الله الى عباده لا يبتغون من ذلك اجرا
ولا جاها وانما يبغون وجه الله سبحانه . ولكن الرسل قبلوا من قومهم
بالتكذيب والانتكار فصبروا وصابروا واوذوا وقتلوا وقتلوا .

قال الله تعالى (وكاين من نبي فاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم
في سبيل الله وماضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين ، وما كان قولهم
الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على
القوم الكافرين ، فاتاهم الله نواب الدنيا وحسن نواب الآخرة والله يحب
المحسنين) آل عمران ١٤٦ - ١٤٨ .

والظاهرة الملاحظة في القرآن ان جواب الكفار للرسل حوى عنصر
التكذيب والمكابرة في جميع العصور ، كأنما وصى بعضهم بعضا بهذا الجحود
والكنود .

(وقال الدين كفروا لرسلمهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا
فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ، ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن
خاف مقامى وخاف وعيد) ابراهيم ١٣ ، ١٤ .

ولقد كانت رسالات الانبياء ذات صبغة واحدة في الدعوة الى الايمان
والهداية ونوحه الله ونبد الاصنام والانداد .

(قالت رسلمهم ائى الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم
من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى قالوا ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان
تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فاتونا بسلطان مبين) ابراهيم/ ١٠ .

ولقد خص الله الرسل السابقين بمعجرات مادية ملموسة ، فانقذ
ابراهيم من النار ، واعطى موسى البد البضاء والعصا تبتلع حبال السحرة .
واعطى عيسى ابراء الاكمه والابرس واحياء الموتى باذن الله . ثم اعطى محمدا
صلى الله عليه وسلم وحيا من السماء ودعوة الى الهداية خاطب بها العقل

٣ - السلام في الاسلام :

جعل الله شهور العام اثني عشر شهرا منها اربعة حرم هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب . ثلاثة اشهر متتابعة في نهاية العام الهجري وبدايته ، وشهر منفرد هو شهر رجب الفرد ، والاشهر الحرم اشهر مباركة يضاعف فيها الثواب ويحرم فيها القتال حتى تهدأ النفوس ويكون هناك فرصة عملية للسلام والأمان . فقد جاء الاسلام بهذا السلام الحقيقي .

فأله اسمه السلام ، والجنة دار السلام ، والقرآن نزل في موكب من السلام ، وتحية المؤمنين يوم يلقون ربهم سلام .
وحين ينتهى الإنسان من صلاته ويخرج من العبادة الى الدنيا يخرج من الصلاة بالسلام على اليمين والسلام على اليسار .

ولن يتردد المؤمن في قبول دعوة السلام إذا دعى إليها ، فالسلام هو الأساس ، ففيه يعمل الناس وتتكايف الجهود من أجل البناء والإعمار ، وحفظ الدماء والأرواح .

البراءة والارواح .
قال تعالى (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع
العليم ، وان يريدوا أن يخضعوك فان حسبك الله هو الذى ايدك بنصره
وبالمؤمنين ، والف بين قلوبهم لو انقضت ما فى الارض جميعا ما لفت بين قلوبهم
ولكن الله افهم بينهم انه عزيز حكيم) الانفال ٦١ - ٦٣ .

لقد حارب الاسلام دفاعا عن النفس ، وردا للظلم والعدوان وانتصفا للحق . قال تعالى (اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين اخرجوا من ديارهم بغية حق الا ان يقولوا دينا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز ، الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الامور)

الحج ٣٦ - ٤١

الحج ٢٦ - ٢١
لقد مكث المسلمون في مكة ثلاثة عشر عاما يدعون الى الله . ويرسون دعائم التوحيد ويقدم القرآن الأدلة المتتابة على الوحداية، وفي ايجاز واعجاز يجيب القرآن على أسئلة الكافرين حين قالوا يا محمد صف لنا ربك ما هو وابن من هو وما نسبه وما قبيلته واجاب القرآن (قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد) . وساق القرآن العديد من الادلة على قدرة الله وتفردة بالخلق والانعام فيقول سبحانه (ام من جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا الله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون ، ام من يجب المصطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض اوله مع الله قليلا ما تذكرون) النمل ٦١ و ٦٢

وتوالت آيات القرآن تصف جمال الكون وترابطه ودقة نظامه ، وتبين ان وراء هذه الصنعة المحكمة قدرة سامية وقوة عالية (انحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم) المؤمنون ١١٦

ولكن اهل مكة صموا آذانهم عن سماع الحق وغرهم اموالهم واولادهم ومنعمهم البجاه والسلطان والمنصب والعلو في الارض عن الاستجابة لداعي الايمان ثم زادوا في غلوهم فعدبوا المؤمنين وفتنوهم واخرجوهم من ديارهم وهاجر المسلمون الى الحبشة والى المدينة .

ثم اذن الله للمؤمنين بالقتال لانصاف المظلومين ، واغاثة المستضعفين وردع الباغين وتحطيم الطاغوت والجبروت حتى يترك الناس احرارا في تقبل العقيدة واختيار مايشاءون دون اجبار ولا ارهاب . قال تعالى (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهله واجعل لنا من لئلك ولدا واجعل لنا من لئلك نصيبا) النساء ٧٥

لقد نزل الاسلام رحمة للناس ودعوة عالمية تخاطب القلب والوجدان . ولا يقبل اعتناق الاسلام الا اذا خالط الايمان اليقين واستقر في القلب والنفس (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم) الحجرات ١٤ .

وقد قامت الدعوة الاسلامية على الاقناع واقامة الحجة والبرهان . قال تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن) النحل ١٢٥

وقال سبحانه (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) البقرة ٢٥٦

وان حرص الاسلام على السلام ظاهرة واضحة في قبول الاسلام ممن اظهره باللسان وعدم البحث عن خبيثة نفسه وقلبه . . في احدى المعارك اعلن احد المشركين الاسلام ليحافظ على نفسه وماله عندما رأى الموت رأى العين ، فقتله مسلم . وبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فعنف هذا المسلم وقال له : اقتلته بعد أن قال لا اله الا الله . فقال المسلم : انما قالها خوفا من القتل . فقال له النبي : هلا شققت عن قلبه ، أى هل كشفت عن قلبه . فقال المسلم كيف اكشف عن قلبه ، وانما قلبه بضعة منه . فقال النبي فلا أنت كشفت من قلبه ، ولا أنت تركته بعد أن قال لا اله الا الله . فكيف أنت بلا اله الا الله اذا جاءت يوم القيامة .

وانزل الله عز وجل الوحي : (يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مفاتم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا) النساء ٤٤ .

لقد حرص الاسلام على سلام الفرد ، بالعقيدة والايمان بالله ، والرضا بالقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره .

وحرص الاسلام على سلام الاسرة فشرع الزواج وامر بحسن العشرة
والمعاملة وحذر من هدم صرح الاسرة اتباعا لنزوة عارضة قال تعالى (وعاشروهن
بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا)
النساء ١٩ .

وحرص الاسلام على سلام الدولة فامر بطاعة الله وأولى الامر من العلماء
والامراء والحكام واهل الحل والمقد ونهى عن الخروج على الجماعة وحث على
وحدة الصف وامر بالتعاون والتناصح والتكافل قال تعالى (ان هذه امتكم
أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) الانبياء ٩٢ .

كما حرص الاسلام على سلام العالم فامرنا بحسن الجوار مع الناس
جميعا ونهانا عن البغى والعدوان كما أمر الاسلام بوفاء العهد والالتزام
بالمعقود والوفاء بها وحذر من الفدر والبغى . قال تعالى لاينهاكم الله عن الذين
لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان
الله يحب المقسطين) المتحنة ٨ .

وبذلك جمع الاسلام خصائص الرسالة العالمية والدعوة العامة الى
الناس جميعا لانها دعوة الله الى خلقه فليس فيها محاباة لطائفة أو جنس
وليس فيها دعوة الى عنصرية أو عصبية أو طائفية ، بل هى دعوة الله الى
الناس جميعا ، فالخلق كلهم عيال الله يتفاضلون عنده بالتقوى ويدركون ثوابه
بالعمل الصالح .

قال تعالى (ياايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا
وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) الحجرات ٣ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ايها الناس ان ربكم واحد وان اباكم واحد
لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ، ولا لابيض على احمر ولا
لاحمر على ابيض الا بالتقوى كلکم لام وآدم من تراب » .

أحاديث الإذاعة

هذه احاديث قصيرة قدمت من الإذاعة والتلفزيون ،
 في بغداد ، والقاهرة ، والرياض ، والخرطوم .
 وكان الوقت محددا للحديث دقائق وأحيانا بخمس دقائق .
 وكان ذلك يفرض على المتحدث التركيز والإيجاز حتى يغطي جوانب
 الموضوع في وقت يسير .
 ولئن فاتنا الاستقصاء والتوسع فقد عوضنا ذلك بالجدة وحسن
 العرض ، وتنوع الموضوعات المناسبة .
 وقد قسمت هذه الأحاديث الى ١٢ موضوعا هي :

- ١ - العبادات
- ٢ - الآداب الاجتماعية
- ٣ - المرأة
- ٤ - الجهاد
- ٥ - الأخلاق
- ٦ - الذكريات الإسلامية
- ٧ - هذا هو الاسلام
- ٨ - من هدى القرآن
- ٩ - الحلال والحرام
- ١٠ - سؤال وجواب
- ١١ - قصص القرآن الكريم
- ١٢ - ترسة الهبة كريمة

ولم يكن هذا التقسيم حادا فاصلا ، وإنما كان من باب التقريب
 والترتيب والا فالموضوعات كلها تتحدث عن الاسلام وآدانه في التشريع
 والاجتماع وشئون الحياة .
 أما الموضوعات التي كتبتها لغير الإذاعة ، فكانت أشمل وأحرص على
 الإحاطة بجوانب الموضوع ، كما تجد ذلك واضحا في موضوعات : الحج ،
 والجهاد في الاسلام
 وآمل أن يجد فيها الداعية الى الله زادا مفيدا او رقيقا مؤنسا ..

(١)

العبادات

الصلاة - الصيام - الزكاة - الحج

الصلاة

للصلاة في الاسلام منزلة كبرى فهي عماد الدين وركنه الاساسى ، وهى اول ما اوجبه الله تعالى من العبادات ، تولى ايجابها بمخاطبة رسوله ليلة الاسراء والمعراج من غير واسطة .

وهى اول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة ، وهى آخر وصية وصى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم امته عند مفارقتة للدنيا حيث قال : «الصلاة الصلاة وما ملكت ايمانكم» .

وقد بلغ من عناية الاسلام بالصلاة ان امر بالمحافظة عليها في الحضر والسفر والامن والخوف فقال تعالى (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) * فان خفتهم فرجالا او ركبانا فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم مالم تكونوا تعلمون) سورة البقرة ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

وقد عرض القرآن للصلاة في مواقع كثيرة ومن جهات متعددة عرض لها في مفتتح أطول سورة من كتابه وهى سورة البقرة وأوضح أنها من صفات المتقين الذين استحقوا ان يكونوا على هدى من ربهم وان يكونوا مفلحين .

قال تعالى (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) . والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون . اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون) .

كما عرض القرآن للصلاة في كثير من سوره وأمر باقامتها والاستعانة بها والمحافظة عليها ووصفها بأنها كتاب موقوت على المؤمنين وجعل اقامتها

اول عمل بعد الايمان بالله ، وبين اثرها في تهذيب النفوس ووقايتها للتاسان من الفحشاء والمنكر .

كما قرن الفلاح والنجاح باقامتها والمحافظة عليها في اوقاتها والاطمئنان في اركانها وحضور القلب فيها . قال تعالى : (قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون) .

وقد ذكر القرآن عقاب تارك الصلاة وشدد النكير على من يفرط فيها . قال تعالى : (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) . وقال سبحانه (ما سألكم في سقر قالوا لم نك من المصلين) .

ولأن الصلاة من الامور الكبرى التي تحتاج الى هداية خاصة ، سال ابراهيم عليه السلام ربه ان يجعله مقيما لها هو وذريته فقال (وب اعلمني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء) .

لقد جعل الله الصلاة صلة العبد وربيه ، روسيلة للمناجاة والمناذاة ومصباحا هاديا للمؤمن الى طريق الخير وهي الزاد الحقيقي للروح ، كما انها شفاء للصدور وهداية للنفوس ووسيلة للهدى والاستقامة ، كلما غلبت الانسان شئون الحياة او نازعته نفسه الى الشر والانحراف ، فاذا تذكر المؤمن انه سيقف بين يدي الله عز وجل متطهرا مكبرا راکما ساجدا كان ذلك من اسباب تمسكه بالفضيلة وبعده من الرذيلة (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) .

والصلاة وسيطة الى تحقيق رضوان الله ونوابه وتوفيقه وهدايته وهي شفاء لكثير من الامراض العضوية والنفسية فقد ذكر عدد من الاطباء ، ان بعض شفاء الامراض المستعصية قد تم علاجها بسبب ارشاد المريض الى الصلاة سواء صلى هو لنفسه ام صلى عنه غيره . قال تعالى (واقم الصلاة للذكرى) ، أي حافظ على الصلاة لتذكرني فان ذكر الله دواء وشفاء قال تعالى (فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون) البقرة / ١٥٢

والصلاة اولا واخيرا عبادة مفروضة جعلها الله سبيلا لوقوف المخلوق بين يدي الخالق ، ودعاء العبد الفاني للواحد الباقي وهي روح الاسلام وجوهره ولبه . وفي الحديث القدسي يقول الله عز وجل (انما اتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي وقطع نهاره في ذكرى وأطعم الفقير وآوى الجائع من اجل) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت لو أن نهرا بباب احدكم يفتسل منه في كل يوم خمس مرات اكان يبقى على جسمه شيء من الدرن قلنا : لا يارسول الله . فقال (ص) : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا والذنوب » .

الخشوع في الصلاة

الخشوع في الصلاة روحيا وحقيقتها ، اذ أن الخشوع هو اخلاص القلب نفسه لله والتجاء اليه ، هو مناجاته ومناداته ، هو الفكر والتدبر في قراءة الفاتحة ، والسورة التي تقرأ بعد الفاتحة ، وهو الخشوع في السجود والاطمئنان في أداء الاركان وقد تحدث الامام أبو حامد الغزالي عن الخشوع

فذكر فضله ورسم الطريق لجمع الدهن في الصلاة ، ووجه النداء لكل مصل قائلا :

١ - اذا رايت ذهنك متصرفا عن الصلاة بسبب الضوضاء والحركة أو الصور والنقوش فالجأ الى مكان هادىء مظلم أثناء الصلاة .

٢ - اذا كان عدم الخشوع سببه انصراف الدهن وانشغاله بأمور الدنيا ، فحاول أن تجمع ذهنك . وأن تنبه نفسك قيل الصلاة الى أنك ستقف بين يدي الله ، وأنه مطلع عليك ، واستحضر عظمة الله في قلبك ، وفضل الخشوع ولذة المناجاة لله .

٣ - اذا لم ينجح كل هذا فاعلم أن هناك داء أصيلا في النفس لابد من قطعه وهذا الداء هو حب الدنيا والركون اليها . فمقدر ماتكون النفس مشغولة بالحوادث العاجلة بقدر ما تنصرف عن المناجاة ، والدنيا والآخرة مثل كفتي الميزان اذا رجحت احدهما خفت الأخرى .

٤ - ليس سهلا اخراج حب الدنيا من القلب وليس أمرا ميسورا أن تجد نفسك خاشعا في الصلاة فقد كان السلف الصالح يجاهدون أنفسهم حتى يصلوا ركعتين لاتحدتهم أنفسهم فيهما بأى شيء من أمور الدنيا فلا يستطيعون .

٥ - اعلم أيضا أن الخشوع في الصلاة ثمرة للاقبال على الله والعمل للآخرة وتفضيل الآخرة على الدنيا فمن كان قلبه متعلقا بالله مستحضرا قدرته وعظمته عارفا بالحساب والجزاء والجنة والنار متأكدا أن الآخرة خير وأبقى من الدنيا ، انبعثت همته في الصلاة وصار يخشع فيها شيئا فشيئا حتى تصبح صلاته أقرب الى الكمال .

٦ - ان لم تكن خاشعا في الصلاة فلا تيأس ، وخذ في الاسباب وادع الله أن يلهمك الخشوع والخضوع لأوامره ، وحضور القلب في الصلاة فإنه يقول (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلمهم يرشدون) . البقرة : ١٨٦ .

آداب الصلاة

يقول الله تعالى في كتابه الكريم : (قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون) .

أيها المؤمن

الايمان : تصديق بالجنان ونطق باللسان وانتقاد بالجوارح نحو طاعة الرحمن ، وليس الايمان كلاما لفظيا ، ولكنه سلوك فعلى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ، الا وان اقواما غررتهم الامانى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا على الله لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل » .

وأول فرائض الاسلام هي الصلاة ، فهي عماد الدين وركن الاسلام ومفتاح الفلاح ودليل الى مرضاة الله ، وهي نور على الصراط وانيس في القبر ونقل في ميزان الحسنات قال تعالى (**قد افلح من تزكى . وذكر اسم ربه فصلى . بل تؤنرون الحياة الدنيا . والآخرة خير وأبقى**) .

والصلاة وسيلة لطهارة النفوس ونظافة القلوب ومراقبة الخالق وذكر الله تعالى وتدبر آلائه ونعمائه . قال تعالى : **(واقم الصلاة لذكرك)** يفتح المؤمن صلاته بتكبير الله فهو اكبر من كل شيء ، من سلطان الهوى ومن أغراء الشيطان ، قال تعالى : **(ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون)** .

يبدأ المؤمن صلاته بقراءة سورة الفاتحة فيستشعر بركة الله حين يقول : بسم الله الرحمن الرحيم ، ويتذكر فضله ونعمه حين يقول : الحمد لله رب العالمين ، ويتذكر رحمته الواسعة وستره وحلمه حين يقول : الرحمن الرحيم ثم يستشعر عظمة الله وجبروته حين يقول مالك يوم الدين . ثم يخاطب ربه بعبده ولسانه قائلا : اياك نعبد واياك نستعين ، ثم يطلب من الله الهدى والسداد ، وأن يجنبه الزلل والخطأ فيقول : اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . ثم يدعو ربه أن يستجيب دعاءه فيقول : آمين .

أيها المؤمن

هذه هي الفاتحة أم القرآن يقرؤها المؤمن في صلاته سبع عشرة مرة في صلاة الفرض فضلا عن صلاة النفل ، وليس تكرر الصلاة الا وسيلة عملية لحماية الانسان من وطأة الحياة وتسلط الشيطان والهوى ، فالمؤمن يبدأ نهاره بصلاة الصبح ، وفيها يتذكر القلب عظمة الله الذي جعل الليل سكنا وأعقبه بالنهار نورا وسعيا ، ثم يبدأ المؤمن عمله ، وبين كل فترة وأخرى يأتي ميقات الصلاة فيتطهر المؤمن ويفسل أطرافه فيعيد الى نفسه طهارتها ونظافتها ، ثم يركع وقوفه بين يدي ربه في مناجاة مخصصة ومناداة قانئة في قراءة القرآن ، وركوع وسجود وتشهد يغمر القلب بالايمان ، ثم يختم الصلاة بالسلام عن اليمين واليسار ، فيخرج من صلاته وهو سلام وأمان للناس أجمعين .

أيها المؤمن ،

ان أداء الصلاة في أوقاتها المحدودة يعلمنا النظام في العمل واحترام المواعيد ، وأنه لتذكروا للمتقين ، في خمسة فترات يتوبون فيها الى الله مما أسلفوا ويجددون صلهم به اذا ألهمهم الحياة الدنيا عنه ، فالزم نفسك بالصلاة والمحافظة عليها في أوقاتها وأمر بها زوجك وولدك . قال تعالى : **(وامر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسالك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى)** والتقوى هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والاستعداد ليوم الرحيل . وتذكر ان الحياة الى فناء وبعدها حساب وخلود وجزاء . وانك لو رايت أهل سخط الله تعالى وما صاروا اليه من ألوان العذاب وشدة عقابته عليهم ، وسمعت زفيرهم في النار وشهيقهم ،

ولو رايت اهل طاعة الله تعالى وما صاروا اليه من خير ونعيم وجنة عالية قطونها دانية .

لو رايت ذلك فحافظت على الصلاة في أوقاتها مهما كلفك ذلك من جهد وتعب ورايت فيها طريقا الى الجنة ونورا على الصراط ووسيلة لمناجاة الله في الدنيا والسعادة بقربه يوم القيامة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «خمس صلوات كتبهن الله على العباد من أنى بهن لم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن ، كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد أن شاء عذبه وأن شاء غفر له » .

ايها المؤمن :

ان الاسلام كل لا يتجزأ ، وقد بنى الاسلام على خمسة أركان هي : شهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله . وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا .

وهذه الأركان تربية عملية للمؤمنين ، فهم حين يقيمون الصلاة يتجهون الى الله بالعبادة ويرتفعون بهذا عن عبادة العباد وعبادة الأشياء ، يتجهون الى القوة المطلقة بغير حدود ويحتنون جباههم لله لا للعبيد والقلب الذي يسجد لله حقا ، ويتصل به على مدار الليل والنهار ، يستشعر انه موصول السبب بواجب الوجود ، ويجد لحياه غاية أعلى من أن تستغرق في الأرض وحاجات الأرض ، ويحس انه أقوى من الخلاق لانه متصل بخالق الخلاق ، وهذا كله مصدر قوة للضمير كما انه مصدر للطهارة والتقوى وعامل هام من عوامل تربية الشخصية ، وجعلها ربانية التصور ربانية الشعور ، ربانية السلوك .

أخرج البخاري في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يقول الله تعالى في الحديث القدسي : (يا عبادي أنى حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ، يا عبادي كلكم جائع ، لا من أطمعته فاستطعموني أطمعكم ، يا عبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني أكسكم ، يا عبادي انكم تصلون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم) » .

الزكاة

حديثنا اليوم عن الزكاة . والزكاة عبادة قديمة عرفت في الاديان السابقة على شكل من الاشكال . قال تعالى في شأن ابراهيم واسماعيل واسحق : **« وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وابتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين »** ٧٣ الانبياء

ويقول سبحانه في شأن اهل الكتاب عامة : **(وما امرؤ الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) .** ومن حديث القرآن عن المال نستخلص المبادئ الآتية : -

١ - اعلن القرآن أن المال في يد الاغنياء ليس الا وديعة من الله استخلفهم في حفظه وادارته وتوزيعه بما رسم لهم من طرق صالحة مفيدة قال تعالى **(وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) .**

فليست الزكاة تبرعا أو تفضلا من الاغنياء على الفقراء ، ان شاءوا تطوعوا بها وان شاءوا حبسوها ومنعوها وانما هي حق معلوم ، للسائل والمحروم ، وهي فريضة محكمة الى يوم القيامة ، فرضها الله لحفظ التوازن بين الاغنياء والفقراء ، **(كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم)** ٧ الحشر .

فالمال مال الله والاغنياء خلفاء الله عليه والفقراء عيال الله وان أحب خلفاء الله اليه ابرهم بعاله ، وان البر ذمة وفريضة لازالة الفوارق الطبيعية الشاسعة لما وراءها من ضغائن وأحقاد ، تؤدي الى هز كيان المجتمع ففي الزكاة ازالة للضغينة ، وابادة للجريمة .

٢ - حارب القرآن الشح والبخل ودعا الى التكافل والتعاون والابشار قال تعالى **(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)** وقال عز شانه **(ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون)** وفي الحديث (اياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم ، امرهم بالقطيعة فقطعوا ، وأمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالفجور ففجروا) **(اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة .** واتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على ان يسفكوا دماءهم ويستحلوا محارمهم) **(ان الشح من الكفر والكفر من النار)** لان الشح مبعث الحقد والضغن والفساد ولانه يمنع التعاون والتراحم بين العباد .

٣ - توعد القرآن مانع الزكاة بعذاب القبر وصفائح جهنم وسوء الحساب قال تعالى (والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيبشروهم بعذاب اليم ، يوم يحى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فلو قوا ما كنتم تكتزون) ٣٤ ، ٣٥ التوبة .

وفي الحديث الشريف « مامن صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها الا جاءت يوم القيامة اعظم ما كانت واسمته تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها كلما قضيت من آخرها عادت عليه من اولها حتى يقضى بين الخلائق »

ولنستمع الى حديث القرآن في شأن ارباب الاموال الذين لا يقومون بحق الفقير والمسكين « كلا بل لا تكرمون اليتيم . ولا تحاضون على طعام المسكين . وتلكون التراث اكلا لا . وتحبون المال حبا جما . كلا اذا دكت الارض دكا دكا . وجاء ربك والملك صفا صفا . وجي يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وانه له الذكرى ، يقول ياليتنى قدمت لحياتى ، فيومئذ لا يعذب عاابه احد . ولا يوقق وثاقه احد » الفجر من ١٧ - ٢٦ .

ويقول سبحانه : « ما سلكتكم في سقر ؟ قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين .

٤ - حدد القرآن الاصناف الثمانية ، الذين تدفع اليهم الزكاة فقال سبحانه :

« انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله ، والله عليم حكيم » - ٦٠ - التوبة

ولاستحق هذه الاصناف حقها في الزكاة ، الا بعد ان تستنفذ الوسائل الخاصة في الارتزاق فالاسلام حريص على الكرامة الانسانية ومع انه جعل الزكاة حقا واجبا لا منحة وتفضلا فانه لم يفعل ان اليد العليا خير من اليد السفلى وان المعطى ايا كان متفضل والاخذ متفضل عليه ، ولذا مدح القرآن الاستعفاف والاستثناء وحثنا على تفقد ثبات من الناس اخلى عليهم الدهر ومع ذلك يتجملون بالصبر والتعفف

قال تعالى :

« للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسنهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الخافا ، وما تنفقوا من خير فان الله به عليم » ٢٧٣ البقرة .

٥ - حث القرآن على الصدقة بجميع انواعها وبين انها خير للمجتمع ومتممة لاهداف الزكاة ، في الرحمة بالفقراء والضعفاء ، وحماية اليتامى والمساكين ، قال تعالى :

« واعدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبلى القريبى واليتامى والمساكين » ٦ النساء .

وقال عز شأنه :

« وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
والسائلين وفى الرقاب » (أن تبسو الصدقات فمنها هى وان تخفوها وتؤتوها
الفقراء فهو خير لكم) البقرة ٢٧١ .

بل يعتبر القرآن ان اطعام الفقير والمساكين عقبة وقمة اذا اقتحمها
الانسان وصل الى السعادة الحقة التى لا يشوبها تنغيص ولا ألم . قال
تعالى :

(فلا اقتحم العقبة ، وما أدراك ما العقبة ، فك رقبة ، او اطعام
يوم ذى مسغبة ، يتيماً ذا مقربة ، او مسكيناً ذا متربة ، ثم كان من الذين
آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة ، أولئك اصحاب الميمنة)
البلد ١١ - ١٨ .

وحسب الفقير ان الله لم يذكر فى كتابه شأنا من الشئون باسم العقبة
الا فى هذا الموضوع موضع تنظيم علاقته بالغنى ، موضع رحمة الانسان بأخيه
الانسان . فاقراءوا القرآن وتفهموا أحكامه فلا تكاد تخلو سورة من سوره من
وصية بالخير والبر والمعروف .

وبذلك يعظم الترابط والتساند ، والتآخى والنعاون ، ويصبح المجتمع
الاسلامى يدا واحدة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

شهر رمضان

مرحباً شهر رمضان ، مرحباً شهر الصيام
 مرحباً شهر القرآن ، مرحباً شهر الصدقة وصلة الارحام
 (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى
 والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه) البقرة ١٨٥ .
 شهر فرض الله صيامه ، والصوم فى حقيقته الامساك عن الاكل والشرب
 وشهوة البطن والفرج من طلوع الفجر الصادق الى غروب الشمس .
 الصوم امساك عن المفطرات وعزوف عن رغبات النفس وتجرد عن
 طلبات الجسم الى مرضاة الرب .
 والصائم يترك طعامه وشرابه من أجل مرضاة الله وتقواه قال تعالى
 (يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم
 تتقون) البقرة ١٨٣ .
 الصوم وقاية من المعاصي وبعد عن الشر والعدوان وامتنال لأمر الله
 وتشبه بالملائكة الأبرار قال صلى الله عليه وسلم (الصيام جنة فاذا كان صوم
 احدهم فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ خاصمه او شاتمه فليقل انى صائم
 انى صائم والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم اطيب عند الله تعالى
 من ريح المسك يقول الله تعالى ايها العبد الصائم التارك طعامه وشرابه من
 اجلى أنت عندي كبعض ملائكتى) .

ومن أهم آثار الصيام ثلاثة أشياء :

١ - التحرر من سلطان العادة ، فان للعادات سلطاناً على النفوس فاذا تحرر
 الانسان من سلطان الاكل والشرب والدخان وكل مطالب الجسم لفترة
 من الوقت خرج من الصيام وقد قويت ارادته وتزود بالصبر ومضاء
 العزيمة وصارت لمطالب الروح والقلب المنزلة الاولى عنده .وقدم المسلم
 طاعة الله على حظوظ النفس .

٢ - تعود الصبر وغض البصر وحفظ اللسان وامساك اليد والرجل والقلب
 عن الحرام . قال تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر
 والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولاً) والصوم نصف الصبر والصبر

نصف الايمان ، فالصوم ربع الايمان ، والصوم قائم على الصبر
والاحتمال قال تعالى (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) .

٣ - ومن آثار الصيام يعود مراقبة الله وامتنال أمره واجتناب نواهيهِ وفي
الحديث القدسي (كل عمل ابن آدم له الا الصوم فإنه لى وأنا أجزي
به) .

الصوم طريق الى مرضاه الله وطريق الى الجنة ونعيمها وفي الحديث
إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وأغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين
ونادى مناد من قبل الله تعالى يا طالب الخير اقبل ويا باغى الشر أدبر) .

حكمة الصوم

بنى الاسلام على خمسة اركان ، هي شهادته أن لا اله الا الله وإن محمدا
رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت
لمن استطاع اليه سبيلا .

وهذه الاركان الخمسة تنعوان كلها في بناء شخصية المسلم ، وارساء
دعائم التعاون والتوادر والتراحم بين المسلمين .

فالشهادتان اعتراف بالتوحيد ، والصلاة صلة بين المخلوق والخالق ،
والزكاة دعامة التعاون والتكافل بين الغنى والفقير .

والصوم صفاء للنفس ، ورقة للقلب ، وطهارة للروح ، والحج توحيد
بين المسلمين في الهدف والطواف وتعظيم المناسك .

كانى بالمسلمين جميعا في شهر رمضان وقد اتحدت أهدافهم وصفت
قلوبهم وغيروا مواعيد طعامهم ونومهم .

كانى بهم وقد صلوا صلاة التراويح ، وعمرت بهم المساجد واقبلوا
على قراءة القرآن ، ودعاه الرحمن وطاعة الله الواحد الأحد .

كانى بالمسلمين وقد أذن مؤذن الفجر في رمضان فتركوا الطعام والماء
والدخان والمخالطة الخاصة بين الرجل والمرأة ، واستقبلوا يومهم بصلاة الفجر
ودعاه الله فيقول المؤمن نويت صيام غد من شهر رمضان ايمانا واحتسابا
لوجه الله تعالى .

كانى بالصائم وهو يجوع ويمطش ، ولكنه يراقب موله ويمسك عن
المفطرات من طلوع الفجر الصادق الى غروب الشمس ايمانا واحتسابا .

كانى بالصائم وقد صامت معدته عن الطعام ، وصامت جوارحه عن
الحرام فامسك عينه عن النظر الى ما حرم الله ، وامسك لسانه عن الغيبة

والنميعة ، وأمسك أذنه عن سماع الائم والبهتان ، وأمسك يده عن إيذاء الناس ، وأمسك رجله عن المشي الى الموبقات ، وأمسك فؤاده عن التفكير في الأذى والمنكر .
فالصوم وقابة من المعاصي ، وحماية للنفس ، وتدريب على الطاعة وصفاء للقلب ، وصله بين الانسان وربه ، ورياضة روحية يصفو فيها النفس ، وتصل الروح نفسها بالمالأ الأعلى ، ويصبح الانسان أشبه بالمالأكة المقربين ، الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

مراتب الصيام

أيها المؤمنون :

ان معالم الدين واضحة ، واهدافه ومقاصده معلومة ، فقد بين الله الحلال من الحرام ، وميز الخبيث من الطيب ،
أخرج البخاري في صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
(الحلال بين والحرام بين ، وبينهما أمور مشتهيات ، لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كراع يرمى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، الا وان لكل ملك حمى الا وان حمى الله محارمه الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب)

أيها المؤمنون

انما فرض الله الصيام ليكون درسا عمليا في ابعاد الصائم عن الشبهات فقد أعلمه ان كمال الصوم انما يكون بحفظ الجوارح والاعضاء ، وصيامها عن المحرمات وبعدها عما يفضب الله وبهذا كان الصوم مدرسة يتعلم فيها الصائم صفاء النفس وطهارة القلب وصدق العزيمة ، ودوام المراقبة والمحاسبة ، وبذلك يكون الصوم مقبولا كاملا وهو صوم الايمان بالله ، واحتساب الثواب عند الله وذلك ما عناه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله «من صام رمضان ايمانا واحتسابا شفر له ما تقدم من ذنبه»

أيها المؤمنون :

للصيام في الاسلام مراتب ثلاث

المرتبة الثانية : وهى المرتبة الأولى مضموما اليها صوم الجوارح عن الصوم الظاهر الذى يكتفى أكثر الناس به ويظنون انهم أدوا به الواجب من المهمل .

المرتبة الثانية : وهى المرتبة الأولى مضموما اليها صوم الجوارح عن ارتكاب الآثام ، فصوم اليد امساكها عن الايذاء وتناول المحرمات وصوم الرجل امساكه عن السعى الى الفساد والمشى الى ما يفضب الله ، وصوم اللسان امساكه عن قول المنكر وعن اللغو والكلب والهديان والغيبة والنميعة ،

والفحش والمراء وزور الكلام وصوم الأذن : أمسأها عن الإصغاء الى الأهل واستماع الأكاذيب ، والانصات الى المشائين بالنميمة ، وصوم العين أمسأها عن النظر الى الحرمات والتطلع الى الأسرار ، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (انما الصوم جنة فإذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل ، وإن امرؤ قاتله أو شانهه فليقل : انى صائم انى صائم .
أما الرنية الثالثة : فهي مع كل ماتقدم صوم القلب وتطهيرها عن كل مالا يناسب الإيمان ولا يلائم الاخلاص فالتفكير في الحطايا وبدبير الفتن افطار وصرف الهمة في دنياات الأمور افطار ، والحسد والحقد افطار ، وترك المعروف افطار والسكوت عن المنكر يرتكب افطار والتهاون في اقامة الحدود ورد المظالم افطار والتلاعب بالمصالح العامة افطار وهكذا

ومعنى الافطار هنا ان الصائم لم يرتفع بصومه الى منزلة خواص المقربين ، وانما هبط الى منزله عوام الصائمين وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال :

«كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش وكم من قائم ليس له من قيامه الا السهر والتعب»
أيها المؤمنون :

لك مراتب الصيام الثلاث وهي ما عبر عنها أبو حامد الغزالي بقوله الصوم على ثلاث درجات صيام العوام ، وصيام الخواص ، وصيام خواص الخواص .

فان لم تكن من طبفه خواص الخواص فلا أقل من أن تكون من طبفه الخواص وهم الذين يصومون عن الطعام والتراب ويحفظون جوارحهم عن المحرمات والشبهات ، ويملاون قلوبهم بذكر الله ومراقبة عظمته وخشيته حسابه قال تعالى :

« انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتسولون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم »
الأنفال آيات ٢ ، ٣ ، ٤ .

اللهم تغفل صيامنا واحمله قربي في ميزاننا ، واجعل رمضان شاهدا لنا لا علينا وتقبل اللهم صلاتنا وقيامنا ونسكننا وارزقنا القبول والتقى ، والعفاف والغنى ، واهدنا سواء السبيل .

اللهم وفقنا ووفق ذريتنا لاقام الصلاة وايناء الزكاة وصيام رمضان وحج بيتك الحرام ، اللهم ارفع راية الاسلام وأعلى كلمته ، وانصر أمته ، اللهم أيد جيوشنا المرابطة في سبيلك وأملأ صدورنا بفيض الإيمان بك وجميل التوكل عليك واجعل معها بأسك الغالب ، ونوفيقك العظيم ، اللهم انصرها على أعدائها ، ومكنها من استرداد الأرض السليبة ، ورد الينا المسجد الأقصى وحقوق العرب والمسلمين يارب العالمين .

شهر رمضان .. صيام ودعاء

ورد في هدى النبوة أنه : « اذا جاء شهر رمضان فتحت ابواب الجنان وغلقت ابواب النيران ونادى مناد من قبل الله تعالى ياطالب الخير اقبل وياباغى الشر ادبر » .
وقد اختص الله شهر رمضان بعدد من الفضائل والمزايا يمكن أن نذكر عشرًا منها :

١ - فهو شهر أنزل الله فيه القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .

٢ - وهو شهر الصوم . وفي الصيام صفاء النفس ، وخشوع القلب ، ومراقبة الله سبحانه وتعالى .

٣ - وهو شهر الصبر والاحتفال وتربية الإرادة وخلق عادات اسلامية سليمة .

٤ - وهو شهر الصدقة وصلة الرحم ، ففيه صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين . وفي الحديث : كان صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، فمرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة .

٥ - وفي السابع عشر من رمضان في العام الثاني للهجرة كانت غزوة بدر الكبرى وهي أول معركة هامة في تاريخ الدعوة الإسلامية . وكان انتصار المسلمين فيها نقطة تحول أساسية بدأت قوة المسلمين بعدها في النمو والازدياد .

٦ - وفي ٢٠ من رمضان سنة ٨ هـ تم فتح مكة وخضعت أم القرى ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، ويعتبر فتح مكة من أهم الأمور التي اعتز بها الإسلام ، وتمكن بسببها من الصمود والانتشار .

٧ - وفي رمضان ليلة القدر ، وهي ليلة مباركة يضاعف الله فيها الثواب ، ويجعل ثواب العبادة فيها خيرا من ثواب العادة في ألف شهر ، فهي منحة الهية ومكافأة ربانية وعطاء سماوي يكافأ به الصائمون المخلصون . وقد أخفى الله ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان حتى يجتهد المسلمون في أواخره فيحصلوا على قدر كبير من الثواب والأجر .

٨ - وفي شهر رمضان صلاة التراويح وهي عبارة عن صلاة ٢٠ ركعة بعد صلاة العشاء ويجوز أن تصلى ٨ ركعات مع إطالة القراءة .

٩ - وفي ختام رمضان يأتي عيد الفطر مكافأة للصائم الذي أرضى ربه وصام نهار رمضان وقام ليله فبكون الفرح والسرور في عيد الفطر جزاء عاجلا ، وله في الآخرة ثواب أجل .

١٠ - وفي أعقاب رمضان يأتي صيام الأيام البيض وهي ستة أيام من شوال ، بمثابة مسك الختام لصيام رمضان .

وفي الحديث : « من صام رمضان واتبعه ستا من شوال فكأنما صام السنة كلها » .

أيها المؤمن :

لقد ذكر القرآن شهر رمضان وحث على صيامه ، وأباح للمريض والمسافر أن يفطرا ، ثم يفضيا عدة الصيام من أيام آخر . قال تعالى : (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون) .

ومن هذه الآية يتبين أن صيام رمضان واجب وفرض على كل قادر على الصيام مهما كان موطنه أو اقامته . مادام غير مسافر ولا مريض ، ويتبين من الآية أن دين الله يسر لا عسر فيه ولا حرج . وأن تعاليم الاسلام تتفق مع الفطرة الإنسانية .

ويجب أن يكمل الصائم صيام رمضان ، ثم يكبر الله تعالى ليلة عيد الفطر اظهارا للفرح والسرور بنعمة الله تعالى على الصائمين ، حيث وفقهم لصيام رمضان ، ثم جعل عيد الفطر منحة وفرحا وسرورا للمؤمنين .

وفي عيد الفطر يتبادل المسلمون التهاني والزيارات دعما لرابطة الاخوة، وتقوية لأواصر المودة بين المسلمين حتى يعودوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

الحج

شعار الوحدة والعزة

قال تعالى : «والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين» .

الحج ركن من أركان الاسلام وفريضة من فرائض الدين فرضه الله على كل مسلم قادر على الحج اذا وجد السبيل اليه .
والحج مؤتمر اسلامي عام يجتمع فيه المسلمون من شتى بقاع الارض، فيتدارسون شئونهم ، ويناقشون أمورهم ويعملون على رفعة شأنهم وتحسين أوضاعهم ، والحج عبادة ونسك وتجرد من موانق الدنيا .

ومناسك الحج في حقيقتها تثبت دعائم الدين وتقوى عقيدة الاسلام في نفس المسلم .

يبدأ الحاج عمله باخلاص النية ويتجهز لهذه الرحلة بطهارة القلب والتجرد من الرياء ثم يقول اللهم اني أريد الحج والعمره فيسرهما لى وتقبلهما منى ، ويلبس ثياب الاحرام ويكثر من التلبية ومن ذكر الله سبحانه وتعالى .

مناسك الحج

الطواف :

اذا رأى المؤمن البست الحرام هلال وكبر وقال : اللهم زد بيتك هذا شريفا وتعظيما وتكريما ، ثم يبدأ الطواف حول البيت سبع مرات .

قال تعالى : «وليطوفوا بالبيت العتيق» .

ويبدأ الطواف من عند الحجر الاسود ، ويقبله ان استطاع او يشير اليه بيده ان لم يستطع ، ثم يفف عند الملتزم وهو مكان التزم الله فيه اجابة الدعاء بجوار باب الكعبة فيتشبث بأستار الكعبة ويلصق وجهه بالكعبة ويلحف في الدعاء قائلا : اللهم ان لكل ضيف قرى ولكل قادر تحية فاجمل قرانا منك مغفرة ذنوبنا وستر عيوبنا ، ويكمل الطواف حول البيت سبع مرات ويكثر من الدعاء لله في كل مرة فانه من أرحم أمانين القبول .

وبعد الطواف يصلى ركعتين في مقام ابراهيم عليه السلام ، قال تعالى : « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » .

ويشرب من ماء زمزم ، فماء زمزم لما شرب له . . ان شربته تستشفى
شعائك الله ، وان شربته للغنى أغناك الله . ثم يسعى بين الصفا والمروة سبعة
أشواط يبدأ بالصفا ويختم بالمروة وعليه أن يقف على جبل الصفا ويستعمل
البيت وينظر اليه ويقول : الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،
له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله وحده صدق
وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده . .

ثم يذهب الى المروة ويعود الى الصفا الى أن يتم سبع مرات ، قال
تعالى : « **ان الصفا والمروة من شعائر الله** » ، ثم يقص شيئاً من شعره وبذلك
تتم العمرة . ويتحلل من الاحرام ويلبس ملابس العادية ويظل بمكة الى يوم
التروية وهو يوم الثامن من ذي الحجة . فيحرم بالحج ويعمل أعمال الحج
وهي الذهاب الى منى والمبيت بها ، والوقوف بعرفات في اليوم التاسع من
ذي الحجة . ويكثر من الدعاء في ذلك اليوم ويصعد على جبل الرحمة قبيل
الغروب ويدعو الله مبتلوا راجيا فان الله تعالى بباهي ملائكته بالحجيج في
يوم عرفات .

ثم يفيض بعد الغروب الى المزدلفة فيصلي بها المغرب والعشاء جمع
تأخير ، وعندما يمر بالمشعر الحرام يكثر من ذكر الله تعالى ، قال تعالى :
« **فاذا أفضت من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما
هداكم** » .

وفي صبيحة اليوم العاشر من ذي الحجة وهو يوم العيد الاكبر يعمل
أربعة أعمال وهي :

- ١ - رمى جمرة العقبة الاولى بسبع حصيات بعد شروق الشمس .
- ٢ - ذبح الهدى شكراً لله على أداء الحج والعمرة .
- ٣ - الحلق أو التقصير .
- ٤ - زيارة البيت والطواف حوله سبع مرات وهذا هو طواف الافاضة
ويسمى طواف الركن .

وبذلك يتم النسك ويتحلل من الاحرام . ثم يقيم بمنى يومين أو ثلاثة
أيام بعد عيد الأضحى ، يرمى خلالها الجمار رجماً للشيطان ويكثر فيها من
ذكر الله تعالى ودعائه . قال تعالى : **واذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل
في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه لمن اتقى** .

وبعد رمى الجمار بمنى ، يتأهب للسفر من مكة ويطوف بالبيت طواف
الوداع ويبكي أو يتباكى ويسأل الله ألا يجعل ذلك آخر عهده بالبيت .

قال صلى الله عليه وسلم : (الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة) .

وبعد الحج يذهب المؤمن لزيارة المسجد النبوي ثم يزور الروضة
الشريفة مسلماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم في خشوع ومودة ومحبة ،

ويدعو الله عنده ثم يسلم على ابي بكر الصديق وعلى عمر الفاروق ويروى البقيع وبه مدافن الصحابة الاجلاء ويזור معالم المدينة مثل مسجد قباء . وجبل احد . ويصلى في الحرم النبوي ما استطاع . روى البخارى في صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا شدة للرجال الا لثلاثة مساجد : مسجدي هذا ، والمسجد الحرام بمكة ، والمسجد الاقصى بالشام) .

الحج رمز الوحدة :

لقد اراد الله لهذه الامة ان تكون خير امه اخرج للناس ، فأمرها بوحدة الصف ووحدة الهدف وتماسك المشاعر وورابطها وحشها على التعاون والتراحم والتعاطف ، وشرع لها من العبادات والمناسك ما يجعل هذا الترابط حقيقة عملية وسلوكا فعليا ، فالصلاة التفاف حول قبلة واحدة ووراء امام واحد ومناجاة لرب واحد .

والزكاة تراحم وتعاطف وتكافل وتماسك وعطاء من الاغنياء ومودة ومحبة من الفقراء .

والصيام وحدة في الشعور وامساك عن الطعام امتثالا لأمر الله . والحج تلبية مقصودة وندوة مجتمعة من بقاع الارض المتعددة امتثالا لله الواحد الاحد الفرد الصمد ، وشهادة بأنه الاله المسحق للعبادة وأنه صاحب الحمد والملة وفي الحج بجوار وتجاوز وتلاق بين المسلمين من كل مكان حول الكعبة وحول الصفا والمروة وحول البيت العتيق يدعون ربا واحدا ويلتفون حول قبلة واحدة ويتناقشون فيما يعود عليهم بالنفع ، وعلى أمتهم بالخير والنصر .

لقد كانت احداث العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ هـ الموافق السادس من اكتوبر ١٩٧٣ م نموذجا عمليا لوحدة الامة فما أن أذن المؤذن حي على الجهاد حتى عبرت القناة وحطمت حصون الطفافة وتقدم الجنود وظهر الفداء ونزل نصر السماء .

وعرف الصديق في وقت الضيق فكان العرب المؤمنون يدا واحدة وصفا واحدا وشعورا واحدا يحسون أن المعركة معركتهم وأن القتال قتالهم وأن العدو عدوهم .

وتجاوب العرب المؤمنون من المحيط الى الخليج وتسابقوا الى مساندة المجاهدين ودعم المقاتلين وظهرت وحدة العرب لأول مرة في التاريخ الحديث قوة عملية وصورة ايجابية تنفع الاصدقاء ونضر الاعداء :

فان لم تستطع نفعا فاضر فانما يرجى الفتى كما يضر وينفعا ان مصر كنانة الله في أرضه وهى قلب العروبة النابض لقد حباها الله بالماضى العريق والتاريخ المجيد والقيادة المؤمنة الواعية وهى الآن نسير في جهادها وتصنع أمجادها وتعرف طريقها وتندم صفوفها وتقوى جيشها ، وتؤازر اخوتها مع جاراتها ، فالوحدة قوة ورباط وعون في النعماء والبأساء . وهى السبيل الوحيد الى العزة والنصر ، والطريق الامثل الى القوة

والسيادة ، والله يقول في كتابه (ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون) الانبياء ٩٢ .

ايها الحجاج بحية حالصه . ودعاء ضارعا ان يكون الحج في هذا العام رمزا عمليا للوحدة والعوة وطريقا فعليا لامجاد الاسلام ونصر المجاهدين ، وصدق الله العظيم . (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) .

ايها المؤمنون :

يد الله مع الجماعة وعناية الله مع المسفين ، وبصر الله للمجاهدين وبركة الله للغزاة والحجاج والمقاتلين :

(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع الحسنيين) .

حجة الرسول صلى الله عليه وسلم

الحج ركن من اركان الاسلام وشعبه من شعائره ، يجمع المسلمون من كل فج عميق من شتى بقاع الارض ، ويفدون الى بيت الله الحرم معظمين سعائره مكبرين مهللين طائفين بالبيت العتيق ، ساعين بين الصفا والمروة ، واقفين على عرفات في يوم واحد وفي وقت واحد يصطف الجميع داعين مكبرين متبتلين ، ويباهى الله ملائكته بالحجيج يوم عرفات فيقول : ياملائكتي انظروا الى عبادي اتوني شعنا غربا من كل فج عميق يسألون رحمتي ولم يروني ويتعوذون من عذابي ولم يروني ، أشهدكم ياملائكتي اني قد غفرت لهم .

حكمة الحج :

الحج مؤتمر اسلامي عام ، وسياحة دينية روحية بدأت من زمن بعيد لم تكن فيه الدنيا تقدر فضل السياحة .

وفي الحج يتعارف المسلمون ببعضهم ويقفون على مشاكل اخوانهم ، فهو وسيلة من وسائل الترابط والتعاون والتآلف ، ترى المسلمين قد قدموا من كل مكان : من تونس والجزائر ومراكش ، من ليبيا ومصر والسودان والحبشة وكل امريقيا ، من الشام والعراق والكويت ، من الهند وباكستان وتايلند ، من الفلبين واندونيسيا والملايو ، من أوروبا وأمريكا والبرازيل . من كل هذه البلاد وغيرها بتوافد المسلمون بالسنة مختلفة والأوان مختلفة ، ولكنهم يناجون رباً واحداً ويحجون الى قبلة واحدة ويؤمنون بدين واحد وكتاب واحد ونبي واحد وهدف واحد . (ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون) .

قد وحد بينهم مظهر واحد يستوى فيه الغنى والفقير والكبير والصغير ، وقد سوى بينهم قصد مشترك ودعاء موحد وتلبية لله واستجابة لندائه فحجهم الجميع قائلين : (لسك اللهم ليك ، لبك لاشريك لك ليك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) .

حجة الرسول صلى الله عليه وسلم :

عزم الرسول صلى الله عليه وسلم على الحج ليؤدي الفريضة وليبين للناس مناسك الحج والعمرة ، وكان ذلك في ذي القعدة من السنة العاشرة للهجرة .

وما كاد النبا يذيع في الآفاق حتى توافد الناس الى المدينة استعدادا لنيل شرف الصحبة في هذه الحجة العظيمة .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس من المدينة في اواخر ذي القعدة فنزل بذي الحليفة وصلى فيها العصر ركعتين وأحرم منها ثم رفع صوته بالتكبير والتلبية .

في مكة :

سار صلى الله عليه وسلم حتى دخل المسجد الحرام من باب عبد مناف ، الذي يسمى اليوم باب بنى شيبه ، فلما رأى الكعبة رفع يديه وكبر وقال : اللهم أنت السلام ومنك السلام واليك يعود السلام ، حينا ربنا بالسلام وادخلنا الجنة بسلام اللهم زد بيتك هذا تشريفا وتعظيما ومهابة وتكريما .

الطواف بالبيت :

قصد صلى الله عليه وسلم الحجر الأسود فاستلمه ولم يزاحم عليه ودعا الله عنده ثم بدأ طوافه .

وابتدا الطواف من عند الحجر الأسود جاعلا الكعبة عن يساره وطاف سبعة أشواط مهرولا في الثلاثة الأولى منها . ثم صلى في مقام إبراهيم وقرا قوله تعالى (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) .

السعي بين الصفا والمروة :

ثم رقى الصفا حتى رأى البيت فاستقبله ، وقال ثلاث مرات : لا اله الا الله والله أكبر ، لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا اله الا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده .

وسعى صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة سبعة أشواط مبتدئا بالصفا ومنتها بالمروة .

ولم يسع صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة في حجته غير سعيه هذا .

يوم التروية :

لما كان يوم التروية - وهو يوم الثامن من ذي الحجة - أهل الناس جميعا بالحج وأحرم كل من كان قد أحل ، وسار صلى الله عليه وسلم بالحجيج ضحى الى منى وبات بمنى ليلة التاسع من ذي الحجة وصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح وبقى بها حتى طلعت الشمس .

الوقوف بعرفات :

بعد طلوع الشمس يوم التاسع سار صلى الله عليه وسلم الى عرفات والناس حوله يكبرون ويلبسون فلا يكر على احد منهم ، وسزل في مكان قريب من عرفه اعد له بنمرة .

ولما انصف النهار حط على راحلته خطبه حالده بين فيها للناس انتهاء عهد الترك وفساد أعمال الجاهلية وقرر حرمة الدماء والأموال والأعراس واسقط الربا وأوصى بالنساء خيرا . وبعد انتهاء خطبته أمر بلال فأذّر وأقام الصلاة وصلى بالناس الظهر والعصر وجمع بينهما وقصر الصلاة من أجل السهر ثم ركب واني الموقف وقال الناس وقفت ها هنا وعرفة كلها موقف ، وحير الدعاء يوم عرفة وخير ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير .

ثم استقبل القبلة ورفع يديه الى صدره كما يستطعم المسكين ودعا ويضع الى غروب الشمس .

الإفاضة الى مزدلفة :

ولما غربت الشمس واستحكم غروبها بدهاب الصفرة يوم عرفة أفاض من عرفة الى مزدلفة ، وتسمى جمعا ، ولما وصل الى المزدلفة صلى المغرب والعشاء وجمع بينهما جمع تأخير ولم يصل بينهما شيئا .

ونام صلى الله عليه وسلم بمزدلفة حتى طلع فجر يوم النحر وهو يوم الحج الأكبر ، فصلى الصبح بأذان وإقامة ، ثم ركب فأتى المشعر الحرام - وهو جبل يسمى قروح - فاستقبل القبلة وهلل وكبر ودعا حتى قرب طلوع الشمس وقال : وقفت ها هنا والمزدلفة كلها موقف .

الإفاضة الى منى :

سار صلى الله عليه وسلم من مزدلفة الى منى ملبيا ، وبعد شروق الشمس توجه الى حمزة العقبة ورماها بسبع حصيات واحدة بعد واحدة ، مكبرا عند رمي كل حصاة .

ثم ذهب صلى الله عليه وسلم الى المنحر فنحر بلالا وستين بدنة بعدد سني عمره ، ثم أمر عليا أن ينحر مابقى من المائة وقال : نحرنا ها هنا ومنى كلها منحر وفجاج مكة طريق ومنحر فانحروا في رحالكم . ثم دعا صلى الله عليه وسلم بالحلاق فحلق شعره .

طواف الإفاضة

في يوم النحر رأينا أن النبي صلى الله عليه وسلم عمل ثلاثة أعمال هي :

- ١ - رمي جمرة العقبة .
- ٢ - ذبح الهدى .
- ٣ - حلق الشعر .

ثم أفاض صلى الله عليه وسلم من منى الى مكة قبل ظهر يوم العيد الأكبر فطاف بالبيت طواف الأفاضة وهو طواف الركن ، ويسمى طواف الزيارة . ثم صلى ركعتين في مقام إبراهيم ، ثم شرب من ماء زمزم ، ثم عاد الى منى فصلى بها صلاة الظهر وخطب الناس بعد الظهر خطبة جامعة جاء فيها :

(ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا) .

وأمر الناس ان يأخذوا عنه مناسكهم .

رمى الجمار :

لما انتصف النهار ثاني أيام العيد ذهب الى الجمار ماشيا فرمى الجمرات الثلاث الصغرى والوسطى والكبرى ، ثم كرر الرمي في اليوم الثالث والرابع من أيام العيد .

طواف الوداع :

ذهب صلى الله عليه وسلم الى مكة فطاف بالبيت طواف الوداع ، ثم عاد الى المدينة المنورة ، ولما رأى المدينة كبر ثلاثا وقال : (لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، آيبن تأيبن عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده) .

وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ثواب الحج والعمرة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة) .

رواه مالك والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى (١)

العمرة لغة الزيارة ، واعتمر البيت زاره
وشرعا قصد البيت على كيفية خاصة .

(العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما) أى لما يقع بينهما من السيئات وهذا ظاهر في فضيلة العمرة وانها مكفرة للخطايا الواقعة بين العمريين .

(١) أنظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى حرف العين وفيه رواه البخارى في كتاب العمرة ومسلم في كتاب الحج والترمذى في كتاب الحج والنسائى في كتاب مناسك الحج وابن ماجه في كتاب مناسك الحج وأحمد بن حنبل في الجزء الثانى حديث رقم ٢٤٦ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، والجزء الثالث حديث رقم ٤٤٧ .

واحتج به الجمهور وكثير من اصحاب مالك على جواز تكرير العمرة في السنة الواحدة ، وكرهه لأنه صلى الله عليه وسلم اعتمر خمس عمرات كل واحدة في سنة مع تمكنه من التكرير ، وقال آخرون لا يعتبر في شهر اكر من مرة واحدة (١) .

وجميع السنة وقت للعمرة فتصح في كل وقت منها الا في حق من هو متلبس بالحج فلا يصح اعتماره حتى يفرغ من الحج .

واختلف العلماء في وجوب العمرة فمذهب الشافعي والجمهور انها واجبة وممن قال به عمر وابن عمر وابن عباس وطاوس وعطاء وابن المسيب وسعيد بن جبير والحسن البصري ومسروق وابن سيرين والشعبي وأبو بردة ابن أبي موسى ، وعبد الله بن شداد والثوري وأحمد وإسحاق وأبو عبيدة وداود وقال مالك وأبو حنيفة وأبو ثور هي سنة وليست واجبة (٢) .

الفرق بين الحج والعمرة :

يجب للعمرة ما يجب للحج ، وكذلك يسن لها ما يسن له ، وبالجمله فهي كالحج في الاحرام والفرائض والواجبات والسنن والمحرمات . والمكروهات والمفاسدات والاحصار وغير ذلك ولكنها تخالفه في خمسة أمور وهي :

١ - الحج فرض عند الجميع مرة في العمر ، والعمرة سنة مؤكدة عند الحنفية والمالكية . وفرض عند الشافعية والحنابلة .

٢ - الحج له وقت معين يؤدي فيه من السنة وهو شوال وذو القعدة وذو الحجة أما العمرة فتؤدي في أي وقت من أوقات السنة وتؤكد في رمضان للحديث : (عمرة في رمضان تعدل حجة) .

٣ - ليس في العمرة وقوف بعرفة ولا نزول بمزدلفة ولا رمي جمار ، ولا جمع بين صلاتين ولا طواف قدوم ولا خطبه .

٤ - ميقات العمرة الحل لجميع الناس ، وميقات الحج للمكي الحرم .

٥ - افعال العمرة أربعة هي :

الاحرام من الميقات ، الطواف بالبيت ، السعي بين الصفا والمروة ، التحلل من الاحرام بالحلق أو التقصير .

وافعال الحج عشرة هي :

الاحرام من الميقات ، الطواف بالبيت عند القدوم ، السعي بين الصفا والمروة ، الوقوف بعرفة ، المبيت بالمزدلفة ليلة النحر ، المبيت بمنى في الليلة التالية ، رمي الجمار ٤٩ حصاة أو ٧٠ حصاة ، ذبح الهدى لمن عليه هدى ، التحلل من الاحرام ، طواف الافاضة .

(١) صحيح مسلم بشرح الامامين الأبي والسنوسي . الجزء الثالث . فصل العمرة .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٩ ص ١١٨ .

(والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة) .

الحج المبرور هو الذى لا يخالطه اثم مأخوذ من البر وهو الطاعة وقيل هو المقبول ومن علامة القبول ان يرجع خيرا مما كان ولا يعاود المعاصى . وقيل هو الذى لا رياء فيه .

والحج المقبول هو ما كان على طريقة الرسول وهدية معصودا به وجه الله بعيدا عن الرياء وثواب الحج المقبول تكفير السيئات ورفع الدرجات ودخول الجنة كما فى هذا الحديث (والحج المبرور لبس له جزاء الا الجنة) .

ومن علامات الحج المقبول أن يلتزم طاعة الله وإن يبتعد عن الرفث والفسوق قال صلى الله عليه وسلم (من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه) .

قال الجمهور الرفث هو الجماع وقال الأزهرى هى كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة . وإما الفسوق فهو المعصية ومعنى كيوم ولدته أمه أى بغير ذنب .

والحج ركن من أركان الاسلام وشعيرة من شعائره فيه يجتمع المسلمون من سائر البلاد فيعظمون البيت الحرام ويتبادلون الراى والمنافع ويعظمون الشعائر ويؤدون المناسك .

والحج وسيلة عملية من وسائل جمع الكلمة وتوحيد الصف وترابط المسلمين وتعاونهم وتساندهم حتى تقوى رابطتهم ويجتمع امرهم .

(٢١)

الآداب الاجتماعية

اليتيم

تكررت وصايا القرآن بالعناية باليتيم ، الذي فغد أباه ، ففقد بفغده السند الحامى ومصدر العطف والحنان والرعاية والرحمة الحققة ، فمن واجب المجتمع أن يسهم فى رعاية اليتيم حتى ينشأ عضوا نافعا فيه ، ومن واجب الأوصياء أن يتقوا الله فيما تحت أيديهم ويعلموا أن الأيام وأن الدهر قلب ، فكما يخافون على ابنائهم وفلذة أكبادهم من الإهمال والتضييع فليخافوا على اليتامى وليحسنوا رعايتهم . قال تعالى (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً) النساء ٩ .

وقد نشأ النبى صلى الله عليه وسلم يتيماً ، اذ مات أبوه عبد الله وهو جنين فى بطن أمه فكفله جده عبد المطلب ثم عمه أبو طالب . وكان النبى شديد الوفاء لهما ، لم طلب من عمه أن يعطيه ابنه علياً ، فرباه أحسن تربية ونشأه أحسن تنشئة ، فى بيت النبوة ومشكاة الدعوة . وكان أول من آمن من الصبيان ، هو الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وقد ورد فى الهدى النبوى الشئ الكثير من العدة برفع الدرجات فيما يختص بكفالة اليتيم ، والقيام بحقه وواجبه وحسب من كفل اليتيم ورعاه وقام بوصايا الله فيه ، أن يكون مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الجنة صاحباً وقرباً ، يتمتع بما فيها من النعيم ، كما تمتع اليتيم برعايته وحسن معاملته والإشراف عليه . قال صلى الله عليه وسلم « من عال ثلاثة من الأيتام كان كمن قام ليلة وصام نهاره وعدا وراح شاهراً سيفه فى سبيل الله ، وكنت أنا وهو فى الجنة إخوان ، كما أن هاتين أختان (والصق السبابة بالوسطى) » . والبست الذى يكرم اليتيم ويحفظ ماله وبرعى حقه بيت فاضل كرم ، قال صلى الله عليه وسلم « خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه ، وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم ساء إليه » .

أما هذه الأم التي مات زوجها وترك لها إبتاماً فشقيت في سبيل تربيتهم والمحافظة عليهم ، أما هذه السيدة فحسبها مكانة عند الله قول الرسول عليه الصلاة والسلام : «أنا وأمرأة سفهاء الخدين مات عنها زوجها وترك لها صبية صفاراً فحبست نفسها عليهم حتى استغنوا عنها ، أنا وهى كهاتين يوم القيامة » وأشار بالسبابة مع الوسطى ، يريد أنها بجانبه في الجنة لايفصل بينهما شيء .

أيها الأخ المؤمن ، ان القرآن المكي والمدني قد حث على رعاية اليتيم وإكرامه قال تعالى في سورة الضحى (ألم يجعلك يتيماً فأوى) . ثم يقول : (فاما اليتيم فلا تقهر ، واما السائل فلا تنهر ، واما بنعمة ربك فحدث) .

وقال سبحانه : (أرايت الذى يكذب بالدين ، فذلك الذى يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين) . وقال عز سأنه : (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هى احسن ، حتى يبلغ أشده) وكل هذه آيات مكية ، نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل هجرته الى المدينة . وفي المدينة المنورة تخرج المسلمون عن مخالطة اليتيم خوفاً من أن يقرّبوا ماله ، وسألوا رسول الله من طريقة رعايتهم اليتيم ، ولابد لهم من مخالطته وتشمير ماله ، فأنزل الله عز وجل قوله (ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فآخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح) فافهمهم أن المخالطة مع العدل والاصلاح من مقتضى ما بينهم من الاخوة الانسانية والدينية والرحم .

ثم جاءت سورة النساء وبرزت فيها عناية خاصة باليتيم في شأنه كله، ومهدت لهذه العناية بطلب تقوى الله والارحام وبيان أن الناس خلقوا من نفس واحدة ، فاليتيم حتى ولو كان من غير أسرته فهو أخوكم ورحمكم فقموا له بحق الاخوة وحق الرحم واحفظوا أمواله وهذبوا نفسه واحلّوا أعماله والقاء حبلة على غاربه . وفي ذلك يقول الله تعالى : (وآتوا اليتامى أموالهم ولا تبسّلوا الخبيث بالطيب ، ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوباً كبيراً) . ويقول سبحانه (وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح ، فان آنستم منهم رشداً فادفعوا اليهم أموالهم ولا تأكلوها أسرافاً ، وبناراً أن يكبروا . ومن كان غنياً فليستغفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف . فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى الله حسيباً) .

« انا لانفيع اجر من احسن عملاً »

يقول الله تعالى في كتابه الكريم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانفيع اجر من احسن عملاً) .

قرن الله الايمان بالعمل الصالح وبين ان الانسان مجزى بعمله ومحاسب على سعيه (وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى) وليس الايمان دعوى باللسان بل هو تصديق بالجنان وعمل في مرضاة الرحمن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليس الايمان بالتمنى ولكن ماوقر في القلب وصدقه العمل الا وان اقواماً غرّتهم الامانى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا على الله لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل) .

وقد حارب الاسلام اللهو والترف والخمول والكسل ، لانها ادواء اجتماعية ، وامراض تهدم بناء الدولة ، وتحطم النفوس وتفرى بالجريمة .
قال تعالى :

(واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين) وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم (اللهم انى اعوذ بك من الهم والحزن ، واعوذ بك من العجز والكسل ، واعوذ بك من الجبن والبخل ، واعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرحال) . ومن دعائه ايضا :

(اللهم انى اعوذ بك من الكمر والعمر) ، وهذا الدعاء النبوى يرسم للامه طريق الهدى والعمره والقوة ، ويجنبها مظاهر الضعف فى الراى والوهن فى العزيمة ، والفقر فى السعى ، والدلة فى الحياه ، فالؤمن القوى خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف ، وان القوة كل القوة فى احترام انسانية الانسان ، والمحافظة على ماء وجهه ان يراى ، وعلى عزة ايمانه ان تدل ، وعلى قوة يفينه ان يمن ، وان تكون للانسان قوة الا اذا اعتمد على سعيه وعمله وكده ونعمه فأصبح عضوا عاملا ، رخليه مثمرة ولينة متممة لبناء أمته ، وتلقيم وطنه ، قال عليه افضل الصلاه والسلام (لان يأخذ احدكم حبله فيأتى بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه) . وقال ايضا :

(ما اكل احدكم طعاما خيرا من ان ياكل من عمل يده ، وان نبى الله داود كان ياكل من عمل يده) .

أيها المؤمنون لم تضيق الاسلام من حدود النشاط الاسلامى ولم يصغر من معانيه بل وسعها وكبرها ونرك لها الحدود الفسيحة فقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع أصحابه يوما فنظروا الى سائب ذى جلد وقوة وقد نكر لسعى ، فقالوا ويح هذا لو كان شبابه وجلده فى سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لانتقلوا هذا فان كان خرج ليسعى على ولده صفارا فهو فى سبيل الله وان كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله وان كان خرج يسعى على نفسه يعفها عن المسألة فهو فى سبيل الله وان كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان) .

وقد حث عليه الصلاة والسلام على العمل والسعى واكل القوت من عرق الجبين وكد اليمين فان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الصوم ولا الصلاة ولكن بكفرها طلب القوت من حلال .

وقد جلس عليه الصلاة والسلام مع أصحابه فجعلوا بنتون على رجل فقالوا ان فلانا يصوم النهار ويقوم الليل ويكثر الذكر فقال انكم يكفهم طعامه وشرابه فقالوا كلنا فقال كلكم خير منه ، سمع أصحابه ذلك فاندفعوا يعملون وينشطون حتى قرن الله التجار منهم بالمجاهدين فى سبيل الله قال تعالى **(وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله)** فهل هناك شرف للعاملين وراء هذا الشرف العظيم .

وقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه مثالا للنشاط الاسلامى ، فلم يقعد مكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن يضرب فى الأرض وينمى

تجاره لانه يرى في ذلك تنمية لموارد المجتمع الذي يعيش فيه وقد بلغ ماله أربعين ألف دينار فكان يعتق من هذا المال المستضعفين وكان يعمل فقراء المسلمين ، لقد غرس الاسلام في اتباعه السخاء والبذل وجعلهم يجودون بأرواحهم فكيف بأموالهم ؟

وتكافل المسلمون في الرخاء والشدة والعسر والبسر ، وكان عطف الغنى على الفقير ورحمة القوى للضعيف آية من آيات سمو هذا الدين وأثره في نفوس المسلمين واستجابتهم لتعاليمه .

تاجر عبد الرحمن بن عوف فأنرى في الاسلام براء ضخما حتى قدم له مرة سعمائة بعير تحمل البر والدقيق والطعام فلما دخلت المدينة سمع لها ضجة وبلغ عبد الرحمن حاجة أهل المدينة فقال العير وما عليها في سبيل الله .

وروى ابن عباس ان الناس قحطوا في عهد أبي بكر وقدمت لعثمان بن عفان ألف راحلة تحمل برا وطعاما .

فعدا التجار على عثمان فقرعوا عليه الباب فخرج اليهم فقال ما تريدون؟ قالوا معنا ما عندك ، حتى نوسع به على فقراء المدينة ، فقال لهم ادخلوا - فدخلوا - فاذا ألف وقر قد صب في دار عثمان فقال لهم كم ترجونني على شرائي من الشام قالوا العشرة اثني عشر .

قال عثمان لقد زادوني قالوا العشرة أربعة عشر قال لقد زادوني قالوا العشرة خمسة عشر قال لقد زادوني قالوا من زادك ونحن نجار المدينة قال لقد زادني الله لكل درهم عشرة (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) قالوا لانقدر على ذلك قال عثمان فاشهدكم معشر التجار انها صدقة على فقراء المدينة - ذلك نأ عن خلق الرجل المسلم الذي أيده الله بنصره وأعزه بمعونه ولعل في ذلك بلاغا لمن كان له قلب ولعل في الماضي أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا .

عناية الاسلام بالأسرة

يقول الله تعالى في كتابه الكريم

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا) .

أيها المسلمون خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وأسكنه فسح جنته قال تعالى :

(واذا قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)

وحلق الله حواء من آدم لتؤسس وحدته ويكون له موده ورحمه وأمنيا
وسكننا قال تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها
وجعل بينكم مودة ورحمة) .

وفد حث القرآن الكريم على العناية بالاسرة والمحافظة عليها لانها اللبنة
الأولى في بناء المجتمع والاساس السليم للامنة القوية ، فاذا قويت روابط
الالمة والمودة بين الزوجين وإبنائهما تم بين الاقارب وأولى الارحام زادت
أواصر التعاون والتساند في المجتمع وأصبح المؤمنون صفا واحدا كالبنين
المرصوص ، لذلك حض الاسلام على الزواج لأنه الوسيلة السليمة لبناء
الاسرة ، واشباع العاطفة ، وامتناع النفس ، قال صلى الله عليه وسلم :

(الدنيا متاع ، وخير ماعها المراه الصالحة ، أن نظر لها زوجها سرته
وان امرها اطاعه ، وان غاب عنها حفظته ، في عرضه وماله) .

وأوصى الرسول عليه الصلاة والسلام باختيار الزوجة كريمة الخلق
فاضلة النفس حميدة السيرة لانها سريكة لزوجها وأم لأولاده وأمنه على بنيه
وعرضه وسره .

قال صلى الله عليه وسلم (تخبروا لنطفكم فان العرق دساس)
كما حذرنا من المراه السوء حميلة المظهر سيئة المخبر فقال (اياكم
وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن يارسول الله ؟ قال المراه الحسناء في
المنبت السوء) .

أيها المسلمون

ان عنانه الاسلام بالاسرة فاقب كل عناية فعد احكم الله تشريعها وفصل
حقوقها ووضع لها النظام السليم الذي يكفيها شر الخلل والخطأ ويجنبها
العثار والزلل .

بين الله حقوق الزوجين في كتابه العزيز فامر الزوج أن يعطى زوجته
المهر والصداف دليلا على صدقه في رغبته وجده في طلبه وبرهانا على قدره
على النفقة والقيام بحقوق الزوجية قال تعالى : (وآتوا النساء صدقاتهن
نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا) .

وليس المهر منا للزوجة ولا شراء لها وليس في ارتفاع المهر ارتفاع لقيمة
الزوجة ولا في قلة المهر دليل على قلة شأنها لأن الزواج تعاون وتساند
واشتراك في خير عمل الا وهو بناء أسرة وتكوين منزل وتربية النشء عماد
المستقبل وكنز الامة .

ومهر المراه الحقيقي هو خلق الزوج الكرم وانسانيته وعطفه المستمر ،
وهديه الرجل من زوجته هو فضيلة نفسها ، لا كثرة مالها ولذلك ورد في
الحديث الشريف (أخفهن مهورا أكثرهن بركة) .

لقد أوجب الله على الزوج أن ينفق على زوجته حسب طاقته ويساره
قال تعالى :

(فينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله
لا يكلف الله نفسا الا ما آتاه سيجعل الله بعد عسر يسرا) .

فالحل والتسح في النفقة جور وظلم (ومن يوق شح نفسه فاولئك هم
المفلحون) .

والاسراف في النفقة والسطلع الى ملابس الآخرين وريشهم وتفليدهم في
البدخ والتترف والمأكل والملبس يرهق ميزانية الاسره ويعرضها للتمزق
والانحراف .

قال تعالى (ولا تمنن عينيك الى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة
الدنيا لنفتنهم فيه ووزق ربك خير وأبقى) .
وقال سبحانه

(ولا تبذر تبذيراً ان المبشرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه
كفوراً) . سورة الاسراء ٢٦ ، ٢٧

العشرة بالمعروف

يقول الله تعالى في كتابه الكريم (ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجاً
لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة)

خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه . وخلق حواء من آدم لتكون له
سكناً وامناً وهدوءاً وراحة وواجب على الرجل حقوقاً لزوجته هي الصداق
والنفقة والعشرة بالمعروف قال تعالى (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) وقال
سبحانه (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله
لا يكلف الله نفساً الا ما آتاهما سيجعل الله بعد عسر يسراً) ٧ - الطلاق .

واوجب على المرأة حقوقاً لزوجها هي طاعة الزوج ، وحفظ سره ،
وماله وعرضه ، قال تعالى (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم
على بعض وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما
حفظ الله) ٣٤ - النساء .

وليس في قوامة الرجل على المرأة مهانة لها ولا احتقار لشأنها وانما
مرد ذلك الى التوزيع الوظيفي لا الى التفضيل النوعي .

وقد أمر الله الرجل بحسن العشرة والعفو والصنع والمغفرة قال تعالى :
(وعاشروهن بالمعروف) (وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور
رحيم) .

وبذلك تقوم الحياة الزوجية على اساس متين من التضحية والفداء
وتكران الذات والعمل في سبيل المجموع كما يقول السيد المسيح عليه السلام
(من يفقد نفسه بجدها) أي من يضح بنفسه في سبيل الحق فانه يثبت
وجوده حقاً .

ان طاعة الزوج لزوجها ليس معناه فناءها أو الفناء وجودها بل ان
فناءها في زوجها هو عين وجودها .

إذا رأيت المزوجة المطمعة لزوجها فأنك شاهد جمال الطبيعة الحاضرة
لنواميس الحياة وقوانينها .

لأن للزوج وظيفة وللزوجة وظيفة فإذا انضم العملان سارت سفينة
الحياة أشبه بسلكي الكهرباء أحدهما سالب والآخر موجب ولا غنى لأحدهما
عن الآخر ولا فائدة لأحدهما بدون الآخر .

قال صلى الله عليه وسلم (الدنيا متاع وخير متاعها الزوجة الصالحة ان
نظر إليها زوجها سره وان أمرها أطاعته وان غاب عنها حفظته في ماله
وعرضه) .

ولنستمع الى أسماء بنت زبد الانصارية النى لفتت بخطبة نساء العرب
ورسولهن الى محمد صلى الله عليه وسلم .

وقفت أسماء عند رسول الله وهو بين أصحابه فقالت (بابي وأمي أنت
يا رسول الله) أنا وأمه النساء لك ، ان الله عز وجل بعثك الى الرجال
والنساء كافة فأمننا بك وبأهلك انا معتر النساء محصورات مقصورات ، قواعد
بيوتكم ، وحاملات أولادكم وانكم معتر الرجال فضلتن علينا بالجمع والجماعات
وشهود الجنائز والحج بعد الحج وافضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل
وان احدمكم اذا خرج حاجا ، او معتمرا ، او مجاهدا ، حفظنا لكم اموالكم
وغزلنا اثوابكم وربينا لكم اولادكم ، افنشاركم في هذا الاجر والخير ؟ فالتفت
النسئ صلى الله عليه وسلم الى أصحابه بوجه كله ثم قال (هل سمعتم مسألة
امراة قط احسن من مسألتها في امر دنها) فقالوا يا رسول الله ماظننا ان امرأه
تهتدى الى مثل هذا فالتفت النسئ اليها وقال : (اقهى ايتها المرأة . واعلمى من
خلفك من النساء أن حسن نعل المرأة لزوجها يعدل ذلك كله) واخبرت
اسماء نساء العرب ففرحن جميعهن .

نعم اذا فامت الزوجة بواجبها في طاعة الزوج والمحافظة على أسرته
وبربة أولاده والقيام بحقه استحق أفضل المنازل وأعلى الدرجات . وكان
لها عند الله ثواب المجاهدين وأحر المؤمنين . قال تعالى :

(من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة
ولنجزينهم اجرهم باحسن ماكانوا يعملون)

وكما اوجب الاسلام على المرأة حقوقا لزوجها ، اوجب على الرجل ان
يقوم بواجب أسرته من النفقة والكسوة وحسن العشرة والصبر والاحتمال
قال تعالى (وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل
الله فيه خيرا كثيرا) وقال صلى الله عليه وسلم (لايفرك مؤمن مؤمنة ان كره
منها خلقا رضى منها آخر) أى لاينفض الرجل زوجته لخصلة او عيب محتمل
فلعل فيها خلالا كريمة ، لو نظر اليها بعين الرضى لأحتملها وأبقى عليها كما

حرم الدين الطلاق بدون سبب وبين انه ابعض الحلال ، وانه يهنز له عرش الرحمن لان في الطلاق صدع الاسر وشريد الابناء واشاعة للردائل وفصما لمرى ونفها الله ، وابطالا لعقود عقيدات على كتاب الله وسنة رسول الله قال تعالى (وكيف تآخونونه وقد افصى بعضكم الى بعض واخلى منكم ميثاقا غليظا) وقال (ص) (ان الله لا يحب الدواقين ولا الدواقات فاذا تزوجتم فلا تطلقوا) فاتقوا الله في ارحامكم واستوصوا خيرا بازواجكم واولادكم .

قال صلى الله عليه وسلم (خيركم خيركم لاهله وانا خيركم لاهلى)

الاسراف والتقتير

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

(ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) الاسراء ٢٩

بين الله للانسان في هذه الاية اصولا واقام له حدودا ان التزمها هدى الى صراط مستقيم ، وان جاوزها وحاد عنها كان من المعتدين الضالين (تلك حدود الله فلا تمتدوها)

والانسان مفتور على حب المال مفتون به (انما اموالكم واولادكم فتنة) .
والاسلام يكره كثر المال ويعاقب عليه (والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم)
ويحرم البخل والشح فنقول سبحانه (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما اتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا) .

وينهى الاسلام عن الاسراف ويندد بالمبذرين قال تعالى (ولا تسرفوا انه لا يحب المرففين) ، (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا) .

ويأمر بالاعتدال في النفقة والانزان في الصرف وبعد ذلك من محامد المؤمنين (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) .

وقد احل الله لنا الطيبات من الرزق في غير اسراف ولا بطنة واباح الاسمتاع بخيرات الحياة ما ابتعدنا عن الترف والفتنة فقال تعالى (يا بنى آدم خلوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المرففين) (ليس على الذين آمنوا وعلوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعلوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين) .

أيها المسلمون : البخل يفسد خلق صاحبه ويجمد ماله والبخل أناني مشغول بنفسه ومعزول عن مجتمعه يظهر بالفقر ويشكو القلة وينكر المنه ويكفر بالنعمة ، وهذا الصنف من الناس شر مايتلى به المجتمعات ، حيث غلب عليهم المادية والمصالح التحصيلية لا يسهمون في مشروع نافع ولا يشاركون في عمل صالح ، جزاؤهم عند الله أن يدلهم في الدسا بمالهم ولهم في الآخرة عذاب الحريق .

★★★

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إياكم والسح فإنه اهلك من كان قسلكم ، أمرهم بالقطعة فقطعوا ، وأمرهم بالفجور ففجروا) .

كما أن الاسراف انفماس في الحيوانات واسلاخ من الانسانية واقبال على المطالب الفردية ، واهدار لحقوق الجماعة وحظر داهم يهدد حياة المجتمع ، والمسرغون متكالبون على الشهوات منغمسون في اللذات والمنكرات ، فارغون الامن البطالة ، جائعون الامن الطعام والشراب عراة الا من فاخر الشاب ، بنعمون بفقر أمهم ، وبسعدون بشقاء أوطانهم يحبون في فترات الظلام ويتوارون في عصر النور ، ونظفرون وبسبطرون في عهود الضعف ، وسخفنون في عهود القوة .

وقد حارب الاسلام التبذير لانه يودى بالمال ويستنزف الثروة ويوقع صاحبه في مخالف الدين والشقاء .

أما الاقتصاد فإنه يوفر المال ونعم المال الصالح للرجل الصالح والاقتصاد في النفقة نصف المعشة .

وقد نهى القرآن أن تكلف المراه زوجها فوق طاقه او مرهقه من امره عسرا وأمر الزوج أن ينفق على زوجته وأبنائه بحسب مقدرته فلا يبخل ولا يبلر قال تعالى

(لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها ، سيجعل الله بعد عسر يسرا) الطلاق ٧ .

ونهى القرآن عن الغلو في التشبه بالاغنياء والمترفين والتسابق في المظاهر الكاذبة والتطلع الى ما اشتراه غيرك من أثاث ورياش وأمر بالقناعة والاكتفاء بما أعطاك الله قال تعالى (ولاتهن عينيكم الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى)

ولقد كانت النساء في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتين بحليهن وذهن ليجهن به الجيوش ويقمن به صرح الاسلام ، وكانت نساء النبي صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة ، وبذلك صبرن على الشدائد واحتملن المعشة القفار والرزق الكفاف في سمو وسعة الصدر .

ولما جاءت نساء النبی صلی الله علیه وسلم تطلب منه المزيد من النعمة والزينة وقلن يا رسول الله نساء كسرى ومیصر بین الحلی والحلل والاماء والحوول ونسألك على ما نرى من هذه الحال ای فی سُدّه ومسفة وضیق ، سکت رسول الله صلی الله علیه وسلم وتكلم الوحي من السماء بقوله تعالى (يا أيها النبی قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزینتها فتعالین امتنعن واسرحکن سراحا جميلا ، وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظیما) الاحزاب ٢٨ ، ٢٩

وبدا النبی صلی الله علیه وسلم يستشير نساءه وبخیرهن بین الرضا بما عنده او اطلاق سراجهن واعطائهن المتعة والنعمة وبدا بمأشئة وقال لها - أخیرك بین امرین أرجو الا نعطی فی أحدهما قبل ان ننشیری ابویك ، وقرأ لها الآية الكريمة ، فبكت عائشة وقالت أفیک أشاور ابوی يا رسول الله ؟ اخبر الله ورسوله ، وقالت كل نسائه مثل ذلك فعوضهن الله عن ذلك ان سماهن امهات المؤمنین .

(النبی اولی بالمؤمنین من انفسهم وأزواجه امهاتهم وأولو الارحام ببعضهم اولی ببعض فی کتاب الله من المؤمنین المهاجرین الا ان تفصلوا الی اولیائکم معروفًا کان ذلك فی الکتاب مسطورًا) الاحزاب ٦ .

حقوق الانسان فی الاسلام

يقول الله تعالى فی کتابه الکریم

(ولقد کرّمنا بنی آدم وحملناهم فی البر والبحر ورزقناهم من الطیبات وفَضَّلناهم على کثیر ممن خلقنا تفصیلا) الاسراء ٧٠ .

ایها المسلمون تحتل الامم والشعوب کل عام بالذکری الخالدة لاعلان حقوق الانسان وقد کان لديننا الحنیف القدح المعلی فی تقدیس الحقوق والواجبات وللقرآن الکریم فضل السبق فی تکریم انسانية الانسان ونقدیر آدمته .

كما کان لهدی النبی الکریم اثره العملى فی تحریر الانسان واقرار السلام واقامة القسط وتاکید مفاهيم الاخاء والمساواة والحربة والعدالة منذ اربعة عشر قرنا من الزمان .

فقبيل الدعوة الاسلامية كانت الحريات موءودة والحقوق مسلوقة والعدالة مفقودة وكان الظلم والطغیان شریعة الافراد والجماعات ، یفتک القوی بالضعیف ، وبسلب الفادر حق العاجز ويستنزف الغالب دم المفلوب ولما

اشرفت شمس الاسلام اذن الله للعالم أن يستنير بعد الجهالة وأن يهتدى بعد الضلالة وأن يحسب بعد العدوان وأن يتأخى بعد الطغيان وأن يعبد الله لا شريك له ونزل القرآن الكريم فايظن الانسان واحبا ضميره وخط للحياة مثلاً رفيعة واخرج الناس من الظلمات الى النور (كتاب انزالنا اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد) ابراهيم :

ولقد كان نزول هذا الكتاب العزيز حدنا تاريخيا عالميا ففد نزل للحرير الانسانى العام حرر الفرد من الخرافات والاهام ، وحرر الجماعة من الدل والهوان ، وحرر البشرية من الفوضى والطغيان ، ووضع حدا فاصلا بين عهود بميضة من الهمجة والظلام وعصور كريمة سمتها النور والايمان . (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمؤمنين)

ايها المسلمون بين البشرية رحم عامة يجب أن نوصل وقربى متينة يجب أن نحترم ، وصلاة من صنع الله الذى خلق كل شيء فالتناس جميعا انشاء رجل واحد تشابهوا فى الخلقة واتفقوا فى المبدأ واتحدوا فى المنتهى والى الله يرجعون .

وقد دعا القرآن الكريم الناس الى وحدة انسانيه عامة لنظمهم فى مشارق الارض ومغاربها وبسم خرها اقصاهم وادناهم وحدة تقوم على الاخوة العامة - والزمالة الانسانية المشتركة قال تعالى (ياايها الناس انا خلقناكم من ذكرنا وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) (الحجرات - ١٣) .

وهذه الوحدة الانسانية يستوى فيها الناس فى الحقوق والواجبات ويستوى فيها الفنى والفقر والقريب والبعيد وحدة لا تقيم وزنا للعنصريات والاجناس ، والطبقات والالوان ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطبته فى حجة الوداع (ايها الناس ان ربكم واحد وان اباكم واحد كلكم لادم وادم من نراب ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم لس لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضل الا بالتقوى) .

وقد حقق رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحدة بين المسلمين وربط بين قلوبهم حتى أصبحوا أسرة واحدة تتكافأ دماؤهم ويسمى بدمهم أدناهم ويأخذ القوى بيد الضعيف ، يرشده اذا غوى وبهديه اذا ضل. وينصره اذا ظلم ويحفظه فى ماله وعرضه ، قال تعالى (انما المؤمنون اخوة) وقال صلى الله عليه وسلم (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلّمه) ، وقد كان العدل بين الناس من أهم ماقرره الاسلام حفظا لنظام المجتمع البشرى ، قال تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) ٩٠ النحل . والعدل هو قانون الله الذى شرعه

لرسوله لايأخذ البشريه من ظلمات البغى والجهل والعدوان قال تعالى (فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم) الشورى - ١٥ .

في كل هذا سحق السعادة والطمأنينه للبشرية ويمم السلام والامان ول الحديث الشريف (الناس سواسية كأسنان المشط ليس لعربي فضل على عجمي الا بالمعوى) .

التعرق ضعف

أرسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، وقد جمع الله به العرب بعد تفرق ووحد به المسلمين بعد شتات وامنى الله على المسلمين بهذه الوحدة وتلك الالفه . فقال سبحانه (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فاللف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا) آل عمران ١٠٣ وقد حاول اليهود من الأزل وضع اصابع الفتنة بين المسلمين محاولة منهم لتفريق صفوف المسلمين وتوهمين وحدتهم وحتى يضرب العرب بعضهم بعضا وبذلك تضعف دولتهم ويتمكن اعداؤهم منهم وقد حذرنا الله من دسائس اليهود وكيدهم فقال سبحانه : (يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين) آل عمران ١٠٠ .

فالله جعل الوحدة والالفه دلالة على عمق الايمان وفهم الاسلام وجعل الفرقة والخلاف والاستماع الى دسائس الاعداء مما يؤدي الى الهزيمة والردة والكفر بآيات الله واحكامه .

ثم نهى سبحانه عن الخلاف وبين ان القرآن بأمر بجمع الصف ووحدة الكلمة وهو حبل الله المتين من تمسك به هدى الى الطريق القويم قال تعالى (وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم) آل عمران ١٠١

وقد أحكم عليه الصلاة والسلام بنيان المسلمين وأحسن تربيتهم فأمرهم بالتواصل والتراحم ونهاهم عن التدابير والتقاطع ففي الحديث الصحيح (مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى) .

وكان عليه الصلاة والسلام ينهى المسلمين عن الفرقة والخصام والتنازير لانها معاول هادمه تهدم قوة الصف ووحدة الامة قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم (لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض ، وكوّنوا عباد الله أخوانا . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحفره ولا يخذله . المفوى هاهنا ويشير الى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشران يحفر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) رواه مسلم .

وقد حاول اعداء الاسلام توهين صفوف المسلمين ابر غروره احد واساحر أبو سفيان ركبنا من عبد الفيس كانوا في طريقهم الى المدينة وقال لهم أبو سفيان هل انتم مبلغون عنى محمدا رساله أرسلكم بها اليه . واحمل لكم ربيبا بعكاظ اذا وفيتموها قالوا نعم . فال فادا واعيتموه فاخبروه انا قد اجمعنا السر اليه والى اصحابه لنستاصل بعينهم فمر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الاسد واخبروه بالذى قال أبو سفيان واصحابه فعال عليه الصلاه والسلام (حسبنا الله ونعم الوكيل) أى كافيها الله هو ولينا ونصيرنا ، لقد خرجنا لنصره دينه معمدس عليه لا نخاف غيره ولا نهرب سواه ، وازداد المؤمنون ايمانا ولما سكا وتقدموا الى عدوهم ففر اعداؤهم طلبا للنجاه قال تعالى (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرع للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم ، الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ، انما ذلكم الشيطان يخوف اوليائه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) آل عمران ١٧٢ - ١٧٥ .

الاسلام والعمل

كانت دعوة الاسلام دعوه الحياة الفاضلة والقيم النافعة والخير والبر بالانسانية دعوة تقوم على التعاون والتراحم ومساعدة المحتاجين والأخذ بيد الضعفاء والمعوذين .

دعوة تلفت نظر الانسان الى الكون وخالقه وتلمع الانسان الى نعمير الكون ، واشاعة الخير والنماء فيه ، والعمل من أجل منفعة الآخرين قال تعالى:

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضيغ اجر من احسن عملا »
الكهف ٣٠ لقد مدح القرآن العمل الصالح ولم بضيق أبواب النشاط على المسلم بل جعل الأرض كلها ميدانا لنشاطه ، ودعاه الى استغلال خبرائها واستخدام طاقتها في تفجير ينابيع الخير فى أرجائها قال تعالى :
« هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا » البقرة ٢٨ .

فالانسان مدمو الى استغلال حرات الارض من معادن وبرول وكوز
وررامه وبجاره وصناعة وغير ذلك مما يعود بالحير والنفع على الانسان وعلى
الاسانية جمعاء .

مال تعالى « فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه » الملك ١٥

وقال سبحانه « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من
فضل الله » الجمعة ١٠

سمع المسلم الأول كتاب الله يدموه الى استغلال خيرات الارض والى
انفان العمل فانطلق هذا المسلم ولم يدع سهلا ولا جبلا ، ولا وادنا ولا عامرا
ولا عامرا ، الا وقد حصص ناسلاميه بم اسحمه واسمعه واحرى الخرى في
جنانه واطلع السعادة في آفاقه .

وقد بارك الاسلام نشاط الانسان من اجل الحفاظ على مستواه او رفع
مستوى اسرته او المساهمة في قوة امته ، ووسع اوجه النشاط وفتح امام
الانسان طرق الخير ولم يضيق في وجهه سبيلا من سبل العمل النافع .

روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع أصحابه يوما
فنظروا الى شاب ذى جلد وقوة ، قد بكر ليسعى فقالوا : ويح هذا او كان
شبابه وجلده في سبيل الله !! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقولوا
هذا ، فانه ان كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو في سبيل الله ، وان
كان خرج يسعى على ابوين شيخين كيرين فهو في سبيل الله ، وان كان خرج
يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله ، وان كان خرج يسعى رياء ومفاخرة
فهو في سبيل الشيطان ، رواه الطبراني ...

ولقد نظر صلى الله عليه وسلم وهو الحكيم الرباني الى مايفعل الكسل
في الأمم حين تنهار الهمم وتضعف العزائم ويسنلن الناس حياة الدعة والراحة
فتتخلف الأمة ويطمع فيها عدوها ثم تطحن طحنا وتباد ابادا ، قال صلى الله
عليه وسلم :

(اخشى ماخشى على امنى كبر السطن ومداومة النوم والكسل)

ولقد ساء صلوات الله وسلامه على أن يربى أصحابه على عزة الايمان
وصدق اليقين وشدة النوكل على الله مع الحرص على العمل النافع ايا كان
هذا العمل ، فانه لبنة في صرح البناء الاقتصادي ، وجهد مشكور مقابل
بالأحر والثناء .

روى البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(لأن يأخذ أحدكم جبلا فيذهب ، فيأني بحرمة حطاب على ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه ، خير له من أن يسأل الناس - أعطوه أو منعوه -) .

★ ★ ★

وبذلك يتحرر الانسان من ذل السؤال ومن أن يعيش حالة على غيره ، وان الانسان النافع هو الذي يسهم في خدمة وطنه ونفع أمته سواء أكان زارعا أم صائغا أم عاملا في أى فن من فنون الحياة ، قال تعالى :

«فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره» .

الزلزلة ٧ ، ٨

★ ★ ★

ان التوكل على الله سبحانه لا يتنافى مع الأخذ بالاسباب بل حقيقة التوكل هي الايمان بقدرة الله والعمل الدائب كما أمر الله .

جاء اعرابي الى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وترك ناقته بباب المسجد ثم دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فسأله قائلا : اعقل ناقتي أم ادعها واتوكل . فقال له صلى الله عليه وسلم (اعقلها وتوكل)

فهل بعد هذا يقال بأن صدق التوكل ينافي الاستمسك بالاسباب ، ، ومكافحة الاحداث ، والمراحمه والسابقة والمنافسة ، وانتزاع المجد وصيانة الحق ؟؟

أخرج الحاكم وابن أبى الدنيا عن معاوية بن قررة قال :

(لقي عمر بن الخطاب ناسا من اهل اليمن فقال : من انتم ؟ فقالوا : متوكلون !! قال كذبتم !! ما انتم متوكلون !! انما التوكل الذي اتى حبة في الأرض ، وتوكل على الله ..)

★ ★ ★

لقد أقسم الله بالزمن لينبه الانسان الى أن الزمن ماض لا يقر متجدد لا يقف وهو سجل الاعمال وفيه تخليد لحسنات الحسنيين ولاعمال العاملين قال تعالى :

« والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات »

اليس في هذا القسم ما يشعر بجلال المقسم به وعظم شأنه ؟

ووجوب الحرص عليه والانتفاع به والعمل فيه ؟ وأن الخسران المبين شامل للعاطلين المتبطلين ، لاصق بالعالة الساكتين .

وأما الذين يعملون ويدأبون ويصلحون ، ولا يفترون فاولئك هم عناوين
فحار ومصابيح رشاد - اولئك هم حماة الامم ودعاة النهوض ، اولئك هم
المؤمنون حفا لهم درجات عند ربهم ومغفره ورزق كريم .

★★★

ان امتنا احوج ماتكون الى تكاتف القوى وتعاون العاملين ومساهمة كل
انسان بطاقته ووسعه عملا وجدا واحلاصا وصدقا .

ويوم يقوم الصغير والكبير بكل جهد لخدمة هذا البلد فسيقف هذا
العمل سدا منيعا في وجه الاعداء الحائثين .

وقد بارك رسول الله صلى الله عليه وسلم العمل وقبل يد احد العاملين
لأنها يد طاهرة نظيفة من الكسل والتراخي دائبة في العمل النافع والجهد
الصادق قال على كرم الله وجهه (جئت يوما فخرجت أطلب العمل في عوالي
المدنية ، فاذا أنا بامرأة قد جمعت مدرا - ثرابا متبلدا - تريد بله بالماء فبادلتها
كل دبوب (١) على بمره ، فملأب سبه عثر ذنونا حتى محلب (٢) يدى به جئت
المرأة فبسقطت كفى لترى المرأة أثر العمل ، فعدت لى ست عشرة ثمرة ، فانت
رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأخبرته فأكل معى منها ..)

★★★

فالعمل فضيلة وكرامة ومهما يكن في طلب القوت من عنت ومشقة فذلك
خير من استجداء الناس ركونا الى الراحة ونفورا من النشاط .

جلس عليه السلام يوما فجعل أصحابه يشنون على رجل فقالوا : (ان
فلانا يصوم النهار ويقوم الليل ويكثر الذكر) فقال (انكم يكفيه طعامه وشرابه؟)
فقالوا كلنا نارسول الله ، فقال (كلكم خير منه ..) سمع الصحابة ذلك
فاندفعوا يعملون وينشطون حتى قرن الله التجار منهم بالمجاهدين في سبيل
الله ، قال تعالى :

« وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله ، وآخرون يقاتلون
في سبيل الله » المزم ٢٠ .

فهل هناك شرف للعاملين في الحياة وراء هذا الشرف ؟

★★★

لقد سرى روح النشاط الاسلامى في كل ناحية ، وتناول جميع الاعمال
فكان العالم الفكر الفيلسوف (ابن حزم) الاندلسى يقول (اعلموا ان اللذة
والسلامة والعز والاجر في اصحاب فلاحه الارض) .

(١) الدبوب - الدلو العظيمة .

(٢) مجلت - ظهر بها الاحمرار من العمل .

وارسل العلماء قضاياهم ، يتناقلها الناس في هذا المعنى المفتس
من التشريع العملى للصدر الأول فقد جاء في كشف الظنون : (لو علم عباد
الله أن رضاء الله في احياء أرضه ، لم يبق في وجه الأرض خراب ..)

علم الاسلام المسلمين العزة والاباء والانفة والكرامة ، فراحوا يعملون
ويكدحون ويطرقون أبواب الرزق في عزة وإيمان .

وكان عليه الصلاة والسلام يؤاخي بين كل مهاجر ، وبين كل انصارى
فلما آخى بين عبد الرحمن بن عوف وبين سعد بن الربيع قال سعد
لعبد الرحمن ان مالى شطران لى شطر ولك شطر .. وأن لى زوجتين اطلق
احدهن لتتزوج منها فقال له عبد الرحمن لا حاجة لى الى مالك ، ولا الى
أهلك ، بارك الله لك فيهما ولكن دلتى على السوق

وتاجر عبد الرحمن بن عوف فأتى في الاسلام ائراء ضخما حتى نقد
قدم له مرة سبعمائة بعير تحمل البر ، والدقيق ، والطعام ، فلما دخلت المدينة
سمع لأهلها رجة !! فتصدق بها وبما تحمل في سبيل الله .

ولقد نزع الاسلام من تلك النفوس الخيرة كل حقد وكل موجدة

فلن ترى رجلا حربا على رجل ولا عالما حاقدا على عالم . وهذا الامام
أحمد بن حنبل يشنى على الشافعى ويكثر الثناء عليه فقال له ابنه أى رجل
كان الشافعى ؟ فقال الامام أحمد يابنى كان الشافعى كالشمس للدنيا والعافية
للناس فانظر باننى هل من هذين خلف .

تلك صورة من صور الرجال الذين عملوا فاحسنوا العمل وتركوا لنا
أسوة حسنة وخلقوا فاضلا حتى نفتدى بهم ، في جدهم وعلمهم وعملهم ، وفي
حسن خلقهم وكريم صفاتهم (أولئك الذين هدى الله فبهم اهتداهم)
الأنعام ٩٠ .

السلام والوعدة

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا اله الا الله البر الرحيم ، وأشهد أن
سيدنا محمدا رسول الله الصادق الوعد الأمين ، اللهم صل وسلم وبارك على
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

(يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر
الا اولو الاباب)

الحكمة هي القرآن الكريم أو هي العلم والعمل ، والمشهور أنها وضع الشيء في موضعه أو حسن التآني للأمور .

قيل لعنتره أنت أشجع العرب قال لا . قيل فيم شاع عنك ذلك ؟ قال كنت أقدم إذا رأيت الأقدام عزما ، وأحجم إذا رأيت الأحجام حرما ، ولا أدخل موضعا حتى أعرف لى منه مخرجا .

وكننت أعمد الى الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع ثم اثنى عليه فاقتله .

أيها المؤمن : الأيام دول يوم لك ويوم عليك ، والحرب خدعة تحناح الى الكر والفر واستخدام الأقدام والأحجام وربما كان التقهر طريقا الى النصر ، مادام استخدامه عن تعقل وتبصر قال تعالى (**الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة**) .

وحين تلوح بادرة السلام ، وينجح العدو الى المسالمة فلن يتردد المؤمن في قبولها مهما كانت نواعتها لأن السلام في الاسلام عنصر أساسى وسبيل اصلى والحرب استثناء وضرورة لا يلجأ اليها المؤمن الا مضطرا . قال تعالى .

(**وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه السميع العليم** ، وان يريدوا ان يخضعوا فان حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين والى بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الفت بينهم انه عزيز حكيم)

أيها المؤمن : ان قوة المؤمنين تكمن فى ايمانهم وصدق يقينهم وسلامة صدورهم ووحدنة صفوفهم .

يقول الله سبحانه وتعالى : (**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**) .

لقد جمع القرآن العرب بعد شتات ووحدهم بعد تفرق وكان الاسلام دين الوحدة والجماعة ، جمع المسلمين على معان خالدة من الحب والوفاء ، والتضحية والفداء ، والبذل والإيثار .

وكانت هذه المحبة والمودة قدرا الهيا وبركة سماوية لا تعادلها أموال الارض وكنوزها وكان المسلمون بدا واحدة فى السراء والضراء فى المحنة فى النعمة والشدة ، فلا يعرف الصديق الا وقت الضيق .

وحين هاجر المسلمون من مكة الى المدينة فرارا بدينهم وعفديتهم ، استقبلهم اخوانهم من الانصار استقبال الأخ الشقيق لأخيه الحبيب وقاسموهم أموالهم ودورهم ويسروا لهم فرصة الحياة وفرصة العمل ، بل آبروهم على انفسهم بدافع الايمان والوفاء قال تعالى (**والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا**) .

**ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم
الفلحون (الحشر ٩ .**

ايها المؤمن :

استقر المؤمنون في المدينة وآخى عليه الصلاة والسلام بين المهاجرين
والانصار وكانت اخوة ودية عملية وقام المجتمع الاسلامي في المدينة مهتديا
بهدي القرآن ، حريصا على صلة الرحم ، ومعاونة المحتاج ، ومساعدة
الضعيف ، وصار المسلمون صفا واحدا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .
وكانت احاديث النبي الكريم تذكى هذا الاخاء وتبارك هذه المودة وتحت
المسلمين على التواصل والتراحم والتعاطف .

فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم
ومعاطفتهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر
والحمى) .

ايها المؤمنون : من هذه الوحدة العملية ، من هذه الصفوف المنراصة ،
من هذه القلوب المؤمنة ، من هذه النفوس المخلصة ، من هذه الايدي المتشابكة ،
من هذه الاثدة المترابطة ، صاغ النبي الكريم مجتمعا متماسكا مترابطا
معاطفا ، واعد الجيوش وقاد الغزوات وبعث السرايا تحارب باسم الله ويقابل
لنكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى . وخاض المسلمون
غزوات فيها النصر وغزوات فيها الهزيمة فلم يسكرهم النصر ، ولم تضعف
رووحهم الهزيمة ، وتنزل آيات القرآن تثبت المسلمين في الشدة وتعلمهم ان
الايام دول وان الحرب سجال يوم لك ويوم عليك فيقول القرآن (ان يمسسكم
قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين
آمنو ويتخذ منكم شهداء ، والله لا يحب الظالمين) . ١٤٠ آل عمران .

وعاود المسلمون القتال بنشوفون الى الشهادة والى الموت في سبيل الله
وحادوا بأرواحهم واموالهم لنصره الدين وفداء الاسلام وكان المسلمون يقاتلون
بروح جديدة وعفيدة سليمة ومحبة مخلصة وبرابط وثيق ، ففتحت امامهم
البلاد ، وذلت لضربانهم اعناق الطغاة ، وجاءهم نصر الله المبين والفتح العظيم .
وتوج الله جهادهم بفتح مكة ام القرى وكعبة القاصدين . فقال تعالى (اذا جاء
نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا ، فسبح بحمد ربك
واستغفره انه كان توابا) .

ايها العرب : هذا هو ماضيكم المشرف وتاريخكم الناصع وسيرة
اجدادكم الحافلة بالنضحية والقداء . لقد كانوا روحا جديدا ، وفجرا جديدا ،
ونورا جديدا ، وسراجا العلم والمعرفة وكانت دولتهم دولة العلم والايمان ،
والخلق والاسلام ، وفتحوا البلاد بأخلاقهم قبل ان يفتحوها بسبوقهم ،

فعودوا إليها العرب إلى ماضيكم ، وإلى أخلاق أسلافكم ، وتمسكوا بقيمكم ودينكم ، وعليكم بالوحدة والجماعة فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية قال تعالى (ان هذه امتكم امة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) . الأنبياء ٩٢

فالمسلمون كتابهم واحد ونبيهم واحد وقبلتهم واحدة ونجمعهم الآمال والآلام ويربط بينهم الإسلام والإيمان ، وان عدونا الغاضب يعمل ليل نهار لتأكيد تفوقه وترسيخ أقدامه ، فكيف يترابط عدونا على باطله ونتفرق ونحن أصحاب الحق وأصحاب الأرض والله عز وجل يقول :

(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين) - الأنفال ٤٦ .

أيها العرب :

اصموا واجتهدوا وادابوا فان العمل النافع طريق النجاح قال تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، انا لانصيغ اجر من احسن عملا) . ٣٠ الكهف .

ان للنصر ابوابا وطرقا توصل اليه هذه الأبواب :

١ - طاعة الله ورسوله فالنصر من عند الله وقد تكفل بنصر المؤمنين وبايد المخلصين .

٢ - اعداد العدة ، وتحصين الثغور ، وسدريب الجيوش ، لتكون في أعلى مستوى واعظم كفاءة قال تعالى (واعبدوا لهم ما استسلمتم من قوة ، ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون) . ٦٠ - الأنفال .

٣ - وحدة الصف والتماسك والترابط والتضام قال تعالى (انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) . ١٠ الحجرات .

وقال سبحانه (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) بنيان مرسوم (٤ الصف .

٤ - الثقة بان الاجل بيد الله ، وان الرزق بيد الله وان الشهادة في سبيل الله شرف وفخر وان الفرار والهزيمة خزي وعار .

٥ - البعد عن البطر والرياء واخلاص النية لله وللجهاد في سبيله وطاعة القائد وتنفيذ الاوامر والمحافظة على الضبط والنظام قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم) . ٥٩ النساء .

تلك هي اسباب النصر في الماضي والحاضر وقد استضاء بهديها المسلمون

الأولون فصاروا خير أمة أخرجت للناس وصار المسلم جنديا من خير جنود الأرض مطيعا لا يعصى مقبلا لا يفر ، صامدا لا يتزعزع ، مجاهدا لا يتخلف مؤمنا يمثل عليا مضحيا من أجلها بالمال والروح يخوض حربا عادلة لاحقاق الحق وازهاق الباطل لا يخاف الموت ولا يخشى الفقر ولا يهاب قوة في الأرض ، يسالم ولا يستسلم ، ولا تضعف عزيمته الارجيف والاشاعات ولا يستكين لدوامى الفرقة والخلاف ، ولا يقنط أبدا ولا يئاس من رحمة الله .

أيها العرب أيها المؤمنون : هذا هو الطريق ، وهذه هي السبيل ، طريق الهدى وسبيل الله وهديه وتوجيهه ، وصلق الله العظيم (وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) ١٥٣ الانعام .

الأدب

الأدب يطلق على نعلم فنون النظم والنثر ، كما يطلق على تعلم الاخلاق الرشيدة والصفات الحميدة ومن ذلك قول القائل حلى النساء الذهب وحلى الرجال الادب .

وقد قالت الحكماء نعم العون لمن لا عون له الادب .

– وقال الاحنف بن قيس : الادب نور العقل كما أن النار في الظلمة نور البصر .

وقال بعض العلماء : الأدب على ثلاثة أقسام – كسبى وطبيعى وصوفى
أما الادب الطبيعى فهو ما يطر عليه الانسان من الاخلاق الحسنة والاعتصاف بالصفات المرضية كالعلم والكرم وحسن الخلق والحياء والتواضع والصدق وترك الحسد ، الى غير ذلك من الصفات المحمودة ، وهى نعم الله سبحانه على عباده . وأما الادب الكسبى فهو ما يكتسبه الانسان بالدرس والقراءة والحفظ والنظر وهو عبارة عن ستة أشياء – الكتاب والسنة والنحو واللغة والشعر وأيام الناس .

وأما الادب الصوفى فهو ضبط الحواس ومراعاة الأساس .

رأس الأدب :

قال بعض الحكماء : رأس الأدب المنطق ولا خير فى قول الا بفعل ولا فى مال الا بجود ولا فى صدق الا بوفاء ولا فى فقه الا بورع ولا فى صدقة الا بنية .

ولما دخل ضمرة بن ضمرة على المنذر بن ماء السماء وهو اذ ذاك ملك الحيرة واليمامة . وكان ضمرة ذا عقل وعلم وحلم وحكمة وشجاعة ، الا أنه كان دميم الخلقة قصير القامة وكان ذكره قد شاع فى الآفاق ، فلما رآه المنذر احتقره فقال سماعتك بالمعيدى خير من أن تراه .

فقال ضمرة : ايها الملك ليس المرء بحسنه وجماله وبهائه وكماله وهيئته وثيابه لا والله حتى اصغراه قلبه ولسانه ويعلو به اكبراه همته ولبه .

ودخل المختار بن عبيد على معاوية رضى الله عنه وكان عليه عباءة رثة فاستحقره فقال له المختار بأمر المؤمنين ان العباءة لا تكلمك ولكن يكلمك من فيها . ثم أنشد يقول :

أما وإن كانت اثوانى ملفقة ليست بخز ولا من نسج كتان
فان فى المجد هماتى وفى لفتى فصاحة ولسانى غير لحيان

حكمة القائد

جاء الاسلام ديننا عاما ورحمه مهده . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نموذجا فريدا في تربية الرجال وتهذيب النفوس وتوجيه المؤمنين . وكان من اقدر الناس على جمع الشمل ورأب الصدع والقضاء على الفتنة .

بعد فتح مكة حارب المسلمون هوازن والطائف ونم النصر المؤزر وغنم المسلمون غنائم كثيرة ، فوزع الرسول صلى الله عليه وسلم الغنائم بين المهاجرين ولم يعط منها للأنصار الا لرجلين فقيرين ، فغضب الأنصار وقالوا لقد وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أهله . وانتشرت المقالة بينهم . وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج جزعا يجر رداءه . وأمس مناديه أن بنادى الصلاة جامعة . فاجتمع المسلمون جميعا في المسجد فقال عليه الصلاة والسلام : بامعشر الانصار مامقالة بلغننى عنكم ؟ قالوا : نعم قلنا لقد وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أهله . فقال عليه الصلاة والسلام : بامعشر الانصار ألم تكونوا ضللا فهداكم الله بى . ألم تكونوا كفارا فأسلمتم على بدى ، ألم تكونوا متفرقين فجمعكم الله بى . قالوا : نعم يا رسول الله ، والله ورسوله الفضل والمنة .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اما والله ان شئتم لقلنم فصدقتم وصدقتم . أتينا مكلدا فصدقناك ، وطريدا فأوبناك . بامعشر الانصار اذا أعطيت بعض الناس لعامة من الدنيا أئالفهم بها وتركتم الى ايمانكم تغضبون ؟ بامعشر الانصار ، اما ترضون ان يرجع الناس بالشاء والبعير وترجعون برسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيوتكم . والذي نفس محمد بيده لو سلك الناس فجاء وسلك الانصار فجاء لسلك طريق الانصار . ولولا الهجرة لكنت أمرا من الانصار . اللهم اغفر للانصار وابناء الانصار وابناء أبناء الانصار .

فبكى الانصار وقالوا رضينا بالله ورسوله .

بهذه الحكمة كان عليه الصلاة والسلام بسوس النفوس ويؤلف بين القلوب ويجمع الصفوف حتى تصبح قوة واحدة كالبنيان المرصوص بشد بعضه بعضا .

سيرة فاضلة

اشتهر عمر بن عبد العزيز بالعدل والورع والتقوى حتى سمي خامس الخلفاء الراشدين . ودخلت عليه زوجته فاطمة ذات يوم فوجده يبكي فسأته ما يبكيك يا امير المؤمنين . فقال عمر بن عبد العزيز : تذكرت المعير الجائع ، والمريض الضائع ، والعاري المحزون وذا العيال الكثير والمال القليل واشباههم في بقاع الارض واقطار البلاد ، وعلمت أن خصيمي دونهم محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة . فخشيت ألا تثبت لى حجتي فرحمت نفسي فبكيت .

كانت سيرة الخلفاء الراشدين نورا يضيء ، ومثالا يحتذى .

خطب أبو بكر الصديق فقال : أيها الناس وليت عليكم ولست بحيركم فان أحسنت فتابعوني وان اعوججت فقوموني . القوي فيكم ضعيف حتى أخذ الحق منه ، والضعيف فيكم قوي حتى أخذ الحق له .

وظهر ايمان الصديق يوم الاسراء ، حين صدق النبي فسمى بالصديق كما ظهرت فدائته ليلة الهجرة ، حيث كان رفبق النبي صلى الله عليه وسلم وكان يسير مرة أمام النبي ومرة خلفه ومرة من يمينه ومرة عن يساره . فسأله النبي صلى الله عليه وسلم عن سبب ذلك فقال : يا رسول الله أخاف الرصد فأكون أمامك ، وأخاف الطلب فأكون خلفك ومرة من يمينك ومرة عن يسارك ، حتى وصلا الى الغار فقال أبو بكر : والذي بعثك بالحق نبيا لاتدخله حتى أدخله فان كان به أذى بدأ بي .

وسد أبو بكر ثقوب الغار ووضع رجله في ثقب أخير ثم جعل رجله الثانية وسادة للنبي صلى الله عليه وسلم لينام عليها بعد ثقب الرحلة . واشتد خوف أبي بكر على النبي صلى الله عليه وسلم وتساقطت دموعه خوفا على رسول الله ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر ، مابالك باثنين الله ثالثهما . يا أبا بكر لاتحزن ان الله معنا .

قال تعالى (الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) التوبة . ٤٠

(٣)

المرأة

« المرأة العربية »

في الجاهلية والاسلام

أخرج البخاري في صحيحه - ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فرية من قرى اليمن كان فيها بطن من بطون العرب وكان منهن احدى عشرة امرأة وانهم خرجن الى مجلس فتعاهدن وتعاقدن الا يكتمن من اخبار أزواجهن شيئا .

قالت الاولى : (زوجى كلحم جمل غث على رأس جبل مرتفع ، لا سهل فيرتقى ولا سمين فينقل) ، لقد ذمت هذه المرأة زوجها بقلة الخير ، والبخل ، وصعوبة الوصول اليه .

وقالت الثانية : (زوجى لا ابث خبره انى أخاف الا اذره ، ان اذكره اذكر عجره وبجره .

ان عيوب زوجها كثيرة وقصه طويلة تكتفى بأن تقول انه قصير القامة مدموم الصفات كبير البطن أحذب الظهر .

وقالت الثالثة : (زوجى العشنق ان أنطق أطلق ، وان أسكت أعلق) .

مسكينة هذه الزوجة انها تعيش مع زوجها اسما بدون مسمى ، فان تكلمت بما فى نفسها طلقها زوجها ، وان سكنت أبقاها فى عصمته معلقة لا أيما ولا ذات بعل .

وقالت الرابعة : (زوجى كليل تهامة ، لا حر ولا قر ، ولا مخافة ولا سامة) ، لقد مدحت زوجها مديحا عاليا ، فهو عذب لطيف كليل الحجاز ، حيث

تشدد حرارة النهار ، ويكون نسيم الليل عليلا باردا لطيفا ، فشبهت زوجها بنسيم الصيف ليس حارا مؤلما ولا باردا مؤذيا ، فليس زوجها شديدا قاسيا ولا ضعيفا فائرا .

وقالت الخامسة : (زوجى ان دخل مهد ، وان خرج اسد ، ولا يسأل عما عهد) .

انه في البيت وادع لطيف كثير النوم ، بعيد الازداء ، وهو في خارج البيت اسد شجاع ، يحمي قبيلته ويدافع عن عشيرته ، فوصفته بأنه مثل أعلى للزوج في نظر المرأة ، فهو بطل مقدم خارج البيت وهو لطيف عطف داخل البيت .

وقالت السادسة : (زوجى ان اكل لف وان سرب اشنف ، وان نام التف ، ولا يولج الكف ، ليعلم البث) انه الزوج الانانى المحب لنفسه ، فان اكل لف الاكل في شراهة ، وتدفعه الشراهة الى العطش حتى يشرب كل ما في الاناء ، وان نام التف بالغطاء غير مهتم بالآلام زوجته ، غير سائل أو مصغ الى شكايتها .

وقالت السابعة : (زوجى غيباء ، عيباء ، طباقاء ، كل داء له داء ، شجك او فلك ، او جمع كلالك) .

انه زوج احمق ضعيف البيان قليل الحيلة ، اذا حدثته زوجته سبها واذا مازحته شجها واذا أغضبته كسر عضوا من أعضائها ، وقد جمع هذا الزوج كل ادواء الكون وكل عيوب الناس فكل داء له دواء .

وقالت الثامنة : (زوجى المس مس ارنب ، والريح ريح زرنب ، وهو أغلبه ، والناس يغلب) ، انه لين الجانب ، طيب الرائحة حسن السمعة ، عظيم القدر جليل المنزلة في تواضع وأدب .

وقالت التاسعة : (زوجى رفيع العماد ، طويل النجاد عظيم الرماد ، قريب البيت من الناد) ،

انه رفيع المنزلة طويل القامة كثير الضيوف سيد مطاع بين قومه .

وقالت العاشرة : (زوجى مالك ؟ وما مالك ؟ مالك خر من ذلك له ابل كثراب المبارك قليلات المسارح واذا سمعن صوت المزهري يقن انهن هوالك) .

لقد عظمت زوجها وأشارت الى انه خير من كل أزواج صويحباتها السالفات - ووصفته بالكرم وهو أفضل صفة عند العرب .

وقالت الحادية عشرة : وهى صاحبة الحديث واهم المذكورات .

(زوجى أبو زرع ، فما أبو زرع ؟ اناس من حلى أذننى ، وملا من شحم عضدى وبجحنى فبجحت الى نفسى .

قالت : خرج أبو زرع والاطواب بمخض ، فلمى امرأه معها ولدان لها كالفهدين ،
يلعبان من تحت حصرها برمانتين ، فطلقنى وتزوجها .

فتزوج بعده رجلا سريا ، ركب شريا ، وأخذ خطيا ، وأراح على نعمها
نريا ، وأعطانى من كل رائحة زوجا ، وقال كلى أم زرع وميرى أهلك ،
قال فلو جمعت كل ما أعطانيه ما بلغ أصغر آتية أبى زرع) .

هذه أم زرع ، وسميت أم زرع لكثرة ما يملك زوجها من مراع وحفول
مدحت زوجها الاول بأنه أناس أذبيها من الحلى والزينة وملا عضديها من
شحم ولحم ، وعظمها وأفرحها فعظمت نفسها فى عنها .

خرج أبو زرع فى أحد أسفاره فرأى امرأة لها ولدان نجيبان فطلق أم زرع
وتزوج الثانية بحثا عن نجابة الولد ، وبعد أن تزوجت أم زرع رجل آخر
أكرمها الثانى وأعطاهما أكثر من الاول ، ولكن حبها ظل وفيا للاول حتى قال
فلو جمعت كل ما أعطانى الثانى ما بلغ أصغر آتية أبى زرع .

وها هنا قال صلى الله عليه وسلم ياعائشه أنا لك كأبى زرع لأم زرع غر
أنه طلقها وأنا لا أطلقك .

قالت عائشة بل أب والله خير لى من أبى زرع لأم زرع .

وفى هذا الحديث ألوان من الادب الرفيع والبلاغة العالية ، وألوان من
البديع والجناس والطباق والمقابل .

ولو وقفنا على احاديث هؤلاء النسوة تبين لنا أن اللامات منهن
لازواجهن خمس والمادحات ست ، وفيه دليل على أن الصفو أكثر من الكدر
وأن الرضا ادموم من الغضب ويستفاد من هذا الحديث ما يجب على الأزواج
من حسن العشرة وجميل المعاملة ، وفيه المثل الأعلى للزوجة المخلصة من نحو
الشرف والجود وسماحة الطبع ولين الجانب والصبر والوفاء .

قال صلى الله عليه وسلم مارزق المرء بعد التقى خبرا من المراه الصالحة،
ان نظر البها زوجها سره وان امرها أطاعه وان غاب عنها حفظته فى ماله
وعرضه .

ويدل الحديث على ان المحبة تستر الاساءة ، وعين الرضا تفضى عن كل
نقيصة وتظل المرأة هى المتفوقة فى هذه الناحية ، وهى المتسامية بعواطفها
ومشاعرها والمستعلبة على أشجانها وآلامها وماتقاسيه من ظلم الرجل وعذره

وقد حث الرسول الأزواج على حسن العشرة ، واحتمال ضعف المرأة
والمحافظة على كيان الأسرة ، والابقاء عليها متماسكة سليمة بعيدة عن عوامل
الفرقة والتصدع ، قال صلى الله عليه وسلم (أن الله لانهب الدواقين ولا
الدواقات فإذا تزوجتم فلا تطلقوا) .

وقال تعالى

(وعاشروهم بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا)

المرأة في الاسلام

يقول الله تعالى في كتابه الكريم

(ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون فيها) ١٢٤ - النساء

ان القرآن الكريم رفع من شأن المرأة ، وحث على اكرامها ، والعناية بشأنها وحسن تربيتها وتعليمها ، ورعى الاسلام المرأة وليدة ، وبنتا ناشئة ، وفتاة يافعة ، وزوجة في كنف زوجها ، واما في رعاية ابنائها .

اما رعايته للمرأة وليدة فقد قضى الاسلام على ذلك المعين المهيمن وهو واد البنات مخافة العار والحاجة ، وشنع على من يفعل ذلك ، فقال سبحانه :

(واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، ايمسكه على هون ام يدسه في التراب الا ساء ما يحكمون) ٥٨ - ٥٩ النحل .

وسلك القرآن اساليب البيان المبالية والوان الزجر الرهيبة ، لمن يرتكبون هذه الفعلة التكرار ، وهى واد البنات .

حتى ان الموعودة نسال يوم القيامة عن سبب قتلها ، كان الذى قتلها فقد معنى الانسانية حتى لا يستحق ان يسأل قال تعالى :

(واذا المؤودة سئلت باى ذنب قتلت) وقال سبحانه :

(قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرّموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) .

وكان فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشريعه العملى ، يلقيان على الامة ابغ الدروس فى السرفق بالفتيات ، وتقريبهن ومحادثهن ، وحياططنهن بالحدب والشفق والرحمة والحنان . واكرم الاسلام المرأة بنتا ناشئة وفتاة يافعة ، فحث على تعليمها وتهذيبها والقيام بشئونها واحسان توجيهها وتربيتها فقال صلى الله عليه وسلم

من كانت عنده بنت فعلمها فأحسن تعليمها ، ورباها فأحسن تربيتها /
واسبغ عليها من فضل الله الذي آتاه ، كانت له حجابا من النار وميمنة
وميسرة

وقضى الاسلام على اساليب الجاهلية البالية في تفضيل الذكور على
الاناث بل امر باكرام البنت لتنشأ عزيزة كريمة ، فترضع ابنائها واحفادها
لبان العزة والكرامة .

قال صلى الله عليه وسلم (من خرج الى سوق من اسواق المسلمين
فحمل شيئا منه الى اولاده فكأنما حمل اليهم صدقة حتى يضعها فيهم وليبدأ
بالاناث فإنه من فرح انثى فكأنما بكى من خشية الله)

وكان النبي صلى الله عليه وسلم اربع بنات ، وكان يلقب بأبى البنات
لأنه كان يهن شفوفا حفيا ، يدنيهن اليه ويداعبهن ويلطفهن .

روى البخارى عن أبى قتادة قال

خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم يحمل (امامة) بنت (أبى العاص)
وامها (زينب) بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى صبية قال فصلى -
عليه السلام - وهى على عاتقه ، يضعها اذا ركع ويعيدها على عاتقه اذا قام ،
وكانت امامة من أحب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ودخل على أهله - صلى الله عليه وسلم - ومعه قلادة ، فقال لأعطينها
أحبكن الى ؟؟ فقلن يدفعها الى عائشة فدعا بنت أخته (امامة) ففقدتها لها
بيده الشريفة .

وروت أم خالد بنت خالد بن سعيد قالت أتيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم مع أبى وعلى قميص أصفر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سنه سنه وهى باللفة الحبشية حسنة قالت فذهبت ألعب بخاتم النبوة ،
فانتهرنى أبى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - دعها - ثم قال عليه
السلام أبلى ثم أبلى وأخلقى فعمرت بعد ذلك ما شاء الله أن تعمر ، ولقد تكون
المرأة على غير دين (محمد) ولقد تكون من أعدائه ثم تفد عليه أسيرة فلن ترى
أعذب لسانا ، ولا أرق خطابا ولا أحسن استماعا ولا أجمل ردا مما يخاطبها
به محمد عليه السلام .

أرسل مرة فصيلة على رأسها على بن أبى طالب ، فأعملت فى قبيلة طيء
أسرا وقتلا ، فلما سبق الاسرى الى محمد عليه السلام وقفت بينهم (سفانة)
بنت حاتم الطائى وقالت يا محمد ، (هلك الوالد وغاب الوافد ، فان رأيت أن
تخلنى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب ، فان أبى كان سيد قومه ، يفك العانى،
ويقتل الجانى ويحفظ الجار ويحمى الدمار ، ويفرج عن المكروب ، ويطعم

الطعام ويفشى السام ، — ويحمل الكل ، ويعين على نوائب الدهر ، وما آتاه أحد في حاجة فردة خائبا ، انا بنت حاتم الطائي ، فقال محمد عليه السلام ياجارية هذه صفات المؤمنين فلو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه ، خلوا عنها ، فان أباهما كان بحب مكارم الاخلاق ثم قال (ارحموا عزيز قوم ذل ، وغنبا افتقر ، وعالما ضاع بيد جهال) ثم اكرم قومها من اجلها تحية لها ، فاطلفهم من اسارهم فاستأذنه في الدعاء له ، فاذن لها فالتفت عليه السلام الى أصحابه وقال (اسمعوا وعوا مايقول الجارية) فقالت اصاب الله ببرك مواعه ، ولا جعل لك الى لثم حاجة ، ولا سلب نعمة عن كريم قوم الا وجعلك سببا في ردها عليه .

ولقد ابانت الحكمة النبوية في تلك الفضة عن مفدار مايحويه قلب المرأة من استعداد كامل لتلقى الدين لو انها صادقت الربى الحكيم فان (سفانة) ما كادت ترى صاحب الرسالة ، وتستمتع اليه حتى رجعت الى أخيها (عدى بن حاتم) فمدحت له في الرسول ورغبته في الاسلام ونصحته ان يذهب الى رسول الله مسلما وقالت له :

ان محمدا يحب الفقير ، ويفك الاسر ويرحم الصغير ، ويعرف قدر الكبير ومارأيت أجود ولا أكرم منه ، وانه لنبي فليسابق اليه فضله واصغى عدى الى رأى اخته وقدم على رسول الله مسلما ، ومعه اخته مسلمة أيضا .

ذلك هو القبس المحمدي والهدى النبوي ، الذى شملت رحمته امته كلها نساءها ورجالها ، وصدق الله العظيم (لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) .

العشرة الزوجية .

نقول الله تعالى في كتابه الكريم

(ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) ٢١ - الروم .

خلق الله آدم بيده ونفع فيه من روحه واسجد له ملائكته وخلق حواء من قصيره لتكون له سكنا وامنا ولتشيع في البيت الدفء والحنان والمودة والرحمة والحب ..

وقد حث القرآن على الزواج لانه الوسيلة الوحيدة لإشباع العاطفة وامتناع النفس وتكوين الأسرة ورعاية النشء :

وحدث الرسول صلى الله عليه وسلم على نخير الزوجة كريمة الخلق
طيبة المنبت لتكون قرّة عين لزوجها وأما فاضلة للدرية طيبة ، فقال عليه السلام
تخيروا لنطفكم فان العرق دساس .

وروى الميداني أن عمر رضى الله عنه مر بسوق الليل - في المدينة فرأى
امراة معها لبن تبيعه ومعه بنت شابة فهمت المعجوز أن تمرج لبنها (أى
تخلطه بالماء) فجعلت الشابة تقول يا أم لا تخلطيه (لاتفشييه) فوقف عمر فقال
للام من هذه سنك ؟ قالت ابنتى فزوجها من ابنه عاصم .

تعلّمون كيف صارت هذه الفتاة ؟ وكيف صدق فراسة عمر فيها ؟ فقد
صارت جدة لأمدل بنى أمية عمر بن عبد العزيز فهى جدته لأمه وصدقت
غراسة عمر فى أن أنجبت هذه النجيبة نجيبا . لقد كانت قوية العلق فأورثت
ابن عبد العزيز تلك النقيبة .



وروى الادب العربى وصايا نافعة لامهات فاضلات كانت بناتهن زهيرات
يانعات فى حديقة مشمرة لان البنت تأخذ صفة أمها وتقلدها فى خلقها وعاداتها .

أوصت أم ابنتها فقالت أى بنية ان الوصية لو تركت لفضل أدب ، تركت
لذلك منك - ولكنها تذكره للغافل ، ومعونة للعافل ، ولو أن امرأة استغنى
من الزواج لغنى أبويها وتسد حاجتهما اليها ، كنت أغنى الناس عنه ولكن
النساء للرجال خلقن ولهن خلق الرجال .

أى بنية أنك فارقت الجو الذى منه خرجت ، وخلفت العش الذى فيه
درجت ، الى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فأصبح بملكه عليك رقيباً
ومليكاً ، فكونى له أمة يكن لك عبداً وكونى له أرضاً يكن لك سماء وكونى له
قرشاً يكن لك غطاء .

يابنية احملى عنى عشر خصال تكن لك ذخرا وذكرى :

الصحبة بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ، والتعهد لموقع
عينيه ، والتفقد لموضع أنفه ، فلا تقع عيناه منك على قبيح ، ولا يشم منك
الا أطيب ريح .

الكحل أحسن الحسن ، والماء أطيب الطيب ، والتعهد لوقت طعامه ،
والهدوء عنه حين منامه فان حرارة الجوع ملهبة وتنقيص النوم مبغضة .
ولا تفشى له سرا ولا نعصى له أمرا فانك ان أفشيت سره لم تأمنى غدوره وان
عصيت أمره أوغرت صدره وكونى أشد ماتكونين له أعظما يكن أشد لك اكراما
وأشد ماتكونين له موافقة أطول ماتكونين له مراقبة واعلمى أنك لاتصلين الى
ماتحبين حتى تؤثرى رضاه على رضاك وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت
والله يختار لك .

أيها المؤمن :

لقد حث الاسلام المرأة على طاعة زوجها والمحافظة على ماله وعرضه والاخلاص في تربية النشء واعداد البيت والقيام بحق الزوج .

قال صلى الله عليه وسلم لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرن المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها .

واستمعوا الى (أسماء بنت زيد) الأنصارية التي لفتت بخطيبه نساء العرب ورسولهن الى محمد صلى الله عليه وسلم .

وقفت أسماء عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بين أصحابه فقالت (يا بى أنت يارسول الله) أنا وافدة النساء اليك ان الله عز وجل بعثك الى الرجال والنساء كافة ، فأمننا بك وبإهلك ، أنا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم وحاملات أولادكم ، وانكم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات ، وشهود الجنائز والحج بعد الحج ، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل وان أحدكم اذا خرج حاجا أو معتمرا أو مجاهدا حفظنا لكم أموالكم وغرلنا أثوابكم وربينا أولادكم ، أفنشارككم في هذا الاجر والخير ؟؟ فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى أصحابه بوجه كله ثم قال (هل سمعتم مسألة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها ؟ فقالوا يارسول الله ماظننا ان امرأة تهتدى الى مثل هذا .

فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم اليها فقال : أفهمي أيتها المرأة وأعلمي من خلفك من النساء ، ان حسن تبعل المرأة لزوجها (أى قيامها بواجب الزوجية) يعدل ذلك كله فانصرفت المرأة وهى تتهمل حتى وصلت الى نساء قومها بين العرب وعرضت عليهن ماقاله لها النبي صلى الله عليه وسلم ففرحن جميعهن .

أيها المؤمن :

تقررت حقوق المرأة في المجمع الاسلامى ، واخذ المشرع يبنى الامهات على اساس الدين والفضيلة فمجدت المرأة وكرمت فخرجت للامة كل نطل وكل عظيم .

ولله در الشاعر العربى اذ يقول :

قم ابن الامهات على اساس ولا تبين الحصون ولا القلاع
فهن يلدن للقصب المدالى وهن يلدن للغباب السباعا

خمسة احاديث عن المرأة

١ - المرأة العربية قبل نزول القرآن

كان العربي قبل الاسلام صاحب المركز الممتاز في الاسرة والمجتمع فهو قوام الاسرة وربها المسئول عن حياتها ورزقها وشؤونها وسلامتها ، وهو المكلف بالحرب ، والمطالب بالثأر والمغرم .

وكانت القبيلة تهنا في ثلاث حالات ، في فرس تنتج او شاعر ينيغ او ولد ذكر يولد .

كراهية البنات :

وفي القرآن آيات عديدة تحكى ماكان لولادة البنات من كراهية ، وتندد بالكفار على نسبتهم البنات الى الله بينما المفضل عندهم البنون ، ويكون المعقول ان يكون لله ما هو مفضل ، وتذكر وادهم للبنات قال تعالى :

(ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم مايشتهون ، واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون ام يدسه في التراب الا ساء ما يحكمون) النحل ٥٧ - ٥٩ .

ويقول سبحانه (فاستغلتهم الربك البنات ولهم البنون . ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) .

وقال عز شأنه (واذا المؤودة سئلت باى ذنب قتلت) النكوير ٨ ، ٩ .

حق الكسب والتصرف في المال

ولم يكن حق المرأة في الارث معينا ثابتا سواء اكانت اما ام اختا ام زوجة ام بنتا . ولم يكن حقها في الكسب والتصرف بما تملك مقررا معترفا به . بل كان هذا متغيرا حسب الظروف .

فلما جاء الاسلام سما بالمرأة الى منزلة سامية ، وجعل لها الحق في الحياة والميراث والعقود والبيع والشراء وسائر التصرفات ، قال تعالى :

(للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا) .

لقد كان العرب يورثون الذكور دون الإناث ويقولون إنما يرب المال من يركب الفرس ويمسك السيف ويدافع عن القبيلة .

فلما نزل القرآن الكريم جعل الله الميراث حقا بابنا للكبير والصغير والرجل والمرأة قال تعالى :

(ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما) النساء ٣٢ .

الحياة الزوجية

ولم تكن الحياة الزوجية في الجاهلية قائمة على اعتراف بحقوق أو سره مساواة بين الزوجين وكانت الروحة موضع الاضطهاد والابزاز .

فلما نزل القرآن الكريم أمر الرجل أن يعاشر زوجته بالمعروف وأن يحسن عشرتها وأن يوفيقها حقها من المهر والنفقة والرعاية . قال تعالى :

(وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا) النساء ٤ .

وقال سبحانه : (وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) النساء ١٩ .

وتوالت آيات القرآن تحت على الزواج وتعبيره آية من آيات الله وتبين أن أساس الزواج الناجح هو المودة والرحمة والألفة وحسن المعاملة : قال تعالى :

(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة أن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) الروم ٢١ .

٢ - العشرة بالمعروف

قرر القرآن أن الله خلق الناس من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجلا كثيرا ونساء .

وفي سورة الأعراف يقول سبحانه : (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ليسكن إليها ..) الأعراف ١٨٩ .

وسورة الأعراف من السجور المبكره في النزول وننطوي هذه الآيه على سرير أن الرجل والمرأة زوج يكمل أحدهما الآخر ، وهما في مرتبة واحده من ناحية الحياة الانسانية وكل مافي الامر أن لكل منهما وظيفة تناسبليه مختلفه من وطيفة الآخر .

وقد تأكد هذا المعنى في جبلة مشهوره من احدى آيات سورة البقرة وهي : (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) وهي تمنى أن كل مايقب للزوج طلبه وانتظاره من زوجته من امور مشروعة من طاعة وأمانة وعفة وإخلاص وحسن معاشرة ومودة واحترام وثقة وتكريم وبر وترفيه ، يحق للزوجة طلبه وانتظاره من زوجها . ومن جملة ذلك أيضا اعتبار كل من الزوجين نفسه شريكا للآخر في مختلف نواحي الحياة ومعاملة كل منهما للآخر على هذا الاساس . وقول القرآن : (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) يؤكد قوله سبحانه (وعائشوهن بالمعروف) وتكررت توصية القرآن للزوج أن يكون تعاملهم في الحياة الزوجية على أساس المعروف وكلمة المعروف كلمة بليغة المدي لأنها كلمة عامة تعنى ما هو متعارف عليه بالحق والعدل ، وهذا لايقاس بزمان بهينه ، بل يظل يتبدل ويتطور حسب ظروف الحياة الاجتماعية وتطورها . والضابط العام فيه هو أن لايجل حراما ولايجرم حلالا .

وقد روى مسلم وأبو داود عن معاوية القشيري قال : قلت يا رسول الله ما حق زوجة أحدها عليه قال : (تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسبت ولا تضرب الوجه ولا تقبح .

وقوله سبحانه (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) يوضح أن لكل من الزوج والزوجة حقوقا وعليه واجبات .

فحقوق الزوجة هي المهر والنفقة والعشرة بالمعروف ، وحقوق الزوج هي طاعته والحفاظة على عرضه وماله وبيته ، ثم قال سبحانه (وللرجال عليهن درجة) ، وذلك أن الحياة الزوجية حياة اجتماعية ولا بد لكل اجتماع من رئيس لأن المجتمعين تختلف آراؤهم ورغباتهم في بعض الامور ولا تقوم مصالحهم الا اذا كان لهم رئيس يرجع اليه في الخلاف لئلا يعمل كل فرد للرجل الآخر فتتفصم عروة الوحدة الجامعة ويختل النظام وجعلت الرئاسة للرجل وعبر عنها بجملة (وللرجال عليهن درجة) لأنه أعلم بالمصلحة وأقدر على التنفيذ بقوته وماله .

وقال بعض المفسرين ان كون الرجل هو المسئول عن رعاية الاسرة والانفاق عليها قد جعل له شيئا من الهيمنة عليها وهو المراد بقوله تعالى (وللرجال عليهن درجة) .

وتتلاقى اقوال المفسرين على أن الحياة الزوجية أساسها العشرة

بالمعروف ودعامتها التوافق والتراحم والمودة والالفة والحدب والرعاية من
الزوج والطاعة والوفاء من الزوجة .

وكان من آخر وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم (الصلاة الصلاة
واستوصوا بالنساء خيرا) .

٣ - الرعاية والعناية بالمرأة

أكرم الاسلام المرأة وليدة وناشئة وفتاة وزوجة وأما فقد ندد القرآن
بعبادة واد البنات وأنذر الفاعلين بالمساءلة والعقاب قال تعالى : (واذا الموءودة
سئلت بأي ذنب قتلت) التكوين ٧ ، ٨ .

ولقد روى الشيخان والترمذي عن عائشة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال : (من بلى من هذه البنات بشيء فأحسن اليهن كن له سترا من
النار) ، وللسلم والترمذي (من عال جاريتين حتى يدركا دخلت أنا وهو
الجنة كهاتين) وقرن النبي بين أصبعيه .

وروى الترمذي وأبو داود عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال : (من كان له ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان فأحسن
صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة) .

وروى أبو داود عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من
كانت له أنثى فلم يثدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها أدخله الله الجنة) .

وهكذا سما القرآن بمنزلة المرأة فنهى عن وأدها وأمر برعايتها وأكرامها،
وكان سلوك النبي الأمين في رعاية البنات وأكرامهن مثلاً يحذى ، فقد نهى
النبي عن كراهية البنات ووطد لهن اعتبارهن الانساني . ونالت المرأة في
الاسلام منزلة كريمة لم تصل الى مثلها في بعض المجتمعات المتحضرة
للآن .

ومن الحقائق القرآنية الكبرى أن القرآن قد قرر للمرأة اهلية تامة
وحقا كاملا غير مقيد بأي قيد في جميع التصرفات المدنية والاقتصادية
والشخصية بحيث جعل لها الحق والاهلية لحيازة المال مهما عظم مقداره ،
والارث والهبة والوصية والدين وتملك العقار والتعاقد والتكسب والمصالحة
والتقاضى والتصرف فيما نحوز وتملك بجميع أنواع التصرفات انفاقا وبيعا
وعتقا وهبة ووصية وشرط موافقتها على الزواج منها ، ولم يجعل لوليها
الحق في تزويجها بمن لايريد أو بدون أذنها ، وجعل عودتها الى زوجها المدي
طلقها بموافقتها ورضائها وقناعتها ، وجعل لها الحق في فدائها نفسها من

زوجها وحفظ لها حقها في تزويج نفسها اذا برملت ، وبعض هذه الحفوف لم تصل اليها المرأة العربية الا حديثا ، بل ولم تزول في بعض بلاد العرب محرومة منها . فالمرأة في الاسلام نتصرف في مالها تصرفا تاما ، ولا يشترط موافقة زوجها على تصرفاتها الخاصة في مالها . على عكس بعض النظم المعاصرة التي نشترط مصادقة الزوج وموافقه حتى تصح تصرفات الزوجة في مالها .

ونصوص القرآن كثيرة متعددة تؤكد حق المرأة في التصرف الخاص بها من ذلك قوله تعالى : (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا) النساء ٤ .

وهذه الآية تأمر باعطاء المرأة مهرها كاملا والا يأخذ الزوج شيئا من مال زوجته الا برضاها وموافقتها وقال تعالى (فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتنت به) البقرة ٢٢٩ .

وهذه الآية تجعل حق المرأة ثابتا في طلب الخلع من زوجها اذا ردت اليه المهر او شيئا منه واتفق الطرفان على انتهاء الحياة الزوجية بينهما .

وقد وردت الاحاديث النبوية تؤيد هدى القرآن وتشرحه وتبينه ، روى الخمسة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (الشيب احق بنفسها من وليها والبكر تستأمر واذنها سكوتها) .

وروى ابن ماجه ان فتاة جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : ان ابي زوجني ابن اخيه ليرفع به خسيسته (أى ليستفيد ماديا من زواجي) فجعل النبي الامر اليها (أى أعطاها حرية الاختيار) فقالت الفتاة قد أجزت ما صنع ابي ولكن أردت أن يعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء .

وفي البخارى ومسنند احمد وغيرهما ما يؤكد أن المرأة لابد من موافقتها على الزواج بكرا كانت أم ثيبا ، حتى يكون الزواج عن تراض ويتحقق فيه المودة والرحمة والألفة وبذلك تستقر الاسر وتسد الاجيال .

وفي سورة النور نجد الاوامر توجه الى الرجل والمرأة بفض البصر والمحافظة على العرض وتحث على التقوى والاستقامة فيقول سبحانه (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك اذكى لهم ان الله خير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدن زينتهن الا ماظهر منها) النور ٣٠ ، ٣١ .

وفي سورة الاحزاب آية مشهورة سوت بين الرجل والمرأة في المركز والتنويه والوعد الكريم بالنتائج المترتبة على الايمان والاسلام ومظاهرها

من طاعة وصدق وصبر وخشوع وتصدق وصيام وعفة وذكر كثير لله ،
وتضمنت تقرير واجبهما او ايجاب ذلك عليها سواء بسواء .

قال تعالى : (ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين
والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين
والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين
فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا
عظيما) الاحزاب ٣٥ .

فقد قرن الله بين المسلمين والمسلمات في عشر صفات متتابعة ثم قرن
بينهما في الجزاء الكريم للرجل والمرأة على السواء .

٤ - المساواة في الحقوق والواجبات

سوى القرآن بين المؤمنين والمؤمنات في المسؤولية والجزاء والعمل
والثواب وتواترت نصوص القرآن تمدح العمل الصالح من الرجل والمرأة على
السواء قال تعالى : (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه
حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون) النحل ٩٧ .

وفي صدر الاسلام هاجر الرجال والنساء وتحملت المرأة عبء الجهاد
والتضحية والفداء وشاركت الرجل في الدماء الى الله وتحمل الأذى والقتل
والقتال واستحقت المرأة نفس الثواب والجزاء قال تعالى : (فاستجاب لهم
ربهم أن لا اصيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين
هاجروا واخرجوا من ديارهم وأوطانهم في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لا كفرن منهم
شيئا ثم ولادخلتهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده
حسن الثواب) البقرة : ١٩٥ .

كما سوى القرآن بين الرجل والمرأة في العقوبة والجزاء وفي التوبة
والمغفرة لن تاب . قال تعالى (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما
كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم . فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله
يتوب عليه أن الله غفور رحيم) المائدة ٣٨ ، ٣٩

وفي سورة التوبة آيات تقرر تعاون المنافقين والمنافقات في الكيد والدس
والوقية وآيات أخرى تصور مواقف المؤمنين والمؤمنات بصورة مشرقة
أساسها الإيمان والعمل الصالح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطاعة الله
ورسوله وأقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ثم تبادل الولاء والتضامن في مايلم
بالمسلمين من أخطار قال تعالى : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض
يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون
الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله أن الله عزيز حكيم ، وعد الله المؤمنين
والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار) . التوبة ٧١ ، ٧٢ .

٥ - الاهلية التامة للمرأة

كان القرآن روحا وحياة وبعثا ، احيا الجزيرة العربية وامدها بمقومات الحياة ، والوحدة والقوة ، وجعل من المسلمين خير امة اخرجت للناس ، كما سوى القرآن بين الرجل والمرأة في وجوب طاعة الله ورسوله والتزام اوامرهما ، وحذرهما سويا من معصية الله ورسوله ومخالفة امرهما . قال تعالى : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) الاحزاب ٣٦

كما اقر القرآن للمرأة بالشخصية المستقلة والاهلية المستقلة تبعا لذلك فامر الرسول ان يبايع النساء اسوة بالرجال قال تعالى : (يا ايها النبي اذا جارك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا ياتبن ببهتان يفتريه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم) المتحنة ١٢

وفي نصوص السنة المطهرة نجد احاديث متعددة يتمثل فيها روح المساواة والاهلية التامة للمرأة . فقد روى الامام احمد والترمذي وابو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : (النساء شقائق الرجال) .

وروى البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم : (قال نعم نساء الانصار لم يمنعن الحياء ان يتفقهن في الدين) .

وروى البخاري ايضا : (ان النساء قالت للنبي صلى الله عليه وسلم يارسول الله غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما من نفسك فوعدهن يوما لقيهن فيه فوعظهن وامرهن) .

ايها المؤمن

جميع ما تقدم يسوغ القول بان الشريعة الاسلامية ونصوص القرآن والسنة قد سوت بين المسلم والمسلمة في التكاليف العامة من زكاة وحج وجهاد وصيام وصلاة وحدود وطاعة الله ورسوله وفي واجب التواصل بالخير والرحمة والصبر والتعاون على البر والتقوى والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والتضامن وتبادل الولاء والاخلاق الحسنة ، وفي واجب تدبر كتاب الله والبحث على التفكير والتعلم وانها قررت للمسلمة اسوة بالمسلم الاهلية التامة والحق الكامل في مختلف التصرفات المدنية وان كل هذا يتضمن اقرار مشاركة المسلمة للمسلم في كيان الدولة والمجتمع سواء بسواء .

ويجعل لها بالتالي الحق مثله في النشاط السياسي والاجتماعي على مختلف اشكاله وانواعه ، ومن جملة ذلك تعلم العلوم والفنون على انواعها لاستكمال الاستعداد لممارسة الاهلية والحقوق التي منحتها ، كما جعل للمرأة

الحق في ممارسة كافة الحقوق والاعمال والحريات المباحة والمشروعة والاستمتاع بزيينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق ضمن نطاق القصد والاعتدال ومجانبة الاسراف والقلو والفواحش والآثام والبغى واسباب الفتنة .

فالمرأة التي كلفت بجميع التكاليف البدنية والمالية والمدنية ، وحملت مسئوليتها مثل الرجل دون اى نقص ، ينبغي لها الحق في ممارسة كل نشاط وسعى يمارسه الرجل والاستمتاع بالحقوق والمباحات والحريات المشروعة التي يتمتع بها الرجل ، في مجالات الحياة العامة والخاصة سواء بسواء . مع مراعاة لطبيعة المرأة وطبيعة كل زمان ومكان فمن اصول هذا الدين انه لاضرار ، وان اتقاء الشبهات واجب ، وان دفع المفسد مقدم على جلب المصالح .

وهكذا تسجل الشريعة الاسلامية للمرأة منذ اربعة عشر قرنا من الحقوق والواجبات مالم تسبق بمثله بل ومالم تلحق به لأنها شريعة الله (ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون) المائدة . هـ

الأم في القرآن

نزل القرآن على النبي الكريم في ثلاث وعشرين سنة يدعو الى الايمان ويرسم الطريق السليم لقواعد الاسلام وآدابه ، ومثله وفضائله ، وقد كان القرآن ثورة على مخلفات الجاهلية ، وبناء لصرح الفضائل والقيم الانسانية .

كان من عادات العرب في الجاهلية توفير الغنى واحتقار الفقير ، وتعظيم القوى وإهمال الضعيف

كان العرب يرحلون بحثا عن المرمى والكلأ ، وربما تركوا كبار السن يلاقون مصيرهم المحتوم في الصحراء .

وهذا هو سر عناية القرآن البالغة برعاية الوالدين واکرامهما والتأدب في الحديث اليهما .

كما منى القرآن بالأم عناية خاصة لانها تحملت آلام الحمل والولادة والرضاعة والحضانة والتنشئة ،

ولان الأم اكثر حنانا ورقة وشفقة ، فهي الجندي المجهول وهي صانعة الأجيال وهي التي ترمي الوليد حتى يشب وتكفله بأنواع الرعاية الصحية والنفسية والفدائية قال تعالى : (ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لى ولوالديك الى المصير) سورة لقمان ١٤

يروى ان رجلا جاء الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يطلب منه ان يمكنه من حضانة ولده من زوجته المطلقة قائلا يا امير المؤمنين حملته قبل ان تحمله ووضعت قبل ان تضعه ، فأجابت الأم قائلة يا امير المؤمنين حملته خفيفا وحملته وقرا ووضعه شهوة ووضعت كرها ، فقضى الخليفة العادل للأم بحضانة الولد . وقد شهد القرآن للام بهذا الجهد المشكور فقال سبحانه : (ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته امه كرها ووضعت كرها ، وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ، حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة ، قال رب اوزعنى ان اشكر نعمتك التي أنعمت على وعلى والدى ، وان اعمل صالحا ترضاه ، واصالح لى فى لذيتى انى تبت اليك وانى من المسلمين) سورة الاحقاف : ١٥

ويطبعها لهذه الخصوصية التي بهدمها الواقع المشاهد عند كل أم
ويسجلها القرآن في سورين من سورة .

كانت وصايا النبي الكريم بالأم متكررة بحث على رعايتها وكرامها
واطاعة أمرها خاصة في حالة الكبر والضعف ، روى الشيخان أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم سئل من أحق الناس بحسن صحبتي يارسول الله ؟ قال
أمك ، قال ثم من ؟ قال أمك ، قال ثم من ؟ قال أمك ، قال ثم من ؟ قال أبوك .

وفي سورة الاسراء يتحدث القرآن عن الاحسان الى الوالدين بأسلوب
قوى اخاذ فيحذر من الإيذاء بأقل كلمة .

ويحث على القول الكريم والمعاملة الحسنة والتلطف والادب في رعايته
الوالدين ، ويدعو الى اخلاص الضراعة لله ان يرد للوالدين جميل عنايتهما في
التربية والتقويم ، ثم يلفت الى عهد الكبر الذي يصل فيه الوالدان الى حالة
تشبه الابن في الصغر ، فيتخذ الابن من ذلك فرصة الى عنايته بهما وتلمس
رضاهما وقضاء مصالحهما والتأدب في خطابهما ورعاية شئونهما لان هذا
هو رد الجميل وهو التكافل الاجتماعي وهو دين الوفاء يقضيه الابناء للآباء .

ولن تزال البشرية بخير ما حافظ الابناء على رعاية الآباء وكرام
الشيخوخة ، وبر الوالدين والاحسان اليهما ، قال تعالى : «وقضى ربك ألا
تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما
فلا تقل لهما أف» وليس هذا فقط بل (ولا تنهرهما) وليس هذا فقط بل (وقل
لهما قولا كريما) وليس هذا فقط بل (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة)
وليس هذا فقط بل (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) سورة الاسراء
٢٢ - ٢٤ .

الأم وراء رسل الله

تحدث القرآن الكريم عن الأم واشاد بدورها العظيم في الحمل والولادة
والرضاعة والتربية ، فهي الجندي المجهول الذي يضحي بنفسه من أجل
هدف سام ومبدأ نبيل .

وقد قدمت الأمهات للبشرية روادا سابقين وهداة ومرشدين ، ويكفى أن
تعلم أن أربعة من كرام رسل الله كان وراء كل منهم أم مخلصة مضحية .

وهؤلاء الرسل هم اسماعيل وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة
والسلام .

كان وراء اسماعيل أمه هاجر ووراء موسى أمه يوكابد ووراء عيسى أمه
مريم ووراء محمد أمه آمنة .

وقامت أمهات الرسل بدور عظيم حفظه التاريخ وسجله القرآن الكريم .

ذهب ابراهيم خليل الله بولده اسماعيل وبركه بجوار البيت الحرام في بلاد جدباء لا زرع فيها ولا ماء ووقفت هاجر تبحث لاسماعيل من الماء وتصعد فوق الصفا تارة وتهبط الى المروة اخرى حتى ضرب اسماعيل الارض بقدميه فنبع ماء زمزم تحتها وجاءت هاجر تقول زمي زمي واستجاب الله دعاء خليل .
لاسرته وكانت زمزم مهدا لنبي الله اسماعيل ، في رعاية هاجر وكفالتها ، وجاءت قبيلة حرمهم من اليمن تستأذن في الاقامة بجوار زمزم ، فاشتترطت هاجر على شيوخ القبيلة ان يقيموا ضيوفا لا اصحاب حق في زمزم . فقبلوا ، واقاموا نسيوفا مجاورين لاسماعيل تم اصهاره فيما بعد ، وتبادل اسماعيل المنافع معهم ، وقد تحدث القرآن عن دعاء خليل ابراهيم حين قال : ((وبنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون)) ابراهيم ٣٧ .

وقد وقفت ام نبي الله موسى مواقف خالدة ، حفظت وليدها من الضياع وحمته من القتل ، بشباتها وصبرها وايمانها ، وصارت مثالا خالدا للصبر والايمان ، قال تعالى : ((واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقبسه في اليم ولا تخشى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من الرسلين)) القصص ٧ .

اما عيسى فقد كان معجزة للبشرية حملته امه على غير مالوف البشر ، فقد نفخ فيها الملاك جبريل ، فتم الحمل وتمت الولادة وتمت مريم الموت حياء من قومها ، لكن الله أطلق وليدها بما يطمئنها وجاءت بعيسى الى قومها ، فلأموها وعيروها فصمتت مريم عن الكلام وتركت وليدها يقول في اعجاز وبيان : (قال انى عبد الله آتاني الكتاب وجعلنى نبيا ، وجعلنى مباركا اينما كنت واوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا ، وبرأ بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيئا) مريم ٣٠ - ٣٢ .

وقد صدقت مريم بكلمات ربها وكتبه ، ووقفت وراء المسيح طفلا وناشئا ، وآمنت به نبيا ورسولا ، قال تعالى : ((ومريم ابنة عمران التى احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين)) التحريم ١٢ .

ونبيننا محمد عليه الصلاة والسلام مات ابوه عبد الله وهو جنين في بطن امه وجاءت الاخبار الى آمنة بنت وهب بوفاة زوجها الشاب فكان حزنها شديدا ومصائبها جللا بيد انها احست بالسلاوى بين أحشائها وبشرتها الرؤى بانها حملت خير البشرية وهداية الانسانية فكرست حياتها للوليد المبارك وأودعته

آمالها ورجاءها . ولما بلغ عمر النبي سبع سنين حملته أمه لزيارة أخواله من بني النجار في المدينة وعادت آمنة بمحمد إلى مكة فنقلت عليها الحمى في الطريق وأحسّت أنها ستودع الحياة ، وفي مكان يسمى الأبواء بين مكة والمدينة قربت الأم وليدها من صدرها وبثته حنانها وآمالها ، وماتت قريرة العين بطهارته وإمانته ، وقالت آمنة في وداع ابنها الوحيد ، كل حى سيفنى وكل جديد سيبلى ولقد ولدت طهرا وخلفت شرفا فأنا باقية وذكرى ممتد في العالمين .

(٤)

الجهاد

الجهاد في الاسلام

جاء الاسلام دعوة عامة لهداية الناس واخراجهم من الظلمات الى النور وارسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم (شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله بالذنه وسراجا منيرا) (١) ، ليرشد الحيارى ويهدي الظالمين ، قال تعالى :

• (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) (٢)

ولأن الرحمة الاسلامية تعم ولا تخص كان لها جانبان احدهما : بث التآلف والتواد والتراحم بين اهل الايمان وأهل الحق ، والتعاون معهم على اقامة الحق ونصرتهم وأعلاء كلمته ،

والجانب الثانى منع الظلم ودفع الاذى ، والغلظة على الظالمين حتى يثوبوا الى الحق ، وعلى المعتدين حتى يكفوا عن الاعتداء .

وكان المسلمون نموذجا فريدا يجمع بين جانبى الرحمة ، قال تعالى
(اشعء على الكفار رحماء بينهم) (٣)

ومن قانون الرحمة شرعت شريعة الجهاد ، فالجهاد في الاسلام هو دفع الاعتداء واقامة الحق ورفع مناره والقضاء على الظلم والفساد .

ان الرحمة بالانسانية توجب وقف المعتدى عن الاعتداء ومنع الظالم من

(١) الأجزاء ٤٥ ، ٤٦ •

(٢) الانبياء ١٠٧ •

(٣) الفتح ٢٩ •

الظلم ودفع الفساد في الأرض واقامة دعائم الحق ، وذلك لا يكون اذا قيل للمعتدى : كف مكانك ، وقيل للمظلوم إن معك من يهزمك ومن يدفع عنك شر الظالم ، فاذا كان في الحرب قتل ففيها منع لسفك الدماء ان قام بها اهل الحق والعدل .

ان الخير والشر يتنازعان في كل انسان ، وفي انفس الجماعة وبين الدول . فمع الشر الاعتداء ومع الخير منع الاعتداء . ولذلك كان الجهاد شريعة ماضية الى يوم القيامة كما قال عليه الصلاة والسلام « الجهاد ماض الى يوم القيامة » لان النزاع بين قوى الشر والخير ماض الى يوم القيامة ، فكان الجهاد لابد ان يستمر ليمنع الشر من ان يسيطر ، وليظهر الحق حتى لا يضعف ولا يدل ولولا ذلك لعم الظلم وظهر الفساد في البر والبحر من غير ان يظهر خير بجواره ، قال تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين) (١) .

تفنيده قرينة :

اتهم بعض المفرضين الاسلام بأنه قام على السيف والحروب ، وهذه دعوى باطلة للأسباب الآتية :

- ١ - الاسلام معناه الاذعان والانقياد واخلاص القلب لله ، وذلك يتنافى مع الاكراه والاجبار ، قال تعالى (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) (٢) .
- ٢ - الاسلام يفرض على المؤمن به أن يكون واثقا بربه متيقنا بوجوده مؤمنا بقدرته ايمانا ثابتا عن يقين . قال تعالى (قالت الاعراب آئنا قتل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم) (٣) .
- ٣ - نهى القرآن الكريم عن الفتنة في الدين واعتبر فتنة المتدين في دينه أشد من قتله . قال تعالى (والفتنة أكبر من القتل) (٤) .

ولقد منع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا حاول أن يكره بعض ولده على الدخول في الاسلام . وجاءت امرأة عجوز الى عمر بن الخطاب في حاجة لها ، وكانت غير مسلمة فدعاها الى الاسلام فأبت فتركها عمر ، وخشى أن يكون في

(١) البقرة/٢٥١
(٢) البقرة/٢٥٦
(٣) الحجرات/١٤
(٤) البقرة/٢١٧

قوله وهو أمير اكراه فانجه الى ربه ضارعا قائلا : اللهم ارسدت ولم اكره ،
وتلا قوله تعالى (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) (١) .

مشروعية القتال

شرع القتال للأسباب الآتية :

١ - الدفاع عن النفس ورد العدوان ، قال تعالى (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم) (٢) .

٢ - ازالة طواغيت الكفر والظلم من طريق الدعوة ، حتى يستطيع الفرد
العادي أن ينظر فيها وأن يعتقد ما يشاء مجردا من الخوف والارهاب ،
قال تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله) (٣) .

٣ - الاخذ على يد العابثين ، الذين يشوهون حقائق الاسلام ، وينفرون
الناس منه ، ثم هم يخونون العهود وينقضون المواثيق ، قال تعالى
(وان تكثروا ايمانهم من بعد عهدهم ، وطعنوا في دينكم ، فقاتلوا ائمة
الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون) (٤) .

٤ - حماية الضعفاء من المعجزة والصغار والنساء ودفع الظلم عنهم ، قال
تعالى (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء
والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل
لنا من لذك ولدا واجعل من لذك نصيرا) (٥) .

وقد ورد في سبب نزول هذه الآية أن اقواما من ضعاف المسلمين لم
يتمكنوا من الهجرة ، اذ حالت قريش بينهم وبين ما يريدون تسومهم سوء
العذاب لتصرفهم عن دينهم وتفتنهم في عقيدتهم فكانوا يضجون بالدماء قائلين :
(ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لذك ولدا واجعل
لنا من لذك نصيرا) .

(١) البقرة ٢٥٦

(٢) البقرة ١٩٤

(٣) البقرة ١٩٣

(٤) العنكبوت ١٢

(٥) النساء ٧٥

الاسلام بين الحرب والسلام

الاسلام في طبيعته دين السلام فالله اسمه (السلام) (١) ، والجنة اسمها (دار السلام) (٢) وتحية المؤمنين في الجنة هي السلام : (تحييتهم يوم يلقونه سلام) (٣) والقرآن نزل في موكب من السلام قال تعالى (انا انزلناه في ليلة القدر سلام هي حتى مطلع الفجر) (٤) . وحين ينتهي المؤمن من صلاته ينتهي بالسلام ، فالصلاة فترة محدودة كان يخاطب فيها ربه ويناجيه ، ثم يبدأ تعامله مع الناس بقوله : السلام عليكم عن اليمين ، والسلام عليكم من اليسار .

ولن يتردد المؤمن في قبوله دعوة السلام اذا دعى اليها قال تعالى :
(وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) (٥) .

★ ★ ★

ومع ان القتال شرع لدفع الاعتداء لم يأمر القرآن بالحرب منذ اول بادرة من الاعتداء ، او منذ الاعتداء بالفعل اذا امكن دفع الاعتداء بغير القتال فقد جاء فيه (وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خسر للصابرين ، واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون) (٦) .

وقد مكث النبي صلى الله عليه وسلم في مكة ثلاثة عشر عاما يدعو الى دين الله ويسوق الادلة على وجوب الايمان ويلفت انظار الناس الى كتاب الله المفتوح وهو الكون ، وكتابه المقدس وهو القرآن ، ولكن اهل مكة وقفوا في طريق دعوته وعذبوا اتباعه حتى اضطروهم للهجرة الى الحبشة والى المدينة ثم اذن الله للمؤمنين بالانتصاف لانفسهم وبدفع الظلم عن دعوتهم قال تعالى (اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله (٧)) .

قوانين الحرب :

الاسلام في طبيعته دين السلام ، ولكنه اذا اضطر الى الحرب حارب دفاعا عن النفس ، وحماية للعقيدة ، وتحطيم الطواغيت الكفر ، وحماية

-
- (١) العنبر : ٢٣ .
 - (٢) الأنعام : ١٢٧ .
 - (٣) الأحزاب : ٤٤ .
 - (٤) القدر : ٥ .
 - (٥) الأنفال : ٦١ .
 - (٦) النحل : ١٢٦ .
 - (٧) الحج : ١٣٩ ، ١٤٠ .

للمستضعفين ، واحفاقا الحق ، وتمكيننا لدين الله في الارض ، حتى يصل الى الناس بدون معوقات ، وتكون لهم الحرية التامة في اعتقادهم وفكرهم . واذا فالاصل هو السلام والحرب ضرورة اجتماعية وانسانية ومع ذلك فقد امر الاسلام بالفضيلة في الحرب لان الحرب موجهة ضد الظلم والعدوان والطفة لا ضد الافراد والشعوب ، ولذلك حرم النبي قتل من لم يقاتل ، وكان يوصى قواده الا يتعرضوا الى قتل النساء والاطفال والشيوخ وكل من لم يباشر القتال وليس له رأى في القتال ، ورأى رسول الله (ص) امرأة مقتولة بعد انتهاء معركة فوجه اللوم الى القائد خالد بن الوليد وقال : « ماكانت هذه لتقاتل » .

فالحروب الاسلامية حروب فاضلة في الباعث عليها وفي سيرها وفي انتهائها وفي معاملة المغلوبين لانها تستمد نظمها من قوانين السماء ومن هدى الله الحكيم العليم .

اعداد الامة للجهاد

الاسلام رسالة وفكرة وعقيدة ومنهج ، وقد اهتم ببناء الانسان وبكونه كما عني ببث الروح المعنوية العالية والفكرة السليمة والهدف الواضح ، لقد زين الايمان في قلوب المؤمنين ووضع دعامته وآدابه ورسم للامة طريق النصر واعددها للقتال اعدادا سليما .

ومن وسائل هذا الاعداد اتباع الدعامات الآتية :

١ - الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

لقد كان الايمان حجر الاساس في تحول العرب من حفاة بداءة منخلفين الى امة متحضرة مؤمنة متعاونة تؤمن بالله ربا وبالاسلام ديننا وبمحمد رسولا وتتبع احكام هذا الدين في اقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة والصيام والحج ، ثم تتسابق الى ميدان القتال طلبا للشهادة وأملا في ثواب الآخرة ، ولازال العامل البشري من اهم العوامل الحاسمة في المعركة ، وقد أثبتت حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣ الموافق ١٠ رمضان ١٣٩٣ هـ أهمية هذا العامل ، فقد تسابق الرجال يعبرون القناة ، ريجتازون خط بارليف ، ويستهيئون بالموت عند اللقاء ، حتى حطموا اسطورة اسرائيل ، وأثبتوا أن الايمان عامل حاسم من اهم عوامل النصر .

٢ - اعداد العدة وتجهيز أدوات القتال والتدريب عليها واستخدام أحدث الأسلحة ، وبذل المال الكافي لشراء السلاح الحاسم في المعركة قال تعالى (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) (١) . أى أقصى ما نستطيع من قوة للدفاع

عن أوطاننا وديننا وهذه القوة تكون في كل عصر بما يناسبه ، فمن هذه القوة تزويد الأمة بمختلف أدوات الحرب الحديثة من مدافع وبوارج وطائرات ومصفحات وأسلحة ذرية وصواريخ وقنابل وغير ذلك . كذلك يجب على المسلمين أن يتعلموا الفنون التي يتوقف عليها صنع هذه المعدات لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

٣ - وحدة الصف ، وتماسك طوائف الأمة وترايط المقاتلين والمجاهدين . قال تعالى (أن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص (١))

٤ - البعد عن أسباب الخلاف والنزاع ، فإن يد الله مع الجماعة ومن شذ شذ إلى النار قال تعالى (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين) (٢) . وفي الحديث : « من أتاكم وأمركم جميع يريد أن يفرق بينكم فاضربوه بالسيف كائنا من كان » .

٥ - الثبات في الميدان وطاعة الله والتزام أوامره والبعد عن معاصيه . قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) (٣) .

٦ - الصبر على المكروه وتحمل تبعات الحرب وتكاليف الجهاد قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) (٤) .

٧ - عدم تصديق الإشاعات والأراجيف ، ومحاولة الأسى والقنوط ، والقضاء على أساليب العدو ، وعلى الحرب النفسية التي يشنها رغبة منه في تثبيط الهمم والتبئيس من النصر . قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أن جادكم فاسق بنبا فتبينوا) (٥) .

٨ - الحذر واليقظة وعدم الاستهانة بالعدو ، قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا) (٦) .

٩ - طاعة القائد وتنفيذ الأوامر والمحافظة على الضبط والنظام : قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) (٧) .

(١) الصف/ ٤

(٢) الأنفال/ ٤٦

(٣) الأنفال/ ٤٥

(٤) آل عمران/ ٢٠٠

(٥) الحجرات/ ٦

(٦) النساء/ ٧١

(٧) النساء/ ٥٩

١٠ - عدم الفرار من الميدان والاستماتة في القتال حتى النصر أو الشهادة قال تعالى (ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما) (١) . ان الشجاعة صبر ساعة ، ورب ثبات لحظات يحول المعركة من هزيمة الى نصر ولذلك حرم الله الفرار من المعركة قال تعالى : (يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهم وبئس المصير) (٢) .

١١ - الثقة بان النصر من عند الله وان على المؤمن ان يعد العدة وأن يأخذ في الأسباب ثم يتوكل على الله (وما النصر الا من عند الله) (٣) .

١٢ - الثبات في المحنة والهزيمة ، والثقة بان مع العسر يسرا ومع الشدة فرجا . وتقبل الهزيمة بروح المتوكل للثأر الوائق بان الايام دول يوم لك ويوم عليك . قال تعالى (ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس) (٤) .

ترغيب الاسلام في الجهاد

رغب الاسلام في الجهاد وحث عليه ، واعتبر الجهاد من اشرف الاعمال وافضلها ، وجعل الجهاد تجارة رابحة رأس مالها الايمان بالله والجهاد في سبيله هذه التجارة مغفرة الذنوب ودخول الجنة ، وهناك جواز عاجل في الدنيا وهو النصر المبين والبشرى للمؤمنين ، قال تعالى :

(يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومسكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ، واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين) (٥) .

وفي نصوص القرآن والسنة نجد ان الجهاد افضل الاعمال ، واكثرها ثوابا ، واعظمها اثرا ، اذ يشتمل الجهاد على الفضائل الآتية :

-
- (١) النساء/ ٧٤ .
 - (٢) الانفال/ ١٥ ، ١٦ .
 - (٣) الانفال/ ١٠ .
 - (٤) آل عمران/ ١٤٠ .
 - (٥) الصل/ ١٠ - ١٣ .

- ١ - الجهاد أفضل انواع العبادة . روى البخارى عن ابي هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم : دلنى على عمل يعدل الجهاد . قال : لأجده ، ثم قال : هل تستطيع اذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر (١) ؟ وتصوم ولا تفطر ؟ قال ومن يستطيع ذلك .
- ٢ - المجاهد لا ينال الا احدى الحسنين ، فهو ان مات دخل الجنة وان عاش فله الاجر والغنيمة ، او له عظيم الثواب ان لم يحصل على غنيمة . قال تعالى : (قل هل توبصون بنا الا احدى الحسنين) (٢) .
- ٣ - الجهاد افضل من التفرغ للعبادة والانتقطاع عن الناس ، فلا رهبانية في الاسلام ورهبانية المسلمين هي الجهاد .
- قال صلى الله عليه وسلم : « أن مقام أحدكم في الصف ساعة أفضل من صلاته في بيته سبعين عاما » (٣) .
- ٤ - الجهاد في سبيل الله أمان من نار جهنم ، وبراءة من عذابها ، قال صلى الله عليه وسلم : « عيناان لاتمسهما النار عينا بكت من خشية الله وعينا باتت تحرس في سبيل الله » (٤) .
- ٥ - حث القرآن الكريم على الجهاد في كثير من آياته ، وبين فضله وثوابه ، وحذر من القعود والتخلف عن الجهاد ، وتوعد من ترك الجهاد بالعذاب والنكال . قال تعالى (الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضره شيئا والله على كل شيء قدير) (٥) .

(١) لا تفتر : لا تنام .

(٢) التوبة/٥٢ .

(٣) رواه الترمذى وحسنه .

(٤) رواه الترمذى وقال حديث حسن .

(٥) التوبة/٣٩ .

الرباط

الرباط : هو الإقامة بالسلاح في المكان الذي يتوقع هجوم العدو فيه للحراسة والدفاع ، وهو قسمان :

- ١ - حراسة الحدود لصد العدوان الخارجى ، وهذا مايقوم به الجيش المنظم .
- ٢ - حراسة داخل البلاد ، وهو مايسمى في عصرنا بالمقاومة الشعبية .

مكان الرباط :

مكان الرباط هو الموقع الذي يتوقع هجوم العدو عليه ، وتكون هذه المواقع عادة آخر الحدود الآمنة للمسلمين .

فصل الرباط :

المرباط انسان مخلص يقف على خط النار دفاعا عن المسلمين وحماية لأوطانهم ، فهو راهب متجرد وفدائى غيور يبيع نفسه لله ويشترى جنة عرضها السموات والارض . قال تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفؤاد العظيم) (١) .

ومن شثمان بن عفان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل» (٢) .

(١) العروة/ ١١١ •

(٢) المدخل لابن الحاج ١١٥/٢ ، وفيه قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح •

حكم الرباط في سبيل الله

الرباط فرض كفاية في الاحوال العادية ، واذا فعله البعض بصورة كافية ، سقط عن بقية المسلمين ، واذا لم يفعله احد اثم الجميع ، لأنه يتوقف عليه حماية وحراسة ارض المسلمين وأموالهم وأعراضهم ومصالحهم، أما في غير الاحوال العادية فهو فرض عين على القادر ، وهؤلاء المربطون هم المقاتلون في المعارك لأنهم مسلحون ومدربون ومستعدون .

أجر من مات مربطاً في سبيل الله

المربط مجاهد في اخطر الاماكن وامسها بسلامة الامة وامنها ، فهو في عبادة وثواب كبير واذا مات في الرباط استمر ثوابه وأجره الى يوم القيامة، وأمنه الله من الفزع يوم البعث والحشر وحرم النار عليه وأوجب له الجنة . قال صلى الله عليه وسلم : « كل ميت يختم على عمله الا المربط في سبيل الله فإنه ينمى له عمله الى يوم القيامة ويؤمن من فتنة القبر » (١) . وقال (ص) « حرمت النار على عين دمعت أو بكت من خشية الله ، وحرمت النار على عين سهرت في سبيل الله » (٢) .

الشهداء

الشهيد هو من قتل في معركة بيننا وبين اعداء الدين ، أو جرح وبقي في موضع المعركة حتى مات ، ولم يتمتع بعد اصابته بشيء من ملذات الحياة، وكان يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا وكذلك من قتله قطاع الطريق ، والخارجون على الامام أو قتل دون ماله أو عرضه .

ومن الشهداء شهداؤنا في معارك التحرير في حرب رمضان وما قبلها وما بعدها ، لقد أدوا واجبه واستعدوا الموت في سبيل الله ولفظوا ارواحهم وجادوا بحياتهم دفاعاً عن اوطانهم وأمتهم فلهم جزاء الله في الجنة وثوابه في الآخرة .

حكم الشهداء :

لايفسّل الشهداء ولا يكفنون بل تترك عليهم ثيابهم وينزع عنهم الاشياء التي لاتصلح للكفن كالقرو أو الدرع، كما ينزع عنهم ادوات الحرب لينتفع بها

(١) رواه أبو حنود والترمذى - الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٣٦٦ .

(٢) رواه أحمد وغيره - الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٣٧٣ .

غيرهم ، وفي الحديث الشريف : «كفنوهم بكلومهم (١) ودمائهم فانهم يبعثون يوم القيامة واداجهم تشخب دما اللون لون الدم والريح ريح المسك » .

ولا يصلى على الشهداء اكتفاء بشرف الشهادة عند جميع الائمة عدا الحنفية فانهم قالوا يصلى على الشهيد .

شهداء الآخرة :

وهم كل من جرح في المعركة ونقل من مكانها وتناول شبيثا من متاع الدنيا كالاكل والشراب والنوم . وهؤلاء شهداء في الآخرة دون الدنيا ، فلهم ثواب الشهادة في الآخرة ، لكنهم في الدنيا يعاملون معاملة سائر الموتى فيفسلون ويكفنون ويصلى عليهم كسائر الناس .

في حكم الشهداء ::

عد عليه الصلاة والسلام اقواما واخبر إنهم من الشهداء ، ومن هؤلاء: الدين ماتوا بالطاعون من غير فرار منه ، ومنهم الذين ماتوا غرقى أو حرقى أو ماتوا بمرض البطن والصدر ، ومنهم من مات قريبا من وطنه وأهله ، ومنهم المرابطون في سبيل الله . فهؤلاء لهم ثواب الشهداء في الآخرة ولا تطبق عليهم احكام الشهداء في الدنيا .

وشهادة هؤلاء تسمى الشهادة الصغرى اما من مات في المعركة فهو شهيد شهادة كبرى .

ثواب الشهداء

الشهداء عادة اكرم الناس نفوسا واخلصهم قلوبا ، انهم يحملون ارواحهم على اكفهم ويوجدون بها في سبيل الله رخيصة عليهم غالية في موازين الحق ، ولذلك يهبهم الله الخلود في حياة برزخية أبدية قال تعالى (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون) (٢) .

ومن ثواب الشهداء مايتى :

١ - الشهيد في الفردوس الأعلى من الجنة تسبح روحه حول العرش وتاوى الى قناديل من نور ، ولها اعظم المنازل عند الله وفي جواره وقضه ، قال تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من

(١) الكلوم جمع كلم ومر الجرح .

(٢) البقرة/١٥٤ .

النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا . ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما (١) .

٢ - جراح الشهيد تآلى يوم القيامة وهى وسام على صدره نطفح دما ، لونها لو الزعفران وريحها ريح المسك .

٣ - الشهداء احياء عند الله ، يتمتعون بنعيم الجنة ، ويكافون بآرفع المنازل فى جنات عدن مند ملك مقتدر ، وقد تكفل الله أن ينقل أخبار الشهداء الى المؤمنين بيانا لفضل الشهادة وترغيبا للعمل من أجلها ، من جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى جوف طير خضر ترد أنهار الجنة وتاكل من ثمارها ثم تأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا : من يبلغ اخواننا منا أنا احياء فى الجنة نرزق لئلا يزهّدوا فى الجهاد ، ولا ينكلوا (٢) عند الحرب ، فقال الله أنا ابلقهم فانزل الله قوله : (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون) (٣) .

٤ - لشهيد الجو. وشهيد البحر من الثواب أضعاف ما لشهيد البر لما فى ركوب الطائرة والبارجة من المخاطرة واقتحام الأهوال ، والاستعداد للبدل والفداء والتضحية ، قال صلى الله عليه وسلم : « غروة فى البحر خير من عشر غزوات فى البر » (٤) .

٥ - الشهادة فى سبيل الله سنام العمل الصالح وذروة الاعمال الكريمة وأفضل المآثر والامجاد وهى أحسن مايلقى به العبد ربه وأكرم تاج يحمل صاحبه. وأبقى ذكرى وأخلد عمل .

منزلة الجهاد فى الاسلام

الجهاد فريضة محكمة ، وشريعة ماضية الى يوم القيامة ، وقد تأيدت فرضيته بالكتاب والسنة والاجماع .

قال تعالى : (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) (٥)

(١) النساء/ ٦٩ ، ٧٠ .

(٢) تكل من العدو ومن اليمن من باب دخل أى جبن .

(٣) آل عمران/ ١٦٩ .

(٤) رواه الحاكم وقال صحيح على شرط البخارى .

(٥) البقرة/ ٢١٦ .

وقال صلى الله عليه وسلم « **الجهاد ماض الى يوم القيامة** » أى فرضاً باقياً لامراز الدين ودفع الشر عن العباد . واجتمعت الأمة على فرضية الجهاد . الا أنه أحياناً يكون فرض كفاية وأحياناً يكون فرض عين .

حكم الجهاد

الأصل فى الجهاد أنه فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط الاثم من الباقين (١) . وفى مصرنا المحاضر نجد ان القتال أصبح فنا ودراسة ، ويحتاج ليلقة ومهارة وتمرينا ، بل وتفرغاً لاحكامه ، ونجد أن الجندى فى الميدان محتاج الى جبهة متكاملة تؤدي واجبها من خلفه ، فالزراعة والصناعة والتعليم وكل وسائل البناء والعمران أدوات لازمة لرقى الأمة وامداد المجاهدين بما يحتاجون اليه .

فلا يمكن أن يكون الجهاد فرض عين ابتداء ، لأن الناس لو خرجت جميعاً للجهاد فلن يكون هناك زراع يزرعون الأرض ، ولن يكون هناك صناع يمدون الجيش بالقوة المطلوبة ، وبذلك تفقد الأمة قوة الانتاج ولا تجد من يقدم للجنود حاجاتهم .

والجهاد عمل من اشق الاعمال ، ومن يسر الاسلام الا يكون التكليف الشاق مستمراً والا يكون على جميع الناس . قال تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) (٢) . فلا يكون الجهاد واجباً الا على القادر عليه ويكون من وراءه من سائر الافراد فى جهاد آخر ، فالزراع يؤدي واجباً كفايياً والصانع سواء اكان نساجاً او حداداً او غير ذلك يؤدي واجباً كفايياً وهكذا . فالناس مختلفون قوى ومواهب وكل ميسر لما خلق له . وكل يقوم بفرض كفاية لاستغنى عنه الأمة فى عمله والنبي صلى الله عليه وسلم كان يخرج الى الجهاد ولا يخرج جميع اهل المدينة (٣) .

متى يكون الجهاد فرض عين :

يصير الجهاد فرض عين على كل مسلم ومسلمة اذا هاجم العدو ارض الاسلام . فعلى كل قادر حينئذ أن يقوم بالدور الذى يستند اليه ، فالعلماء والصمائل والتجار وغيرهم كل منهم يصير مجاهداً اثناء المعركة اذا كلفهم الامام بالبقاء فى مواقعهم واخلص كل منهم فى عمله وابتغى به وجه الله وكان فى نيته أن يساعد المجاهدين .

(١) فتح البدر : ٢٨١/٤

(٢) البقرة/١٨٥

(٣) الاختيار كتاب السير ٧٣/٣

قال صاحب الاختيار : الجهاد فرض عند النفير العام وكفاية عند عدمه
قال تعالى (انفروا خفاها ونظالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله) (١)
والنفير العام : أن يحتاج الى جميع المسلمين فلا يحصل المقصود وهو
امراز الدين وفهر المشتركين الا بالجميع فيصير عليهم فرض مبن كالصلاة (٢) .

الاقرب فالاقرب :

اتفق الفقهاء على أنه يجب على اهل كل نعر أن يقاتلوا من بين ايديهم ،
من الاعداء ، وأن مجروا ساعدهم من يليهم الاقرب فالاقرب قال تعالى (يا ايها
الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدا فيكم غلظة واعلموا ان الله
مع المتقين) (٣) .

واذا التقى الرحفان وتلاقت الجيوش وجب على المسلمين الحاضرين
الثبات وحرم عليهم الفرار الا أن يكونوا متحرفين لقتال أو متحيزين الى فئة
أو يكون الواحد امام ثلاثة من الاعداء أو المائة امام ثلاثمائة فيباح الفرار . ولهم
الثبات مع ذلك لاسيما مع غلبة ظنهم بالظهور عليهم . (٤)

وعيد المتخلفين عن الجهاد :

توعد الله المتخلفين عن الجهاد بالعذاب والنكال ، فما ترك قوم الجهاد
الا سلب الله عليهم ذلا لا ينزعه حتى يعودوا الى امر الله ، قال تعالى (فرح
المخلفون بمقعدتهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا باموالهم وانفسهم في
سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا
يفقهون) (٥) .

كما ورد في السنة المطهرة تحذير شديد من ترك الجهاد والتخلف عن
المجاهدين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مات ولم يغز ولم
يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق » . - رواه مسلم .

واجب الأمة نحو المجاهدين :

المجاهد رمز للتضحية والفداء ، أنه خط الدفاع الاول ، وهو يتعرض
للموت فداء لوطنه وأمتة فواجبنا نحو المجاهدين أن نرمي أسرهم وأن نحافظ

(١) التوبة/٤١ .

(٢) الاختيار شرح المغتار كتاب السير ٧٣/٣ .

(٣) التوبة/١٢٣ .

(٤) الميزان الكبرى للشعراني ١٧٠/٢ .

(٥) التوبة ٨١ .

على حرمانهم وان تبذل المال لمساعدتهم على القيام بواجبهم ، والا نبخل عليهم
بجهد او نفع او جاه ، وان تكرم المجاهدين عند عودتهم وان تدعو لهم بالنصر
والتوفيق .

روى البخاري ومسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من
جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا في سبيل الله في اهله بخير
فقد غزا » . (١)

(١) الترمذي والتهذيب ، ج ٢ ص ٣٧٧ .

غزوة بدر الكبرى

هاجر المسلمون من مكة الى المدينة وتركوا اموالهم واطنانهم حفاظا على دينهم ودفاعا عن عقيدتهم ، قال تعالى (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد) ٢٠٧ - البقرة

وكانت لقريش تجارة على طريق المدينة فقال النبي لاصحابه هذه غير لقريش ، اخرجوا اليها عل الله ان ينفلكموها فخف بعض الناس وخلف اكثرهم ثقة منهم بان النبي لن يلقى حربا .

ولما علمت قريش بالامر سارعت بالخروج الى حرب المسلمين وفي الطريق علموا ان تجارتهم قد نجا بها ابو سفيان ، وارسل اليهم ابو سفيان يطلب منهم العودة الى مكة .

فقال ابو جهل لا نرجع حتى نحضر بسدرا فنقيم فيه ثلاثا ننحر الجذر ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتسمع بنا العرب ، فلا يزالون بها بهابونا .

وسار جيش المشركين حتى وصل وادي بدر فنزل في عدونه الفصوى عن المدينة في ارض سهلة كينة .

اما جيش المسلمين فانه نزل بعدوة الوادي الدنيا من المدينة في ارض سيخة - فاصبح المسلمون عطاشا وبعضهم محدث في حاجة الى الطهارة .

فأرسل الله لهم الغيث حتى سال الوادي فشربوا واتخذوا الحياض ، واغتسلوا ، وملأوا الاسفية ، ولبدت الارض حتى ثبتت عليها الاقدام .

على حين كان هذا المطر مصيبة على المشركين فانه وحل الارض حتى لم يعودوا يقدرون على الارتحال ، ومصادق هذا قوله تعالى في سورة الانفال .

(اذ يفشيكم الغساس امانة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام) .

وقبيل المعركة اخذ عليه الصلاة والسلام يعدل صفوف المسلمين ويأمر بالصبر والثبات ثم قال (والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل مقبل غير مدبر الا وجبت له الجنة)

والتفت النبي الى جيش المشركين فقال (اللهم هذه قرىش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب لبيك اللهم فنصرك الذى وعدتنى)

ثم ابتدا القتال بالمبارزة فخرج من صفوف المشركين ثلاثة نفر عتبة بن ربيعة بين اخيه شمية وابنه الوليد فطلبوا اكفاءهم فخرج اليهم ثلاثة من الانصار فقالوا لا حاجة لنا بكم انما نريد اكفاءنا من بنى عمنا .

فاخرج لهم عليه الصلاة والسلام عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، وحزمة بن عبد المطلب وعلى بن ابي طالب .

فقتل حمزة شمية وعلى الوليد وكرا على عتبة فقتلاه واحتملا عبيدة جريعا .

وبعد انقضاء هذه المبارزة بدا الهجوم بالصفوف والتحم الجيشان وحمى الوطيس وارسل الله ملائكة السماء تؤيد المؤمنين وتثبتهم قال تعالى (اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا سאלقى فى قلوب الذين كفروا الغم فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان . ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب) ١٣ - الانفال .

واخذ النبي حفنة من التراب ورمى بها فى وجوه الكافرين وقال شاهت الوجوه لا يرفع الله الا هذه المغاطس . . اللهم اشدك عهدك وعهدك اللهم ان شئت لم تعبد . . سيهزم الجميع ويولون الدبر ولم تكن الا ساعة حتى هزم المشركون وولوا الادبار وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فقتل من المشركين نحو السبعين واسر منهم نحو السبعين .

وقد امر عليه الصلاة والسلام بالقتلى فجمعوا فى قبر واحد ثم وقف عليهم وجعل يناديهم بأسمائهم واسماء ابائهم فيقول

يا ابا جهل بن هشام يا ابنى بن خلف ، يا فلان بن فلان ،

ايسركم انكم اطعمتم الله ورسوله ، فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟

فقال عمر يارسول الله ما تكلم من اجساد لا ارواح فيها فقال النبي والذى نفس محمد بيده ما انتم باسمع لما اقول منهم ولكنهم لا يجيبون .

. . وهكذا اتم الله النصر للمؤمنين على قلة عددهم وعدتهم وادال لهم من الكافرين على كثرة عددهم وعدتهم ليكون ذلك درساً بليغاً فى اثر الايمان

الصادق والعقيدة السليمة (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) (وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي الا ذكرى للبشر) ٣١ المدثر .

فمن جنوده الملائكة ومن جنوده سلاح الرعب والخوف ومن جنوده ارسال الرياح عاتية شديدة ومن جنوده ارسال طير ابابيل . وبكل ذلك ورد القرآن الكريم (وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم) ١٢٦ - آل عمران ، (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم . ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين) الأنفال ١٧ ، ١٨ .

اسرى بدر

انتهت غزوة بدر بنصر مؤزر للمسلمين فقتلوا من المشركين سبعين قتيلا واسروا سبعين اسيرا وفر الباقون .

وعاد المسلمون الى المدينة ومعهم الاسرى يسرون في القيود والاضلال في ذلة وانكسار وخاف الاسرى على انفسهم من القتل فبعثوا الى ابي بكر الصديق فقالوا له يا ابا بكر ان فينا الآباء والاخوان والعمومة وبنى العمم وابعدنا قريب كلم صاحبك يمن علينا بالعفو او يقبل فينا الفداء فوعدهم ابو بكر خيرا .

وخافوا ان يفسد عمر بن الخطاب عليهم امرهم فارسلوا اليه فجاءهم فقالوا له مثل قولهم لأبي بكر ، فنظر اليهم شذرا وذهب وزيره محمد اليه فجعل ابو بكر يحثه على الرفق بالاسرى وقبول الفداء منهم ويقول : يا رسول الله بأبي أنت وأمي ! قومك فيهم الآباء والابناء والعمومة وبنو العمم والاخوان وابعدهم منك قريب فامتن عليهم من الله عليك ، او فادهم (اى اقبل منهم الفداء) يستنقدهم الله بك من النار ، ويكون ماخذت منهم قوة للمسلمين ، فلعل الله ان يقلب قلوبهم .

وسكت الرسول فلم يجبه فقام ابو بكر وتنحنى جانبا .

وجاء عمر فجلس مكان ابي بكر وقال يا رسول الله ، هؤلاء الاسرى هم اعداء الله ، كذبوك وقتلوك واخرجوك ، اضرب رقابهم ، هم رؤوس الكفر وأئمة الضلال يمز الله بقتلهم الاسلام ويذل اهل الشرك ، ولم يجب النبي الامين .

فعاد ابو بكر الى معبده الاول وجعل يتلطف ويستعطف ويدكر القرابة والرحم ، ويرجو لهؤلاء الاسرى الهدى ان هو ابقى على حياتهم ، وعاد عمر

مثال العدل الصارم لاتأخذه فيه هواة ولا رحمة ولما فرغ أبو بكر وعمر من كلامهما ، قام محمد فدخل قبته فمكث فيها ساعة ثم خرج والناس يخوضون في شأنهم ، يقف بعضهم في صف أبي بكر ، ويقف آخرون في صف عمر فشاورهم فيما يصنع وضرب لهم في أبي بكر وعمر مثلاً فاما أبو بكر فمثله كمثله ميكال ينزل برضا الله وعفوه عن عباده ، واما عمر فمثله كمثله جبريل ينزل بالسخط من الله والنقمة على أعداء الله ، ثم أخذ النبي برأى أبي بكر وقبل الفداء من الأسرى .

وقد نزل الوحي من السماء يؤيد رأى عمر ويوضح أن قبول الفداء انما يكون بعد الانتصار المتكرر والسيطرة على الأعداء .

فأما في مثل غزوة بدر فقد كان الأولى أن يقتل هؤلاء الأسرى من المشركين لتقطع شوكة الكفار ولتزلزل الحواجز والسدود من طريق الدموة الى الله .

قال تعالى : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم » . الانفال ٦٧ .

الشورى في غزوة بدر

عندما خرج الرسول صلى الله عليه وسلم الى غزوة بدر فوجيء بجموع صغيرة من المشركين تفوق على المسلمين في العدد والعدد ، وقد استشار النبي أصحابه في قتال المشركين .

فقام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك والله لانتصرك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ، ولكن نقول : اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغمام لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فقال له النبي خيراً ، ودعا له بخير .

ثم قال : أشيروا على أيها الناس - وانما يريد رأى الانتصار - فقال سعد ابن معاذ زعيم الانصار : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله قال نعم ، قال سعد يا رسول الله آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهدنا وموالاتنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا في الحرب ، انا لصبر في الحرب ، صدق في اللقاء ، ولعل الله أن يرريك منا ما تقر به عينك فسر بنا ، واستمد العون والتوفيق من الله .

وما أن أتم سعد كلامه وانتهى من حديثه حتى أشرق وجه الرسول وشاع السرور في نفسه ثم قال سيروا وإبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم وأرتحلوا حتى نزلوا قريبا من ماء بدر .

ويتضح من ذلك أثر الشورى في الإسلام فالإسلام دين الشورى والديمقراطية ومشاركة الجندي للقائد وكذلك يتماسك المسلمون ويتعاونون ، وصدق الله العظيم :

« فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله أن الله يحب المتوكلين » .

« أنا فتحنا لك فتحا مبينا »

يقول الله تعالى في كتابه الكريم

(أنا فتحنا لك فتحا مبينا، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ، وينصرك الله نصرا عزيزا)

ضيق كفار مكة الخناق على المسلمين فاضطربهم ذلك إلى الهجرة إلى المدينة وهم المشركون بقتل رسول الله أو حبسه أو نفيه ، فأمره الله بالهجرة (واذ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يَخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَبِيرُ الْمَاكِرِينَ) أى دبروا أمرا في الخفاء ، ودبر الله نصر نبيه في السماء ، وكانت هناك غزوات بين المسلمين والمشركين أهمها غزوة بدر وغزوة أحد وغزوة الأحزاب .

وأعقب ذلك هدنة وصلح بين الطرفين . وعهد على وضع الحرب عشر سنين ، بيد أن قريشا نقضت العهد بمساعدتها قبيلة بكر حليفها على قبيلة خزاعة حليفة رسول الله ، وأعملت السلاح في خزاعة حتى جاءت إلى البيت الحرام تستجير به ولا مجير .

وخرج عمرو بن سالم الخزاعي طريدا شريدا من مكة إلى المدينة يستجير برسول الله ويطلب منه النصر والمعونة على قريش وأشد بين يديه

يا رب انى ناصد محمدا حلف ابينا وابيك الا تلدا
أن قريشا أخلفوك المؤمدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا
هم يبتون بالوتير هجدا وقتلونا ركمسا وسجدا
فانصر همداك الله نصرا أبدا

فقال النبي نصرت يا عمرو بن سالم ، وسار في عشرة آلاف مجاهد الى مكة ودعا الله فائلا (اللهم خذ العيون والابصار عن قريش حتى نبغتها في بلادها) ولما وصل النبي مر الظهران امر بايقاد عشرة آلاف نار حتى اذا رأت قريش كثرة جيش المسلمين وعظيم عدده وعدته خضعت تحت اقدام النبي العظيم .

ودخل عليه الصلاة والسلام مكة فاتحا منتصرا يقرأ سورة الفتح **انا فتحنا لك فتحا مبينا** ، ولم يأخذه الزهو ولا الخيلاء ولا الغرور ، وحين رأى البيت الحرام انحنى على راحلته شكرا لله تعالى حتى اوشك أن يسجد عليها وهو يقول (تايبون آييون حامدون لربنا شاكرون) ثم دخل بيت الله الحرام فطاف وسعى ، وكان حول الكعبة اذ ذاك ثلاثمائة وستون صنما فجعل يقطعها بقضيب في يده ويقول (**جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا**) ثم دخل النبي الكعبة وكبر في نواحيها وخرج الى مقام ابراهيم وصلى فيه وشرب من ماء زمزم ثم جلس في المسجد والعيون شاخصة اليه ينتظرون ماهو فاعل بمشركي قريش الذين آذوه واخرجوه من بلاده وقتلوه . ولكن هنا تظهر مكارم الاخلاق وشمال النبوة وسماحة المنتصرين وعفو القادرين .

قال عليه السلام : **يا معشر قريش ما تظنون انى فاعل بكم ؟ قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم** ، فقال كلمته الخالدة (**اذهبوا فانتهم الطلقاء**)

(**لاتشرب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين**) .

وتوافد الناس للدخول في الاسلام رجالا ونساء ، افرادا وجماعات ثم خطب عليه السلام خطبة ابان فيها كثيرا من الاحكام الاسلامية منها الا يقتل مسلم بكافر ، ولا بتوارث اهل ملتين مختلفتين ولا تنكح المرأة على عمتها او خالتها ، والهيئنة على من ادمى والبمين على من انكر ، ولا تسافر المرأة مسيرة ثلاثة ايام الا مع ذي محرم . ولا صلاة بعد الصبح والعصر ، ولا يصام يوم الاضحى ويوم الفطر ثم قال يامعشر قريش ان الله اذهب عنكم نخوة الجاهلية ومعظمها بالآباء ، الناس من آدم وآدم من تراب وقرأ قوله تعالى

(**ياايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير**) .

ولما شرع الناس يبايعون رسول الله جاء رجل يرتعد خوفا فقال له عليه السلام (هون عليك فاني لست بملك انما انا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد) .

ايها المسلمون — بهذه المعاني انتصر المسلمون وعز الموحدون ، لقد جاهدوا من اجل الحق ، ومن اجل ان تكون كلمة الله هي العليا ، وصدقت

مارية القبطية حيث كتبت الى المقوقس حاكم مصر تصف له المسلمين فقالت :
(ان هؤلاء المسلمين هم العقل الجديد وهم النور الجديد وهم الروح
الجديد ونبيهم اظهر من السحابة البيضاء في اليوم الصائف واذا رفعوا السيف
رفعوه بقانون واذا وضعوا السيف وضعوه بقانون يفتحون البلاد باخلاقهم
قبل ان يفتحوها بسيوفهم) .

موالاة الأعداء

كان المسلمون يتجهزون لفتح مكة في سرية تامة ، وكان حاطب بن ابي
بلتعة من السابقين للاسلام ولكن الضعف استولى عليه وخاف على أسرته
بمكة فارسل خطابا يقول فيه : (من حاطب بن ابي بلتعة الى اهل مكة اعلموا
ان محمدا يريدكم فخذوا حذرکم) .

واعطى الخطاب لامرأة من اهل مكة تسمى سارة ، وهي موالاة لبعض بني
عبد المطلب وجعل لها اجرا معلوما اذا وصلت الخطاب لقريش بمكة وماليت
رسول الله ان احيط بالامر خبرا فسارع فبعث على بن ابي طالب والزبير بن
العوام فادركا ساره فاستنزلاها وبحثا عن الرسالة في رحلها فلم يجدوا شيئا
فقال لها على والله ما كذب رسول الله ولا كذبنا لتعطينا الخطاب او لتزعين
التياب فلما رأت المرأة الجد قالت امري فاعرض فحلت ذوائب شمرها
فاخرجت الكتاب منها فرداها الى المدينة ، ودعا النبي حاطبا فسأله ما حمله
على ذلك ؟ فقال حاطب يارسول الله ، أما والله اني لمؤمن بالله وبرسوله
وما غيرت وما بدلت ولكني كنت امرأ ليس له في القوم من اهل ولا عشيرة ، وكان
لى بين اظهرهم ولد وأهل فصانعتهم من أجل ولدى . قال عمر بن الخطاب
دعنى يارسول الله أضرب عنقه فان الرجل قد صار منافقا ، فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع الى اصحاب بدر يوم
بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم . وكان حاطب من اصحاب بدر واذا
ذاك نزل القرآن الكريم يحلر المسلمين من خيانة الامانة ومن موالاة الكفار
ومن مصادقة الأعداء .

قال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون
اليهم بالوادة » المتحنة : ١ .

« نظم الحرب في الاسلام »

يقول الله تعالى في كتابه الكريم

(وقالوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تتعدوا ان الله لا يحب المعتدين)
اذن الله للمسلمين بالقتال دفاعا عن انفسهم وردا لعدوان المعتدين

وحماية للضعفاء من الفتنه والاكراه في الدين قال تعالى (اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله) الحج ٣٩ ، ٤٠ .

والغاية الايجابية من القتال بعد ذلك هي حماية الاديان كلها من الاضطهاد او الاكراه عليها وتمكين المسلمين من عبادة الله وحده واعلاء كلمته وتأمين دعوته وتنفيذ شريعته وذلك امر في مصلحة البشر كلهم قال تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز ، الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الامور) الحج ٤٠ ، ٤١ .

لقد كان المشركون في مكة يضطهدون المسلمين بكل ماقدروا عليه من الايذاء والتعذيب لاجل ردهم من دينهم وكان القرآن - ينزل آنذاك - فيأمر المسلمين بالصبر والاحتمال وتبليغ الدعوة الى المشركين بالحكمة والوعظ الحسنة وجبالهم بالتى هي احسن .

ولكن المشركين اصموا اذانهم عن دعوة الحق واصروا واستكبروا في تعذيب المسلمين - واضطهاد المستضعفين وحاولوا قتل النبي او حبسه او نفيه وفي ذلك يقول القرآن الكريم واذا يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) ٣٠ الانفال .

ثم اذن الله لرسوله بالهجرة من مكة الى المدينة وهاجر المسلمون فرارا بدينهم وتخلصا من عنت قومهم وقد مات بعضهم في الصحراء قبل ان يصل الى المدينة وفي شأنهم قال الله تعالى (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما) . النساء ١٠٠ .

وكان بعض المسلمين يتردد في الاقدام على قتال المشركين ويرى ان يلتزم بوفاء اليهود مع كفار مكة رغم خيانتهم وغدرهم وعدوانهم ولذلك نزل القرآن الكريم يدهو المسلمين الى الانتصاف لانفسهم وقطع شوكة اعدائهم حتى يأخذ الدين سبيله الى قلوب الناس جميعا في غير خوف ولا فتنة قال تعالى (الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهم باخراج الرسول وهم بدعواكم اول مرة اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين ، فاقطعوا ايديهم بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويلهب فيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم) ١٣ ، ١٤ ، ١٥ التوبة .

ونوات آيات القرآن الكريم تدعو المسلمين الى اليقظة والحذر واعداد المدة واتخاذ الابهة حتى تكون القوة ذاتها مصدر امن للامة ومصدر ارباب وردع للاعداء قال تعالى (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل

ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم ومانتفقوا
من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لاتظلمون (٦٠ - الانفال .

ايها المؤمن

لقد تميزت نظم الحرب في الاسلام بأسس سليمة ومبادئ سامية فالقتال
دائما قتال في سبيل الله ليس لغرض دنيوى ولا لمارب شخصى وانما لاصلاء
الدين وقطع دابر الكافرين واذا تم النصر وجاء الفوز فلايصح ان يكون هناك
غرور وخيلاء ولا بطر وكبرياء ، فالنصر من عند الله والفوز بيد الله واذا كان
جند المسلمين اقل من جند اعدائهم فليس ذلك داعيا الى الخوف والهزيمة بل
ثقة المؤمن بربه لا حد لها فله جنود السموات والارض (كم من فئة قليلة غلبت
فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) ٢٤٩ - البقرة .

وواجب المؤمن ان يجيد اساليب القتال وان يتمرس باحدث فنون
الحرب واقوى اسلحته حتى يتم له التفوق على عدوه قال تعالى (ياايها النبي
حرص المؤمن على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وان
يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا باتهم قوم لا يفقهون ، الان خفف الله
عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن
منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين) ٦٥ - ٦٦ - الانفال .

وحرم القرآن الفرار من المعركة ونهى عن التولى عند الرحف وجعل ذلك
من الكبائر فالؤمن عزيز لايدل شجاع لايجبن قوى لايضعف واثق بربه حريص
على الشهادة في سبيله يستروح رائحة الجنة في جهاده الصادق وبلائه الحسن
قال تعالى (ياايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار
ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من
الله وماواه جهنم وبئس المصير ، فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ
رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم)
١٥ و ١٦ و ١٧ الانفال .

وقد اوجب الاسلام الوفاء بالمعهود في الحرب والسلم وحرم الخيانة
فيهما ومدح الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق قال تعالى : (واوفوا
بعهد الله اذا عاهدتم ولاتنقضوا الايمان بعد توكيدها) ٩١ - النحل .

وقد شنع القرآن على فعل اليهود ونقضهم المعهود والمواثيق وغدرهم
بالمسلمين كلما واتتهم الفرصة قال تعالى (ان شر الدواب عند الله الذين
كفروا فهم لا يؤمنون ، الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم
لايتقون ، فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون ٥٥ ،
٥٦ ، ٥٧ - الانفال .

أيها المؤمنون

هذه هي تعاليم دينكم وهذا هو نداء قرآنكم يدعوكم الى القوة والباس ويستنفركم للدفاع عن أوطانكم والذود عن حرماتكم وتطهير المسجد الأقصى وحمل راية الجهاد طلبا للشهادة في سبيل الله ورغبة فيما أعد الله للشهداء الأبرار من حياة أبدية وجنة عرضها السموات والأرض قال تعالى (والذين قتلوا في سبيل الله فكن يفضل أعمالهم ، سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم) ٤ ، ٥ ، ٦ ، محمد .

المتخلفون عن الجهاد

فرض الله الجهاد دفاعا من حوزة الوطن واعلاء لكلمة الله واقراراً للحق والعدل وقضاء على الفساد والبغى ، والجهاد في سبيل الله باب من أبواب الجنة وسبيل الى مغفرة الله ورضوانه وشرف الدنيا وسعادة الآخرة قال تعالى .

(وفصل الله المجاهدين على القاعدین اجرا عظيما) .

والقاعدون قوم آمنوا كما آمن الناس واسلموا كما أسلم الناس ولكنهم لم يفقهوا الاسلام ولم يتدقوا حلاوة الايمان ولم يدركوا قيمة الوعد الذي وعد الله به المجاهدين قال تعالى (ياأيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله انما قلتم الى الأرض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل) ٣٨ - التوبة .

والمتخلفون هم الذين يبطئون عن قافلة الجهاد ويتخلفون عن ركب القتال مع ايمانهم بلزومه ولكن غلبت عليهم أهواؤهم واستحكمت فيهم نزواتهم .

(ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فشببهم وقيل اقعدوا مع القاعدین) ٤٦ - التوبة .

والمتباطئون اقوام لم يرفعوا الى الايمان بالجماعة والدخول في الطاعة لله ولرسوله ، فلا يتسابقون الى الخير العام بل يغلب الطمع والاثرة على نفوسهم وليس عندهم اشارة أو تضحية - يحزنون اذا انتصر المجاهدون وارتفعت اعلامهم ويشمتون في ابتلاء المجاهدين وهزيمتهم وهم الذين عناهم الله بقوله سبحانه (وان منكم من ليبطئن فان اصابكم مصيبة قال قد انعم الله على اذ لم اكن معهم شهيدا ، ولن اصابكم فضل من الله ليقولن كان لم تكن بينكم وبينه مودة ياليتنى كنت معهم فافوز فوزا عظيما) ٧٢ ، ٧٣ - النساء

والمترفون من الاغنياء شغلته اموالهم واولادهم عن ربهم وتعلقوا بالحياة الدنيا وتناسوا الخير الذي وعد الله به عباده المخلصين ورضوا بالعود من الواجب وانصرفت نفوسهم عن الخير فاذا دعوا الى الجهاد استاذنوا في التخلف وقد موا اعدارا باطلة - (ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى الا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطه بالكافرين) ٤٩٠٠٠ - التوبة .

(فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزحق انفسهم وهم كافرين) ٥٥ - التوبة .

والمرجعون فى المدينة هم اخطر هذه الفئات فهم عين العدو ولسانه بين المسلمين وفى صفوفهم ينشرون الاخبار الكاذبة والشائعات المفرضة والوقائع الباطلة والقصاص المزيف وهم يباشرون اعمالهم فى الخفاء فيظهرون غير ما يبطنون ، يكيّدون للمسلمين فى السر ويتظاهرون بمودتهم والولاء لهم فى العلن ، وقد حذرنا الله منهم بقوله سبحانه (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البقضاء من افواههم وما تخفى صدورهم اكبر قد بينا لكم الايات ان كنتم تعقلون) ١١٨ آل عمران .

والمنافقون اقوام يتلونون تلون الحرياء لا مبدءا لهم ولا عقيدة تحكمهم ، ياكلون على كل مائدة ويتبعون كل ناعق ، آمنت السنتم وكفرت قلوبهم وتلطخت ايديهم يمشون بالوقيعه والنجمة ويتوقعون للمؤمنين الفشل والهزيمة (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزون ، الله يستهزئ بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون) البقرة / ١٤ ، ١٥ .

فاذا ظهرت عيوبهم وانكشفت آثامهم تبرأوا منها كذبا وزورا ، واقسموا الايمان اثما وبهتاننا قال تعالى فى شأنهم (ويحلفون بالله انهم لمنكم وماهم منكم ولكنهم قوم يفرقون ، لو يجدون ملجأ او مفارقات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمعون ، ومنهم من يلزمك فى الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يستخطون ، ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راقبون) ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، التوبة .

هؤلاء هم المخلدون والمنافقون ، والمترفون والمتخلفون عن الجهاد ، ذكرهم القرآن الكريم ليفضح اعمالهم ويكشف سوء فعالهم وليحذر الامة الاسلامية من دهاة السوء والسنة الفساد واصابع الكيد والفتنة .

ولتجد الاجيال الاسلامية فى كتاب الله دوسا واضحا فى التحذير من هذه الفئات الضالة المضلة التى تكيد للعروبة والاسلام .

(لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ، ملعونين اينما ثقفوا ، اخذوا وقتلوا تقتيلا ، سنة الله في الذين خلو من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا)
٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، الاحزاب .

وبعد ايها الشباب العربى المسلم اما آن لنا ان نعرف طريقنا ونوحد هدفنا ونحمل السلاح ذودا عن ديننا ووطننا واعلاء لكلمة الله وتلبية لنداء الحق والواجب وصوت الضمير والكرامة .

(يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهلون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلك خير لكم ان كنتم تعلمون ، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ، واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين) ١١ ، ١٢ ، ١٣ سورة الصف .

الثبات على الحق

ايها المؤمنون :

سطعت الدعوة الاسلامية وتالفت في آفاق الدنيا ، وقد سارت معها فضائلها وذاعت محامدها ، فأينما وقع شعاع منها فقد سطعت معه الفضيلة الاسلامية ، وانبلجت لديه الشمائل المحمدية ، فمن شاء أن يعرف كيف بسط الاسلام جناحيه على المعمور من الكون - وكيف استطاع الخليفة العباس ان ينظر الى السحابة فوق سماء بغداد فيقول لها (امطرى حيث شئت فان خراجك سيحمل الينا) .

من شاء أن يعرف ، كيف كان ذلك كله ؟ فليوطن ، انها الفضائل والسجايا ، والاخلاق الاسلامية ، ولا شئ سواها ..

فما الجيوش المتكاثفة ، ولا العدة المدخورة ، ولا السيوف الملتمة ، ولا السهام ولا القسى ولا الرماح ، ماكل ذلك بكاف في غزو ، ولا في انشاء دولة اذا لم تسعده الفضائل وتمده المحامد ، ويشيع فيه الخلق العظيم وكذلك كان الاسلام ، وكذلك كان المسلمون الأولون .

كانوا يغزون بفضائلهم نقائص أعدائهم ، وكانوا يغالبون بأخلاقهم مالا يفعل الحديد والنار ، فمن أول الفضائل التى ارتكزت عليها الدعوة الاسلامية ثم طالت وسمقت - فضيلة الثبات على الحق ثبات اعياء القوى وفكك العرى ، وترك الاعداء حيارى يتخبطون .

آذوا صاحب الدعوة (عليه الصلاة والسلام) حتى كاد يستنفذ الأيذاء
فما أجدى عليهم فرجعوا الى انفسهم ، واستلهموها ؟ الام يرمى صاحب دعوة
بدعوته ؟؟

فالمهمتهم شهواتهم ، ان الدعاء انما يطلبون بدعوتهم جاء الملك أو كنوز
المال ، أو سؤدد الجاه ، ولاشئ غير هذا ، الا ان يكون بهم مس من الجبن
فيعالجون من مسهم .

هكذا ألهمتهم نوازعهم الهابطة فارادوا ان يجربوا ذلك مع صاحب الدعوة
(عليه الصلاة والسلام)

واجتمع المشركون بعد ان سئموا من كثرة ايداء النبي وضججروا من
صنوف اعتنايه ؟ - اجتمعوا - فقال سيدهم المطاع فيهم وهو عتبة بن ربيعة
يامعشر قرشي - الا اقوم لحمد فاكلمه وأعرض عليه امورا ، عله يقبل بعضها،
فنعطيه اياها ويكف عنا ؟؟

فقالوا يا ابا الوليد فم اليه فكلمه فذهب الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يصلي في المسجد وقال يا ابن اخي انك منا حيث قد علمت من خيارنا
حسبا ونسبا انك قد اتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، وسفهت
أحلامهم ، وعبت آلهتهم ودينهم ، وكفرت من مضي من آباؤهم فاستمع مني
أعرض عليك امورا ننظر فيها لعلك تقبل منها بعضها فقال عليه السلام (قل
يا ابا الوليد) أسمع .

فقال يا ابن اخي ان كنت تريد بما جئت به من هذا الامر مالا جمعنا لك
من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذي
لأنقطع أمرا دونك . وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذي
يأتيك رثيا من الجبن لا تستطيع رده عن نفسك ؟؟ طلبنا لك الطب ، وبدلنا فيه
أموالنا حتى نبرلك منه فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى ، فقال
عليه الصلاة والسلام (لقد فرغت يا ابا الوليد ؟ فقال نعم قال فاسمع مني
فقرأ صدرا من سورة فصلت بسم الله الرحمن الرحيم (حم تنزيل من الرحمن
الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون ، بشيرا ونذيرا فاعرض
أكثرهم فهم لا يسمعون) وما زال - عليه السلام - مسترسلا في قراءة كلام الله
حتى غلب التائر والخوف على عتبة وقال للنبي (ص) ناشدتك الله والرحم ان
تكف ، فلنقف هنا ! لننظر كيف يكون - الثبات على الحق - امام فتنة الدنيا
وزهرة الحياة ، اليس ما ذكره عتبة هو كل ما تشتهي نفوس وتهوى اليه
قلوب ، وتطلع نحوه عيون ؟؟ الست ترى عنده مصارع عزمات ، ومزاق
همات ، وفناء ميقرات ؟ نعم ان ما ذكره عتبة ، هو غمر للثبات وامتحان قاس
للبطولات ، وما كان من جواب عند الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم الا ان
يكون بلسان الوحي فيتولى افهامهم ويقوم على اذعابهم ويكذب ما كانوا
يظنون .

الا فلتعلم هذه السيرة النبوية من ساء أن يتعلم الثبات على الحق
والا فلا وسعه علم ولا تعليم .

لقد عرض على النبي الفنى والجاه وسأومه الكفار ووسطوا له عمه
أبا طالب ليكفه عن دعوته فرد على عمه قائلا :

(والله يا عمى : لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن
أترك هذا الأمر متركته حتى يظهره الله أو أتنفرد منى هذه السالفة) .

وظن النبي أن عمه يريد أن يخلده فتركه وانصرف فناداه عمه قائلا :
يا ابن أخى امض لما تشاء فوالله لن يصلوا اليك مادمت حيا ، ثم أنشد
يقول :

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية ديننا
لولا الملامة أو حاد المسبة لوجدتني سمحا بذلك مبينا
والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا

ان هذا الايمان الراسخ وحرارة العقيدة وصدق الجهاد والتضحية ، كان
مبعث النصر والظفر حتى أتم الله نعمته على رسوله فعاد الى مكة فاتحا منتصرا
وجاء نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله أفواجا .

حروب الردة

ظهر الاسلام في بلاد العرب ففضى على آثار الوثنية والجاهلية ، ولما انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى ، ارتد كثير من الناس ولم يثبت على اسلامه من القبائل الا قريشا بمكة وثقيفا بالطائف والمهاجرين والانصار بالمدينة . وارتد كثير من الاعراب وأهل البادية وصدق فيهم قول القرآن الكريم (الاعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم) التوبة/ ٩٧ .

وقد ظن العرب أن المسلمين ضعفوا ، وانتكس أمرهم بعد وفاة محمد عليه الصلاة والسلام . فشرعوا يشقون عصا الطاعة ويتمردون في مظاهر شتى ، فمنهم من منع الزكاة وقال هي ضريبة لا تطيب اليها النفوس ، ومنهم من راح يشاعر مسيلمة الكذاب في ادعاء النبوة ، ثم تتابع الخارجون ، واندلعت السنة الشر ، فرأى أبو بكر الصديق أن الأمر جد وما هو بالهزل ، وجمع أبو بكر الصحابة واستشارهم في أن يوجه الجيوش ، ويبعث البعث في غير هوادة ولا ترث . وطلب منه بعض الصحابة الصبر والتريث وتألف الناس ، فقال كلمته الخالدة : « والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه ما استمسك السيف بيدي ، ولو سرت الى القتال وحدي » .

وقد توفي النبي صلى الله عليه وسلم وجيش أسامة بن زيد خارج المدينة يستعد للجهاد فأشار بعض الناس على الخليفة أن يؤخر مسيرة الجيش وأن يستبقه بالمدينة لحراستها فقال أبو بكر : « والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله ، ولو أن الطير تخطفتنا لأجهز جيش أسامة » .

ثم جهز الجيش وأرسله فذهب وعاد منتصرا بعد أربعين يوما . وتجمعت

بعض الأعراب بالغرب من المدينة استعدادا للهجوم عليها ، فخرج اليها أبو بكر الصديق في ظلام الليل على تعبئة كاملة وهبط عليهم عند طلوع الفجر فانهزم المرتدون ولم تقم لهم قائمة .

وكان الصديق يرسل رسله وجنوده لتأديب المرتدين وقتالهم ويوصي المجاهدين بالصدق والاخلاص لله ، فيأتيهم النصر المبين .

ومن أشهر القواد في حروب الردة خالد بن الوليد ، فقد كان مثالا لصدق العزيمة وسداد الرأي والجرأة في القتال واستهانة بالموت والرغبة في الشهادة . وقد وصاه أبو بكر الصديق عند سفره لحرب المرتدين بقوله : « عليك بتقوى الله ، وإيثاره على سواه ، والجهاد في سبيله والرفق بمن معك من رعيته فان معك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل السابقة من المهاجرين والانصار فشاورهم فيما نزل بك ثم لا تخالفهم » .

وسار خالد الى طليحة بن خويلد الذي ادعى النبوة فقاتله خالد حتى هزمه وركب طليحة فرسه وفر هارباً الى الشام وتعقب خالد فلول المنهزمين فعاقبهم وانتقم منهم جزاء ماغدروا ومافعلوا بالمسلمين .

وتقدم خالد الى مسيلمة الكذاب وكان رجلاً ذكياً ماهراً قد جمع قومه من بنى حنيفة وفيهم آلاف المقاتلين الشجعان فعول خالد على الموت فوهبت له الحياة ، ونادى خالد مع المسلمين يا محمداه يا أصحاب سورة البقرة يا انصار الله فتجمع المسلمون وحملوا على مسيلمة الكذاب فقتلوه وتفرق اتباعه واستسلم الباقيون ودخلوا في الاسلام الحنيف .

بطولات اسلامية

الجهاد في سبيل الله باب من ابواب الجنة وطريق من طرق الخير والسداد . وقد حث القرآن على الجهاد وذكر فضله وثوابه ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم مثالا يحتذى في سلوكه وهديه وجهاده وجلاده .

وقد حفل شهر رمضان بأروع الامثلة في الجهاد والنضال .

ففيه وقعت غزوة بدر الكبرى سنة ٢ هجرية ، وفيه فتحت مكة ودخل الناس في دين الله أفواجا سنة ٨ هجرية ، وفيه وقعت غزوة تبوك بين المسلمين والروم سنة ٩ هجرية .

وفي رمضان خاض المسلمون العديد من المعارك وأحرزوا الانتصارات الباهرة ومن أشهر هذه المعارك معركة عين جالوت التي هزم فيها التتار وانتصر فيها المسلمون .

وفي العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ هـ قامت مصر ، تؤازرها الامة العربية بمعركة مجيدة اقتحمت فيها خط بارليف ودكت حصون الاعداء وتقدمت في سيناء وكبر الجنود وهللوا ، وصاموا وصلوا ، واستشهد الشهداء الاوفياء ، في ايام مجيدة ، وفي ليلة القدر ، والعبادة فيها خير من ألف شهر .

وكلما جاء رمضان تذكر المسلمون أمجاد الجهاد ، وآيات البطولة . لان الصوم والجهاد متحدان في الصورة متطابقان في الاصل ، فالصوم جهاد النفس وهو الجهاد الاكبر ، والجهاد قتال للاعداء ورفع لراية الحق وبناء لصرح العدالة والايمان .

ولقد قام الاسلام بما يشبه المعجزة حيث امتد نوره في بلاد العرب وتقدم المسلمون يحملون راية الاسلام الى بلاد الفرس والروم . وظهرت بطولات رائعة لمعت فيها أسماء الفاتحين المسلمين مثل سعد بن ابي وقاص فاتح القادسية وقاهر الفرس الذين تجمعوا بقيادة رستم وكان الفرس يقرنون الجنود في السلاسل والاصفاد حتى لا يفروا .

أما المسلمون فكان معهم الى جوار اسلحتهم سلاحان من عقيدة وخلق فواقهم النصر ، وثلوا عروش الاكاسرة ومزق الله ملكهم شر ممزق .

ومن أبطال المسلمين خالد بن الوليد الذي قاد الجيوش وحارب المرتدين وتقدم الى بلاد الفرس والروم يفاجيء الاعداء ويحصر على الموت ويزرع الرعب في قلوب التركيين ، وعندما توفي خالد قال على سرير الموت : « لقد شهلت مائة معركة في سبيل الله وليس في جسمي قيد شبر الا وفيه ضربة بسيف او طعنة يرمح او رمية بسهم وهاندا اموت على فراشي كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء » .

ومن أبطال الاسلام أبو عبيدة بن الجراح امين الامة الاسلامية الذي انطلق سهما من سهام الاسلام ، وسيفا من سيوفه المسلوله ، يدوخ الجيوش ويحاصر المدن ويلقى الرعب في قلوب الروم ، ففتح دمشق والاردن وحمص وبلبك ثم سار الى حماه والى حلب ثم سار الى انطاكيه ، ثم جعلت جيوشه تضرب في الشمال والشرق حتى اتمت فتح سورية وبلغت الفرات شرقا .

وكان أبو عبيدة يوزع العدالة بين الامم المغلوبة ويبشر بالاسلام ويدعو الى الاخلاق والقيم . وظل أبو عبيدة يغالب الابطال ويتوسط القتال ويلقى بنفسه وسط المعامع حتى حضرته الوفاة اثر وباء منتشر فقال عند وفاته : « اقرئوا امير المؤمنين السلام واعلموه انه لم يبق من امانتي شيء الا وقد قمت به واديته » .

ثم التفت الى من حوله وقال : « اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا » .

رمضان ونصدقوا وحجوا واعتمروا وانصحو لأمرائكم ولا تفشوههم ، ولا تلهكم الدنيا فان أمرا لو عمر ألف سنة ما كان له بد من أن يصير إلى مصرعى هذا الذي يرون فان الله قد كتب الموت على بنى آدم .

هؤلاء نماذج اسلامية خضعت لقانون الاسلام ، فزادهم الله به عزا ومجدا .

الحرب النفسية

أرسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا ، وقد جمع الله به العرب بعد تفرق ووجد به المسلمين بعد شتات وأمتن الله على المسلمين بهذه الوحدة وتلك اللفة . فقال سبحانه (واعنصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فآلف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا) آل عمران / ١٠٣ . وقد حاول اليهود من الأزل وضع أصابع الفتنة بين المسلمين محاولين بذلك تفريق صفوف المسلمين وتوهين وحدتهم وحتى يضرب العرب بعضهم بعضا ، ولذلك تضعف دولتهم ويتمكن أعداؤهم منهم . وقد حذرنا الله من دسائس اليهود وكيدهم فقال سبحانه : (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين) آل عمران / ١٠٠ .

فالله جعل الوحدة واللفة دلالة على عمق الايمان وفهم الاسلام وجعل الفرقة والخلاف والاستماع إلى دسائس الأعداء مما يؤدي إلى الهزيمة والردة والكفر بآيات الله وأحكامه .

ثم نهى سبحانه عن الخلاف وبين أن القرآن يأمر بجمع الصف ووحده التامة وهو حبل الله المتين من تمسك به فقد هدى إلى الطريق القويم . قال تعالى : (وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم) آل عمران / ١٠١ .

وقد أحكم عليه الصلاة والسلام بنيان المسلمين وأحسن تربيتهم فأمرهم بالتواصل والتراحم ونهاهم عن التدابر والتقاطع ، ففي الحديث الصحيح : «مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» .

وكان عليه الصلاة والسلام ينهى المسلمين عن الفرقة والخصام والتنازع لانها معاول هادمة تهدم قوة الصف ووحدة الامة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لاتحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله اخوانا ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه

ولا يحقره ولا يخذله . التقوى ها هنا ، ويشير الى صدره ثلاث مرات . يحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) . رواه مسلم .

وقد حاول اعداء الاسلام توهين صفوف المسلمين اثر غزوة احسد ، واستاجر أبو سفيان ركباً من عبد قيس كانوا في طريقهم الى المدينة ، وقال لهم أبو سفيان هل انتم مبلغون عنى محمدا رسالة أرسلكم بها اليه واحمل لكم زبيبا بمكاظ اذا وفيتموها . قالوا نعم . قال فاذا وافيتموه فاخبروه انا قد اجمعنا السير اليه والى أصحابه لنستأصل بقيتهم . فمر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد واخبروه بالذى قال أبو سفيان وأصحابه . فقال عليه الصلاة والسلام (حسبنا الله ونعم الوكيل) أى كافينا الله هو ولينا ونصيرنا ، لقد خرجنا لنصرة دينه معتمدين عليه لانخاف غيره ولا نرهب سواه . وازداد المؤمنون ايمانا وتماسكا وتقدموا الى عدوهم ففر اعداؤهم طلبا للنجاة ، قال تعالى : (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم ، الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوكم فآخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ، انما ذلكم الشيطان يخوف اوليائه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) آل عمران/ ١٧٢ - ١٧٥ .

قائد منتصر

كان عبادة بن الصامت سفيرا لجيوش المسلمين عند المقوقس حاكم مصر .

وكان عبادة قد اوتى بسطة في الجسم ولكنه كان حالك السواد
وكان جلال الاسلام قد خلع عليه هيبة ورهبة
فكان الناظر اليه يرتعد من صورته .

ولما رآه المقوقس اشتد خوفه وقال : نحوا عنى هذا الاسود وقدموا
غيره فقال رفاقه المسلمون :

انه افضلنا رأيا وعلما وهو سيدنا وخيرنا
فقتل له المقوقس : تقدم وكلمنى برفق .
فقال عباده :

لقد سمعت مقالتك ، وان فيمن خلفت من اصحابى الف رجل كلهم
مثلى ، واشد سوادا منى وافظع منظرا ولو رأيتم لكنت اهيب لهم منى وانا

قد وليت وأدبر شبابي واني مع ذلك بحمد الله ما هاب مائة رجل من عدوى لو استقبلوني جميعا وكذلك أصحابي ذلك بأن رغبتنا وهمتنا الجهاد في سبيل الله وابتغاء رضوانه ، وليس غرونا عدونا ممن نحارب لرغبة في الدنيا ولا حاجة الى الاستزادة منها ولكن الله عز وجل قد أحل لنا ذلك ، وان كان لاحدنا قناطر الذهب أنفقناها في طاعة الله .

فلما سمع المقوقس ذلك قال لمن حوله : هل سمعتم مثل هذا الكلام قط ؟ لقد هبت منظره وان قوله لأهيب عندي من منظره ما أحسب الا أنهم سيملكون الأرض كلها .

ثم أقبل على عبادة فقال أيها الرجل الصالح قد سمعت مقاتلك وما ذكرت عنك وعن أصحابك ، ولعمري ما بلغت ذلك الا بما ذكرتم وماظهرتم على أعدائكم الا لحبهم الدنيا ورغبتهم فيها ، ولكني أخشى عليكم ، من توجه لقتالكم من جمع الروم فهم لا يحصون عددا وهم معروفون بالنجدة والشدة وانا لأعلم أنكم لن تقووا عليهم ، ولن تطيقوهم لضعفكم وقلبتكم ، ونحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل دينارين ، ولخليفتكم ألف دينار (ا) فتقبضوها قبل أن يغشاكم مالا قوة لكم به .

فقال عبادة للمقوقس : يا هذا لا تغرن نفسك ولا أصحابك ان الله عز وجل قال لنا في كتابه :

(كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين)

وما منا رجل الا وهو يدعو ربه - صباحا - ومساء - أن يرزقه الشهادة والا يرده الى بلده ولا الى أرضه ولا الى أهله وولده .

وأما ظنك انا في ضيق وشدة من معاشنا فنحن في أوسع السعة لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن فيه فلا نطمع نفسك في الباطل .

وأخيرا تم لعبادة بن الصامت ما أراد ، وفتحت مصر على يد العرب ، ودخلها الاسلام فكان نورا وسلاما ، وبركة وأمانا .

تجارة الجهاد

يقول الله تعالى في كتابه الكريم : « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ، وأخرى تحبسونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين » (الصف ١٠ - ١٣) .

هذه صفقة رابحة يعرضها الله للمؤمنين وقد حدد الله فيها رأس مال الصفقة وربح هذه الصفقة ، ثم الزيادة التي تجنيها بعد الربح .
 أما رأس مال هذه التجارة فهو ما يأتي :

١ - الإيمان بالله ورسوله .

٢ - الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس .

أما ربح هذه التجارة فهو ما يأتي :

١ - مغفرة الذنوب .

٢ - دخول جنات تجري من تحتها الأنهار والتمتع بمساكن طيبة في جنات خالدة .

أما الزيادة التي تجنيها بعد الربح فهي نصر من الله وفتح قريب على المجاهدين في هذه الدنيا وبشرى للمؤمنين بالنصر في العاجلة ، والثواب العظيم في الدار الآخرة .

أيها المؤمن

تلك طريقة القرآن في الحث على الجهاد والدعوة إليه ، فهو يوضح أن هناك بيعا وشراء وربحا وزيادة على الربح . البائع هو المجاهد يبيع نفسه وينفق ماله في سبيل الله . والمشتري هو الله جل جلاله ، يشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة وفي ذلك يقول ابن عباس « أنفس هو خالقها وأموال هو رازقها يأخذها ثم يعطينا عليها الجنة » ، أن هذا لربح عظيم» وأما ربح هذه التجارة فهو : مغفرة من الله ورضوان منه في جنة عرضها السموات والأرض .

وأما مافوق الربح فهو البشارة بالنصر للمجاهدين ، قال تعالى
 « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وأن الله لمع الحسنيين » (العنكبوت : ٦٩) .

أيها المؤمنون

الجهاد في سبيل الله باب من أبواب الجنة ينجي الله تبارك وتعالى به من الهم والغم وهو طريق المؤمنين الصادقين سلكه المسلمون الأولون فرفعوا شعار الاسلام وفتحوا البلاد وسادوا العباد ، وهو واجب المسلمين في هذه الأيام ، فعليهم أن يتكاتفوا وأن يتعاونوا وأن يجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم حتى يستردوا أرضهم ويستعيدوا ماسلب منهم فما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة .

وقد حفلت نصوص القرآن ببيان أجر المجاهدين وما أعدّه الله من الثواب لمن أنفق ماله في سبيل الله ، فمن جهز غاريا في سبيل الله فقد غرا ، ومن خلف غاريا في أهله بخير فقد غرا ، وصدق الله العظيم « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » (البقرة ٢٦١) .

وفي تاريخ الإسلام نماذج رفيعة لهذا التعاون والتساند ، أنفق المسلمون فيها من سخاء وسعة كما حدث في جيش العسرة حيث قدم عمر نصف ماله وقدم أبو بكر جميع ماله وقدم عثمان مائة حلة ومائة فرس ومائة سيف ولم يفتخر عثمان بشيء من ذلك بل افتخر بدعاء النبي له :

اللهم ارض من عثمان فاني عنه راض ، وقد بارك القرآن هذا التناهي في الخير فقال سبحانه : « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (البقرة ٢٧٤) :

سوس من غزوة أحد

وقعت غزوة أحد في شهر شوال في العام الثالث من الهجرة النبوية . وقد وقعت غزوة بدر في رمضان سنة ٢ هـ ، وفيها انتصر المؤمنون انتصارا عزيزا والدحر المشركون وقتل منهم سبعون قتيلا وأسر سبعون . وحوصت قريش على الثار لقتلاها فسارت بعد عام الى جبل أحد وكانوا ثلاثة آلاف مقاتل .

وخرج المسلمون في سبعمائة مقاتل وساروا الى جبل أحد ، وصف النبي الجيش وجعل الرماة على ظهر الجبل وأمرهم ألا يبرحوا أماكنهم سواء انتصر المسلمون أو انهزموا .

وبدأ القتال ، وقتل المسلمون حملة لواء المشركين فولى المشركون الأدبار ، وولدت النسوة وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ويجمعون الغنائم .

ورأى ذلك الرماة من على ظهر الجبل فتركه أكثرهم مكانه رغبة في الغنيمة ، وظنوا أن الانتصار في المعركة قد أقبل .

ورأى خالد بن الوليد ذلك وكان على خيل المشركين فأقبل وقتل بقية الرماة وأعمل السيف في ظهور المسلمين فاختلف صفوفهم وصار يضرب بعضهم بعضا .

وانتهت غزوة أحد بانتصار المشركين وهزيمة المؤمنين . وقد نزل

القرآن الكريم بأسو الجراح ، ويبين للمؤمنين أن الايام دول يوم لك ويوم عليك .

وقد استفاد المسلمون من هذه المعركة دروسا عملية أصيله .

ومن هذه الدروس مايتى :

- ١ - طاعة القائد والتزام اوامره .
- ٢ - الحرص على الوصول الى الهدف وعدم الانشغال بالافراض الجانبية .
- ٣ - الاخلاص لله في الجهاد وانتظار مثوبة الآخرة وعدم الانشغال بأمور الدنيا .
- ٤ - الحرب سجال يوم لك ويوم عليك فينبغى الا يسرك النصر ، كما ينبغى أن تتجلد للهزيمة .
- ٥ - الايمان بالله والثقة بما عنده والاعتماد عليه وتذكر نعمه ، كل ذلك من أسباب النصر .

وقد نزلت آيات كثيرة من سورة آل عمران تبين خروج المسلمين الى الفزوة وتأسوا جراحهم ، وتلومهم على التسفاهم بالهزيمة ومخالفة أمر الرسول الكريم .

قال تعالى (ولقد صدقكم الله وعده اذ تحبونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتهم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين) آل عمران/ ١٥٢ .

ويقول سبحانه : (ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ، ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ، وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) آل عمران ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ .

(٥)

الأخلاق

اثر العقائد في اصلاح الفرد والمجتمع

للايمان الصادق والعقيدة السليمة حلوة وسعادة يهون معها البذل والتضحية ويرخص في سبيلهما كل غال وثمين .

وقد حفل تاريخ الاديان بسلسلة ذهبية ، من البذل والتضحية في مرضاة الله رب العالمين فالتقى في النار ابراهيم ، واضجع للذبح اسماعيل ، وناح نوح على قومه مئات السنين ، وتحمل يوسف السجن حفاظا على الشرف والفضيلة ، وهاجر موسى من مصر خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين وحاول اليهود قتل عيسى وصلبه فرفعه الله اليه والتقى صورته على الخائن الذي دل عليه ... وهو الذي شبه لهم (وماقتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما) .

ولما ارسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم وآمن به من آمن تعرض المسلمون لأشد الوان العنت والايذاء فضحوا بكل شيء في سبيل عقيدتهم ودينهم .

ولما جاء دور التبشير بالدعوة والجهاد في سبيلها حمل المسلمون أموالهم الى رسول الله ، وجدوا أنفسهم تحقيقا لقول الله (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة)

ومن أشرف السخاء ماكان من استجابة المسلمين ، يوم عز المال واشتد القحط وكان زمن عسرة ودعا رسول الله المسلمين الى الجهاد في (فروة تبوك التي أريد بها لقاء الرعب في قلوب الروم فماذا حملت الدعوة الاسلامية معها الى تلك الاطراف ؟ حملت آيات السخاء وأحاديث البذل ، وترويضها وتنقيها ظلالاتها ، وتستعين بها في سبيل الله .

فلقد تقدم (عثمان بن عفان) طيبة نفسه ، وأخرج من حر ماله عشرة آلاف دينار وثلاثمائة بعير بأحمالها ، وخمسين فرسا بعدتها ، ثم لم ير في كل ذلك ما يستحق أن يفاخر به ، اللهم إلا شيئا واحدا ، هو (دعوة) دعا له بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال (اللهم ارض عن عثمان فاني راض عنه ..) فكانت تلك الدعوة لعثمان مناط فخره إلا يفخر إلا برضاء الله ، ورضاء رسول الله ولقد أرسلت النساء يومها كل ما يقدرن عليه من حلين ، وهذا هو البذل بأمر المدخور ...

أيها المؤمنون

على أكف هؤلاء كانت تتمجد الدعوة الإسلامية وانظروا كيف كان تدافع الصحابة (رضوان الله عليهم) الى ساحات الجهاد وكيف كان يبلغ منهم الحزن ، اذا قعد بهم الفقر عن نفقات الجهاد ، لقد جاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في تلك الساعة الرهيبة ساعة العسرة وهو يجهز الجيش وجاءه سبعة رجال من فقهاء الصحابة الفقراء ، يطلبون أن يحملوا الى مواطن الجهاد ، فقال لهم محمد عليه السلام (لا أجد لكم ما أحملكم عليه) وكان حسبهم ما فعلوا وفاء لعقيدتهم ، لكنها نفوس لا تسكن الى هذا القعود ، وهناك اليوم المشهود فماذا فعلوا بعد ما رأوا وسمعوا ؟ لقد (تولوا) وأميئتهم تفيض من الدمع حزنا إلا يجدوا ما ينفقون) .

ووالله ، أن النفس لتتهز هنا اهتزازا ، وتنفعل اكبارا واعظاما لذلك الخلق الإسلامي القويم ، فوها لنفس لا يطيب لها القعود في ظل السلم قدر ما يسعدها الجهد والجهاد في سبيل الله .

ولقد شاء الله ألا يطول حزن هؤلاء الأبطال فقد كان السخاء الإسلامي لا يزال يهر نفس (عثمان بن عفان ، والعباس بن عبد المطلب) فجهر الاول بعضهم وأذهب حزنهم وجهل الثاني بعضهم ورقا دمعهم ..

بتلك الاخلاق ، وهاتيك الفضائل اثم الله نعمته على رسوله ، وهلى المؤمنين وأظفرهم بأعدائهم وأدال ديننا هو الشرك ، ويمكن لدين التوحيد فلما تكامل نصر الله ، ورجع المسلمون الى ديارهم سادة حاكمين بعد أن غادروها خائفين متسللين ، لم يزهاوا بالظفر ، ولا اختالوا بالفتح ولا أعمالوا سيوف الانتقام في أعدائهم لأن الانتقام سليل الحق وحاشا لصدور المسلمين أن تنطوى على الاحقاد فما كاد المسلمون يستقرون بعد الفتح الاعظم ، حتى كان أعداؤهم يرتعدون من الخوف والوجل ، عيون شاخصة وأفئدة هواء تنتظر ماعسى أن يحل بها من التتكيل ، بعد العداء الطويل ، هنا كانت الدعوة الإسلامية تحمل معها : (العفو عند المقدرة) والصغح ساعة النصر ، وكانت تجعل الرضا والغضب (الحق والفضيلة) فاذا ماسطع الحق وسادت الفضيلة فما وراء ذلك غير السلام والامن والمفخرة والسماحة ، ولقد قالها عليه السلام

كلمة خالدة على الاجيال قال لامدائه ماتظنون انى فاعل بكم ؟ فوقفوا فى رجاء
الخائف وامل المعتذر وقالوا :

خيـرا ، اخ كريم ، وابن اخ كريم ، قال لهم (اذهبوا فانتم الطلقاء)
ولله مايقول البوصيرى

واذا القطع والوصل كان لله تساوى التقريب والاقصاء
ولو ان انتقامه لهوى النفس لدامت قطيعة وجفاء
فعله كله جميل وهل ينضح الا بما حواه الاناء

ايها المؤمن

تلك فضائلهم وأخلاقهم ، ومعها ايامهم - ايام الله ، وهانحن ، وهاهو
حاضرنا فنرجو ان تكون خير خلف لخير سلف ...

من اخلاق الاسلام

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم : (واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان
صادق الوعد وكان رسولا نبيا) مريم / ٥٤ .

ارسل الله الرسل وأنزل عليهم الكتب لهداية الناس وارشادهم الى
معالم الفضيلة ومسالك الحق والصدق . وقد مدح القرآن الصدق بامتباره
راس الفضائل ودليل الامانة . وجعل الصادقين فى منزلة عليا ترعاهم عناية
الله وفضله . قال تعالى : (ليجزى الله الصادقين بصدقهم) الاحزاب / ٢٤ .

وقال سبحانه : (ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين
والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين
والخاشعات والمتصدقين والتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين
فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا
 عظيما) الاحزاب / ٣٥ .

ايها المؤمن :

لقد حث الاسلام على مكارم الاخلاق ودعا الناس الى الفضيلة والخير ،
بل ان الأديان السماوية كلها كانت دعوة هادفة الى تحرير الانسان من العقائد
وارشاده الى الفضائل . قال صلى الله عليه وسلم : «انما بعثت لائم مكارم
الأخلاق » .

فالخلق الكريم والاستقامة والفضيلة أساس من أسس السعادة ، وهدف
من أهداف الرسالات السماوية .

قال صلى الله عليه وسلم : «ان احبكم الى واقربكم منى منازل يوم القيامة احاسنكم اخلاقا المواطن اكنافا الدين يالفون ويؤلفون ، وان ابغضكم الى وابعدكم منى منازل يوم القيامة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون» . قيل يارسول الله هؤلاء الثرثارون المتشدقون فمن هم المتفيهقون ؟ قال : المتكبرون .

لقد تربى المؤمنون الأولون على اخلاق الاسلام فكانت قلوبهم نظيفة وايديهم طاهرة ووجوههم مشرقة بنور الايمان فلما فتحت لهم البلاد وخضعت لهم العباد لم يأخذهم الفرور ولم تلهم الدنيا عن الآخرة ولم يخرجوا عن الله بل حفظوا الامانة واحسنوا القيادة وسهروا لمصلحة الرعية وكانوا نجوما ساطعة في تاريخ البشرية .

دخلت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان على زوجها امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز فوجدته يبكي ، فقالت مايبكيك يا امير المؤمنين . قال عمر : تذكرت الفقير الجائع والمريض الضائع والعارى المحزون وذا العيال الكثير والمال القليل واشباههم في بقاع الارض واقطار البلاد ، وعلمت ان خصيمي دونهم محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة فخشيت الا تثبت لى حجتي فرحمت نفسي فبكيت .

سلاما ورحمة لهذه النفوس الكريمة وهؤلاء الرجال الابرار الذين تحملوا مسئولية القيادة والسيادة فحملوا الامانة وتركوا الخيانة وانطلقوا الى ربهم ومن ورائهم سيرة عطرة ومآثر جمة تنادى الاجيال الحاضرة ان يقتدوا بأسلافهم السابقين ، بالخلفاء الراشدين ، بالأمراء المهتدين ، الذين أعزهم الله بالاسلام فامتروا بطاعة الرحمن .

(أولئك الذين هداهم الله فبهدهم اقتده) الانعام / ٩٠

وفي الحديث الشريف : «انه من يعش منكم فسرى اختلافنا كثيرا فعليكم سنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ» .

حقيقة الايمان

المؤمن حقا صادق الحديث لا يكذب ولا يخدع ولا يخون الامانه ، قال صلى الله عليه وسلم (يامعشر الناس اضمنوا لى ستا اضمن لكم الجنة ، اصدقوا اذا حدثتم واوفوا اذا عاهدتم وادوا الامانة اذا اؤتمنتم وغضوا ابصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا ايديكم)

تلك صفات المؤمن وهى صفات تحمل معنى الاستقامة والنزاهة وسلامة

الضمير قال تعالى (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة
الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون)

وفي الحديث الشريف ان رجلا قال يا رسول الله قل لى فى الاسلام قولا
واقلل فيه لعلى اعيه ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم (قل آمنت بالله ثم
استقم) . المؤمن حقا يراقب الله فى السر والعلن ويخلص له فى العمل ويخشع
قلبه للذكر الله قال تعالى (الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر
منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) .

المؤمن حقا يحافظ على الصلاة مؤد للزكاة يفض بصره عن المحرمات
ويحفظ فرجه عن الاثم والفواحش وهو ابر الناس بامله واسرته واحق الناس
برضى الله واسع رحمته قال تعالى (قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم
خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم
لفروجهم حافظون الا على أزواجهم او ما ملكت ايماهم فانهم غير ملومين فمن
ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون ،
والذين هم على صلواتهم يحافظون اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس
هم فيها خالدون)

المؤمن حقا صادق اليقين قد آمن بالله ربا ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد
صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا ، قال تعالى (ياايها الذين آمنوا آمنوا بالله
ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله)

المؤمن حقا عادل فى رضاه وقضبه ، معتدل فى نفقته ليس من البخلاء
الاشحاء ، ولا من المسرفين المبذرين قال تعالى (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا
ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما)

المؤمن حقا يصدق برسالات الله وبملائكته وكتبه واليوم الآخر قال
تعالى (امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله لا تفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا
واليك المصير)

حسن الخلق

جاء الاسلام رسالة سمحة تدعوا الى مكارم الأخلاق وتحث على الفضيلة
والخير وتنهى عن الاثم والشر قال تعالى (ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء
ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون)

لقد اتم الاسلام رسالات السماء ودعم القيم وحث على التحلى بمكارم
الاخلاق قال صلى الله عليه وسلم (ان احبكم الى واقربكم منى يوم القيامة
احاسنكم اخلاقا المواطن اكنافا الذين يالفون ويؤلفون وان ابغضكم الى

وأبعدكم منى منازل يوم القيامة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون قلنا يارسول الله هؤلاء الثرثارون المتشدقون فما المتفيهقون ؟ قال المتكبرون) .
وتميز القرآن بأنه روح وحياء احيا العرب من موات الجاهلية واخرجهم من الظلمات الى النور وجمع شملهم ووحّد كلمتهم فصاروا خير امة اخرجت للناس قال تعالى (ياايها الناس قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) .

وكان النّبي صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة والمصلح الربانى الذى بلغ الرسالة وادى الامانة وربى المؤمنين تربية ربانية فكانوا نماذج انسانية مضيئة قال تعالى : (محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع اخرج شطاه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما) .

وكان الصحابة رضوان الله عليهم نجوما هادية واقمارا مضيئة ، لقد حققوا معجزة الهداية حتى قالت مارية القبطية فى رسالتها الى المقوقس (ان هؤلاء المسلمين هم العقل الجديد وهم النور الجديد ونبينهم اطهر من السحابة البيضاء فى اليوم الصائف واذا رفعوا السيف رفعوه بقانون واذا وضعوا السيف وضعوه بقانون يفتحون البلاد باخلاصهم قبل ان يفتحوها بسيوفهم واذا جاء وقت الصلاة غسلوا اطرافهم واصطفوا فى محرابهم يناجون الها سميعا بصيرا مجيبا) .

النّبي العظيم

ارسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وقد اتم الله به الرسالات وجعله المثل الاعلى فى هذه الحياة ومدحه الله قائلا (وانك لعلى خلق عظيم) وقد تادب النّبي بادب الله حتى سألته ابو بكر الصديق قائلا يارسول الله لقد خالطت العرب والعجم فلم ار احدا اكثر ادبا منك فمن ادبك ؟ فقال النّبي صلى الله عليه وسلم ادبنى ربى فاحسن تاديبى وكان عليه الصلاة والسلام وهاء النور ومهبط الوحي يتلقى عن ربه تعاليم السماء ودستور الهدى ثم يبلغ للناس ما انزل اليهم وقد صاغ عليه السلام هذه الهداية سلوكا وعملا وقولا قال عليه الصلاة والسلام (اوصانى ربى بتسع ، الاخلاص لله فى السر والعلن والعدل فى الرضا والغضب والقصد فى الفنى والفقر ، وان آمنوا ممن ظلمنى واصل من قطعنى واعطى من

حرمتمى ، وأن تكون صمتى فكرا ونطقى ذكرا ونظرى مبرة) أى ادب أسمى من هذا الادب ؟ وإى قيم أعلى من هذه القيم ؟ حقا لو لم يكن ماجاء به الاسلام ديننا لكان فى دنيا الاخلاق شيئا عظيما لقد تحدث بعض الاجانب عن النبى محمد صلى الله عليه وسلم فذكر أن الانسان لا يستطيع أن ينكر فضل هذا النبى على الإنسانية فقد جاء بدين يحث على مكارم الاخلاق وقد آمن به ملايين الناس وهذا النبى من أكثر الانبياء اتباعا ، وله فضل لا ينكر فى اخراج العرب من ظلمات الجاهلية وشقاق الفرقة الى نور الاسلام ووحدته الكلمة .

صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله فى الأولين ، وصلوات الله وسلامه عليك فى الآخرين ، وصلوات الله وسلامه عليك فى الملائكة الى يوم الدين .
 روى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (أعطيت خمسة لم يعطهن نبى قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر وأحلت لى الفنائم وجعلت لى الأرض مسجدا وترابها طهورا وأعطيت الشفاعة وأرسل كل نبى الى قومه خاصة وبعثت للناس عامة) .

دعائم الايمان

قرن الله الايمان بالعمل الصالح فى آيات القرآن وفى ذلك توجيه الهى الى ان الايمان عقيدة وعمل ويقين وسلوك وفى الحديث الشريف (ليس الايمان بالتمنى ولكن ماوقر فى القلب وصدقه العمل الا وان أقواما غرتهم الامانى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا على الله ولو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل) .

وأحيانا يطلق الايمان على اليقين الباطنى ويطلق الاسلام على السلوك الظاهرى وفى القرآن الكريم يقول سبحانه (قالت الاغراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) .

وقد ورد فى البخارى حديث شريف يضع اصول العقيدة ويشرح معنى الاسلام والايمان والاحسان فيبين ان الاسلام سلوك واقامة لأركان الاسلام الخمسة وأن الايمان عقيدة ويقين بوجود الله وايمان به وأن الاحسان اتقان العمل والاخلاص فيه لله .

روى البخارى ومسلم ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اتى أسألك عن الاسلام فقال الرسول الاسلام أن تشهد الا لله الا الله وأن محمد رسول الله وتقيم الصلاة وتؤدى الزكاة وتصوم رمضان وتصح البيت ان استطعت اليه سبيلا ثم سأل عن الايمان فقال الرسول الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره .

ثم سأل عن الاحسان فقال الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك ثم قال الرجل انى اسالك عن الساعة متى الساعة ؟

نقال النبى صلى الله عليه وسلم ما المسئول عنها بأعلم من السائل وسأنبئك من علاماتها أن تلد الأمة ربتها وأن يتطاول رعاة الأبل اليهم في البنيان وأن يصبح الحفاة العراة سادة الأمم ثم انصرف السائل . فقال النبى صلى الله عليه وسلم ردوا الرجل فخرجوا وراءه فلم يجدوا شيئا فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم ، ويقول الله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنا لانضيع اجر من احسن عملا) .

(٦)

الذكريات الإسلامية

عيد الهجرة

يستقبل المسلمون عام الف وثلاثمائة وخمسة وثمانين (١) للهجرة وانما
اذ نتحدث عن الهجرة النبوية ونمجد ذكرها ، ونحفل بها انما نقدر في انحاء
ذلك عظيمة الثبات على المبدأ - نقدر الابرار والمجادلة والمراعاة في سبيله -
نشيد بفوز الحق على عسف الجبروت .

الحق المثل في محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم (اذ اخرج الله الذين
كفروا ثانی اثنين اذ هما في الفار ، اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا .
فانزل الله سكينته عليه ، وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا
السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم)

منذ اربعة عشر قرنا ، كانت المعركة بين الحق والباطل حامية الوطيس
متشعبة الميادين ، فقد ضل الناس سبيل الحكمة ، وتمكنت فيما بينهم
عوامل الفساد ، وهضم الاقوياء منهم حقوق الضعفاء واعتسف ارباب الحكم
والسلطان ، وكان السادة وكان العبيد .

في هذا الضلال ، فسد على الانسان تصوره لخالقه ، فعبد ما لا ينفع
ولا يضر عبد ما لا يسمع ولا يبصر ، وتحكم رؤساء الاديان في العقائد والاخلاق ،
وفسد تصور الانسان للحياة ، يظن انها ليست الا المادة عليها يتهالك وبها
يتكاثر .

في هذا الضلال الذي اظلم الجو فيه على الانسان ، بعث الله رسوله

(١) اذيعت من اذاعة الجمهورية العراقية في بغداد سنة ١٣٨٥ هجرية .

محمدًا صلى الله عليه وسلم الى الناس ، يدعوهم الى التوحيد ، والى الايمان بالبعث والجزاء والى العدل والاحسان وسائر العمل الصالح ، بعثه لتطهير العالم وتحرير القلوب من هذه العبادة الشركية الضالة التى كانت تحمل فى حقيقتها ومعناها ، اقبح نظام اجتماعى عرفه البشر الى يومنا هذا ، وحسب الشرك وما يحمل من نظام قول الله تعالى (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوى به الريح فى مكان سحيق) الحج - ٣١ .

ارسل الله محمدًا هاديًا ومبشرًا ونذيرًا وداعيًا الى الله باذنه وسراجًا منيرًا ورسم له طريق دعوته .

(يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر)

حرر قلبك من تعظيم غير الله ليضعف امامك الجبارون ، حرر خلقك فتملك على الناس قلوبهم ، حرر جوارحك لتكون مثالا واقعيًا وحرر نفسك من الملل والجزع والياس واصبر وما صبرك الا بالله .

بهذه العدة القوية ارسل محمد كلمته فى قوم عرفوا بشسدة البأس والايذاء ، والتعصب لما ورثوه من الآباء والاجداد ، وكبر عليهم ان يدعوهم هذه الدعوة رجل ليس بالعظيم فيهم ، فقابلوه بالسخرية والاستهزاء .

(وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) الرخوف -

٣١ -

(وقالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشى فى الاسواق لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة ياكل منها) الفرقان ٧ - ٨ .

١ - ساوموه على ترك الدعوة بكل مايطيب له من ملك وجاه وسلطان فكانت كلمته الماثورة (والله ياعم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على ان اترك هذا الامر ما فعلت حتى يظهره الله او اهلك دونه)

٢ - اشتدوا فى ايدائه صلى الله عليه وسلم واسرفوا ، حتى اجمعوا امرهم على منابذة بنى هاشم وبنى عبد المطلب ، واخراجهم من مكة والتضييق عليهم ومقاطعتهم وكتبوا بذلك صحيفة تعاقدوا عليها فاحتمل فيها النبى ومن معه الجهد البالغ والبلاء الذى لا حد له .

٣ - ونشروا الاكاذيب والاراجيف عن النبى وصحبه ، بقصد تشويهه هند غير المكين فقالوا ساحر ، كذاب ، معلم مجنون واخيرا استقر رأيهم على ان يقتلوه قتلة تفرق دمه فى القبائل ، وكانت الليلة التى اتم الله فيها لرسوله وسائل الهجرة ف ضرب القوم حول بيته نطاقا من الحديد والنار .

وهنا ندع أرباب الإيمان يفكرون في مبلغ التضحية التي بذلتها تلك الأمة
الفدائية التي لا يتجاوز عددها أصابع اليد الواحدة .

أبو بكر ، معد الرحلة وصاحبه في الغار ، وبأذن ماله ونفسه .

وعلى الفدائي الأول الذي تسجى ببردة الرسول مفترشا سريره .

وعبد الله بن أبي بكر صاحب المخابرات المكية واخته ذات النطاقين
صاحبة التموين ، وعامر بن فهيرة ، مطعم اللحم واللبن في الغار ومخفى الأثر
بالغمم التي كان يرعاها لأبي بكر .

هذه التضحية التي قامت بها ثلة فيها الرجل والصبي ، وفيها الرجل
والمرأة وفيها قريب النسب وبعيدة ، لنعلم أن الجهاد والتضحية شأن
المسلمين عامة يستقط في حسابها القرب والبعد .

تمت الهجرة ولم تكن هجرة الفارين الهاربين ، بل كانت هجرة الأبطال
المجاهدين .

تمت الهجرة وكانت نصرا من الله لرسوله ونعمة امتن بها عليه فقال
سبحانه (واذا يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ
وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ)

تمت الهجرة واستقر محمد في المدينة وآخى بين المهاجرين والأنصار
حتى جرت بينهم أنهار السخاء والأيثار وسمت بينهم معاني الأخوة والمودة
ووضع الأساس للامة العربية الاسلامية على العدل الذي لا يعرف الظلم على
الإيمان الذي لا يعرف التردد على الشجاعة التي لا تعرف الجبن ، على الوحدة
التي لا تعرف التفرق ، على الشورى التي لا تعرف الاستبداد ، على الرحمة
التي لا تعرف الغلظة ، على التضامن الذي لا يعرف الاثرة ، وصدق الله
المعظم .

(والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون
في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن
يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون)

الهجرة النبوية

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمكة ثم أمر بالهجرة وأنزل عليه قوله تعالى : (وقل رب ادخلني مدخل صدق
وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لعمرك سلطانا نصيرا) .

أرسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى
الله بأذنه وسراجا منيرا .

وقد دعا قومه الى دين الله سرا ثلاث سنين ثم امره الله أن يجهر بدعوته فقال تعالى : (ياأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته) .

وقد تعرض المسلمون لصنوف الاذى والوان الاضطهاد من اهل مكة فصبروا وصابروا وهاجروا الى الحبشة مرتين .

وجاءت بوادر الخير من اهل يثرب ، فقد كانوا يختلطون باليهود ويسمعون منهم أن نبيا سيظهر في هذا الزمن ، فلما قدمت وفود من اهل المدينة الى الحج عرض عليهم النبي الاسلام وقرأوا القرآن فقالوا هذا هو النبي الذي كانت تستفتح به اليهود عليكم تبشركم بقدمه . فبايعوا النبي على الاسلام وكانوا ١٢ رجلا ، وهذه هي بيعة العقبة الاولى .

وفي العام التالي أقبل جمع من اهل المدينة راغبين في الاسلام ومبايعي النبي فواعدهم النبي على اللقاء سرا بعد ثلث الليل ، وقال لهم لا توقظوا نائما ولا تنتظروا غائبا . وفي الميعاد المحدد تسلل الى العقبة ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان يتسترون في ظلام الليل لمبايعة النبي ومعهاده على الاسلام .

وهناك قرأ الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن ودعاهم الى الله ورغبهم في الاسلام ثم قال : « أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم ، ونساءكم ، وأبناءكم ، وأموالكم » .

فأخذ «البراء» بيده ثم قال : نعم والذي بيمثك بالحق لثمتعنك فنحن والله أبناء الحروب ورثناها كابرا عن كابر .

بهذه البيعة القوية ظهرت حماسة الانصار وتجلى اخلاصهم للدعوة ، ووجد المسلمون طريق الهجرة الى المدينة مفتوحا امامهم وذهب مصعب بن عمير الى المدينة يقرأ القرآن وي يدعو الى الايمان . فلم يبق بيت من بيوت المدينة الا بدأ يتحدث عن القرآن والاسلام .

اجتمع كفار مكة وتشاوروا فيما بينهم للقضاء على محمد ودعوته ، فقال احدهم ننفية من بلادنا ثم لانباي اين ذهب ولا حيث سار . وقال آخر نحبسهم حتى تموت دعوته . ثم استقر رأيهم على أن يختاروا من كل قبيلة شابا جلدا وسطا قويا متينا ، ويعطى كل شاب سيفا صارما بقارا ، ثم يقف الجميع على باب محمد ينتظرون خروجه لصلاة الفجر ، ثم يضربونه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يستطيع بنو هبذ مناف على حرب جميعهم فيقبلون الدية ويذهب دمه هدرا .

وقد أخبر الله نبيه بأمرهم وتدبيرهم ، وأمره بالهجرة الى المدينة ، قال تعالى (واذا يكثر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) .

خرج عليه الصلاة والسلام من مكة يرتل قول الحق سبحانه (وقل رب
ادخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا
نصيرا) الاسراء / ٨٠ .

أى ادخلني المدينة (مدخل صدق) يعنى آمنا على رغم أنف اليهود
(وأخرجني) من المدينة الى مكة (مخرج صدق) يعنى آمنا على رغم أنف كفار
مكة ظاهرا عليهم (واجعل لي من لدنك) يعنى من عندك (سلطانا نصيرا) يعنى
النصر على أهل مكة . ففعل الله تعالى ذلك به فافتتحها فلما افتتحها رأى
ثلاثمائة وستين صنما حول الكعبة ورأى إساف ونائلة أحدهما عند الركن
والآخر عند الحجر الأسود ، وفى يدي النبی صلى الله عليه وسلم قضيب ،
فجعل النبی صلى الله عليه وسلم يطعن الأصنام ويقول : (جاء الحق) يعنى
الاسلام (وزهد الباطل) يعنى وذهبت عبادة الشيطان والأوثان (ان الباطل)
يعنى أن عبادة الشيطان والأصنام (كان زهوقا) يعنى ذاهبا .

سار صلى الله عليه وسلم (ظلام الليل مع الصديق أبى بكر الى غار ثور
فدخله وقد أحاطهما الله بعنايته ورعايته وأيدهما بنصره وتوفيقه .

قال تعالى (الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانی
اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته
عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى
العليا والله عزيز حكيم) .

مكث النبی والصديق فى الغار ثلاثة أيام ، وكانت الفتاة الصغيرة أسماء
بنت أبى بكر ، تروح عليهما كل مساء فى خفاء وتقطع فى جوف الليل الطريق
الومر المضنى ، تحمل اليهما الزاد والماء .

ولما سكن الطلب من الرسول الأمين وصاحبه ، جاءهما الدليل ، فسارا
فى وهج القیظ وتلظى الهجير ، سارا يطويان الظلام ويصلان الصبح بالمساء
حتى وصلا الى المدينة المنورة فخرج أهلها لاستقبالهما فى ميد يهيج ينشدون
الأهازيج .

طلع البدر علينا	من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا	مادعنا الله داع
أيها المبعوث فينا	جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة	مرجبا ياخير داع

الاسراء بين القرآن والعلم

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

(سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير) .

١ - ضوء على الآية :

(سبحان) اسم علم لتسبيح الله وتنزيهه ، فمعنى سبحان الله : أسبح الله سبحانه والمقصود التقديس والتنزيه عن السوء فى الذات والصفات والافعال والاسماء والاحكام أى ما أبعد الذى له هذه الصفات من جميع النقائص . (اسرى) سار فى الليل ، ومعنى اسرى به صيره ساريا (ليلا) أى فى جزء من الليل أو فى ساعات منه . (من المسجد الحرام) أى ابتداء الاسراء المسجد الحرام وسمى حراما لتحريم القتل والعدوان فيه حتى لو وجد فيه قاتل إبيه حرام عليه قتله داخل المسجد لقوله تعالى (ومن دخله كان آمنا) .

(الى المسجد الأقصى) هو بيت المقدس وسمى الأقصى لبعده المسافة بينه وبين المسجد الحرام .

(الذى باركنا حوله) بارك الله حوله بركات مادية ومعنوية واحاطه ببركات الدنيا والدين ، فجعل حوله الأشجار والثمار وجعله متعبدا الانبياء من وقت موسى ومهبط الوحى ومصرى محمد صلى الله عليه وسلم .

(لنريه من آياتنا) فيها بيان لحكمة الاسراء ، وقد رأى النبى من آيات الله ودلائل قدرته الكثير ، ورأى صورا وأشكالا جسست فيها المعانى بصورة ملموسة محسوسة .

كما رأى الملائكة تعبد الله على أشكال شتى منها القائم والراكع والساجد والعابد ، ورأى الأنبياء والمرسلين ورأى الجنة والنار .

وكان لدى النبى من الصفاء والنقاء والطهر ماجعله أهلا لأن يرى آيات الله فى هذا الكون وأن يتفتح قلبه الشريف ليحيط بأسرار الكون ونظمه وليرى العالم العلوى وملائكة السماء ، وهناك فرض الله عليه الصلاة تحية خالدة لهذا اللقاء الكريم .

(انه هو السميع البصير) السميع بدعاء محمد البصير بما أصابه من

أذى المشركين وهو يسمع ويرى ما لطف ودق وخفى عن الاسماع والابصار من اللطائف والاسرار ،

وهكذا تحدثت الآية من الاسراء فى اعجاز وبيان يملكهما مالك القدرة الخارقة التى شملت هذا الكون بما فيه ، فاشتملت الآية على تنزيه الله أن يكون له صاحبة أو ولد وبينت أن الاسراء بعبد من عبيد الله اختاره واصطفاه ، وأن العبودية كلما تحققت مضمونها من الخضوع والخشوع والاخلاص لله كلما سما صاحبها وزاد قدره وكان الاسراء من أول بيت وضع للناس ، من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى حيث كانت الرسل تتعبد وحيث اعترفت له الانبياء بالرسالة وحيث صعد من هذا المكان الطاهر الى السموات العلا الى سدة المنتهى الى جنة المأوى ، ولم يتحول بصره يمينا ولا شمالا ولا تجاوز الطريق المرسوم بل كان فى سمت النبين وأمانة الصديقين وسمو المرسلين .

٢ - المعراج :

المعراج والمصعد والمرقى كلها بمعنى واحد تدل على الصعود والارتقاء ومعراج الرسول هو صعوده الى السموات العلا حيث لقي من فضل الله الكثير ورأى من آيات ربه الكبرى .

وكان الاسراء والمعراج فى ليلة واحدة ، الاسراء رحلة من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ، والمعراج رحلة سماوية الى الملا الأعلى . وقد تحدثت سورة النجم عن المعراج فى قوله تعالى : «والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ، علمه شديد القوى ، ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى ؛ ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، فاوحى الى عبده ما وحي ، ما كذب الفؤاد ما رأى ، افتتارونه على ما يرى ، ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، اذ يغشى السدرة ما يغشى ، مازاغ البصر وماطى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى» النجم ١ - ١٨ .

٣ - تاريخ الاسراء :

وقع الاسراء فى السنة الحادية عشرة للبعثة ، قبل الهجرة بسنة ، أو قبلها بسنة وشهرين .

وكان المشركون قد أمتعوا فى ايداء النبى وبالغوا فى تعذيب المسلمين حتى اضطروهم للهجرة الى الحبشة مرتين ، ولما ينس النبى من أهل مكة ذهب الى الطائف وبها قبائل ثقيف فدعاهم للاسلام ورغبهم فى الايمان ، وكان يأمل أن يجيبوه الى دعوته ، ولكنهم ردوه أسوأ رد وارصدوا له الغلمان يرحمونه بالحجارة حتى دميت قدماء الشريفتان ، وقد أغمى على النبى من شدة الابداء . فلما أفاق وجد نفسه مكذبا فى قومه مضطهدا فى مكة معذبا فى الطائف وحيدا غريبا ، فمد يده الى الله سبحانه قائلا :

« اللهم اشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا رب العالمين انت رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلمني ، الى عدو يتجهمني أو يعبد ملكته امرى ، اعوذ بنور وجهك الذى اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والاخرة أن ينزل بى سخطك أو يحل على غضبك ، لك العتبى حتى ترضى . عافيتك هى اوسع لى ان لم يكن بك غضب على فلا ابالى » .

وقد جاءه جبريل وقال يا محمد هذا ملك الجبال وان الله امره ان يطيعك فى قومك بسبب ما فعلوه بك فان شئت ان يطبق عليهم الاخشيبين (جبلان بمكة) فعل . فقال له النبى لاتعمل انى لارجو أن يخرج من ظهورهم من يعبد الله . اللهم اهد قومي فهم لا يعلمون .

فقال جبريل للنبى صدق من سماك الرؤوف الرحيم . وعاد النبى الى مكة حزينا كئيبا ولم يستطع دخولها الا فى جوار المطم ابن عدى .

٤ - ما قبل الاسراء :

كانت الفترة التى سبقت الاسراء من اقصى الفترات على النبى والمؤمنين وكان الامتحان قاسيا ، يواجه المؤمنون كل يوم بفتنة ومحنة ، ويستتصر المؤمنون الله قائلين : لا تدع الله لنا ، الا تنزل غضبه على عدونا ، فيجيبهم بأن طريق الدعوة طريق وعر وصعب ، وان على المؤمن أن يتحمل البلاء فى ذات الله . ويصبح فيهم : « والله لقد كان يؤتى بالرجل فيمن قبلكم فيشق بالمشار من مفرق رأسه الى قدميه فما يصده ذلك عن دينه ، والذي نفس محمد بيده ليتمن الله ذلك الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله او اللئب على غنمه ولكنكم تستعجلون » .

كان من فضل الله على المؤمنين فى هذه الفترة المؤلمة أن أعطى نبيه معجزة الهية كبرى ليرى هوالم أخرى وليصعد الى السماء ويرى من فضل الله ونعمه الكثير ثم يعود بالصلاة صلة بين المؤمنين وربهم ، فهى العون للمؤمن فى رحلة الحياة وهى الملجأ والملاذ الى الله وهى فترة المناجاة والمناذاة فيها تسمو الروح وتطهر النفس ويناجى العبد الها سميما بصيرا مجيبا .

٥ - الاسراء فى ضوء العلم :

وردت قصة الاسراء والمراج فى كتب السنة الصحاح وسرت بين الامة سريانا مستفيضا ووعتها بطون الكتب وتحدث بها الرواة حتى نقلها من اعظم الرجال خمسة وأربعون صحابيا بطرق شتى واخذها جيل عن جيل فى تواتر واجماع .

والامر فى جملة خاضع لقدرة الله التى لاتقف امامها حدود ، وهو معجزة لرسول الله . والمعجزة امر خارق للعادة يظهره الله على يد مسمى الرسالة

تصديقا له في دعواه ، وليس فيما كشفه العلم من قوانين الجذب العام ونظام الافلاك ومسايح النجوم وعناصر الكواكب ونواميس الحركة وطبقات الهواء وتحديد الحركات ومعايير السرعة - ليس في ذلك كله ومايتصل به - مايقف امام الاسراء والمعراج .

فقد ثبت ان نجم المشتري يجرى بسرعة ثلاثين الف ميل في الساعة فيجرى تسعة اميال كلما تنفس الانسان . والمشتري اكبر من ارضنا بالف واربعمئة مرة . وان الله الذي جعل هذا الجسم الكثيف الهائل يقطع الابعاد الشاسعة في لحظات لايبعد عليه ان يسرى بنبيه من مكة الى بيت المقدس على مفتضى ناموس لانعرفه . وان كان الوجود يشتمل عليه ، مادام العلم قد اثبت سرعة عجيبة لأجرام كثيفة .

واننا نشهد كل يوم كشفا عن ناموس ، وابطالا لناموس حتى لقد صرح بعض علماء الغرب ، بأن اخوف مانخافه ان مانفاخر به اليوم من العلوم يصبح بعد مائة سنة باطلا منسوخا .

ويؤثر لرئيس مجمع ترقى العلوم بجامعة كمبردج سنة ١٨٥٤ م ان كنه المادة غير معروف وان منتهى علمها مبتدا جهلها .

ونحن اذا طوينا القرون القهقري فرجعنا الى ما قبل اليوم منذ قرنين اثنين ، افكنا نحسب ان موجات الاثير وعدسات التليفزيون والتلستار تنقل صوت الانسان وصورته الى الابعاد الشاسعة والاقطار النائية .

ان الانسان قد اخذه العجب العجيب عند اختراع الطائرة العادية ثم الطائرة النفاثة والاطباق الطائرة ، والاقمار الصناعية .

وكان وصول الانسان الى القمر اخيرا خيرا مذهلا اخذ على الناس في كل اصقاع الدنيا لبهم واستولى على اهتمامهم ، وذلك كله مما يقرب في ذهن الانسان سهولة الاسراء والمعراج خاصة وانهما يقعان في دائرة القدرة الالهية التي يخضع لها كل شيء في عالم السموات والارض والهواء والفضاء . قال تعالى : (وماقيدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون) . الزمر ٦٧ .

٦ - الشعر والاسراء :

قال شوقي :

تساءلون وانت اظهر هيكلا	بالروح أم بالهكل الاسراء
بهما سموت مطهرا وكلاهما	نور وروحانية وبهما
فضل عليك لدى الجلال ومنة	والله يفعل مايري ويشاء
تغشى الفيوب من العوالم كلما	طويت سماء قلدتك سماء

في كل منطقة حواشي نورها
أنت الجمال بها وأنت المجتلى
الله هيا من حظيرة قدسه
العرش تحتك سدة وقوائمه
والرسل دون العرش لم يؤذن لهم
نون وأنت النقطة الزهراء
والكف والمرآة والحسنة
نزلا لدائك لم يجزه علاء
ومناكب الروح الأمين وطاء
حاشا لفيرك موعد ولقاء

٧ - آراء العلماء في الاسراء :

لعله أصبح واضحا أن الاسراء هو الانتقال بالنبي من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى .

وإن المعراج هو العروج به الى السموات العلا .

ولعل سائلا يسأل ، هل كان الاسراء بالروح والجسد أم بالروح وحدها ويمكن أن نوضح الجواب بما يأتي :

(١) أكثر العلماء على أن الاسراء كان بالروح والبدن يقظة لا مناما ، ولهم على ذلك أدلة :

١ - أنه لو كان مناما ماكانت قريش تبادر الى تكذيبه ولما قالت أم هانئ
لاحدث الناس فيكذبوك ، ولما فضل أبو بكر بالتصديق ، وجاء في
الحديث عن أبي هريرة أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي ، فسألني عن أشياء
من بيت المقدس لم أثبتها (لم أعرفها حق المعرفة) . فكربت كريبا
ماكرت مثله قط ، فرفعه الله لي أنظر اليه ، فما سألوني من شيء إلا
أنبأتهم به (الحديث) .

٢ - أن التسبيح والتعجب في قوله : سبحان الذي أسرى بعبده - إنما
يكون في الأمور العظام - ولو كان مناما لم يكن فيه كبير شأن ولم يكن
مستظما .

٣ - أن قوله (بعبده) يدل على مجموع الروح والجسد .

٤ - أن ابن عباس قال في قوله : « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة
للناس » هي رؤيا أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به
ويؤيده أن العرب تستعمل الرؤيا في المشاهدة الحسية ، ألا ترى
الى قول الراعي يصف صائدا :

وكبر للرؤيا وهش فؤاده وبشر قلبا كان جما بلا به

٥ - أن الحركة بهذه السرعة ممكنة في نفسها ، فقد جاء في القرآن أن الرياح
كانت تسير بسليمان عليه السلام الى المواضع البعيدة في الاوقات
القليلة ، قال تعالى : (غصوها شهر ورواحها شهر) وجاء فيه أن الذي

هنده علم من الكتاب احضر عرش بلقيس من اقصى الارض في مقدار لمح
البصر كما قال تعالى : (قال الذى عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل
ان يرتد اليك طرفك) واذا جاز هذا لدى طائفة من الناس جاز لدى
النبي بالاولى .

(ب) ويرى آخرون أن الاسراء كان بالروح فحسب ، ولهم على
ذلك حجج :

١ - أن معاوية بن أبى سفيان كان اذا سئل عن سرى رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يقول :. كان رؤيا من الله صادقة . وقد ضعف هذا بأن
معاوية يومئذ كان من المشركين فلا يقبل خبره في مثل هذا .

٢ - أن بعض آل أبى بكر قال : كانت عائشة تقول ما فقد جسد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، ولكن اسرى بروحه ، ونقدوا هذا بأن عائشة
يومئذ كانت صغيرة ولم تكن زوجا لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

٣ - أن الحسن قال في قوله (وما جعلنا الرؤيا) الآية . انها رؤيا منام رآها -
والرؤيا تختص بالنوم .

قال أبو جعفر الطبرى : الصواب من القول في ذلك عندنا ان يقال : ان
الله اسرى بعبد محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد
الاقصى كما أخبر الله عباده وكما تظاهرت به الاخبار عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن الله حملة على البراق حتى اتاه به وصلى هناك بمن صلى من
الانبياء والرسل فاراه ما أراه من الآيات ، ولا معنى لقول من قال اسرى بروحه
دون جسده لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن في ذلك ما يوجب أن يكون دليلا على
نبوته ولا حجة له على رسالته ، ولا كان الذى انكروا حقيقة ذلك من اهل
الشرك كانوا يدفعون به عن صدقه فيه ، اذ لم يكن منكرا عندهم ولا عند أحد
من ذوى الفطرة الصحيحة من بنى آدم أن يرى الرأى منهم في المنام ما على
مسيرة سنة ، فكيف ما هو مسيرة شهر أو أقل - وبعد فان الله انما أخبر في
كتابه أنه اسرى بعبد ولم يخبرنا بأنه اسرى بروح عبده ، وليس جائزا لأحد
أن يتعدى ما قال الله الى غيره ، الى أن الادلة الواضحة والاخبار المتتابعة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله اسرى به على دابة يقال لها البراق ،
ولو كان الاسراء بروحه لم تكن الروح محمولة على البراق ، اذ كانت الدواب
لا تحمل الا الاجساد . اهـ .

والخلاصة :

ان الذى عليه المعول عند جمهرة المسلمين انه اسرى به عليه السلام
يقظة لا مناما من مكة الى بيت المقدس راكبا البراق ، فلما انتهى الى باب
المسجد ربط الدابة عند الباب ودخله يصلى في قبلته تحية المسجد ركعتين
وخرج به الى السماء وعاد منها ثم ركب البراق. وهاد الى مكة قبل الفجر .

شهر شعبان

فضل الله بعض الأماكن على بعض ، وفضل الله بعض الأزمنة على بعض ،
وفضل الله بعض الرسل على بعض . قال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم
على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات) .

وفي الحديث الشريف (ان لربكم في أيام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها) .
ومن نفحات الله ما خص به بعض الأيام والليالي بمضاعفة الثواب وقبول
المتاب واغداق الرحمت على عباده المؤمنين .

ونحن نعيش في وسط ثلاثة أشهر بيض باركها الله بجلال الأعمال :
فرجب شهر الله الحرام ، فيه وقع الاسراء والمعراج وهما الحادثتان الإلهيتان ،
وقد تم فيهما تكريم النبي صلى الله عليه وسلم ، والانتقال به ليلا من المسجد
الحرام الى المسجد الأقصى ، وهناك صلى اماما بالانبياء وصعد به الى
السماوات العلا حيث استقبله من كل سماء مقربوها . وفي اشرف مكان واسمى
بقعة حفته الأنوار وغشيته الأسرار ، وصار في ضيافة الجبار ، وراى من
مجائب الكون ماراى ، (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة
اللولى اذ يغشى السعرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد رآى من آيات ربه
الكبرى) .

وفي شهر شعبان وقعت غزوة بدر الآخرة وغزوة بنى المصطلق وفيهما
ظهرت حكمة الرسول وبعد نظره وقدرته على تسيير دفة الأمور بإحكام
ونجاح في أحلك الأوقات . قال تعالى (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) ويقول
سبحانه (يهدى الله لنوره من يشاء) .

وفي شهر شعبان تم تحويل القبلة في الصلاة الى جهة الكعبة ، وذلك ان
المسلمين هاجروا الى المدينة فمكثوا بها سبعة عشر شهرا يصلون جهة بيت
المقدس بالشام ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرونو ببصره الى السماء
داميا راجيا ان تتحول قبلة الصلاة الى الكعبة ، فأنزل الله عز وجل قوله (قد
فرى قلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد
الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) فتحولت قبلة الصلاة الى الكعبة .

والجاء القبلة الى بيت الله الحرام فيه تعظيم للبيت الحرام ، وهو اول
بيت وضع للناس ، وفيه رمز الى وحدة الأمة الإسلامية حول البيت الحرام

فهدفهم واحد وانجاهم واحد وربهم واحد وقبلتهم واحد وامتهم واحدة
قال تعالى (ان هذه امة واحدة وانا ربكم فاعبدون) . الانبياء ٩٢

وفى تحويل القبله بيان عملى ان الله المشرق والمغرب وانه المقصود بجميع
العبادات (فايئها تولوا فثم وجه الله) . ونحن المسلمين نعظم المساجد لانها
بيوت العبادة ونخص بالتعظيم المسجد الحرام والمسجد النبوى والمسجد
الاقصى ، ونعلم ان افضل المساجد هو المسجد الحرام ثم المسجد النبوى ثم
المسجد الاقصى . والمسلمون يرحلون الى هذه المساجد لاقامة الصلاة واداء
المناسك وطلباً لمضاعفة الثواب ورؤية الاماكن المقدسة التى انزل الله عليها
بركاته وضاعف فيها الثواب وتجلى على عباده فيها بالفضل والمغفرة .
قال تعالى (ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين فيه
آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً . والله على الناس حج البيت
من استطاع اليه سبيلاً ومن كفر فان الله غنى عن العالمين) .

وفى الحديث الصحيح (لانشد الرجال الا لثلاثة مساجد، مسجدى هذا
والمسجد الحرام والمسجد الاقصى) . اى أن المسلم لايسافر قاصدا السفر الى
مسجد معين لان المساجد كلها لله فإى مسجد صالح للصلاة ، لكن يباح السفر
الى ثلاثة مساجد تعظيماً لقدرها وطلباً لمضاعفة الثواب بالصلاة فيها ، وهى
المسجد الحرام بمكة وهو أول بيت وضع لله فى الارض ، ويليهِ المسجد النبوى
بالمدينة وفيهِ مثنوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمسجد الاقصى بالشام
وفيه مثنوى الانبياء وحوله البركات ومضاعفة الحسنات ، والى ذلك المسجد
مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال تعالى (سبحان الذى اسرى
بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه
من آياتنا انه هو السميع البصير) .

فيا امة الاسلام اين المسجد الاقصى ؟ ، انه فى يد عصابة اليهود يستغيث
بالمسلمين ان هبوا من سباتكم واجمعوا امركم واعلنوا جهادكم فى سبيل الله
وفى سبيل تخليص المستضعفين . وما احزاننا فى ليلة النصف من شعبان المكرم
وفيهما يفتح الباب وبضاعف الثواب وتقرب الاحباب أن بلجأ الى الله داعين
متبتلين فى هذه الليلة المباركة ، فهى موسم للتوبة النصوح والالتجاء الى الله
والاستقامة على طريقه . قال تعالى (وان او استقاموا على الطريقة لأسقيناهم
ماء غدقاً) .

وروى البيهقى عن عائشة رضى الله عنها قالت « قام رسول الله صلى
الله عليه وسلم من الليل فصلى فأطال السجود حتى ظننت أنه قد قبض ، فلما
رايت ذلك قمت حتى حركت ابهامه فتحرك فرجعت فسمعتة يقول فى سجوده
أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك، الهى لا احصى
ثناء عليك أنت كما اثبتت على نفسك . فلما رفع رأسه من السجود وفرغ
من صلاته قال يا عائشة اتدريين اى ليلة هذه قلت الله ورسوله أعلم . قال هذه

ليلة النصف من شعبان ان الله عز وجل يطلع على عباده (ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحقد كما هم » .
فهذه أيام الطاعة والانباء والجهد والجلاد وجهاد النفس والهوى ، قال تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى) .

ليلة مباركة

بسم الله الرحمن الرحيم :

(حم والكتاب المبين ، انا أنزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين ، فيها يفرق كل أمر حكيم ، أمرا من عندنا انا كنا مرسلين ، رحمة من ربك انه هو السميع العليم . رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين ، لا اله الا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين) الدخان ١ - ٨ .

بدا الله بعض السور بحروف مقطعة مثل الم الر حم .

وللعلماء فيها رايان :

الراى الاول : انها مما استاثرت الله تعالى بعلمه ،

والراى الثانى : أن لها معان معروفة ولكنهم اختلفوا في تحديد هذه المعانى فقليل هي أسماء للسورة ، وقيل هي اشارة الى أسماء الله تعالى أو صفاته ، وقيل هي أدوات للتنبيه ، وقيل هي حروف للتحدى والاعجاز .

واختار ابن جرير الطبرى أن وجه الاعجاز في هذه الحروف هو اشتغالها على جميع المعانى التى ذكرها العلماء في تفسيرها .

فهى مما استاثرت الله تعالى بعلمه ، وهى أسماء للسورة ، وهى حروف للتنبيه وهى اشارة الى أسماء الله تعالى وصفاته وهى لبيان التحدى والاعجاز .

وقد أقسم الله بالكتاب المبين الواضح ، الذى أنزل بلسان عربى بين يفهمه العامة والخاصة ويتجاوب معه الكبير والصغير والامى والمتعلم .

روى الترمذى عن الحارث الاعور عن على بن أبى طالب قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (الا انها ستكون فتنة ، فقلبت ما المخرج منها يارسول الله ؟ قال : كتاب الله فيه نبأ ماكان قبلكم ، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم هو الذى لا تزيغ به الالهواء ، ولا تلتبس

به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، هو الذى لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا : (انا سمعنا قرآنا عجبا يهdy الى الرشd) ، من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دما اليه هدى الى صراط مستقيم) .

(انا انزلناه فى ليلة مباركة) اى انزلنا القرآن فى ليلة كثيرة البركات — واكثر المفسرين انها ليلة القدر وهى احدى ليالى شهر رمضان قال تعالى (شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن) وقال سبحانه (انا انزلناه فى ليلة القدر)

وقال عكرمة وجماعة : الليلة المباركة هى ليلة النصف من شعبان وتسمى ليلة الرحمة والليلة المباركة وليلة الصك وليلة البراءة .

(فيها يفرق كل امر حكيم) اى يفصل ويبين كل امر صادر منا على مقتضى حكمتنا . فان من مادتنا ارسال الرسل للعباد رحمة منا .

وقد ذكروا فى ليلة النصف من شعبان اخبارا كثيرة منها ما أخرجه ابن ماجه عن على كرم الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فان الله تعالى ينزل فيها لغروب الشمس الى السماء الدنيا فيقول الا مستغفر فأغفر له الا مستترق فارزقه ، الا مبتلى فأعافيه الا كذا الا كذا حتى يطلع الفجر) .

وأخرج الامام أحمد أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : (يطلع الله الى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده الا اثنين مشاحن وقاتل نفس) .

وفى الدر المختار وحاشيته : (ومن المنسوب احياء ليلتى العيدين والنصف من شعبان والعشر الاخرة من رمضان وليالى العشر الأول من ذى الحجة)

واحياء هذه الليالى يكون بذكر الله وقراءة القرآن فى جزء من الليل . او بصلاة العشاء فى جماعة والفجر فى جماعة . روى مسلم فى صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من صلى العشاء فى جماعة فكانما قام نصف الليل ومن صلى الصبح فى جماعة فكانما قام الليل كله) .

وفى الصحيحين من عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : (ماكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من شهر أكثر من صيامه من شعبان ، كان يصومه كله) .

امجاد الاسلام في شهر رمضان

أيها المسلمون - جدير بنا ونحن نستقبل شهر رمضان أن نتذكر الاحداث الخالده التي وقعت فيه وماكان لها من الآثار الباقية التي غيرت وجه التاريخ الانساني وانتقلت بالبشرية من عهود الظلم والاستبداد الى عهد العدل والحرية والاخاء .

لقد كان رمضان الوعاء الزمني لقيام دين الاسلام وتكوين المجتمع الاسلامي .

فقيام دين الاسلام كان بنزول القرآن الكريم في هذا الشهر العظيم والقرآن الكريم هو أساس هذا الدين وكتابه الخالد .

يقول الله تعالى (ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا) ويقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان هذا القرآن حبل الله المتين والنور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه) .

ومن اجل ذلك كان رمضان شهر القرآن وكان شهر الاسلام فيه انطلقت اول صيحة تبشر بهذا الدين وفي ليلة مباركة من لياليه نزلت اول آية على الرسول الكريم ، (لنا انزلناه في ليلة القدر وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر ننزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر)

هذه صلة رمضان بالاسلام وهذا هو ارتباطه بالقرآن وهي صلة باقية على مدى الازمان (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

اما علاقة رمضان بتكوين المجتمع الاسلامي فذلك يتمثل في حادثتين عظيمين وفعنا فيه لو لم يحدث فيهما ماحدث فعلا لتغير وجه التاريخ ولتوقفت خطاه قلبلا أو كثيرا قبل أن يدخل بالبشرية في دور جديد ، هاتان الحادثتان هما غزوة بدر الكبرى وفتح مكة .

فغزوة بدر وقد وقعت في السابيع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة ، كانت اول لقاء مسلح بين الحق والباطل ، بين قوى الشر والضلال وبين قوى الخير والرشاد ، وبالرغم من تفوق المشركين في العدد والعدد فقد صدق الله وعده ونصر جنده وأمر الحق وأهله (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) ، (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق) .

وهكذا كان انتصار المسلمين في يوم بدر اول لبنة في قيام المجتمع الاسلامي وظهور خصائصه الفاضلة وملامحه التي رسمها الاسلام واعتزت بها جماعة

المسلمين ، وما نزل في شأن هذه الغزوة من آيات بين ان نصر الله دائما مع المؤمنين وان تاييده للعاملين المخلصين وعد الله لا يخلف الله الميعاد قال تعالى :

(فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم) (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) البقرة ٢٤٩ .

واما فتح مكة فقد كان في السنة الثامنة للهجرة في عشرين من رمضان تقدم النبي صلى الله عليه وسلم اليها وقال ؛ اللهم خذ العيون والابصار من قريش حتى نبقتها في بلادها .

ثم دخل مكة متواضعا لله منحنيا على راحلته حتى اوشك ان يسجد عليها شكرا لله وهو يقول تائبون آيبون حامدون لربنا شاكرون ، ثم دخل البيت الحرام فصلى ركعتين ثم حطم الاصنام بقضيب في يده وهو يقول (وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا)

ثم وقف على باب الكعبة واعلن سماحة الاسلام وعفا عن اعدائه وقال كلمته الخالدة :

اذهبوا فانتم الطلقاء لا تشرب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين ، فدخل الناس في دين الله افواجا وجماعات وصدق الله العظيم (اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسيح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا) .

ليلة القدر

فضل الله بعض الأمكنة على بعض ففضل البيت الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى وفضل الله بعض الأزمنة على بعض ففضل يوم الجمعة وليلة الاسراء والمعراج وليلة النصف من شعبان وشهر رمضان وليلة القدر .

وليلة القدر ليلة مباركة يضاعف فيها الثواب ويفتح الباب ويقبل المتاب وينال العاملون فيها عظيم الاجر قال تعالى : (انا انزلناه في ليلة القدر ، وما ادراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها بالذن ربهم من كل امر ، سلام هي حتى مطلع الفجر » .

هي ليلة نزل فيها القرآن من اللوح المحفوظ الى بيت العزة في سماء الدنيا ثم نزل بعد ذلك منجما مجزءا حسب الوقائع والحوادث .

قال تعالى : (شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على

سفر فعدة من أيام آخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون (البقرة ١٨٥) .

وفي ليلة القدر يفتح الباب ويقبل المتاب، ولأمر ما قال الله عز وجل عقب آيات الصيام : (وإذا سألك عبادى عنى فائى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) البقرة ١٨٦ .

وفي ليلة القدر يضاعف الله ثواب العمل الصالح ، والعمل الصالح هو كل فربى أو عمل يقصد به وجه الله كتلاوة القرآن والتسبيح والذكر والصدقة والأعمال النافعة للأمة كبناء مدرسة أو مسجد أو معمل أو مصنع أو ملجأ .

قال تعالى : (ليلة القدر خير من ألف شهر) أى العبادة والعمل الصالح فيها أفضل من العمل الصالح فى ألف شهر ليس بينها ليلة القدر .

وقال سبحانه : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع أجر من أحسن عملا) وقد بارك الله العمل وحث عليه وقرنه بالايمن فى كثير من الآيات، قال تعالى : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) وقال سبحانه : (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبؤكم بما كنتم تعملون) .

وفي ليلة القدر تنزل الملائكة من السماء بالسلام والامان فتنتشر فى الارض ومعها جبريل الامين وهذا باذن الله وامره بركة لهذه الأمة وتكريما للذكرى نزول القرآن وهى سلام وامان من اذان المغرب الى طلوع الفجر .

وينبى أن يكثر المسلم فيها الدعاء النافع لدينه ودنياه وآخرته .

قالت عائشة رضى الله عنها يارسول الله ان رايت ليلة القدر ماذا اقول ؟ قال قولى : اللهم انك عفو كريم تحب العفو فاعف عنى .

اللهم انى اسالك العفو والعافية فى الدين والدنيا والاخرة وفى صحيح البخارى ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول يا عبادى هل من داع فاستجيب له هل من مستغفر فأغفر له هل من مسترئق فأرزقه هل من تائب فاتوب عليه هل من طالب حاجة فأقضيها له حتى يطلع الفجر .

وليست ليلة القدر عبارة عن نور فى السماء أو طاقة من النور مستديرة أو مستطيلة ليس لهذه الليلة نور خاص أو مشهد حسى معين .

ولكنها ليلة تتميز بكثرة نزول الملائكة الى الارض وانتشار الرحمة والمغفرة والامان وفتح الباب أمام الداعين فيجس الانسان احساسا روحيا بصفاء نفسه وسمو روحه ورغبته فى الابتها الى الله ، والثناء عليه والدعاء وقراءة القرآن والصلاة والسلام على النبى محمد عليه الصلاة والسلام .

وليلة القدر هي ليلة القرآن وسميت ليلة القدر بمعنى الشرف والذكر
أي القدر الرفيع والشرف العظيم ، لأنه نزل فيها قرآن ذو قدر على نبي ذي
قدر لأمة ذات قدر .

وأحرى بأمتنا أن تدرك شأن القرآن في حفظ اللسان ونفويم الخلق
وتماسك الأمة وتربط المؤمنين فتقبل على القرآن قراءه وفهما ودراسة وحفظا
وأن تلتزم بهديه وتمسك بأحكامه وتعود الى منهجه وروحه فالقرآن روح
وحياة ومنهج وطريقة قال تعالى : (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت
تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا
وانك لتتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي ما في السموات وما في
الأرض إلا الله تصير الأمور) .

لقد بدأ نزول القرآن في غار حراء واستمر نزوله في مكة والمدينة فكان
روحا وهديا ونموذجا وسلوكا واجتمع المؤمنون حول القرآن يقرءونه ويعملون
بأوامره ويجتنبون نواهيه فصافهم القرآن صياغة اسلامية ربانية وصار العرب
بالقرآن خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون
بالله . لقد عمل المسلمون يوم أن أمروا القرآن وذل المسلموا يوم أن هجروا
القرآن : « وقال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا » وطريق
العزة والنصر هو طريق القرآن وامثال أمر الرحمن ، قال تعالى : « وما النصر
الا من عند الله العزيز الحكيم » .

عيد الاضحى

قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فوجد أهلها يلعبون فسألهم
من سبب ذلك فقالوا هذان يومان كنا نلعب فيهما في الجاهلية فقال (ان الله
قد أبدلكم بهما خيرا منهما يوم الاضحى ويوم الفطر) .

تمر بالمسلمين أيام العيد الاكبر وهو عيد التضحية والفداء عيد امتحن
الله فيه الخليل ابراهيم بذبح ولده اسماعيل فقام الخليل من نومه وأقبل على
ابنه وقال :

(يا بني انى ارى في المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى)

ووقف الشاب موقفا مجيدا ضحى فيه بنفسه وحياته وأجاب قائلا
(يا ابي افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) .

ولما صحت عزيمة الخليل وامثال الذبيح اسماعيل ، سمع ابراهيم
النداء (يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ، ان هذا لهو
البلاء المبين ، وفبيناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم)

أيها المؤمنون

نمر بالألم كما نمر بالأفراد، مواقف حاسمة ومحن وأزمات فإذا صبرت الأمة في محنتها ولم تركع على قدميها ، وضحت بالتف والمثمة العاجلة في سبيل الغاية والمبدأ انتصرت في رسالتها ونجحت في مهمتها ، واستوت على عرش مجدها وعزها ، وكان لها ثواب المجاهدين ، وأجر الصابرين ، وصدق الله العظيم (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) .

ولقد كان حادث الفداء درسا عمليا تلفاه الخليل ، حين امر بلذبح ولده الوحيد وأحب الناس إليه ، اختبارا لإيمانه ، وامتحانا لأرادته فكان إبراهيم صادق الإيمان وفيا للرحمن وضحي بولده في سبيل ربه ودينه وخالقه ، فجزاه الله الجزاء الأوفى ، وسجل وفاءه في القرآن الكريم .

ثم كلل نجاحه بالفداء تمجيذا لانتصار الإرادة البشرية والنفس القوية واليقين الصادق .

وأمر المسلمون بلذبح الضحايا في هذا العيد الأكبر لأن الله يحب إراقة الدماء في ذلك اليوم وليذكر المسلمون أمجادهم الماضية وتاريخهم الحافل وأباهم الأكبر أبا الملة الحنيفية ، وليتخذوا العظة والعبرة من أخبار السابقين وسيرة الأولين .

(ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس ، فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير) .

ان للأعياد في الاسلام معان سامية وحكم بالغة فهي أيام النصر وذكرات تشعر فيها النفس بالراحة والأطمئنان والفرح والامتنان .

في عيد الفطر يشعر المؤمن بالفرح والارتياح لصيام شهر رمضان ثم بخروج زكاة الفطر مشاركة للآخرين في صيامهم وفطرتهم .

وفي عيد الاضحى يغمر المؤمن سرور الفرح بأيام الله أيام الحج الأكبر وتوافد المسلمين أفرادا وجماعات الى بيت الله

(ياتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معدودات)

يتلاقى المسلمون في الحج لتبادل المعرفة والرأى فهو انجح مؤتمر عالمي للشعوب والأفراد يتدارس فيه المسلمون حالهم ووضعهم وأهمهم وآمالهم — ويعملون سويا عملا منظما لخير الاسلام والمسلمين .

في هذا العيد الأكبر يذكر المسلمون نعمة الله عليهم ومنته الكبرى في يوم عرفات فعند اصيل يوم الجمعة التاسع من ذى الحجة سنة عشر من الهجرة

وقف عليه الصلاة والسلام وقمته الخالدة وخطب خطبته الجامعة في حجة الوداع وضح فيها المبادئ الأساسية لرقى المجتمع وحفظ الحقوق وإداء الواجبات فقرر حرمة الدماء وحرمة الأموال ونهى عن طاعة الشيطان وأركان المظالمات ووصى بالمراه لأنها شطر المجتمع وشريكة الرجل فحدد حقوقها وواجباتها وأمر برعايتها وكفالتها وصى بتحمل ضعفها والقيام بحقوقها في عدل ورحمة ، وقرر مبدأ المساواة بين الناس جميعا على اختلاف أجناسهم والوانهم وجمع في خطبته أسمى المبادئ في تاريخ الاجتماع البشرى فقال صلى الله عليه وسلم :

(أيها الناس ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام الى ان تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا الاهل بلغت ؟ اللهم فاشهد .

أيها الناس ان الشيطان قد بئس ان يعبد في ارضكم هذه ولكنه رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم ..

أيها الناس ان ربكم واحد وان اباكم واحد كلكم لآدم وادم من تراب ، اكرمكم عند الله اتقاكم ليس لعربي على عجمي فضل الا بالتقوى ، الاهل بلغت اللهم فاشهد)

تلك هي مبادئ الفطرة وقوانين العدالة السامية والتكافل والتواصل والتراحم والتآلف ، وترك الشحشاء والبغضاء وعوامل الفرقة والاختلاف ، قال تعالى

(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) .

وقفه بين عامين

الايمان بالله وملائكته ورسوله واليوم الآخر هدف سام من أهداف الرسائل السماوية وله اثره في حياة الفرد والجماعة .

فالإيمان عنصر من عناصر الثقة بالنفس ، والاطمئنان في الحياة لأن المؤمن بقدره الله ، معتمد على خالقه ، له يقين بأن الأجل بيد الله ، وأن الرزق بيد الله ، وأن الله لا يضيع عبدا اخلص له ، وأطاع أوامره ، واجتنب نواهيه قال تعالى : (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل لكل شيء قدرا)
الطلاق ٢ ، ٣

الايمان بالله مصدر للسعادة النفسية ودليل عملي لهدوء الأعصاب وراحة النفس ، لأن المؤمن يشكر على النعماء ، ويصبر على البأساء ، ويرضى بأسباب القضاء .

فالمؤمن يرى ان النعم كلها من عند الله ، وان فضل الله على العباد كبير ،
المؤمن يرى نعم الله في الشمس الساطعة ، والقمر الباهر والكوكب الزاهر ،
وفي انفلاق الصبح ، وقدم الظلام ، وحفيف الاشجار ، وجريان البحار ،
وصدق الله العظيم (وسخر لكم الفلك لتجروا في البحر بأمره وسخر لكم
الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار ، وآتاكم
من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار)
ابراهيم ٣٢ ، ٣٤ .

الايمان بالله يعصم صاحبه من التردى في الرذيلة ، والافماس في
الشهوات ، ويحملة على الاستقامة والتقوى ، ويبعده عن الفحشاء والمنكر ،
فلو لم يكن ما جاء به الاسلام دينا لكان في دنيا الناس شيئا عظيما ، لان الايمان
يحمل صاحبه على الطهارة ، الطهارة الحسية والمعنوية ، ويبعده عن الفس
والسرقة والمال الحرام ، ويجعله يراقب مولاه ، ويجد سعادة في طاعته .

عن عبد الله بن عباس رضى الله عنه قال : كنت رديف النبي صلى الله
عليه وسلم على بغلته فقال لى يا غلام : (هل اعلمك كلمات ينفعك الله بهن في
الدنيا والآخرة) قلت بلى يا رسول الله علمنى فقال لى : (يا غلام احفظ الله
يخفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت
فاستعن بالله ، واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشيء ، ما نفعلوك
الا بشيء قد كتبه الله لك ، واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان يضروك بشيء
ماضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك ، جفت الأقلام وطويت الصحف) .

لقد كان الايمان الصادق دليلا ناجحا للمؤمنين في حياتهم ، فاستعملوا
على رغبات الدنيا وشهواتها ، واخلصوا لله في هدفهم فأمدتهم السماء بمددها ،
فعادوا يفتحون الأرض ، وينشرون العدل ، ويقيّمون الحق ، ويحاربون البنى
والظلم ، وصدق الله العظيم : (كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران ١١٠ .

ان القرآن هو النور والهدى ، ودليل الخير والفلاح ، وفيه رصيد وافر
من التشريع والهداية والارشاد وبيان الاخلاق والصفات التى ترفع شأن الأمم
والجماعات اذا تمسكت بها وسارت على هداها . واحرى بنا ان نجد في القرآن
دواء لأدوائنا وعلاجا لأمراضنا الاجتماعية لأن التمسك بهدى القرآن هو الذى
يخلق الضمير الحسن ، والقلب النظيف ، والنفس الطاهرة ، قال تعالى :
(قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبيل
السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم)
المائدة ١٥ ، ١٦ .

وفي نهاية كل عام يتف المؤمن وقفة يحاسب فيها نفسه على ما قدم خلال
العام فان وجد خيرا فليحمد الله ، وان وجد غير ذلك فليستغفر وليتب الى

الله توبة نصوحا ، وليسأل الله أن يلهمه الرشيد والتوفيق وأن يصي له طريق حياته بنور الله وفضله .

فالتوبة النصوح طهارة من المعاصي ، وسعادة للنفس ، ونجاة من عذاب الضمير ، وهى الباب الوحيد الذى نلج منه لمغفرة الذنوب والانابة الى علام الغيوب ، ومهما عظم الذنب أو كبرت المعصية ، فلا ينبغي أن يياس المؤمن من فضل الله ورحمته ، لان الله هو الذى خلق الانسان ، وادع فيه خصال الخير والشر ، وامره بالجهاد والصبر والكفاح ، حتى ينتصر داعى الايمان على وسوسة الشيطان قال تعالى (قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم ، وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لاتنصرون ، واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل ان ياتيكم العذاب بفتنة وانتم لاتشعرون) الزمر ٥٣ - ٥٥ .

وفي الحديث القدسي يقول الله عز وجل (يا عبادى انى حرم الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ، يا عبادى كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعمونى اطعمكم ، يا عبادى كلكم عار الا من كسوته فاستكسونى اكسكم ، يا عبادى انكم تضلون بالليل والنهار وانا افقر الذنوب جميعا فاستغفرونى اغفر لكم) (...)

وفي الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، يقول الله عز وجل (ما تقرب عبدي الى بشىء احب الى من اداء ما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب بالنوافل حتى احبه فاذا احبته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى عليها ولئن دعانى لاجيبنه ، ولئن سألنى لأعطينه) .

من تاريخ مصر

امتى العزيرة بلادى الغالية

فذاك المهج والأرواح ، فذاك النفس والمال

مصر يا بلادى ، حباك الله جمال الموقع والتاريخ والحضارة

مصر حضر اليك ابراهيم الخليل أبو الانبياء ، وتزوج مصرية صارت اما لبعض الأتقياء والمرسلين .

حضر اليك يا مصر يوسف الصديق ، ثم تبوا الوزارة وجمع في يديه بين وزارة المالية والتموين ، وأحسن بقدوم المجاعة فامر بتخزين الغلال ، وأنقذ مصر والبلاد المحاورة حولها من مجاعة استمرت سبع سنين ، ثم زاد ماء

النيل وانتشر الخير والبركة ، وقدم قوم يوسف من بلاد كنعان وقال لهم يوسف : (ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين) .

مصر العزيزة جاء اليك موسى ، وجهر بدعوته ورسالته وايده الله بالمعجزات الباهرات ، وكان جواب فرعون على موسى : (أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتى) .

مصر العزيزة : قدم اليك المسيح عليه السلام ، مع مريم البتول ، وآواهم الله اليك وانتشرت المسيحية فيك وكنت منارا للهدى والمعرفة والايمان ، وعند شجرة مريم بالمطرية استراح المسيح مع امه على ربوة عالية بجوارها ماء يسيل قال تعالى (وجعلنا ابن مريم وامه آية وأويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين) .

مصر العزيزة : ارسل اليك محمد صلى الله عليه وسلم كتابا ، وبشر اتباعه بوصول الاسلام اليك ، ووصاهم بأهلك خيرا ، لان لهم ذمة ورحما فلهم ذمة الدين ، ولهم رحم القرابة ، فان المقوفس عظيم القبط بمصر عندما وصله كتاب النبي الامين ، رد عليه ردا جميلا ، وبعث الى النبي هدايا منها بغلة وجاريتان وشيء من عسل بنها ، وتقول المصادر العربية ان النبي دعا لهلدا العسل بالبركة ، وتسرى بمارية القبطية ، وهى فتاة من حمص احدى قرى الصعيد ، وانجب منها ولده ابراهيم ، فهناك قرابة ورحم بين المصريين ورسول الاسلام ، قال عليه الصلاة والسلام (ستفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لهم ذمة ورحما) .

وقد ذكرت السنة النبوية رجال مصر ووصفتهم بالشدة والقوة والاحتمال ، وانهم يكونون عونا وبلاغا للدعوة الى غيرهم ، وانهم خير الأجناد وافضلهم فى قتال الاعداء .

اخرج ابن عبد الحكم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا ، فذلك خير اجناد الأرض ، فقال ولم يارسول الله قال لانهم وأنزواجهم فى رباط الى يوم القيامة) .

ايه يا مصر :

ظلت قوة الايمان ، وقوة الدفاع والكفاح فى رجالك وجنودك ، فكانوا هم الصخرة التى تحطمت عليها أمواج التتر ، وجحافل المغول ، فى عين جالوت . حين تدافع المغول كالسيل العرم على العراق يدمرون ويخربون حتى «احمرت الأرض من دم العباد واسود ماء دجله من المداد» فكان المصريون هم القوة التى انقذت حضارة الاسلام من جند هولوكو ثم جند غازان .

وكذلك خاضت مصر معاركها ضد جحافل الصليبيين ، فذهب اليهم صلاح الدين وارههم كيف تكون الهزيمة في حطين .

ولمصر ايام مشهورة في ارسوف وفي المنصورة وفارسكور ثم في عكا وأرواد وللمصريين صفات طبعوا عليها منها الثبات في الحرب والقوة في البأس ، فهم خير اجناد الارض منذ عصور الفراعين حتى هذا الجيل من ابنائها المحدثين . ولقد اثبتوا للبطالة في موقعة رفح بعد طول حرمان من الجندية انهم جنود محاربون ، واثبتوا تحت حكم محمد على كيف يغلبون الترك ويبهرون الاوربيين ويروعون .

ومع ذلك فقد لاتبدو شجاعة الشجاع ولاصلابته في معارك الظفر والانتصار ، بقدر ظهورها في محن الهزيمة والانكسار ، ولسوف يعلن التاريخ كيف قاتل القلة من ابنائنا في بعض بقاع سيناء عام ١٩٥٦ ، وكيف قاتلوا بصبر وعناد في نكسة ١٩٦٧ ، فالمصريون قوة بما جبلوا عليه من الصمود والصبر والاحتمال . لقد اقبل عليهم الهكسوس فاقاموا فيهم نيفا وقرنا من الزمان متسلطين فاتحين ، واقام المصريون ينتهزون الفرصة ايقاظا ساهرين فلما آن الاوان خرجوا عليهم خروج العازم المنتقم الذي لايرضى بغير الحربة او الحمام ، ووقف الشعب من وراء حماته واجناده يبذل عن طواعية وسخاء ، ولا يبالي بغير فايته ومبتغاه ، ولم يخدمهم البطالة عن انفسهم ولا دينهم فاقاموا على المقاومة والثورات ولم يطمثوا الى دين خرجوا به وابتدعوه ، بل ظلوا بتراثهم متمسكين وعلى عادتهم عاكفين ، واقبلوا على انشاء المعابد ورعاية الهياكل والمحاريب ، بل لقد شسكا هيرودوت من المصري اشمئزازه من الاغريقى أن يقبله او يصطنع ادواته او يشرب من انائه ، وفي ذلك مظهر من أشد مظاهر المقاطعة للطاريء والترفع على الدخيل ، ومع ذلك فقد اخذت حضارة الغالب عن المغلوب ، واعترف فلاسفة الاغريق بحكمة المصريين ، وغزا دين المصريين قلوب اليونان والرومان أجمعين .

ولقد شاء نابليون أن يوطيء لأحلامه في مصر بما شاء أن يرسم ويدعى من المزايم والدعايات ، فما كان جواب قومها الا ثورة القاهرة الاولى ، وثورتها الثانية ، ثم مقتل كليبر خليفته فيها وضابطه الكبير ،

ولقد احتل الانجليز مصر كما احتلوا غيرها من امصار العرب سنين، ثم انحسر حكم الأجنبي وأرغم الاستعمار على أن يحمل عصاه ويرحل ، واذا بمصر على ديدنها وعهدا تحمل لواء الثقافة العربية والنهضة العربية في أرض العرب من الخليج الى المحيط ، واذا بها من قوة الروح تتمتع آثار التسلط الأجنبي فلا تبقى عليها ولا تدر ، وتعود اللغة العربية والنفس العربية فيها خالصة صافية .

وجاءت نكسة ١٩٦٧ وظن الناس أن الهزيمة قد أصابت نفوس المصريين ،
وأن الحرارة قد ساغت لحلوهم ولكن المصرى هو المصرى معدن نفيس وقوة
ورباط، وشدة في البأساء ونكاية في الأعداء ، وبطولة وتضحية وفداية رائعة
فما أن صدرت الأوامر بعبور القناة في السادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣ حتى
مهر الرجال في سرعة البرق وتحطمت أسطورة الطغاة البغاة ، وتقدم المصريون
يرفعون أعلام النصر ويقاتلون في سبيل الحق ويضربون أدور الأمثال في الجهاد
والنضال حتى يحق لهم النصر المبين بعون الله رب العالمين .

(٧)

هذا هو الإسلام

الإسلام دين الحق والعدل والسلام

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

(يا أيها الناس قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) .

انتشر الإسلام بين أتباعه ففضى على معالم الفوضى والاضطراب وأخرج الناس من الظلمات الى النور ومن الكفر الى الإيمان .

وقد اشتمل الإسلام على مبادئ عادلة وأهداف سامية كانت سر قوته وانتصاره فدعى الناس الى الترابط والإخاء والمساواة بين البشر كافة (فلا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض الا بالتقوى كلكم لآدم وآدم من تراب) .

ولقد كان سلمان الفارسي عبدا أخلص للمسلمين في التضحية والجهاد وأشار عليهم بحفر الخندق في غزوة الأحزاب فأصبح ينادى سلمان القرشي بدل سلمان الفارسي وقال عنه الشاعر

لعمرك ما الإنسان الا ابن دينه فلا نترك التقوى انكالا على النسب
لقد رفع الإسلام سلمان فارس وقد وضع الشرك الحبيب ابا لهب

لم يعرف الإسلام عصبية الجنس ولا عصبية اللون ولا عصبية الدم قال صلى الله عليه وسلم (ليس منا من مات على عصبية وليس منا من قاتل على عصبية) .

وأمر الاسلام بالمعطف والاحسان على الفقير والضعيف والخادم والاجر
قال صلى الله عليه وسلم (اخوانكم خولكم اطعموهم مما تأكلون والبسوهم مما
تلبسون ولا تكلفوهم مالا يطيقون) .

وقد دخلت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان على زوجها أمير المؤمنين عمر
ابن عبد العزيز فوجدته يبكي حتى اخضلت لحيته ، فقالت ما يبكيك يا أمير
المؤمنين فقال عمر بن عبد العزيز :

تذكرت الفقير الجائع والمريض الضائع والعارى المحزون وذوى العيال
الكثير والمال القليل واشباههم في بقاع الارض وأقطار البلاد وعلمت أن خصيمي
دونهم محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة فخشيت ألا تثبت لى حجتى
فرحمت نفسى فبكيت .

دعا الاسلام اتباعه الى القوة العاقلة الحكيمة التى تحند نفسها دفاعا
عن دين الله وتثبتنا لمبادئ الحق والعدل والانسانية (اذن للذين يقاتلون بأنهم
ظلموا وان الله على نصرهم لقدير) .

ودعا الاسلام الى السلام حين يكف المعتدون عن العدوان فقال سبحانه
(وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم)

أيها المسلمون 1

هذه مبادئ دينكم وأهداف اسلامكم ، قوة لاعدوان فيها وسلام لاضعف
فيه وهداية ورحمة للبشرية لامعصية فيها ولا عنصرية قال تعالى

(ياايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل
لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) .

وتاريخ الاسلام ناصع مشرق فقد حمى جميع الحقوق الانسانية حتى
لمن لا يدينون به فقال صلى الله عليه وسلم (من ظلم معاهدا كان الله خصيمه
دولى) .

ورأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رجلا مسنا من اهل الكتاب يسأل
الناس فأخذه الى بيت المال وقال لكاتب الخراج أنظر هذا وامثاله فاجعل لهم
راتبا شهريا يكفيهم فانما تكون ظلمناه اذا اخذنا منه الجزية قويا وتركناه
ضعيفا .

وقال صلى الله عليه وسلم (من يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا
والآخرة ومن أطعم جائعا أطعمه الله من ثمار الجنة والله فى عون العبد مادام
العبد فى عون أخيه)

اخوة الاسلام

يقول الله تعالى في كتابه الكريم

(انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) .

الاخوة الاسلامية بين المسلمين بنيان ثابت الاساس وطيد الدعائم واركان الاسلام كلها تؤكد وحدة المسلمين وتبارك اخوتهم .

فشهادة ان لا اله الا الله التقاء على الايمان بالله واحد خالق رازق .

والصلاة ايضا رباط وثيق تتلاقى عليه مشاعر المسلمين وقلوبهم اذ يتجهون نحو قبلة واحدة ورب واحد وغاية واحدة ، وحسب شعور المسلم انه لبنة في هذا البناء العظيم المكون من ملايين المسلمين الذين يداون الصلاة بالتكبير ويختمونها بالتسليم .

والصيام ايضا اتفاق روحي في شهر كامل يصوم فيه المسلمون سويا ويفطرون سويا تأكيدا لوحدهم ودليلا على اخوتهم .

والزكاة في الاسلام تؤكد وحدة المسلمين في مطف غنيهم على فقيرهم وكاسبهم على عاجزهم ورحمة قويهم لضعيفهم .

وقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم دعائم الوحدة بين المسلمين حين آخى بين المهاجرين والانصار وبارك الله هذا الاخاء فقال سبحانه (والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم) .

وكان الاسلام هو النسب الجديد والمثل الأعلى الذي يلتف المسلمون حوله ويهتفون باسمه ويفدون به حياتهم ويفخرون بانسابهم اليه .

روى أن قوما جلسوا يتفاخرون بأنسابهم وسلمان الفارسي بينهم فقال أحدهم لسلمان ابن من أنت ؟ فقال سلمان في صدق واعتزاز أنا ابن الاسلام وبلغت الكلمة صمر بن الخطاب فبكى وجعل يردد لها والدمع يتساقط على لحيته ويقول وأنا ابن الاسلام وأنا ابن الاسلام .

هذا الاسلام هو الذي حول العرب الى قوة متماسكة وعرة فاتحة ونور يبدد الظلام وصدق الله العظيم (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) .

هذا الاسلام كان بلسم الشفاء وسعادة الاشقياء وانتقاذا للمعوزين ورحمة بالحيارى والضالين ، قال تعالى (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين)

لقد عز المسلمون يوم اتبعوا دينهم واطاعوا ربهم فكان لهم النصر المبين والفتح العظيم .

ويوم أن فرط المسلمون في دينهم وكلهم الله الى انفسهم (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) .

وقد سجل التاريخ صحائف من نور تؤيد خلود هذا الدين ، وصلاحيته للبقاء وقوته أمام الاعداء حتى في أحلك الظلمات وأقسى الآونات .

حدث التاريخ ان الروم اغاروا على عمورية في عهد الخليفة المعتصم ووقعت امرأة مسلمة اسيرة في أيدي الروم فكانت المرأة تهتف بالليل وتقول - وا معتصماه - وبلغ ذلك الخليفة المعتصم فسار بجيشه واستولى على عمورية وانتقم من الروم وخلص المرأة وحينما اغار الصليبيون على بيت المقدس واقاموا به سبعين عاما ذهب اليهم صلاح الدين واراهم كيف تكون الهزيمة في حطين .

وحين تجمع الاستعمار بعدته وعدده واراد القضاء على بور سعيد وقف المسلمون جميعا يؤيدون مصر حتى تم لها النصر على المعتدين .

(كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين)

ان القرآن كتاب الله نزل بلسان عربي مبين وليست العربية عصبية جنسية ولكنها لغة كل من دخل في الاسلام .

قال عليه الصلاة والسلام (الا ان العربية اللسان الا ان العربية اللسان . اذا عز العرب عز الاسلام واذا ذل العرب ذل الاسلام) .

وفي الحديث الشريف يقول النبي صلى الله عليه وسلم :

(المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه) .

عجائب المخلوقات وقدرة الخالق

يقول الله تعالى في كتابه الكريم

(اَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ ، فَوْقَهُمْ كَيْفَ بُنِيَناها ، وَزِينَناها وَمَا لَها مِنْ فُرُوجٍ ، وَالْأَرْضِ مَدَدَناها وَالْقِيَنا فِيها رِواسِي وَابْتَنَنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ، تَبْصِرَة وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبدٍ مُنِيبٍ ، وَنَزَّلَنا مِنَ السَّماءِ ماءً مِبارَكًا ، فَانْباتَنا بِهِ جِنااتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ، وَالنَّخْلَ باسِقاتٍ لَها طَلعٌ نَضِيدٌ رِزْقًا لِلْعَبادِ ، وَأَحْيَينا بِهِ بَلَدًا مَيِّتًا كَذلكَ الْخُرُوجِ) ق ٦ - ١١ .

أيها المؤمنون :

هذه الآيات ترشدنا الى قدرة الله بديع السموات والارض فهو سبحانه يلفت انظارنا الى خلق السموات ليعتبر الانسان ويتعظ ويتأمل كيف رفع الله السماء بغير عمد وكيف زينها بالنجوم وكيف اتم خلقها وابدع تكوينها ، واكمل تركيبها ، وقد مرت عليها آلاف السنين والاجيال ، ولم يحدث فيها خلل ولا اضطراب ، ولا تصدع ولا انشقاق ، (فتبارك الله احسن الخالقين ، الذى خلق سبع سماوات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير) .

فلن يجد الباحث فى السماء عيبا ، ولن يجد بها خلا ولا اضطرابا انها خلقة الله وهو على كل شىء فدير ، قال تعالى (ثم استوى الى السماء وهى دخان ، فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات فى يومين ، واوحى فى كل سماء امرها وزينا السموات الدنيا بمصابيح وحفظا ، ذلك تقدير العزيز العليم) . فصلت ١١ - ١٢ .

وفى السماء ملائكة مقربون لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ، قال صلى الله عليه وسلم (اطت السماء وحق لها ان تنط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك راکع او ساجد يسبح الله تعالى) ثم استوى سبحانه الى الارض فسسطها وقدر فيها اقواتها وارزاقها ، وارسى فيها الجبال ، وانبث فيها النبات واجرى فيها الانهار ، قال تعالى (قل ائتكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له أندادا ، ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها فى اربعة ايام سواء للسائلين) . فصلت ٩ ، ١٠ .

وبركات الله في الارض لا تحصى ، ونعمائه فيها لا تستقصى ، فقد أنبت الله فيها الكروم والاعتاب والثمار ، والحب والحنطة ، لناكل من رزق الله ونشكره على نعمائه ، ونتذكر فضله ونتأمل بديع صنعه .

ومن بركات الله أن سخر السحاب وأرسل الرياح ، وأنزل المطر لينبت النبات وينضج الثمار والنخيل والاعناب ، وهو سبحانه يخرج الحي من الميت فيخرج الدجاجة من البيضة ويخرج النهار من الليل ، ويخرج المؤمن من الكافر ، ويخرج الوليد من بطن أمه حيا ، وربما ماتت أمه بعد ولادته ، وكذلك يخرج الميت من الحي والنليل من النهار والكافر من المؤمن والسقط ميتا من أمه حال حياتها .

(قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء وتذل من تشاء ، بيدك الخير انك على كل شيء قدير ، تولى الليل في النهار ، وتولى النهار في الليل ، وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي ، وترزق من تشاء بغير حساب) . آل عمران ٢٦ ، ٢٧ .

هذا خلق الله وتلك بعض آيات قدرته ، فهل يليق بالعقل البشري أن يجحد خالقه وموجده ، وهل يصح في الأذهان أن توجد الدنيا عبثا ؟ أو يخلق الكون بدون اله مبدع ؟ .

فهذه السماء من خلقها ؟ وهذه الأرض من بسطها ؟ وهذه الجبال من أرساها ؟ وهذه البحار من أجراها وهذا الليل من أظلمه ؟ وهذا النهار من أضاءه ؟ وهذه الشمس من سخرها ؟ وهذا القمر من أناره ؟ وهذه المخلوقات من خلقها ؟

من جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا ؟ .

هذا الماء العذب ينساب في دجلة والفرات وغيرهما من الأنهار من الذي أنزله رحمة للعالمين وحياة للأرض بعد موتها .

(أفرايتكم الماء الذي تشربون ، أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلنه أجاجا فتولا تشكرون) الواقعة ٦٨ ، ٧٠ .

ثم أنت أيها الإنسان من خلقك ؟ من صورك في أحسن تقويم ؟ وأبدع تركيب من شق لك للتظهنين ؟ ولسمع أذنين ؟ وللبطش يدين ؟ وللمشي رجلين ؟ وللسنانا وشفتين ؟ من هدالك النجدين ؟ وبين لك الطريقين ؟ من يعطيك إذا سألت ؟ من يشفيك إذا مرضت ؟ من يجيبك إذا دعوت ؟ .

(أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض الله مع الله قليلا ما تذكرون)

يقول الله تعالى في الحديث القدسي (أنا والجن والانس في نأ عظيم أخلق ويعبد غيري وأرزق ويشكر سواي خيري الى العباد نازل وشرهم الى صاعد) .

ومن أبى ذر رضى الله عنه قال ، قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا أبا ذر أحسن العمل فان الناقد بصير وخفف ظهره فان العقبة كؤود واستكثر الزاد فان السفر بعيد ، يا أبا ذر والذى نفس محمد بيده لتموتن . كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبين على ما تعملون ، ولتجزون بالاحسان احسانا وبالسوء سوءا وانها لجنة أبدا أو لنار أبدا .

هدانا الله وإياكم الى الصراط المستقيم ووفقنا لمرضاة رب العالمين .

السلام فى الاسلام

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم

(يا ايها الناس قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهتدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم)

أرسل الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم على حين فترة من الرسل ليدعو الناس الى دين الله ويخرجهم من الضلالة الى الهدى ومن الظلمات الى النور وقد جمع المسلمين على معانى الخير والفضيلة والبر ، والرحمة والاخاء، والمودة والاحسان ، وصلة الرحم واصلاح ذات البين قال تعالى : (انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) وحرّم الخلاف والشقاق والعداوة والبغضاء ، لانها تفسد القلوب وتفرق الصفوف ، وتوهن الجماعة .

قال تعالى :

(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين) وقال صلى الله عليه وسلم : لا تبغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا .

الا وان الامة العربية اليوم فى أمس الحاجة الى توفير الوقت والجهد كى تصلح شأنها وتدعم قواها ، والحق أن المسلمين فى سباق مع الزمن كى يدركوا مافاتهم من تقدم فى شئون العمران ومظاهر الحضارة المادية والمعنوية ، واذا كان السلام نافلة بالنسبة لغيرهم فهو بالنسبة اليهم ضرورة واجبة ، حتى يستطيعوا أن يثمروا اموالهم ويحيوا موات ارضهم ويشيدوا المصانع الضخمة

التي ترفع مستواهم وتقضى على البطالة والتخلف وتتيح الفرص للعمل والانتاج .

أيها المسلمون

ان السلام روح دينكم ودموة الله لكم وهو آية في قرآنكم وسنة من هدى نبيكم فاحرصوا عليه فانه سبيل وحدنكم وآية عزكم وطريق مجدكم فيد الله مع الجماعة والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه .

عودوا الى الاسلام وادخلوا في السلم كافة واتركوا الشحناء والبغضاء فالاسلام دين السلام والوئام ، والله عز وجل اسمه السلام (هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام) والايمان بالله هو اخلاص القلب واسلام الوجه للخالق سبحانه والانتقاد لله رب العالمين قال تعالى (فالاھكم اله واحد فله اسلموا وبشر المخبتين) .

واسم الاسلام نفسه مشتق من صميم مادة السلام ، والمؤمنون بهذا الدين لم يجدوا لأنفسهم اسما افضل من ان يكونوا المسلمين (ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) .

وتحية اهل الاسلام فيما بينهم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وختام الصلاة عندهم سلام على اليمين وسلام على اليسار كأنهم يبدؤون اهل الدنيا من كل نواحيها بالسلام بعد ان فارقوها بخواطيرهم لحظات انصرفوا فيها لمناجاة الله الملك القدوس السلام ولقد نزل القرآن في ليلة كلها سلام تحف به ملائكة السلام قال تعالى (انا انزلناه في ليلة القدر وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر سلام هي حتى مطلع الفجر)

وأول مايلقى الله به عباده تحية السلام (تحيتهم يوم يلقونه سلام) والجنة نفسها اسمها دار السلام (لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون) .

ولن يتأخر المسلم عن دعوة السلام ولن يردها ابدا (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم) ، (ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة) .

وقد سلك الاسلام سبيل التدريب العملي في ترويض النفس على السلام عند الاحرام بالحج فمتى اهل المسلم به فقد حرم عليه منذ تلك اللحظة الا يفص ظفرا او يحلق شعرا او يقطع نباتا او يقتل حيوانا ، او يرمى صيدا او يؤذى احدا بيد او لسان حتى لو وجد قاتل ابيه وجها لوجه لما استطاع ان يمسه بسوء ، قال تعالى (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج)

ان الدين يدعونا الى الصلح والعفو والمغفرة والتسامح قال تعالى

(**وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فاجره على الله**) وفي الحديث

(اذا كان يوم القيامة ينادى مناد من قبل الله تعالى من كان اجره على الله فليقم فلا يقوم الا من عفا) فذلك قوله تعالى (**فمن عفا واصلح فاجره على الله**) أى ثوابه عند الله يأخذه احوج ما يكون اليه .

ان العفو عند المقدرة والتجاوز عن الهفوات والتسامي عن الزلات من شأن المؤمن الواصل بالله المتوكل عليه (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم (ثلاث أقسم عليهن ما نقص مال عبد من صدقة وما زاد الله عبداً يعفو الا عزاً وما تواضع أحد لله الا رفعة) .

وهذه صفات عباد الرحمن وهى السلام لمن أساء والغفران لمن أخطأ قال تعالى (**وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً**) .

الايمان بالله

أهم اصل من اصول الاسلام ، الاعتقاد بالله ، والاعتقاد بالله يكاد يكون ماما بين الشعوب ، ولكن الاسلام وضع حقيقة الالهية . فليس الله اله قبيلة ولا اله أمة العرب وحدهم ، ولا اله الناس وحدهم ، بل هو اله كل شيء ، ورب العالمين ، وكل شيء فى الوجود مخلوق له وخاضع لأمره .

(**لله ما فى السموات وما فى الأرض**) (هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً) ، (**له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى**) وان تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى ، الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى وهو اله واحد فليس هناك اله للخير واله للشر ، وليس هناك اله للجمال ، واله للرياح ، وليس هناك من يشاركه فى الوهيته ، (**فاعلم أنه لا اله الا الله**) ، (**وما من اله الا اله واحد**) (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين إنما هو اله واحد) .

والايمان بالله يستتبع الايمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والبعث والحشر والحساب والجنة والنار والثواب والعقاب ويستتبع القيام بأركان الاسلام وهى الصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلاً . وهى عقائد تؤدى فى مجموعها الى تهذيب النفس والتمسك بمكارم الأخلاق وإخلاص القلب لله ودوام مراقبته والاعتماد عليه .

وعلى لسان ابراهيم الخليل ، يقول القرآن (**الذى خلقنى فهو يهدين**) **والذى هو يطمئنى ويسقين**) **واذا مرضت فهو يشفين** ، **والذى يمتينى ثم**

**يحيين والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين رب هب لي حكما والحقنى
بالصالحين) الشعراء ٧٨ - ٨٣**

ايها الانسان الضعيف من يشفيك اذا مرضت ؟ ومن يجيبك اذا دعوت ؟
ومن يعطيك اذا سالت ؟ (ام من جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل
لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا الله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون
ام من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض الله مع
الله قليلا ما تذكرون) ٦١ - ٦٢ - النمل .

هذه السماء من رفعها ؟ وهذه الارض من بسطها وهذه البحار من
اجراها وهذه الشمس من سخرها وهذه الافلاك من سبورها وهذا الليل من
اظمه وهذا النهار من اضاءه وهذا النبات من انبثه وهذا الانسان من كونه ؟ .
من جعل له عينين ولسانا وشفيتين وهده النجدين وبين له الطريقين .

(ياايها الانسان ماغرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في اى
صورة ماشاء ركبك ، كلا بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين
يعلمون ما تفعلون) الانفطار ٦ - ١٣

يسأل الملحدون عن الدليل على وجود الله ، وهل خفى وجوده حتى
يحتاج الى دليل ؟ دليل وجود الله هذه المخلوقات فانها حادثه وكل حادث لابد
له من محدث موجود وذلك المحدث الموجود هو الله سبحانه وتعالى .

دليل وجود الله هو الفطرة والالهام والوحى والشرائع ، والكتب المنزلة
والانبياء والرسل ، بل كل الموجودات وجميع المخلوقات تدل على وحدانيته
وكمال قدرته ،

وفى كل شئ له آية تدل على انه الواحد

سئل الامام الشافعى بم عرفت الله قال بالنحلة نصفها يلسع ونصفها
يعسل .

وسئلت رابعة العدوية بم عرفت الله ؟ قالت عرفت ربي وربى ولولا ربي
ما عرفت ربي ، اى هدانى الله الى معرفته ومحبته ولولا فضله وتوفيقه ما هديت
اليه ، وكان دعاء رابعة

الاهى غارت النجوم ونامت العيون وبقيت انت يا حى يا قيوم ، الاهى
اغلقت الملوك ابوابها وسكن كل حبيب الى حبيبه الاهى فانت حبيبى ، ولو
طردتنى عن بابك ما طردت لعلمى بعظم فضلك وعميم جودك .

وسئل الحلاج بم عرفت الله قال بجمعه بين الضدين فهو اول بلا ابتداء
وهو آخر بلا انتهاء وهو ظاهر فى كل مآثره العيون وهو باطن غير مرئى ، فليس
كما ولا كيفا ، ولا يحده مكان ولا يحويه زمان (لا تتركه الابصار وهو يدرك

الابصار) ليس جوهرها وليس عرضا وليس جسما ولا حالا في جسم وليس كمثلته شيء وهو السميع البصير .

هو اول هو آخر هو ظاهر هو باطن
ليس العيون تراه

والاول سورة الحديد يقول سبحانه (سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم) له ملك السموات والارض يحيى ويميت وهو على كل قدير هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) .

هدانا الله واياكم سواء السبيل فانه نعم المولى ونعم النصير ،

الاسلام عقيدة وعمل

اشتملت تعاليم الاسلام على عقائد واعمال

(رضيت بالله ربا وبالاسلام ديننا وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا)

والايمان بالله يمد الفرد بثقة وطمأنينة بأن وراء هذا الكون الاله سميما بصيرا مجيبا بيده الخلق والامر وهو على كل شيء قدير .

(كل يوم هو في شأن) وهى شئون يديها ولا يبتديها يشفى مريضا ويمرض سليما ويعافى مبتلى ويبتلى معافى ويدل عزيزا ويعز ذليلا ويغنى فقيرا ويفقر غنيا . لا معقب لأمره ولا راد لقضائه يسخر الشمس والقمر ويولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل يدبر الأمر يفصل الآيات لعلم بلقاء ربكم توقنون .

(قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير) ٢٦ آل عمران

ضل الجاحدون وخسر المنكرون ، كيف ينكرون وجوده وبيده خلقهم وبقدرته رزقهم وهو العليم بسرهم وعلايتهم قال تعالى

(ألم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم)
٧ - المجادلة

ان هذا الكون البديع المنسق لا يمكن أن يوجد عبثا أو يترك سدى قال تعالى :

(افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لاترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم)

بل ان تقدم العلم ووضوح نظرياته كان سبيلا الى تأكيد الايمان بالله العلى القدير يقول (رسل تشارلز ارنست) استاذ الاحياء والنبات بجامعة فرنكفورت بالمانيا :

(لقد وضعت نظريات عديدة لكى تفسر نشأة الحياة من عالم الجمادات فذهب بعض الباحثين لى ان الحياة قد نشأت من البروتوجين ، او من الفيروس ، او من تجمع بعض الجزيئات البروتينية الكبيرة وقد يخيّل الى بعض الناس ان هذه النظريات قد سدت المعجزة التى تفصل بين عالم الاحياء وعالم الجمادات، ولكن الواقع الذى ينبغى ان نسلم به ، هو ان جميع الجهود التى بذلت للحصول على المادة الحية من غير الحية قد باءت بفشل وخذلان ذريعين . ومع ذلك فان من ينكر وجود الله لا يستطيع ان يقيم الدليل المباشر للعالم المتطلع على ان مجرد تجمع الذرات والجزيئات من طريق المصادفة يمكن ان يؤدى الى ظهور الحياة وصيانتها وتوجيهها بالصورة التى شاهدها فى الخلايا الحية وللشخص مطلق الحرية فى ان يقبل هذا التفسير لنشأة الحياة، فهذا شأنه وحده ولكنه اذ يفعل ذلك، فانما يسلم بأمر اشد اعجازا او صعوبة على العقل من الاعتقاد بوجود الله الذى خلق الاشياء ودبرها الى ان يقول : اننى اعتقد ان كل خلية من الخلايا الحية قد بلغت من التعقد درجة يصعب علينا فهمها وان ملايين الملايين من الخلايا الحية الموجودة على سطح الارض تشهد بقدرة الله شهادة تقوم على الفكر والمنطق فأننى اؤمن بوجود الله ايمانا واسخا) .

ايها المؤمن :

ان الاعتقاد بوجود الله يرشد اليه العقل السليم والنظر والنطق والبحث والفكر والتأمل .

وقديما وقف قس بن ساعدة الايادى يخطب فى سوق عكاظ فقال

يامعشر اياذ ابن الآباء والاجداد اين الفراغة الشداد من بنى وشيد
وزخرف ونجد طحنهم الثرى بكلّكله وفناهم بتطاوله مالى ارى الناس يذهبون
فلا يرجعون ارضوا بالمقام هناك فاقاموا ام تركوا هناك فناموا .

يامعشر اياذ ان فى السماء لخبرا وان فى الارض لعبرا سماء ذات ابراج
وبحار ذات امواج وارض ذات فجاج الا يدل ذلك كله على اللطيف الخبير .

والادبان جميعا تكاد تتفق على الايمان بوجود الله . حتى عبدة الاصنام
كانوا يقولون (مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) .

فبين الله انه غنى عن الوسطة والزلفى قريب لمن ناداه مجيب لمن دعاه
قال تعالى

(واذا سالك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان
فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلمهم يرشدون) ١٨٦ - البقرة

ايها المؤمنون

آمنوا بالله ورسله واصدقوا فى ايمانكم ويقينكم بربكم يرزقكم الله الهدى
والسداد والتوفيق والرشاد والمحبة بين العباد .

اخرج مسلم والترمذى ان رسول الله (ص) قال (اذا احب الله عبدا
نادى جبريل ان الله احب فلانا فاحبوه فيوضع له الحب فى السماء والارض)
فذلك قوله تعالى :

(ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) اى مودة
ومحبة فى قلوب العباد .

هدانا الله واياكم سواء السبيل انه نعم المولى ونعم النصير .

الايمان

الايمان بالله قوة دافعة ، و يقين صادق ، ونعمة في الرخاء ، وامل في البأساء ، ونور في الظلمات ، ورجاء في الملمات ، ودليل الى النجاة ، وعاصم من الردى قال تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم) .
يونس ٩

والايمان بالله سبحانه وتعالى حافز على الصدق والاخلاص ودافع الى العدل - والاحسان لان المؤمن يمثل امر الله ويرضى بحكمه ، والله تعالى يقول (ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) النحل ٩٠

امرنا الله بالخير وصلة الرحم وحشنا على مكارم الاخلاق ونهانا عن الرذيلة والمنكر وحذرنا من الظلم والبغى وكان صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة ومثلا أعلى في سلوكه وهديه وعمله ، وما ترك شيئا يقربنا من الله الا امرنا به ولا ترك شيئا يبعدنا عن الله الا نهانا عنه .

وفي الحديث الشريف يقول النبي صلى الله عليه وسلم .

(امرنى ربى بتسع الاخلاص لله فى السر والعلن ، والقصد فى العنى والفقر والعدل فى الرضا والغضب ، وإن أعفوا عمن ظلمنى وأصل من قطعنى وأعطى من حرمنى وإن يكون صمتى فكرا ونطقى ذكرا ونظرى عبرة) .

وبهذه المعانى الجليلة تطهرت نفوس المسلمين ، وكملت مكارم اخلاقهم فكانوا روحا جديدا ، ونورا جديدا ، يشرق بالاسلام ويعمل بأداب القرآن ، فوهبهم الله العز والنصر وصاروا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله وتلك حقيقة الايمان ، المؤمن حقا صادق الحديث لا تكذب ولا يخدع ولا يخون الامانة .

قال صلى الله عليه وسلم (يامعشر الناس اضمنوا لى ستا اضمن لكم الجنة اصدقوا اذا حدثتم واوفوا اذا عاهدتم وادوا الامانة اذا اؤتمنتم وغضوا انصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا ايديكم) .

تلك صفات المؤمن وهى صفات تحمل معنى الاستقامة والنزاهة وسلامة الضمير قال تعالى (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون) فصلت ٣٠ .

وفي الحديث الشريف أن رجلا قال يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا
واقلل فيه لعلى آخيه .

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : (قل آمنت بالله ثم استقم) .
المؤمن حقا : يراقب الله في السر والعلن ويخلص له العمل ويخشع قلبه
لذكر الله تعالى (الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها متآتى تفشع منه
جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) الزمر ٢٣
المؤمن حقا : محافظ على الصلاة مؤد للزكاة يفض بصره عن المحرمات
ويحفظ فرجه عن الاثم والفواحش، هو ابر الناس باهله واسرته واحق الناس
برضى الله وواسع رحمته قال تعالى : (قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم
خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم
لفروجهم حافظون الا ازواجهم او ما ملكت ايماهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى
 وراء ذلك فاوئلك هم العادون ، والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين
هم على صلواتهم يحافظون اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس
هم فيها خالدون) المؤمنون ١ - ١١

المؤمن حقا صادق اليقين قد آمن بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد
صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا ، قال تعالى (ياايها الذين آمنوا آمنوا بالله
ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله) .

المؤمن حقا : عادل في رضاه وغضبه ، معتدل في نفقته ليس من البخلاء
الاشحاء ، ولا من المسرفين المبلدين ، قال تعالى (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا
ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) الفرقان ٦٧

المؤمن حقا : يصدق برسالات الله ، وبملائكته وكتبه واليوم الآخر قال
تعالى (آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله لا تفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا
واليك المصير) البقرة ٢٨٥ .

شهادة انصاف للدعوة المحمدية

كانت رسالات الانبياء جميعا دعوات هادفة استهدفت شرف الانسان
وسعادته ، وكانت آخر الرسالات السماوية رسالة الاسلام ، فامتت مكارم
الاخلاق ، وارست دعائم الفضيلة والعدالة وحلوت من الرذيلة والاثم . قال
صلى الله عليه وسلم : «انما بمث لا تتم مكارم الاخلاق » .

وقد عبر العلامة «هيل» في كتابه «حضارة العرب» عن اثر الدعوة
المحمدية بهذه الكلمة القوية فقال :

ان جميع الدعوات الدينية قد تركت اثرا في تاريخ البشر ، وكل رجال
الدعوة والانبياء قد اثروا تأثيرا عميقا في حضارة عصرهم واقوامهم ، ولكننا

لأنعرف في تاريخ البشر أن دينا انتشر بهذه السرعة وغير العالم بأثره المباشر كما فعل الاسلام ، ولأنعرف في التاريخ دموة كان صاحبها سيدا مالكا لزمانه ولقومه كما كان محمد .

لقد أخرج أمة الى الوجود ومكن لعبادة الله في الارض ، وفتحها لرسالة الطهر والفضيلة ، ووضع أسس العدالة والمساواة الاجتماعية بين المؤمنين ، وأحل النظام والتناسق والطاعة والعزة في أقوام لا تعرف غير الفوضى .

وليتبين لنا واضحا أثر الدعوة المحمدية في التهذيب والاصلاح نذكر موقف جعفر ابن أبي طالب أمام النجاشي ، فهو موقف يدل على امتلاك الدعوة المحمدية لنفوس المؤمنين كما يبين لنا موضوع الدعوة نفسها كما فهمها المهاجرون والمهاجرات .

خرج جعفر بن أبي طالب مع جمع من المسلمين الأولين مهاجرين من مكة الى الحبشة فرارا بدينهم ورغبة في عبادة الله بعيدا عن قومهم ، فأرسلت مكة أثرهم رجلين من دعاتها : هما عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبي ربيعة ، ومعهم هدايا قيمة للنجاشي ول كبار حاشيته ، ولما قدما الهدايا ، طلبا من النجاشي أن يسلم المهاجرين لهم ، ولكنه أبى أن يسلم المهاجرين لكفار مكة حتى يسمع قولهم . ثم دعا النجاشي المهاجرين وسألهم قائلا : ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا في ديني ، ولا دين أحد من هذه الملل ؟

فقام جعفر ، وكان اللاجئون قد اختاروه ، وانفقوا على أن يقول ماعلموا ، وما أمر به النبي ، كائنا في ذلك ما هو كائن . فقال : أيها الملك ، كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الاصنام ، ونأكل الميتة ، ونأمن الفواحش ، ونقطع الرحم ، ونسئ الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا ، نعرف نسبه ، وصدقه ، وأمانته ، وعفافه ، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والاولئان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشارك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به ، وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا ، وقتنونا ، وضيقوا علينا الخناق ، فخرجنا الى بلادك ، ورجعنا في جوارك ، ورجونا الا نظلم عندك أيها الملك .

فقال النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟ فقال جعفر : نعم ، قال النجاشي : فاقرأه ، فقرأ صدرا من «كهيعص» فبكى النجاشي ، ثم قال ان هذا والله والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة .

هذه هى دموع الاسلام ، وهذا هو اثرها فى هداية النفوس واصلاح
القلوب ، قال تعالى (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين)
الاسراء/ ٨٢ .

نعمة الاسلام

ارسل الله الرسل وانزل عليهم الكتب ليكونوا معالم هادية ، وامارات
مضيئة ودعاة للهدى والرشاد . قال تعالى : (وسلا مبشرين ومنذرين لئلا
يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما .

وقد ارسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم على حين فترة من الرسل
فهدى به الناس من الضلالة الى الهدى واخرجهم من الظلمات الى النور .
قال تعالى : (ياايها الناس قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله
من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم
الى صراط مستقيم) .

لقد كان الاسلام ديننا عاما للعرب والعجم والانس والجن ، قال تعالى:
(وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) .

وكان القرآن روحا وحياة وبعثا ، ونداء الهيا جمع المسلمين على الوفاء
والصفاء والاخاء والمحبة والرقى والتقدم ، ونادى القرآن جميع الناس ان
ربكم وان اباكم واحد .

قال تعالى : « ياايها الناس اتقوا ربكم السلى خلقكم من نفس واحدة وخلق
منها زوجها » .

دعا القرآن الى مكارم الاخلاق وامر الناس بالصدق والوفاء واداء
الامانة ، ونهاهم عن الكذب والريذيلة وذمهم الصفات . قال تعالى : « ان الله
يامر بالمعنى والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » .

قضى الاسلام على معالم الجاهلية البالية ونهى عن ترفع الكبراء
وتعظيمهم على الضعفاء وبين ان الناس جميعا امام الله سواء يتفاضلون عنده
بالتفوى ويدركون ثوابه بالعمل الصالح ، فلا فضل لعربى على عجمى ولا
لابيض على اسود ، ولا فخر لجنس او دم او عنصر على آخر ، فالانسان
هو الانسان ، خلقه الله بيده واسجد له ملائكته ونفخ فيه من روحه وميزه
على جميع الوجودات وسخر له كل ماخلق الله فى السماء والارض .

قال تعالى : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من
الطيبات وفصلناهم على كثير ممن خلقنا تفصيلا » .

وقد لفت القرآن انظار الناس الى الكون وما فيه وامرهم ان يتفكروا
فى ملكوت السموات والارض وان ينظروا الى السماء ومن رفعها ؟ والارض

من بسطها ؟ والجبال من أرساها ؟ والبحار من أجزاها - والنهار من أضاءه ؟
والليل من أظلمه ؟ والإنسان من خلقه في أحسن تقويم ؟ قال تعالى : « أم من
جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين
حاجزا الله مع الله ؟ بل أكثرهم لا يعلمون » . (سورة النمل الآية ٦١) .

بين الدين الاسلامي أن المؤمن قوى لا يضعف ، عزيز لا يدل ، شجاع
لا يجبن ، وان الاجل بيد الله ، وان الرزق بيد الله ، وان المؤمن يتحمل
المصائب في صبر ويقين ، وثقة بأن بعد العسر يسرا ، وان بعد الشدة فرجا .
وامر المؤمن لا يضعف عند المحنة ، ولا يتزعزع عند البلاء فالأيام دول يوم لك
ويوم عليك ، وبعد شدة الظلام يأتي نور النهار .

قال تعالى : (ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين) .

وضح القرآن أن الله قريب من المؤمن يسمع النداء ويجيب الدعاء
ويقبل التوبة ويغفر بالمغفرة ، وهو اله رحيم عادل فينبغي أن تكون مبادتنا
له عن حب وولاء ، لا عن خوف ورهبة .

قال تعالى : (واذا سالت عبادي عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع
اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلمهم يرشدون) .

ومن رحمة الله بالانسان أنه لم يكلفه بما لا يطيق ، وأنه يسر عليه كثيرا
من الفرائض وامر المريض والمسافر أن يؤجل صيام رمضان الى وقت آخر
فقال تعالى : (ومن كان مريضا او على سفر فعدة من أيام أخر) . وجعل
العبادات والفرائض متناسبة مع طبيعة الانسان فالوضوء والغتسال
والطهارة كلها تجعل المسلم نظيفا سليما قويا والمؤمن القوى خير من المؤمن
الضعيف .

والصلاة رياضة روحية ومناجاة من المخلوق للخالق ، ودعاء من العبد
للاله سبحانه ، والزكاة ترابط وتماسك بين طبقات المجتمع ووسيلة من
من وسائل المشاركة والتقارب بين الاغنياء والفقراء ، والصوم صفاء للنفس
وراحة للمعدة المتعبة ، وتعود على امتثال امر الله وطاعة الخالق سبحانه ،
والحج مؤتمر اسلامي عام يجتمع فيه المسلمون من كل بقاع الارض للتعارف
والتآلف والتشاور فيما ينفعهم ويعود عليهم بالخير . وشهادة أن لا اله الا الله
معناها أن الله هو الخالق الرازق الذي يستحق العبادة ، وتنحنى له الجباه .
وشهادة أن محمدا رسول الله اعتراف بأنه بلغ الرسالة وأدى الامانة وكان
رسول الانسانية وخاتم الانبياء والمرسلين ، جمع الله به المسلمين فكانوا أمة
واحدة مترابطة متماسكة ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وترفع راية الحق
والعدل ، وتواكب ركب الحضارة وتساهم في تقدم البشرية وترسى دعائم
الاخلاق والقدرة الحسنة .

قال تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون
عن المنكر وتؤمنون بالله) .

حلاوة الايمان

تعددت نعم الله على الانسان ، فهو سبحانه فاطر السموات والارض
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ، هو رافع السماء بلا عمد وهو
الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، وهو الذي يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا
احد ، بيده الخلق والامر ، امره بين الكاف والنون اذا اراد شيئا قال له كن
فيكون . هو الذي بسط الارض ، وارصى الجبال ، واجرى البحار ، وأظلم
الليل وأضاء النهار ، هو الذي سخر الشمس ، وسير القمر ونجم النجوم ،
وأبدع الافلاك وسخر البحار والانهار ، قال تعالى (وَأَن تَعْبُوا نِعْمَةَ اللَّهِ
لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) ابراهيم : ٣٤ .

سئل الامام الشافعي : بم عرفت الله ؟ قال : بالنحلة : نصفها يلسع
ونصفها يغسل .

وسئل الحلاج : بم عرفت الله ؟ قال بجمعه بين الضدين فهو أول وآخر
وظاهر وباطن .

وسئلت رابعة العدوية : بم عرفت الله ؟ قالت : عرفت ربى بربى ،
ولولا ربى ما عرفت ربى .

وكثر حنين العارفين والمؤمنين في مناجاة ربهم ودعائهم له وتبتلهم بذكره
وتغنيهم بحبه آناء الليل وأطراف النهار .

كان من دعاء رابعة العدوية : الهى ان كنت أبعدك شوقا الى الجنة
فأحرمنى منها . وان كنت أبعدك خوفا من النار فأحرقنى بها ، وان كنت
أبعدك لذلك لأنك تستحق العبادة فلا تحرمنى من نور وجهك الكريم يارب
العالمين .

ويروى أن الحجاج كان في الصحراء ، وجاء وقت الغداء ، فقال لاتباعه
التمسوا لنا رجلا من أهل هذه البادية ليأكل معنا .

فبحث اتباع الحجاج عن رجل ، وبعد مشقة كبيرة عثروا عليه وأحضره
فقال الحجاج للرجل : أتدرى لماذا دعوتك الى هذا المكان ؟

قال الرجل لا .

قال الحجاج : دعوتك لتتناول معى طعام الغداء .

فقال الامرابى : دعائى من هو خير منك فأجبت .

فعلم الحجاج أن الاعرابى صائم وقال له : انصوم في هذا اليوم الشديد الحر ؟

فقال الاعرابى : صمت ليوم اشد منه حرارة .

فقال الحجاج لاتباعه : قدموا الطعام حتى يراه فتشتاق اليه نفسه فيأكل معنا .

فلما رأى الاعرابى الطعام قال : ان في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

واخيرا قال الحجاج للاعرابى : كل معى هذا اليوم وصم غدا .

فقال الاعرابى للحجاج : ان ضمننت لى ان اميش الى غد ضمننت لك صيام غد .

وانصرف الاعرابى صائما صوم تطوع من غير ان يأكل على مائدة الحجاج .

رسالات السماء ثورة على الباطل

ارسل الله الرسل وانزل عليهم الكتب لهداية الناس واخراجهم من الظلمات الى النور (رسلا مبشرين ومنذرين فثلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما) .

وكانت رسالات السماء دعوات هادفة ، وثورات اصلاحية ، استهدفت شرف الانسان وتحطيم الظلم ومقاومة الباطل ، وتربية الاجيال حتى تدافع من نفسها ، وتسترد كرامتها وحقتها (ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ؛ ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين) .

ومع ابراهيم يصاول النمرود ويشرح له قدرة الله العلية ، فهو الذى رفع السماء وبسط الارض وارصى الجبل وسخر الشمس والقمر والليل والنهار ووضع نظاما سليما يدور الفلك بمقتضاه (لا الشمس ينبغي لها ان تمرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) .

وقد جادل النمرود ابراهيم ، وحاول اثبات وجوده وقدرته على العقو عن محكوم عليه بالاعدام وقتل انسان من عامة الناس . وهى مغالطة مكشوفة لان خالق الروح وواهب الحياة هو الله وحده . ولكن ابراهيم رد عليه ردا محسوسا ملموسا مفحما في نفس الوقت (ألم تر الى الذى حاج ابراهيم في ديه ان آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال انا احيى واميت قال ابراهيم فان الله ياتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدي القوم الظالمين) .

وتكررت قصة الجهاد والكفاح مع كل انبياء الله ورسله وكان كل نبي يدعو الى توحيد الله والى الكف عن الفساد والافساد ويحارب ماشاع بين قومه من رذائل ، ويقوم العوج ويصوب الخطأ ويرشد الى العمل النافع والسلوك السوى ويحث على مكارم الاخلاق وحميد الصفات ، وبذلك اشتركت الانبياء والرسل في تطور البشرية وارساء معالم الفضيلة ووضع دعائم القيم النافعة .

قال صلى الله عليه وسلم : (انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) .

أى أن كل نبي كان يضع سلما ويبنى دعامة ويرسى اساسا لتكامل الفضيلة ، ونشر الاخلاق وكانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم تتويجا لمبادئ الرسل وختاما لاهداف الرسالات واغراض النبوات .

روى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « انما مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى دارا فأتمها وأكملها الا موضع لبنة ففعل الناس يقولون لو وضعت هذه اللبنة فأنا هذه اللبنة وأنا خاتم الرسل » .

ومن هذا الحديث يتضح أن بين الانبياء اخوة في الهدف والغاية فكلهم دعاة للحق والعدل وكلهم هداة الى النور والايمان وكلهم مصابيح مضيئة وانوار ، تكشف زيف الباطل وتظهر قوة الحق .

« فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال » .

لقد كان الاسلام في حقيقته ثورة على ظلمات الجاهلية واتمها وكان دعوة الى العدل والاخاء والتسامح والترابط . وكان فكرة جديدة تستهدف شرف الانسان وسعادته وقد حمل القرآن على الشرك والاحاد وحارب الكفر والوثنية ونزلت آيات القرآن تلفت نظر الانسان الى أنه لم يخلق عبثا ولن يترك سدى وأن للحياة هدفا ساميا ورسالة مقدسة هي نصر المظلوم ومعاونة المحتاج ومساعدة الضعيف ومؤازرة الحق ومكافحة الباطل .

(أن الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) .

الايمان سبيلنا الى النصر

أرسل الله الرسل وأنزل عليهم الكتب ليكونوا معالم هادية . ومنارات مضيئة وسبلا للهدى والرشاد (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما) .

وقد كان إيمان المؤمنين وجهادهم في سبيل العقيدة والمبدأ سجلا حافلا بالتضحية والفداء ، وحفل تاريخ البشرية بجهاد المصلحين وبطولات المؤمنين . وكفاح الانبياء والمرسلين لقد وضع في النار ابراهيم ، واضجع للسذبح اسماعيل .

وذهب فتية مؤمنون الى الكهف فرارا بدينهم واخلصا لربهم فأرسل الله عليهم النوم في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا . ثم بعثهم الله من نومهم وايقظهم من رقادهم ليلمس الناس قدرة الله على البعث بعد الموت قال تعالى (ماخلفكم ولا بهتكم الا كنفس واحدة) وفي الحديث الشريف (والذي نفس محمد بيده لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون) .

أيها المؤمنون : لقد ورد في السنة ان من قرأ سورة الكهف كانت له نورا من الجمعة الى الجمعة ، لانها حوت من القصص الهادف ثلاث قصص قصة أصحاب الكهف وقصة موسى والخضر وقصة ذى القرنين ، والقصص الثلاث تدور حول أهمية الإيمان وجزاء المؤمنين .

فقصة أصحاب الكهف تصور بطولة رجال آمنوا بالله وأعرضوا عن عبادة الاصنام وبلغ امرهم الى الملك فتوعدهم بالعذاب وأهلهم ثلاثة أيام حتى يعودوا الى دينهم أو يقتلوا وقبيل انتهاء المهلة تسللوا في ظلام الليل الى الكهف وتبعهم كلب يحرسهم ويرعاهم وأكلوا وشربوا وناموا وقد امتد نومهم مئات السنين ثم بعثهم الله من نومهم وقد طال شعرهم وامتدت أظفارهم واحسوا بالجوع فأرسلوا واحدا منهم يدعى يميلخا ليحضّر لهم طعاما وأمره ان يستخدم اللطف والكياسة حتى لايطاردهم الملك الظالم ، واشترى يميلخا طعامهم وأعطى ثمن الطعام للبائع ففوجئ البائع بأن النقود قد طبعت من مئات السنين وظن ان يميلخا قد عثر على كنز فسأل عن مكان النقود التي معه وسار وراءه الى الكهف وعثر الناس على الفتية السبعة وخرجوا من الكهف ذاهبين الى الملك واندعش أصحاب الكهف حين رأوا ان الجالس على عرش البلاد ملك مؤمن وأن الملك الكافر قد مات منذ زمن بعيد .

وقد أكرم الملك المؤمن وفادتهم وأنزلهم في قصره والبسهم أحسن الثياب وأظهر سروره البالغ بعودتهم للحياة في زمنه .

ولكن الفتية سألوا عن أهلهم وأقاربهم فوجدوا أنهم قد ماتوا من زمن بعيد فتألوا لوفاة أقاربهم وأناداهم وتمنوا من الله أن يقبض أرواحهم وأن يأخذهم الى جواره فقبل الله دعاءهم وعادوا الى كهفهم ثم قبض الله أرواحهم وبالنسبة للملك الصالح في أكرامهم فبنى عليهم مسجدا يزوره الناس جيلا بعد جيل تقديرا للصالحين المجاهدين واقتداء بالشباب المؤمن الذي يرفض الهوان ويستجيب للإيمان ويجاهد في سبيل العقيدة والمبدأ . وصدق الله

العظيم نحن نقص عليك نبأهم بالحق أنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا) .

أيها المؤمنون : تلك قصة أصحاب الكهف وهى رمز للتضحية والفداء فقد آمن الشباب بالله واعتصموا به ثم قاموا يدافعون عن الإيمان وينتقلون من بيوتهم وقصورهم الى كهف مظلم يمارسون فيه عبادتهم وصلاتهم ويتعرضون فيه لرضوان الله ورحمته وقد سجل القرآن أملهم فى رحمة الله بقوله على لسانهم (وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأتوا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا) .

والقصة برهان ملموس على أن الله يحفظ المؤمنين ويسدد خطاهم ويربط على قلوبهم بالشجاعة والقوة وقد سجل القرآن نصر الله للمؤمنين الصادقين فى كل وقت وحين ، قال تعالى (أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنا لأنضبع أجور من أحسن عملا) .

أيها المؤمنون : ان الإيمان بالله والاخلاص له والعمل لمرضاته سبيل الى الفلاح والسداد قال تعالى (وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) .

والترابط والتعاون والتساند قوة للصف وسبيل الى النصر .

(ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص)

وليس لنا بديل عن الالتفاف حول ديننا وعقيدتنا والاهتداء بهدى الدين الحنيف والسنة المطهرة وأعمال السلف الصالح (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) .

حقيقة المؤمن

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم :

(يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) محمد/٧ .

أيها المؤمنون ، المؤمن حقا من آمن بالله ربا وخالقا ورازقا وبالاسلام ديننا ومنهجنا ، وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا وقادة وأسوة (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) الأحزاب/ ٢١ .

المؤمن حقا : يتبع تعاليم الدين ويحل الحلال ويحرم الحرام ويسير على الصراط المستقيم صراط الاسلام والقرآن وهدى محمد عليه الصلاة والسلام (انما كان قول المؤمنين إذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ، ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون) النور/ ٥١ ، ٥٢ .

المؤمن حقا صادق اليقين يراقب الله تعالى في سره وعلايته ويعطيه الله ولا يعصاه ، ويامر بالمعروف وينهى عن المنكر ويجاهد في سبيل الله بنفسه وماله مخلصا في هدفه مضحيا بالعاجلة من أجل الآجلة ، مؤثرا طاعة الله ورضوانه على كل عرض من أمراض الدنيا .

روى البخارى في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعرَّض نفسه في الكفر كما يكره أن يقذف في النار » .

المؤمن حقا لا يعرف الرياء ولا النفاق فهو طاهر السريرة نظيف القلب سليم الضمير يقيم الصلاة ويؤدى الزكاة ويدافع عن الحق ويجارب البغى والعدوان ، وليس الايمان دعوى باللسان بل هو تصديق بالجنان ومعمل بالجوارح وسلوك فاضل وجهاد في سبيل الله وصدق ووفاء . قال تعالى : (قالت الأعراب آمنوا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولا يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لايكننكم من اعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم ، انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) الحجرات / ١٤ ، ١٥

المؤمن حقا اذا ذكر الله وجل قلبه وذرف دمه وخشعت جوارحه وعلى يقينه هدى وايمانا . قال تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى وبهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) الانفال / ٢ - ٤ .

المؤمن حقا خاشع في محرابه منيب الى ربه بعيد عن الفحشاء والمنكر واللغو واللغو محافظ على الحرمات سائر للمرات فاعل للخيرات مؤد للزكات قال تعالى (قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم او ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) المؤمنون / ١ - ١١ .

أيها المؤمنون :

لقد تمسك أسلافكم بأهداف هذا الدين فكانوا يدا واحدة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، وكانوا العقل الجديد والفجر الجديد والنور الجديد ، وقد فتحوا البلاد بأخلاقهم قبل أن يفتحوها بسيوفهم .

الم يؤن الأوان للأمة الإسلامية أن توحّد صفوفها وتعرف طريقها وتجمع
قال تعالى (الم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من
الحق) الحديد/ ١٦ .

الم يأن للقلوب المؤمنة أن تتطهر ، وتبائع الله بعبادته ، وتقدم لله
أنفسها هو خالقها ، وأموالها هو رازقها ، لتشتري بذلك جنة عرضها السموات
والارض ومغفرة من الله اكبر (ان الله يشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم
بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة
والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به
وذلك هو الفوز العظيم ، الثابتون العابدون الحامدون السائحون الراكعون
الساجدون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر
المؤمنين) التوبة/ ١١١ ، ١١٢ .

الم يؤن الأوان للقلوب الشاردة وللشباب الفارغ أن يملأ قلبه بنور الايمان
كلمتها فان يد الله مع الجماعة وانما ياكل اللذئ من الغنم القاصية ونحن امام
عدو شرس عنيد يضرب في كل مكان ويأخذ هذا ثم يأخذ ذلك فلو صرنا يدا
واحدة وقلبا واحدا لأخذنا على يد العدو العنيد ولرددنا له الصاع صاعين .
وقد امرنا الله بالتعاون والوحدة ونهانا عن الخلاف والفرقة ، قال تعالى :
(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) آل عمران/ ١٠٣ . وقال سبحانه
وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) .

الم يؤن الأوان للقلوب الشاردة وللشباب الفارغ أن يملأ قلبه بنور الايمان
وإن يرفع راية الجهاد والكفاح ، وأن نسير الكتائب وأن نجهر الجيوش لنثار
للمظلومين ونقتص للمستضعفين ، لقد حثنا الله على الجهاد وحرضنا عليه
ووعدنا عليه الجزاء الأوفى فقال سبحانه : (الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم
وهموا باخراج الرسول وهم بدعواكم أول مرة اتخشونهم فإله الحق أن تخشوه
أن كنتم مؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف
صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم
حكيم) التوبة / ١٣ - ١٥ .

أيها الشهداء الأبرار ، أيها المعتدى عليهم ظلما وعدوانا ، أيها المضروبون
في الجو زورا وبهتانا ، أيها الضحايا الأبرياء ، أيها السدماء الجارية أيها
الهوام الظامئة اصرخي الى الله باللعنات على بنى صهيون ، اصرخي في قومك
صادية حتى يثأروا لك .

كيف السكوت على لهيب النار أم كيف ينسى ناره ذو نار

ياضمير الأمة الإسلامية ، يارجال العروبة والاسلام ، يااسباب مصر
ويارجالها بلادكم في خطر ، وطنكم يستصرخ بكم أن دافعوا عنه وحققوا له
النصر ، فإذا أطمعتم ربكم والتزمت بحدوده وفقدتم أحكامه صرتم خير أمة

أخرجت للناس ووافاكم نصر الله والفتح (وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم) آل عمران / ١٢٦ .

دعائم الايمان

قال تعالى (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير) (البقرة ٢٨٥)

أيها المستمع الكريم :

تعتمد عقيدة الايمان على دعائم ثلاث :

الدعامة الاولى :

الايمان بالله ربا وخالقا ورازقا وبانه واحد لا شريك له ولا رب سواه (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن كفوا أحد) .

الدعامة الثانية :

التصديق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم فقد أرسله ربه هاديا ومبشرا ونذيرا وأنزل عليه القرآن هدى ورحمة وجعله خاتم المرسلين وأمرنا أن نؤمن به وأن نصدق بأن الله أرسل رسلا وأنبياء كثيرين لهداية الناس (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما) (النساء ١٦٥) .

الدعامة الثالثة :

الايمان بالبعث والحساب والجزاء حتى يشاب الطائع ويمقاب العاصي وهذا الايمان يتولد عنه اليقين بأن الدنيا ليست الا مزرعة للآخرة فمن أحسن في الاولى كان له الفوز في الثانية ، قال تعالى : (تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور) (الملك ١ ، ٢)

أيها المؤمن

أن ايمان المؤمن ليس قاصرا محدودا ولكنه أصيل عريق انه يمتد الى التصديق بجميع الرسالات والنبوات ويشمل الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه ورسله فالاسلام يوصي المؤمنين بأن يؤمنوا بالله وأن يكون ايمانهم قائما على التصديق القلبي واليقين العقلي ، والحب الوجداني لله الخالق الرازق الذي أبدع الكون ورفع السماء وبسط الارض وأرسى الجبال وأظلم الليل

وأضاء النهار وسخر السحاب وأجرى البحار وأمسك بقدرته نظام الكون على نسق بديع وترتيب دقيق . قال تعالى : (أم من جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا إله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون) (النمل ٦١) .

وليس الإيمان كلاما يقال أو الفاظا تردد ولكنه يقين صادق وعقيدة راسخة ينبعث عنها عمل سليم وسلوك فاضل . قال (ص) « ليس الإيمان بالتمنى ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل إلا وإن أقواما غرهم الأمانى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله ، وكذبوا على الله لو أحسنوا الظن لا حسنوا العمل » ،

أيها المؤمن :

أن الإسلام حلقة في سلسلة الرسائل الالهية وختام للدعوات الربانية والمسلم مأمور أن يصدق بأنبياء الله ورسله جميعا فهم هداة للبشرية ودعاة للإصلاح ومصابيح تضيء الحياتى وتهدى الناس الى طريق الرشاد .

قال تعالى : (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأنبياء وما آتى موسى وعيسى وما آتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) • (البقرة ١٣٦) .

فكل الرسائل كانت من أجل تحرير الإنسان وتصحيح العقيدة وأرساء معالم الفضيلة والدعوة الى مكارم الاخلاق . قال (ص) : « إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » .

وروى البخارى فى صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إنما مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى دارا قائمها وأكملها إلا موضع لبنة فجعل الناس يقولون ما أحسن هذه الدار لو وضعت هذه اللبنة فإنا هذه اللبنة وأنا خاتم الرسل » .

تكريم الله للإنسان

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم :

(ولقد كرّمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفصلناهم على كثير ممن خلقنا تفصيلا) •

خلق الله آدم بقدرته ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وميز الإنسان وفضله على سائر الموجودات فأعطاه العقل والإرادة وجعله كائنا مختارا فى سلوكه وأفعاله . قال تعالى (أنا هديناه السبيل أما شاكرا وأما كفورا) •

فان اختار الانسان طريق الهداية وآثر الاستقامة فهو السعيد حقا ،
وان اختار الفجوة وآثر الهوى فهو المحروم حقا . قال تعالى (ونفس
وما سواها فالهمها فجورها وتقواها ، قد افلح من زكاهما . وقد خاب من
دساها) .

اخى المؤمن :

لقد ميز الله الانسان وفضله على كثير من خلقه ، ولم يميزه بالاكل
والشرب ، ولا بالجماع والنسل ولا بالصورة والشكل . وانما ميزه بالعقل
والفكر ، وفضله بالارادة والعلم والمعرفة .

وفى الحديث الشريف : لما خلق الله النفس قال لها من انا ، قالت ومن
انا ؟ فعذبها بأشد أنواع العذاب ثم قال لها من انا ؟ قالت ومن انا ؟ فارسل
عليها الجوع فجاعت ثم قال لها من انا ؟ قالت انت الله رب العالمين .

ولما خلق الله العقل قال له اقبل فأقبل ثم قال له ادبر فأدبر ثم قال
له من انا ؟ قال انت الله رب العالمين . فقال الله تعالى وعزتى وجلالى ما خلقت
خلقا امر على منك .

وقد مدح القرآن أولى الالباب وهم اصحاب العقول السليمة والضمائر
الحية الذين يتأملون فى خلق الله ويتفكرون فى ملكوت السموات والارض ثم
يقولون سبحانك ما خلقت هذا باطلا .

ايها الاخ المؤمن :

الله تعالى كتابان : احدهما كتاب مفتوح ظاهر يقرؤه العالم والامى ويشاهده
الاعمى والبصير ، وهو هذا انكون العجيب بما فيه من افلاك سائرة ، وسماء
مرفوعة ، وارض مبسوطة ، وبحار جارئة ، وليل داج . قال تعالى : (او لم
ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وان عسى ان يكون
قد اقترب اجلهم فباى حديث بعده يؤمنون) الاعراف/ ١٨٥ .

والله عز وجل كتاب منزل وهو القرآن الكريم ذكر فيه قصص الاولين
واخبار السابقين ، ولغت الانظار الى آثار خلق الله وبديع صنعه كما مدح
القرآن المؤمنين العارفين الذين يتأملون فى خلق الله ويتفكرون فى ملكوت
السموات والارض ويرون فى كل آية دليلا على وجود الله وبرهانا على
وحدانيته .

وفى آخر سورة آل عمران يمدح الله هؤلاء العارفين بقوله سبحانه :
(ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب ،
الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات
والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار . ربنا انك من

تدخل النار فقد أخزيتهم وما للظالمين من انصار . ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار . ربنا وآتتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد) .

أيها المؤمن :

ذلك منهج القرآن الكريم في تحريك القلوب الى الايمان ، ودعوة العقول الى الدليل والبرهان بتوجيهها الى المشاهد المحسوس والآيات الظاهرة ، وايضا مناجاتها بالوحى والقرآن . قال تعالى : (وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لنتهدي الى صراط مستقيم ، صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض الا الى الله تصير الامور) .

وفقنا الله واياكم ، لما يحب ويرضى وهدانا واياكم سواء السبيل .

عظمة الخالق

يقول الله سبحانه فى كتابه الكريم : (الله نور السموات والارض) .

أيها المؤمن :

اذا رايت نور الصباح يغمر الاكوان وينشر الضوء فى كل مكان ويمد الحياة بالنور والبهاء ، والسعى والعمل ، فثق ان ذلك بنور الله وهو نور السموات والارض . واذا رايت الوليد الصغير ينزل الى الحياة ضعيفا بريئا فيشقى الله له للنظر عينيّن وللسمع اذنين وللبطش يدين وللمشى رجلين ويعطيه لسانا وشفتين ، ويجرى له فى ثدى امه لبنا حارا فى الشتاء باردا فى الصيف ، ويودع محبته فى قلب والديه ، وبراهه برعايته ويتولاه بعنايته حتى يقف على قدميه ويشتمد سامده ويبلغ أشده ، فثق ان ذلك بفضل الله ، نور السموات والارض .

واذا رايت الشمس تدور فى فلكها ، والقمر يسير فى مداره والنجوم تزهى فى مواقعها ، والليل الحالك يأتى راحة للناس ونوما فى الاجفان والنهار المضي يأتى سعيا ومعاشا ، والكون كله يخضع لقدره قادرة وارادة كريمة مدبرة . اذا رايت ذلك التدبير ، فثق انه بقدره الله العلى القدير ، نور السموات والارض .

أيها الانسان :

ما اقرب مولاك منك وانت لاتشعر قربه ، وما احبك اليه وانت لاتشعر حبه . ان الله يمد يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويمد يده بالنهار ليتوب مسيء الليل .

ما اسعد الطائمين وما اربح المتقين ، لقد سعدوا بربهم وأنسوا أنفسهم
بتقواه قال تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث
لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل
شيء قدرا) الطلاق ٢ ، ٣ .

أيها المؤمن :

بادر بالتوبة النصوح وأقبل على مولاك وخالقك ، فالسعيد من طرق
باب مولاة ولجا اليه في الغداة والعشي . وفي الاثر يقول الله عز وجل : يادادود
لو يعلم المعرضون عنى كيف انتظاري لهم ولطفى بهم وشوقى الى ترك
معاصيهم ، لماؤا شوقا الى وتقطعت اوصالهم من حبى . يادادود هذه ارادنى
في المدبرين عنى فكيف بحبى في المقبلين على . يادادود احب ما يكون الى عبدى
اذا رجع الى ، واجل ما يكون عندى عبدى اذا تاب الى . وارحم ما يكون
بعبدى اذا عرض عنى .

وصدق الله العظيم اذ يقول فى كتابه الكريم : (والذين اذا فعلوا فاحشة
او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم
يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات
تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين) آل عمران/ ١٣٥ ،
١٣٦ .

أيها المؤمن :

ان التوبة فى حقيقتها طهارة النفس من دنس المعصية ويظلة الضمير ،
ونظافة القلب واستقامة الجوارح .

واذا حلت الهداية قلبا نشطت فى العبادة الأعضاء

سئل الامام على رضى الله عنه عن التقوى فقال : هى ذوبان الحشاشا لما
سبق من الخطا . وسئل احد العباد عن التقوى فقال : « الا يراك الله حيث
نهالك ، والا يفقدك حيث امرك » .

والتائب حقا يعزف عن اماكن المعصية ، ويسمو بنفسه عن الشهوات
والنزوات ، ويعلم ان طريق الجد والحق هو طريق السلامة فى الدنيا ،
والنجا فى الآخرة .

قال تعالى : (فاما من طفى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى الماوى .
واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى الماوى) .

صدق اليقين

يقول الله تعالى في كتابه الكريم (ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين) . الحج ١١

والحرف معناه الطرف أى يعبد الله على طرف من الدين بعيد عن وسطه وهذا مثل لكونه مضطربا في أمر الدين غير ثابت القدم .

قال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد وقتادة نزلت هذه الآية في قوم من الأعراب قدموا المدينة المنورة فكان أحدهم إذا صح بدنه وأخصبت أرضه ومنتجت فرسه وولدت أمراؤه غلاما وكثر ماله وماشيته قال ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا ، واطمان بالاسلام وثبت عليه فذلك قوله تعالى (فان أصابه خير اطمأن به)

أما إذا قدم الأعرابي المدينة ، فساءت صحته أو قل ماله وأجذبت أرضه ولم يصب خيرا ، قال ما أصابني من ديني هذا الا شر وانقلب عن دينه الذي أظهره بلسانه فذاك قوله تعالى (وان أصابته فتنة) أى بلاء وامتحان (انقلب على وجهه) أى رجع من دينه (خسر الدنيا والآخرة) ، أما خسران الدنيا فقد خسر العزة والكرامة التي أعدها الله للمؤمنين ، وأما خسران الآخرة فقد حرم الثواب واستحق العقاب والجزاء ولاخسران أوضح من ذلك (ذلك هو الخسران المبين » .

أبها المؤمن :

الإيمان الصادق زاد للمؤمن وحياة لروحه بل هو نور ميني وقوة سامعية ونبضات قلبه فالإيمان للمؤمن كالهواء الطلق لا يستغنى عنه لحظة ولو فقد المؤمن كل مايملك لتشبث بدينه وعقيدته .

ان العقيدة الصادقة هي الركيزة الثابتة في حياة المؤمن ، تضطرب الدنيا من حوله فيثبت هو على هذه الركيزة ، وتتجاذبه الاحداث والدوافع فيتشبث هو بايمانه الثابت الاصيل وليست العقيدة صفقة تجارية ينتظر الانسان من ورائها ربعا ماديا بل العقيدة هي الحمى الذي يلجأ اليه الانسان ، والسند الذي يستند عليه .

اجل هي في ذاتها جزاء على تفتح القلب للنور وطلبه للهدى ، هي جزاء يدرك المؤمن قيمته حين يرى الحيارى الشاردين من حوله تتجاذبهم الرياح وتتقاذفهم الروابع ويستبد بهم القلق هو بعقيدته مطمئن القلب ثابت القدم هادئ البال موصول بالله مطمئن بهذا الاتصال .

وفي تاريخ البشرية الطويل نماذج حافلة بالثبات على الإيمان ، وتحمل البلاء في سبيل العقيدة والمبدأ .

لقد وضع في النار ابراهيم ، واضجع للذبح اسماعيل واشتد البلاء على ايوب والتقم الحوت يونس ودخل السجن يوسف وخرج موسى من مصر خائفا يترقب وحاول الاعداء قتل المسيح وصلبه فرفعه الله اليه ، واشتد اذى الكفار بمحمد صلى الله عليه وسلم وصحبه حتى هاجر من مكة الى المدينة ، ولكن العاقبة للمتقين ، ودولة الباطل ساعة ودولة الحق الى قيام الساعة ، وصلى الله العظيم «فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل» . الاحقاف ٣٥
فهذا هو طريق الانبياء الثبات على المبدأ والتضحية والفداء من اجل الهدف والغاية «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع الحسنيين» . العنكبوت ٦٩ .

من هدى الاسلام

يقول الله تعالى في كتابه الكريم : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)
آل عمران/ ١٠٣ .

جمع الاسلام العرب ووحّد كلمتهم وآخى بينهم وعقد اواصر المحبة والمودة بينهم ، فتحول القوم من بداءة الجاهلية الى حضارة الاسلام ، ودراسة القرآن وطاعة الرحمن ، وعلمهم النبي صلى الله عليه وسلم أصول الدين وتعاليم الشريعة . وبين لهم ان محبة المسلم لآخيه المسلم أساس من أسس الايمان وباب من أبواب الرضا والقبول .

قال صلى الله عليه وسلم : « سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ في طاعة الله عز وجل ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجل ذكر الله تعالى خالبا ففاضت عيناه ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وافترقا عليه ورجل دعت امرأة ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله رب العالمين» .

أيها المؤمن :

الحب في الله معناه ان تحب المؤمن الصادق محبة خالصة لله ، لانه مطيع لربه ومخلص لدينه . وهذه المحبة لله سر من أسرار النصر وباب من أبواب العزة في الدنيا والسعادة في الآخرة . قال تعالى : (والف بين قلوبهم لو انفقنا ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم) الانفال / ٦٣ .

وقد بين الله صفة اهل الجنة ، فذكر ان بينهم الاخاء والصفاء ، وقد نزع من قلوبهم الغل والحقد . قال تعالى : (ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين) الحجر / ٤٧ .

أيها المستمع الكريم

ان روح الاسلام تدعوك الى المحبة والألفة ، الى الصفاء والوفاء ، الى التعاون والتراحم ، الى التكافل والتآخي حتى يكون المسلم للمسلم قوة ومودة ، وعونا وسندا ، قال تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) المائدة / ٢ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى » .

أيها المؤمنون :

لقد بدأ الدين غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ، وغرابة الدين في بدايته ، ان الله هيا له النصر والغلبة ، فكانت اقرب ظاهرة اجتماعية في التاريخ انتصار الاسلام في اقل من قرن من الزمان على اوسع رقعة في المعمورة ، وكان القرآن قد اعطى المسلمين مفاتيح الأرض فاداروها في اقاليمها ففتحت لهم البلاد ودانت لهم العباد .

ومرت بالمسلمين فترات القوة وفترات الضعف ، وتلمح الآن بوادر النصر وسحائب الفوئ فتتهيب بالمسلمين ان التفوا حول دينكم واستجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ، فقد رضيتم بالله ربا وبالاسلام ديننا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا . وصدق الله العظيم : (ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما) النساء / ٦٩ ، ٧٠ .

الاسلام والعلم

العلم نور القلب وثقافة الفكر ، وتوجيه للنفس وبقظة للضمير ، بالعلم تسعد الأمم وترقى الأفراد والجماعات . وقد مدح القرآن العلم والعلماء . قال تعالى : (انما يخشى الله من عباده العلماء) فاطر / ٢٨ . وقال سبحانه : (شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم) آل عمران / ١٨ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « اذا طلعت على شمس يوم لم ازد فيه علما فلا بورك لي في ذلك اليوم » .

كيف لا ، والقرآن يدعونا الى المزيد من العلم والتعلم ، فأول آية من القرآن كانت دعوة الى القراءة والتعليم وهي قوله تعالى : (اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) العلق / ١ - ٥ .

ويعلمنا القرآن آداب الدعاء حين يقول : (وقُلْ رَبِّ زِدْنِي علما) طه / ١١٤ .

ومن وصايا لقمان لابنه : يا بني اطلب العلم فان افتقرت كان لك مالا ، وان استغنيت كان لك جمالا ، يا بني العلم خير من المال ، العلم حاكم والمال محكوم عليه ، والعلم يزكو بالانفاق والمال ينقص بالانفاق .
ومما ينسب الى الامام على رضى الله عنه :

الناس من جهة التمثال اكفاء	ابوهم آدم والام حواء
فان كان لهم في اصلهم شرف	يفأخرون به فالطين والماء
ما الفخر الا لاهل العلم انهمو	على الهدى لمن استهدى ادلاء
فمن يعلم تعيش حيا به ابدا	الناس موتى واهل العلم احياء

ايها الاخ المؤمن :

ان العلم مصدر قوة ، ومصدر عزة ومصدر سعادة وليس العلم مقصورا على تعلم الامور الدينية بل العلم تتسع ابوابه لكل ضروب المعرفة فالواجب على المسلم ان يكون بصيرا بزمانه خبيرا بتقدم العلوم والفنون والآداب ، ومن الواجب ان تخصص طائفة من العلماء في كل فرع من فروع المعرفة حتى تشيع في الامة جنبات الخير والازدهار . قال تعالى : (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب) الزمر / ٩

ولقد قام الاسلام على نهضة علمية اساسها دراسة القرآن والسنة المطهرة . وكانت روح الاسلام حائرا للمسلمين ان يتزودوا من العلوم النافعة ، وفي عصور الاسلام الزاهرة كانت بغداد وقرطبة والقاهرة وغيرها من المدن عواصم للثقافة والعلم والطب والكيمياء والصيدلة والرياضة والبصريات والفلك . وكانت جامعات قرطبة وطليطلة مصدرا من مصادر الثقافة لشباب أوروبا ، الذين كانوا يحضرون الى الجامعات العربية لينهلوا من علمها ، وعن طريق جامعات الاندلس عبرت الثقافة الاسلامية الى فرنسا وكانت عاملا من عوامل النهضة والحضارة الاوروبية بشهادة المنصفين من علماء الغرب انفسهم .

قال الاستاذ بريفولت الانجليزى فى كتابه (تكوين الانسانية) : (فى القرن التاسع عشر تعلم كثيرون من المسيحيين عند علماء الاسلام) . وقال : (ان رئيس دير كلوتى تأسف على ان رأى أثناء اقامته بالاندلس الطلبة من فرنسا والمانيا وانكثرا يردون أفواجا الى المراكز العلمية العربية) .

وقال : (فالعلم هبة عظيمة الشأن جادت بها الحضارة العربية على العالم الحاضر) .

ان الاسلام كان مصدرا من مصادر النور والقوة والهداية والاخلاق
الكريمة . ولقد عز المسلمون يوم ان تمسكوا بأهداب الاسلام ، وحين تركوا
العمل بل وانحرفوا من تعاليمه (نسوا الله فنسيهم) التوبة/٦٧ .
ولن يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به اولها ، ايمان صادق ، وعمل
نافع ، واستقامة على طريق الرحمن : (ومن يقتصم بالله فقد هدى الى
صراط مستقيم) آل عمران/١٠١ .

هذا هو الاسلام

- يقول الله تعالى في كتابه الكريم : « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » .
ارسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى
الله باذنه وسراجا منيرا ، وقد استجاب لدعوته المؤمنون ، ووقف في سبيله
الكافرون ، بيد ان الله نصر الحق واهله واخلد الباطل واهله ، وقد هاجر
المؤمنون فرارا بدينهم وحفاظا على عقيدتهم .
« وقاتلوا المشركين في غزوات متلاحقة كان النصر في معظمها حليفا
للمؤمنين ، وامتدت فتوحات الاسلام فطوت ممالك ودولا متعددة ودخل الناس
في دين الله افواجا وجماعات .
استولى المسلمون على شاطئ الفرات في سنة ٦٣٣ م ، وانتصروا على
الروم في اجنادين سنة ٦٣٤ م ودخلوا دمشق سنة ٦٣٥ م وحققوا نصر
اليرموك الرائع سنة ٦٣٦ . وانتصروا على الفرس والقادسية سنة ٦٣٧ ،
وخضعت لهم جميع سوريا سنة ٦٣٨ وجميع فارس سنة ٦٤٢ ومصر في سنة
٦٣٩ الى ٦٤٢ . واذربيجان في ٦٤٢ ، وافغانستان في ٦٦١ وتونس في ٦٧٤
وبخارى في ٦٧٤ ايضا .
وفتحوا السند سنة ٧٠٨ ميلادية ومراكش في ٧٠٨ ايضا واسبانيا سنة
٧١١ الى ٧١٢ وسمرقند في سنة ٧١٢ م ، واستولوا في خلال القرنين الثامن
والتاسع على معظم جزر البحر المتوسط واصبحوا سادة الدنيا بلا منازع .

ايها المؤمن :

من حق الانسان ان يتساءل عن السر الكامن وراء انتصارات الاسلام
المتلاحقة وفتوحاته الرائعة ، والجواب يكمن في طبيعة الاسلام الذاتية ، فهو
دين عام للبشرية كلها لا فرق بين عربي وعجمي ولا بين ابيض واسود ولا بين
سادة وعبيد ، فالتناس كلهم امام الله سواء يتفاضلون عنده بالتقوى ويدركون
ثوابه بالعمل الصالح . قال تعالى :

« يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير » (الحجرات ١٣)
ومن اسباب انتصار الاسلام ، يسره وسماحته ، فهو دين وسط لا تشدد فيه ولا تفريط وهو صالح لكل زمان ومكان مناسب للانسان في جميع المصور بما حوى من الاصول العامة وما اشتمل عليه من التيسير ودفع المشقة والحرص .

فمن قواعد الاسلام الاصولية انه : لا ضرر ولا ضرار وان المشقة تجلب التيسير وان الامر اذا ضاق اتسع وانه لا ينكر تغير الاحكام بتغير الزمان ، وانه اينما توجد المصلحة فثم شرع الله .

قال تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » (البقرة ١٨٥) .

وقال سبحانه : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج » (المائدة ٦) .
وقال صلى الله عليه وسلم : «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا » .

ايها الاخ المؤمن :

ان الاسلام حوى مزايا متعددة ففيه الديمقراطية الحقبة والمساواة بين الناس على اختلاف اجناسهم والوانهم وفيه حرية العقيدة والدعوة الى استخدام العقل والفكر والبحث والاستنباط وهو دين العلم والمعرفة ، فاول آية نزلت من كتاب الله كانت دعوة الى القراءة باسم الله .

قال تعالى : « اقرا باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرا وربك الاكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » .
(العلق ١ - ٥)

المساواة فى الاسلام

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم : (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) .

سبب نزول هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بلالا بن ابي رباح ان يؤذن على ظهر الكعبة بعد فتح مكة ، فاستنكر ذلك سادة قريش وقالوا : اعبد حبش على ظهر الكعبة بحضورنا ؟

فأنزل الله هذه الآية لتوضح الموازين العادلة للأشخاص والقيم ، ولتهدم قواعد الكبرياء وتحطم فوارق الطبقات ، ولتصرح بأن الله تعالى خلق الناس كل الناس ليتعارفوا ويتعايشوا بالسلم والأمان ، وعلى هذا الأساس

جعل النبي صلى الله عليه وسلم الخادم اخا لسيده أو ابنا وجعل الخادمة أو الجارية اختا لسيدها أو ابنة وأوصى النبي وصيته المشهورة :

« اخوانكم خدمكم جعلهم الله تحت ايديكم فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم من الاعمال ما لا يطيقون فان كلفتوهم فاعينوهم ولا يقولن احدكم عبدي أو امتي ولكن ليقل فتاتي وفتاتي » .

وقد جادل عبد اسود اللون الصحابي الجليل ابا ذر ، فقال له ابو ذر : يا ابن السوداء ، ففضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « طف الصاع » اي طفع الكيل ، يا اباذر « ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل الا بالتقوى أو بعمل صالح » ، فوضع ابو ذر خده على الأرض وقال للعبد الأسود قم فضع رجلك على خدي ، وقد طبق المسلمون المساواة الحقيقية بين اشرافهم ومواليهم بمجرد قدوم النبي المدينة في أول الهجرة ، اذ كان حمزة عم النبي هو وزيد بن حارثة اخوين ، وكان خالد بن ربيعة الخنعمي هو وبلال ابن رباح اخوين وكان ابو بكر الصديق وخارجة بن زيد اخوين .

وكان الحسن البصري مولى من الموالى وقد ضرب الناس اليه اكباد الابل ، وجلس الاشراف بين يديه يفترون من علمه ويستفيدون من معرفته وفقهه ، ومما لا ريب فيه ان المسلمين بلغوا من تكرم العبيد والموالى ذروة شامخة لا تسامى لانهم تعلموا من النبي الكريم ان الناس سواسية كاسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي ولا لأحمر على اسود الا بالتقوى .

ايها المؤمنون :

لقد كان اضهاد الطبقات الغنية للفقيرة سائدا في العالم كله قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، فأرسل الله نبيه رحمة للعالمين فهدى الناس من الضلالة الى الهدى ، وأخرجهم من الظلمات الى النور ، وحث الاغنياء على البر والصدقة والعطف والرحمة ، ثم أوجب الزكاة وحرم الربا وقضى على عوامل الحقد والتفرقة والفرقة بين المسلمين على اختلاف اجناسهم والوانهم وطبقاتهم وكون الاسلام خير امة اخرجت للناس وحطم الفوارق بين الطبقات وقضى على التمييز العنصري ووضع الموازين القسط لأسس المساواة الحقيقية بين الناس اجمعين ، فالخلق ربم عيال الله يتفاضلون عنده بالتقوى ويدركون ثوابه بالعمل الصالح .

وانسجاما مع هذه التعاليم التي تكرم الانسان ولا تفرق بين اجناسه وعناصره اقر الاسلام للمرأة باهليتها في الحقوق المدنية والمالية ، وجعلها مساوية للرجل في المجال الديني والانساني والاجتماعي ، وبلغ من تكرمها ما لم يبلغه تشريع اجتماعي في القديم ولا في الحديث .

ذلك بأن المرأة في نظر الاسلام شريكة الرجل في حياته ، وجزء متمم له
اذ يرتبط به ارتباطا مقدسا يقوم على المودة والرحمة والحنان كما قال
تعالى : (ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل
بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) الروم/ ٢١ .

واوضح الرسول الكريم ذلك بقوله : « ما اكرم النساء الا كريم ، ولا
اهانهن الا لثيم » .

وقال ايضا : « انما النساء شقائق الرجال » .

ايها المؤمن ،

ان التدرج في التنظيم الاجتماعي هو الاسلوب الحكيم الذي اتبعه
النبي صلى الله عليه وسلم في كل اصلاح اتمه او امره الله باتمامه ، وبهذه
الطريقة استطاع ان يبدل عادات الجاهلية رغم استحكامها وتمكنها من
اصحابها . فقد تدرج الاسلام في تحريم الخمر لانه دين الحكمة والموعظة
الحسنة ، بين القرآن ان في الخمر بعض المنافع وأن ضررها اكثر من نفعها
فقال سبحانه : (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع
للناس واثمهما اكبر من نفعهما) .

ثم حرم على المسلمين الصلاة وهم سكارى ليضجع حدا لمعاركهم
القولية والفعلية فقال : (يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى
حتى تعلموا ما تقولون) .

وبعد ان ضيق عليهم فرص السكر ، وحرك منطقهم التشريعي
الفطري وبصرهم بمضار شرب الخمر حرم الخمر تحريما حاسما فقال
تعالى : (يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من
عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم
العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل
انتم منتهون) .

وهكذا تدرج الاسلام في التنظيم الاجتماعي والاصلاح الخلقي والتربية
النفسية بما كفل لمجتمعه الاستقرار ودفعه في طريق المجد والازدهار ،
قال تعالى : (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق
بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) الامراف / ١٥٣ .

المسئولية في الاسلام

خلق الله الانسان بيده ، ونفخ فيه من روحه ، واسجد له الملائكة ،
وكرمه وفضله على كثير من خلقه . وقد قرن الله المسئولية بالنعمة على
صاحبها فقال سبحانه : (لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها) . ومن ذلك

فان العاقل مسئول عن تصرفاته ، والغنى مسئول عن زكاة أمواله ،
والحاكم مسئول عن حسن اختيار الولاة ومن تحقيق العدالة والمساواة
والشورى ، والامن والعمل والحماية للوطن والمواطنين .

قال صلى الله عليه وسلم : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الامير
فى امارته راع وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة فى بيت زوجها راع وهى
مسئولة عن رعيته ، والخدام فى مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته ،
وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

ان الانسان مسئول عن عمره ، وعن وقته ، وعن ماله ، وعن شبابه ،
وعن علمه ، فواجب الانسان استغلال طاقاته فى العمل النافع والخير العميم
وواجب الحاكم حماية الوطن والدفاع عنه وحماية العقيدة وتوضيح الشبهات
وتوفير الحياة الكريمة لافراد الامة ، وواجب الافراد القيام بواجباتهم نحو
الوطن كل فيما يخصه ، وبذلك تتكاتف الامة وتتعاون وتصبح بحق امة رائدة
تدمو الى الخير ، وتأمر بالبر وتنهى عن الفساد والانفساد ، قال تعالى :
(كنتم خير امة اخرجت للناس تعلمون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون
بالله) .

ان المسئولية فى الاسلام ، اساسها انك مسئول عما اعطاك الله من نعمة
وما خولك من فضل ، وما من به عليك من خير فى علمك أو خلقك أو
معرفتك ، فيجب ان تشكر الله على هذه النعمة ، وشكر النعمة الحقيقى
هو استعمالها فيما خلقت له .

فشكر البصر النظر به للحق والخير والجمال ، وغض البصر عن
العورات ،

وشكر القوة استخدامها فى الطاعة والبعد بها عن المعصية ،

وشكر العلم تسخيرها للنفع والبعد به عن المراء والرباء ،

قال صلى الله عليه وسلم : « لا تزل قدم ابن آدم يوم القيامة حتى
يسال عن خمس : عن عمره فيما افناه ، وعن شبابه فيما ابلاه ، وعن وقته
فيم ضيعه ، وعن علمه ماذا عمل به ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم
انفقه » .

والمسئولية حق يقابله واجب ، فحق الحاكم السمع والطاعة على الامة
حتى يتفرغ لواجباته ، ويقوم بما أمر الله به ، وواجبات الحاكم هى : العدل
والمساواة والشورى وعمل الصالح للامة ورعاية مصالح افرادها وجماعاتها .

دخلت فاطمة بنت عبد الملك على زوجها امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز
فوجدته يبكى . . قالت ما يبكيك يا امير المؤمنين ؟

قال : تذكرت الفقير الجائع ، والمريض الضائع ، والعارى المحزون ،
وذا العيال الكثير والمال القليل ، واشباههم فى بقاع الارض واقطار البلاد ،
وعلمت ان خصيمى دونهم محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة فخشيت
الا تثبت لى حجتى فرحمت نفسى فبكيت .

الجن

قرر الاسلام حقيقة الجن ، وصحح التصورات العامة عنهم ، وحرر
القلوب من خوفها وخضوعها لسلطانهم الموهوم ، فالجن لهم حقيقة موجودة
فعلا ، ومنهم الصالحون ومنهم الضالون المضلون ، ومنهم السذج الابرياء
الذين ينخدعون ، وهم قابلون للهداية من الضلال ، مستعدون لادراك القرآن
سماها وفهما وتأثرا .

وهم لا يعلمون الغيب ، ولم تعد لهم صلة بالسماء ، ولا صهر بينهم
وبين الله سبحانه ولا نسب .

وقد سخر الله طائفة من الجن لنبيه الله سليمان ، فكان منهم من يغوص
فى البحر ليستخرج له اللؤلؤ والحلى ، ومنهم من يقوم ببناء المساكن والمجاريب
وسائر الابنية . ومن خرج من طامة سليمان من الجن كان يقيده فى
السلاسل والحديد ، ويعرضه لأشد أنواع العقاب ، فلما مات سليمان
استمرت الجن فى خدمته ، ودل هذا على انهم لا يعلمون الغيب ، بل هم خلق
من خلق الله ، خلقهم الله من النار ، كما خلق الانسان من الطين وقد تعلقت
بالجن خرافات شتى ، واساطير كثيرة ، فقد كان العرب يعتقدون ان للجن
سلطانا فى الارض ، فكان الواحد منهم اذا أمسى بواد أو بات فى صحراء
لجأ الى الاستعاذة بمعظم الجن الحاكم لما نزل فيه من الارض فقال : أعوذ
بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه ، ثم بات آمنا .

كذلك كانوا يعتقدون ان الجن تعلم الغيب ، وتخبر به الكهان فيتنبأون
بما يتنبأون به ، ومن العرب من عبد الجن وجعل بينهم وبين الله نسبا ،
وادعى ان الله سبحانه وتعالى له زوجة منهم تلد له الملائكة - تعالى الله عن
ذلك علوا كبيرا .

والاعتقاد فى الجن على هذا النحو او شبهه كان فاشيا فى كل جاهلية ،
ولا تزال الاوهام والاساطير من هذا النوع تسود بيئات كثيرة الى يومنا
هذا .

وبينما كانت الاوهام والاساطير تغمر قلوب الناس ومشاسيرهم
وتصوراتهم عن الجن فى القديم وما تزال ، نجد فى الصنف الآخر اليوم
منكرين لوجود الجن اصلا ، يصفون أى حديث من هذا الخلق المغيب بأنه
حديث خرافة .

وقد رد الاسلام على الاغراق في الوهم ، أو الاغراق في الانكار ، وفي مقالة
 الجن ما يشهد بوحداية الله ، ونفى الصاحبة والولد ، واثبات الجزاء في
 الآخرة ، وأن أحدا من خلق الله لا يعجزه في الأرض ، ولا يفلت من بين يديه ،
 فهو سبحانه قد احاط بكل شيء علما ، واحصى كل شيء عددا . وفي سورة
 الجن حكى القرآن قولهم حين قالوا (وانا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض
 ولن نعجزه هربا ، وانا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف
 بخسًا ولا رهقًا ، وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا
 رشداً) الجن ١٢ - ١٤

(٨)

من هدى القرآن

القرآن معجزة خالدة

—يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

**لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله
وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون)**

القرآن الكريم معجزة البشرية الخالدة ، وكلام الله الحق انزله على
النبي الكريم في ثلاثة وعشرين عاما ، منجما حسب الوقائع والحوادث ،
مشتملا على توحيد الخالق ، وذكر الآلة وبيان نعمائه ، حاكيا قصص
الاولين ، وتاريخ الغابرين ، وما اصاب المكذبين بالانبياء والجاحدين بالحق
من عذاب ماحق وجزاء عسير ، كما تضمن القرآن الكريم تشريعات سامية
واوامر الهية ونواه ربانية ، ووصايا انسانية ، هي مكارم الاخلاق وفضائل
الاداب من تحلى بها سما خلقه وزاد يقينه ، واطمأنت نفسه ، ومن حاد
عنها عميت بصيرته وقسا قلبه ، قال تعالى (ومن اعرض عن ذكرى فان له
معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى . قال رب لم حشرتني اعمى وقد
كنت بصيرا قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى)

ولقد كان للقرآن الكريم فضل هداية المسلمين واستمالة افئدتهم بما
حواه من اسلوب رائع ومعان سامية وحكم بالغة وبيان الهى وقبس
ربانى .

كما ورد في الاثر : (فيه نبا من قبلكم وخبر من بعدكم ، وحكم ما بينكم
وهو الجدل ليس بالهزل لم تسمعه الجن حتى قالت انا سمعنا قرانا عجبا
يهدى الى الرشd فامنا به ولن نشرك بربنا احدا)

وعد اسنمل القرآن على انواع الاعجاز فأحد طريقه الى القلوب واسنولى على النفوس فهدهد كبرياءها ، وازال جماحها ، ففتحت له قلوب العرب طوعا وكرها واذعن له اهل الفصاحة والبيان عرفانا وخضوعا ومدحه أحد كفار العرب وجبابرهم بقوله :

(لقد سمعت من محمد أنفا كلاما ، ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة وان اعلاه لثمر وان اسفله لمفلق وان فرعة لجناه وما يقول هذا بشري

لقد حاول العرب معارضة القرآن ، فاتوا بشيء من الوان الكلام ، ولكن شتان بين كلام المخلوق وكلام الخالق شتان بين ثوب مهمل غير متماسك وسيج محكم الصنعة بديع الهيئة رائع الجمال .

نوجه الكفار بالنقد والصياق التهم بمحمد وما انزل عليه فقالوا ان محمدا ساحر وان محمدا شاعر وان محمدا مجنون وانه كاهن بتنبأ بالغيب فاجابهم القرآن الكريم (فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليل ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليل ما تذكرون تنزيل من رب العالمين) وتمادى الكافرون في الصاق التهم بالنبي الكريم وتهافتت اقوالهم كالمحموم لا يلبث ان ينطق بغير رؤية فقالوا أضفنا احلام بل افتراه بل هو شاعر .

(وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا) . فاجابهم الحق سبحانه :

(قل انزلني الذي يعلم السر في السموات والارض انه كان غفورا رحيما) - الفرقان ٦ .

كان الحق سبحانه يتدرج مع المعارضين المنكرين ، فطلب منهم ان ياتوا بمثل القرآن في مبناه ومعناه ولفظه واسلوبه وقوته وبيانه فعجز العرب عن الاتيان بمثله .

فطلب منهم ان ياتوا بعشر سور مثل سور القرآن الكريم وان يستعينوا بمن ساؤوا

قال تعالى في سورة هود (ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون)

تم تحداهم ان ياتوا بسورة واحدة مثل سور القرآن فقال تعالى في سورة البقرة (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فانقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعنت للكافرين)

وفي هذا التحدى دليل واضح على ان القرآن ليس من صنع بشر وليس من عند محمد بل هو بيان حكيم من عالم الغيب الذى يعلم انهم لن ياتوا بمثل القرآن ولا بمثل عشر سور منه بل ولا بمثل سورة واحدة من سورة الكريمة .

(قل لمن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)

وبهذا التحدى الخالد ، طل القرآن الكريم سابقا غير مسبوق وحصنا عاليا لا يدرك ولا يسمى وذروة سامقة لا يدرك مداها ولا يشق غبارها (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) . (ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام والبحر يمد من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله . ان الله عزيز حكيم)

منهج القرآن فى توحيد الصف

فى مبدأ ظهور الاسلام تعرض المسلمون لآلوان متعددة من الدس والوقية كما تعرضوا لعدد من المؤامرات المفروضة ، وعرض المشركون عروضاً مغرية على رسول الاسلام منها الملك والرئاسة والمال والجاه فقال كلمته الخالدة (والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على ان اترك هذا الامر ما تركته حتى يظهره الله او أنفذ منى هذه السالفة)

وبعد ان ضيق الخناق على المسلمين فى مكة هاجروا الى المدينة ووضع النبى (ص) الأساس السليم للقاعدة الاسلامية العريضة واحكم الترابط والتلاحم بين المهاجرين والانصار وبارك القرآن هذه الأخوة فقال سبحانه (واللذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون)

وبدا الصف الاسلامى قويا متماسكا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ودرس القرآن المثل الأعلى للتعاون والتنظيم والاعداد بقوله سبحانه (ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص)

وسار ركب الدعوة يدعم وجوده فى ميدان السلم والحرب فنزلت آيات القرآن تحمل التشريعات الجديدة فى نظام الحياة والأسرة والعادات والمعاملات والآداب والأخلاق وكل شئون الحياة . وتابع القرآن موكب الدعوة الى ميدان القتال فنزلت سور وآيات تحث على الجهاد وتبشر المجاهدين وتشرح نظم القتال ، وأحكام الحرب ومرت غزوات متعددة بالمسلمين فى بدر وأحد والخندق والحديبية وفتح مكة وغيرها وكللت جهود المسلمين بالنصر فى

أكثر هذه الغزوات ، وتعرضوا للهزيمة في بعضها ، ولكن الهزيمة لم تكسر شوكتهم ولم تقتل حماسهم ونزلت آيات القرآن تأسو جراح المؤمنين وتوضح أن الحرب سجال وأن الأيام دول يوم لك ويوم عليك ، قال تعالى : (أن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) .

دسائس الأعداء :

انتهر أعداء الإسلام هزيمة المسلمين في غزوة أحد وذهبوا ينشرون الأراجيف والاشاعات ومن هذه الأراجيف قولهم لضعفاء المؤمنين : لو كان محمد رسول الله حقاً ما وقعت له هذه الواقعة ، وإنما هو رجل كسائر الناس يوم له ويوم عليه فارجموا إلى دينكم الذي كنتم فيه ، فانزل الله عز وجل قوله (يا أيها الذين آمنوا أن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين ، بل الله مولاكم وهو خير الناصرين ، سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وماواههم النار وبئس مئوى الظالمين) .

والتأمل لهذه الآيات يستوضح فيها أموراً ثلاثة :

الأمر الأول : الحذر من طاعة الكافرين .

فقد بين القرآن أن طاعة المسلمين للكافرين تجرهم إلى الخسران في الدنيا والآخرة .

فإن الكفر عدو الإيمان ولا يزال العدو يحارب عدوه ويتربص به الدوائر حتى يوقعه ويهزمه لو استطاع وأهل الكفر لا يفتأون يحاربون المسلمين ليردوهم عن دينهم ويعيدوهم في ملتهم ولهم في ذلك أساليب ليست بالحروب أشدها ولا أفظعها ، منها غزو أفكارهم بمبادئهم الفاسدة التي يصورونها لهم في صورة الصلاح والتقدم والمدنية ، ومنها اغراء العداوة بينهم ، وتقطيع الأواصر بين شعوبهم وطوائفهم ، فهم يخيّلون لكل فريق من المسلمين أنه هو المحق وهو الجدير بالزعامة ، ولا يزالون يشعلون نيران الخلاف بما استطاعوا حتى تأتي على كل شيء .

وقد حفظ التاريخ صوراً كريهة انحرب فيها المسلمون بعضهم مع بعض في الشعب الواحد فكان منهم قاتلون ومقتولون تحت راية العدو المشترك ، وأي شيء أفظع من أن يقتل الأخ أخاه باغراء عدوهما وتحريضه ودسيسته وخداعه .

الأمر الثاني : ولاية الله للمؤمنين وكفالته لهم بالنصر

ولكن نصر الله لا ينزل الا على قلوب مخلصه وايد نظيفه رامة جادة قد نصرت ربها واحترمت تعامله واطاعت اوامره . قال تعالى (ان ننصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم) .

الامر الثالث : الفاء الرعب في قلوب المشركين

وهذا الامر مترتب على سابقه فاذا اخلص المؤمنون وعملوا بهدى السماء شملهم بعنايه والفى عليهم المهابة والجلال ودف في قلوب أعدائهم الخوف والرعب .

ونحن احوج ما نكون الى معرفة انفسنا وعلاج ضعفنا فان الاسعمار لا يقوم على قوة الاقواء وانما يقوم على ضعف الضعفاء . وصدق الله العظيم (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) .

من ادب القرآن في بناء المجتمع

يقول الله تعالى في كتابه الكريم (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً وبلى القريبى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً) .

هذه الآية الكريمة تجمع خلال البر ، وبحض المسلمين على السحلى بمكارم الاخلاق وجميع الخلال ، حتى يكون المسلم انساناً مثالباً معيناً للضعيف نافعا للفقير ، رحيماً بالمساكين ، باراً بالشيوخ الكبر مستجمعاً لآخلاق الدين ، مقتدياً بسند المرسلين المبعوث رحمة العالمين .

اول ادب في هذه الآية ، هو عبادة الله وحده وعدم الاسراك به شيئاً ان الله وحده هو الخالق ، وهو الرازق وهو الضار وهو النافع ، (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء قدير . تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب) . آل عمران ٢٦ ، ٢٧

فبجب ان يفرد الله بالوحدانية وبخص بالعبادة فلا خوف الا منه ولاذل الا له ولا تقرب الا اليه ، وبهذا حرر الاسلام الفرد من الذل لغير الله أو الركون الى سواه ، وفتح باب السماء امام كل راغب فيه فانه اقرب اليه من حبل الوريد ، هو مجيب الدعاء وهو اللطيف الخبير ، والسميع البصير ، (وهى الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله) - ٢٥ - ٢٦ الشورى .

والادب الثانى الاحسان الى الوالدين وقد كرر القرآن وصيته بالوالدين

وقرنها بتوحيد الله نبيينا لمنزلهما وحشا على اكرامهما خصوصا في سن الشيخوخة والضعف وهو السن التي يميزان فيها ويحتاجان الى معونة اولادهم قال تعالى (وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) . الاسراء ٢٣ ، ٢٤ .

ان بر الوالدين عرفان بالجميل وتضامن اجتماعي وتكافل بين الاجيال وقام الابناء بحق الآباء وكثر سيرد اليك من اولادك واحفادك قال صلى الله عليه وسلم (عفوا تعف نساؤكم وبروا آباءكم تبركم ابتاؤكم) .

وقد حرم الله حقوق الوالدين وجعل ذلك من الكبائر لانه جحود لاصل الانسان وكنود لاولى الناس بعنايتك ورعايتك قال (ص) (ان الجنة ليوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق لوالديه ولا قاطع رحم) .

وقد اكد الاسلام الوصية بالام ونوه بما تحملته في سبيل الانسان من حمل ورضاع وتنشئة ، والزم ان تكافا الام على الاحسان بالاحسان وعلى التربية بالشكران .

قال تعالى (ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) ويقول سبحانه (حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين) وقال صلى الله عليه وسلم (بر أمك واباك واختك واخاك ثم ادناك فادناك) أى - الاقرب فالاقرب .

الادب الثالث صلة الرحم ، وبر الاقارب ، فانهم اصلك الذى تعتمد عليه وفروع شجرتك وامتداد لحياتك ورحم امر الله ان توصل ، يقول الله تعالى في الحديث القدسي (انا الرحمن وهذه الرحم شققت لها من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته) .

وصلة الرحم سبب في بركة الرزق وزيادة الخير ونماء العدد فلا يوفق لصلة الرحم واکرام القرابة الا من وضع في قلبه الرحمة واشربت روحه حب الدين .

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الناس أفضل ؟ قال : (اتقاهم لله واوصلهم لرحمه وآمرهم بالمعروف وناههم من المنكر) وقال صلى الله عليه وسلم :

(من سره ان يمد له فى عمره وان يوسع عليه فى رزقه فليتيق الله وليصل رحمه) وقد يكون بين الاقارب بعض المنازعات فحث الدين على صلة الرحم وان ادبرت والاحسان الى الاقارب وان اساؤا قال صلى الله عليه وسلم (ان الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذى اذا انقطع رحمه وصله) .

والادب الرابع في الآية الاحسان الى اليتيم والمسكين وذلك شامل لابشاء الجمعيات الخيرية والمساجد والملاجئ والمستشفيات وكل ما من شأنه ان ينهض بالمجتمع فاذا قام الانسان بحق بيته وامتد نفعه الى ولده وقرابته وما زاد عم به على الفقراء والمساكين عمت المودة والالفة وزادت اواصر الاخوة والوحدة واصبح المسلمون صفا واحدا كالبنيان المرصوص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مثل المسلمين في توادهم وتراحيمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى) .

الادب الخامس والآخر ، رعاية حقوق الجار قال عليه الصلاة والسلام مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه .

لقد سبق الاسلام حضارات الدنيا في التوصية بالجار واحسان معاملته والحفاظ على شعوره ومجاملته في المناسبات والصفح عن زلاته وغض البصر من حرمانه .

قال رجل ماحق الجار على اخيه الجار يارسول الله ؟

قال : (ان مرض عدته وان اصابه خير هنائه وان اصابه شر عزيته واذا مات اتبعت جنازته ولا تستعمل عليه بالبناء فتسد عليه الريح الا باذنه ولا تؤذه بقتار قدرك الا ان تغرف له منها ، واذا اتيت بفاكهة فاعط ولده منها او ادخلها سرا ولا تخرج بها ولدك ليفيظ بها ولده) . .

(فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت) .

رسالات السماء

يقول الله تعالى في كتابه الكريم

(الم الله لا اله الا هو الحي القيوم ، نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان ، ان الذين كفروا بايات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام) ١ - ٤ آل عمران .

ارسال الرسل شأن الاهى وحكمة ربانية لهداية الناس ودموتهم الى الفضيلة والخير .

وقد تواتر الرسالات وتعددت النبوات وربط بينها جميعها هدف مشترك هو الدعوة الى توحيد الله ، واصلاح المجتمع .

قال تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك

وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)
١٣- الشورى .

لقد استهدف الرسالات هداية الناس وتصحيح القيم وتعليم الفضائل ومحاربة الرذائل والدعوة الى الخير والحق والعقيدة الصحيحة والصراف المستقيم .

(رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون الناس على الله حجة بعد الرسل)
النساء ١٦٥ فالمصدر واحد والسبيل واحد والغاية واحدة .

اخرج البخارى فى صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الانبياء اخوات لعلائ امهاتهم شتى ودينهم واحد .

وابناء العلائ هم ابناء الصرائر امهاتهم متعددة وابوهم واحد .
ومن عقائد المسلم التصديق بان الله ارسل رسلا وانبيا كثرين لهداية
الناس والايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، قال تعالى :

(قولوا آمنا بالله وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب
والاسباط وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين
احد منهم ونحن له مسلمون) ١٣٦ - البقرة .

اخرج البخارى فى صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما
مثلى ومثلى الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى دارا فاتمها واكملها الا موضع
لبنة فجعل الناس يقولون ما اكمل هذه الدار لو وضعت هذه اللبنة ، فانا
هذه اللبنة وانا خاتم الرسل) .

وقد جاهدت الرسل فى سبيل الدعوة الى الله وارشاد الناس وتميز
الاخطاء الشائعة بينهم على نحو ما فعل شعيب فى محاربته لتطيف الكيل
بعضهم بصدق البلاء والصبر فى البأساء وطول الجهاد حتى لقبوا بأولى العزم
وكانوا قدوة حسنة فى الصدق والصبر وتبليغ الدعوة وهداية الناس قال
تعالى .

(فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل) .

وقد ارسل كل نبى الى قومه خاصة بدعوتهم الى توحيد الله ويحارب
الاخطاء الشائعة بينهم على نحو ما فعل شعيب فى محاربته لتطيف الكيل
والميزان وما فعله ابراهيم فى محاربة عبادة الاصنام ، وما فعله موسى فى محاربة
الظلم والطغيان ، وما فعله عيسى فى محاربة حب اليهود للمال والمادة واهمالهم
القيم الروحية والمعنوية .

حتى اذا تكامل للبشرية نموها وعظم استعدادها وافاها الاسلام
دينا عاما خالدا بكتاب عربى مبين ورسول عربى كريم وافرغ بآياته وشرائعه
البينة الواضحة على اتباعه المؤمنين به المستظلين بظله صبغة الوحدة والجماعة

منحيا عنها عصبية الجنس والافليمية التي درج العرف البشرى على انخاذها أساسا للجماعات ، وسما بالاساسية عن هذه الاعتبارات الى المبدأ الاسمى ، الذى تنفى به الشخصيات والعصبية ويوجه الناس الى الاخلاص بيد الانسانية الفاضلة ، وكان شعاره الموحد لابنائها الوحدة فى التوجه الى الله والاخلاص له وتلقى دعوته فافرح عليهم وحدة العقيدة ووحدة العبادة ووحدة السلوك ووحدة الاهداف ووحدة الرحم ، واخذ يتناديهم فى ذلك كله بندايات الهية كريمة

(يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة)
(يابنى آدم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى واصلاح
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) •

(يابنى آدم لايفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة)
(يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون)
وبذلك يكشف لهم الغطاء عن المعتصم الذى يتمسكون به ولا يحيدون عنه وهو بقوى الله والاتجاه اليه والاستعانة به فى تنفيذ اوامره والعمل بما وضعه من سنن فى سبيل اسعاد البشرية ورفيها •

ايها المؤمنون :

ان اخوة المسلمين ليست كلاما يقال وليست مواطن وامن ولكن نظام ثابت ومبدأ ملزم بتكافل المسلمين وتعاونهم فى السر واليسر وقد آخى عليه الصلاة والسلام بين المهاجرين والانصار فقدم الانصار المعونة للمهاجرين وآثروهم بالنفس والنفيس وكانت هذه الاخوة الصادقة حجر الاساس فى نصر الاسلام وعز المسلمين •

قال تعالى : (والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا او يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) •

وقد مرت بالمسلمين مواقف حاسمة وكانت وحدتهم فى لحظات الحرج وتعاونهم فى الشدة والضيق من اهم عوامل النصر •

فى حروب الردة ، فى فتح عمورية فى معركة حطين فى كفاح الجزائر فى العدوان على بور سعيد فى هذه الازمات ترابط المؤمنون وتعاون المسلمون فجاءهم النصر المبين (وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم) •

ان دعوة الاسلام دعوة انسانية عالمية لا تفرق بين لون ولون ، او جنس وجنس ، قال صلى الله عليه وسلم فى خطبة الوداع (ايها الناس ان ربكم واحد وان اباكم واحد ليس لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لايبض على احمر ولا لااحمر على ابيض فضل الا بالتقوى) •

وقد فتح الاسلام ابوابه لاهل الارض قاطبة واكد مساواتهم فى الحقوق والواجبات فهم جميعا امام الله سواء يتفاضلون عنده بالتقوى ويتركون

نوابه بالعمل الصالح ، قال تعالى (يا ايها الناس انا خلقتكم من ذكر
وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله
عليم خبير) .

موالاته الاعدا

يقول الله تعالى في كتابه الكريم .

(يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلحقون اليهم
بالوادة) حرص الاسلام على تقوية روابط المودة والمحبة بين المسلمين ووثق
اواصر الاخوة - والتعاون بين بنى الاسلام بعضهم بعضا وكانت اركان الاسلام
الخمس ، تأكيداً لمعاني الترابط والتآزر والتعاون .
فالشهادتان التقاء على اله واحد لا شريك له وايمان برسول واحد هو
خاتم الانبياء والمرسلين .

والصلاة فريضة يصطف فيها المسلمون خمس مرات في كل يوم وليلة
ويتجهون الى قبلة واحدة ويناجون الاله واحدا سميعا بصيرا مجيبا .
والزكاة - فريضة تحقق التكافل الاجتماعى والمشاركة بين الغنى
والفقير .

قال تعالى (وفي اموالهم حق للسائل والمحروم) الذاريات ١٩ .

والصوم - عبادة روحية وبدنية يحس فيها الغنى بجوع الفقير وترك
بها النفس وتشعر بالام الآخرين .

والحج - رحلة وسياحة ومؤتمر عام لأبناء الأمة الاسلامية يتدارسون
فيه امورهم ويقفون على اخبار اخوانهم ويرسمون خطة سيرهم ويؤدون
المناسك ويعظمون - الشعائر ويشهدون المنافع العامة لخير الاسلام
والمسلمين .

وهكذا ارشدت هداية السماء الى الاساس العملى لترابط المسلمين
ووحدتهم فكتابهم واحد ونبيهم واحد وقبلتهم واحدة وذمتهم واحدة .

قال صلى الله عليه وسلم « المسلمون عدول يسعى بدمتهم ادناهم وهم
يد على من سواهم » .

وفى سبيل ذلك طلب القرآن التضحية بالنفس والمال والولد (قل ان
كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقتسرفتوها
وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله
وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بامر الله لا يهدى القوم الفاسقين)
٢٤ التوبة .

وجعل الاخوة عنوانا لهذا الترابط وحرر من الاخلاف والنفوق وبدلك
تحقق للمسلمين شخصية بارزة لها هيبتها ومكانتها ، ولها سلطانها وآثارها .
وصونا لهذه الشخصية ان تخدم ، او تتعرض للضعف والانحلال ،
حرص القرآن الكريم في هدايته على التحذير الشديد مما يضعفها أو يفسدها
وكان ابرز ما حذر في هذا الشأن موالاة الاعداء الذين لا يؤمنون بتلك
الشخصية وقد جاء ذلك التحذير في جملة من السور بأساليب مختلفة ومعان
متعددة .

ففي سورة آل عمران (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم
لا يالونكم خيالا ودوا ما عنتم قد بدت البقضاء من افواههم وماتخفى صدورهم
أكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون) ١١٨ .

وفي سورة المائدة (ومن يتولهم منكم فإنه منهم ان الله لا يهدي القوم
الظالمين) ٥١ .

وفي سورة التوبة : (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم
أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان) ٢٣ .

وفي سورة الممتحنة (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء
تلقون اليهم بالوادة وقد كفروا بما جاءكم من الحق) ١ .

(ان يثقوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم أيديهم والسنتهم بالسوء
ودوا لو تكفروا) ٢ .

وتشير هذه الآيات الى ان ممن ينتسبون الى الاسلام ويلبسون ثوبه ،
فريقا تغلب على ايمانه مصالحه الشخصية فيلقى نفسه بين احضانهم
ويسارع الى موالاتهم والاندماج معهم والدخول في دائرتهم ، وان هذا الفريق
بعيد عن دائرة الاسلام خارج على وحدة المسلمين .

ولموالاته الاعداء صور والوان .

المعونة الفكرية بالرأى والتدبير موالاة للاعداء

والمعونة المادية بالبلد والانفاق موالاة للاعداء

وترويج سلمهم بالبيع والشراء ، تنمية لأموالهم وتثبيتا لأقدامهم في
بلاد المؤمنين في نفسه موالاة للاعداء .

والاقتدار بزخرف ثقافتهم ، وأن فيها ماء الحياة ، وتوجيه النشء
اليها وغرس عظمتها في نفسه موالاة للاعداء .

والعمل معهم في المصانع والمسكرات التي يهيئونها للنيل من المؤمنين
موالاته للاعداء .

والتناقل عن رد عدوانهم ومد يد المعونة الفعلية في كبح جماحهم موالاة للاعداء .

(ياايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اننا قلتم الى الارض - ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة العنيا في الآخرة الا قليل) النوبة ٣٨ .

أيها المؤمنون

فد تبين الرشد من الغي ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوعى لا انفصام لها والله سميع عليم .

القرآن والدعوة

تهبط على المسلمين نسيمات القبول في شهر رمضان فهو شهر أنزل الله فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .

كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعبد في غار حراء يتأمل في الكون وخالقه ويتفكر في الوجود وخالق الوجود متحيرا مما عليه قومه من عبادة الاوثان وقطيعة الارحام فاذا جاء شهر رمضان اخذ الزاد وذهب الى غار حراء يتعبد فيه الليالي ذوات العدد ثم يعود الى زوجته خديجة فيتزود لمثلها ، وبينما هو في خشوعه وتأمله نزل عليه الملاك جبريل فضمه الملاك ضما شديدا حتى بلغ منه الجهد والمشقة وقال جبريل اقرا ، قال النبي ما انا بقارىء (اى انا اُمى لا يعرف القراءة) فضمه جبريل مرة ثانية حتى بلغ منه الجهد والمشقة ليخلصه من شوائب الدنيا وأعراضها الزائلة وضمه مرة ثالثة ، وقال جبريل .

(اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) .

كان هذا اول ما نزل من القرآن يدعو الى الايمان بالله الخالق الرازق بيده المشيئة والهداية وبيده الخلق والامر واستمر نزول القرآن ثلاثة وعشرين عاما يجيب على اسئلة الكافرين ويثبت قلوب المؤمنين ويشرح عقائد الاسلام واحكامه ويحارب عبادة الاوثان والاصنام ويدعو الى الخير والعدل والاحسان بيد ان قلوب اهل مكة كانت اقصى من الجبال الراسيات قال سبحانه (لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) .

قص القرآن الكريم قصص الانبياء والمرسلين ليكون موعظة ومبصرة وليستلفت به انظار اهل مكة .

فهذا ابراهيم خليل الله يتأمل في الكون ويجد النجم بارزا فيتخذها
الاهة ويرى القمر ظاهرا ميتخذها الالهة ثم يرى الشمس اكبر نورا فيتخذها
الاهة .

ثم يقول ابراهيم النجم يغيب ، والقمر يغيب ، والشمس تغيب والاله
لا يغيب ، ومن ثم يتجه الى الاله الواحد الأبدى السرمدي قائلا :
(اتى وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنييفا وما انا من
المشركين) ٧٦ الانعام .

ويناقش ابراهيم قومه ويدعوهم الى الله ، وينفرهم من الاصنام التي
لا تسمع ولا تجيب ولا تضر ولا تنفع .

حتى اذا يش منهم اخذ فأسا وحطم الاصنام وترك الصنم الكبير فاذا
سأله قومه : (انت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم ، قال بل فعله كبيرهم هذا
فاسألوهم ان كانوا ينطقون ، فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون
ثم تكسبوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ، قال افتعبدون من دون
الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم اف انكم ولما تعبدون من دون الله افلا
تعقلون ، قالوا حرفوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين ، قلنا يا نازكوني
بردا وسلاما على ابراهيم) ٦٢ - ٦٩ الانبياء .

وهكذا ناقش القرآن اهل مكة مناقشة هادئة ووعظهم عن طريق قصص
الانبياء واخبار السابقين فان ذلك اوقع في النفس وادعى الى التأمل
والاستجابة .

(لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن
تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)
١١١ - يوسف .

نزل القرآن منجما على حسب الوقائع والحوادث تثبيتا للمؤمنين
وشرحا للمشركين واجابة على أسئلتهم : (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه
القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ، ولا يأتونك بمثل
الا جثثا بالحق واحسن تفسيراً) ٣٢ ، ٣٣ الفرقان .

كان ابو جهل قبحه الله - عدوا لنفسه وعدوا لمحمد - عليه السلام -
وكان فيه جبروت ولكنه جبروت ذليل ، لا يتماسك امام رغبة الحق ، فكان كلما
لقى النبي يتعبد بجوار الكعبة ناه عن عبادته وعن صلاته فشاهده مرة
يصلى فقال له الم انك عن صلاتك ها هنا ؟ فغلظ له النبي الرد وحذره
وتهدده فقال ابو جهل (يا محمد اتهددني وانا امر اهل الوادي ناديا ، فنزل
الوحي بقوله تعالى (ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى ؟ - ارايت ان كان على
الهدى او امر بالتقوى ، ارايت ان كذب وتولى ، الم يعلم بان الله يرى ، كلا

لئن لم ينته لنسفهم بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لا تطمعوا وأسجدوا واقتربوا) .

وبهذا سار القرآن مع المؤمنين ثلاثة عشر عاما في مكة وعشر سنوات في المدينة يؤازر جهادهم ويشرح غفيدتهم ويؤيد عملهم ويقوى يقينهم واقتبل المسلمون على القرآن قراءة وفهما يمثلون أوامره ، ويجتنبون نواهيه ، ويحلون حلاله ، ويحرمون حرامه ، وبذلك قويت روحهم بحياة القرآن وعظم يقينهم بطاعة الرحمن قال تعالى .

(وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تعلم ما المكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور) . ٥٢ ، ٥٣ الشورى .

القرآن والتعليم

حث القرآن على طلب العلم ودعا اليه اذ هو راس الفضائل ودليل المعرفة وسبيل الى الخير ، قال تعالى :

(وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) ، وقال سبحانه (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات) .

يكفى ان نعلم ان اول آية نزلت من كتاب الله تعالى كانت دعوة الى القراءة والتعليم فقال سبحانه :

(اقرا باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرا وربك الاكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم) .

وروى الامام احمد وابن حبان والحاكم وصححه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضد بما يصنع) وفي صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة) .

وفي الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ حين بعثه الى اليمن : (لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها) .

وفي صحيح مسلم (اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) .

وقد جعل الاسلام طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ففرض تعلم العلم والعمل به على الرجال والنساء وكان عليه الصلاة والسلام يجعل

يوما للنساء يعظهن ويعلمهن أمور الدين ومعرفة الله واحكام العبادات والمعاملات حتى- كان عمر بن الخطاب يخطب فردت عليه امرأة فقال عمر أصابت امرأة واخطأ رجل .

ان اقبال الطلاب على العلم واجتهادهم وتفوقهم في تحصيله يعد عبادة عملية وقربى دينية ومروضة لله ورغبة في بناء صرح الوطن .
ومن أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ومن ارادهما معا فعليه بالعلم .

فالعلم خير من المال العالم حاكم والمال محكوم عليه والعلم يزكو بالانفاق والمال ينقص بالانفاق .

قال الامام على رضى الله عنه :

ما الفخر الا لأهل العلم انهم على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففر بعلم تمش حيا به أبدا الناس موتى وأهل العلم أحياء

ان تعلم جميع العلوم والفنون يؤدي الى تماسك الأمة وترباطها وهلو شأنها ومن الطبيعى أن تتخصص فئة في معرفة علوم الدين وفئة أخرى في معرفة العلوم الانسانية وفئة ثالثة في معرفة العلوم العملية وبذلك يتكامل العلماء ويصبح العلم مصدر قوة ومهزة ، وسلامة للدنيا والآخرة ومن دعاء المؤمنين : (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) .

حفظ النفس

قال تعالى (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا) . الاسراء ٣٣
خلق الله الانسان بيده ، وصوره فاحسن صورته ، ونفخ فيه من روحه وجعله جميل القوام ، بديع التركيب قال تعالى : (يالايها الانسان ما غرك بربك الكريم ، الذي خلقك فسواك فعدلك ، في اى صورة ما شاء وركبك) الانفطار ٦ - ٨ .

لقد خلق الله الانسان سوى الأطراف قائما على قدميه ومنحه العقل والتفكير والادراك والاختيار ، وجعل له السمع أذنين ، وللنظر عينين ، وللبلش يدين ، ولسانا وشفتين ، وهده النجدين وبين له الطريقين .
تقول مجلة العلوم الانجليزية : ان يد الانسان في مقدمة المعجائب الطبيعية الفذة ، وانه من الصعب ، بل من المستحيل ان يبتكر آلة تضارع اليد البشرية من حيث البساطة والقدرة وسرعة التكيف .

وان جزءا من اذن الانسان (وهو الاذن الوسطى) هو سلسلة من نحو اربعة آلاف قوس دقيقة معقدة متدرجة بنظام بالغ في الحجم والشكل تشبه آلة موسيقية .

ومركز حاسة الابصار في العين التي تحتوى على مائة وثلاثين مليوناً من مستقبلات الضوء وهى اطراف الأعصاب وبفوم الجفن ذو الأهداب بحمايتها أما السائل المحيط بالعين الذى يعرف باسم الدموع فهو أقوى مطهر (١) .

هذا الانسان الذى خلفه الله فى احسن تعويم . هو بنىان الله وصنعتة البديعة وفى الحديث الشريف (الانسان بنىان الله ملعون من هدم بنىان الله) . وقد حرم الله قتل النفس الا بالحق ، والقتل بالحق يكون فى ثلاثة مواضع ، قال صلى الله عليه وسلم : (لا يحل دم امرئ مسلم الا فى احدى ثلاث :

(الشيب الزانى والنفس بالنفس ومن بدل دينه فاقتلوه)

وجعل الله لولى المقتول الحق فى الفصاص أو احد الدبة أو العفو لأن ولى المقتول اذا أحس أن هناك عدالة تقتض له هدأت نفسه وأمنع عن الاخذ بالثأر ولأن القاتل اذا تأكد من القصاص فكر كثيرا قبل أن يقدم على فعلته ، قال تعالى (ولكم فى القصاص حياة) .

الصراط المستقيم

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم : (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون) .

أيها المؤمن ، الاستقامة على الطريق المستقيم دليل النجاة ، وآية السعادة ، وباب الفوز فى الدنيا والآخرة .

جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله قل لى فى الاسلام قولاً وأقلل فيه لعلى أعيه .

فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : قل آمنت بالله ثم استقم .

فهذه بلاغة النبوة وجوامع الكلم ترشد الى أن للسعادة الحققة ركنين أساسيين الايمان بالله ، والاستقامة فى الحجة .

والايمان بالله سبحانه يستتبع الايمان بشرعه وهديه وأنبيائه ورسله وكتبه واليوم الآخر .

(١) الله والعلم الحديث . للإستاد عبد الرازق نوفل .

قال تعالى : (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير) البقرة / ٢٨٥ .

والاستقامة في الحياة تشمل أداء الواجبات وترك المنهيات واتباع الدين والاقتداء بسيد المرسلين والمؤمن يقرأ الفاتحة في صلاته كل يوم سبع عشرة مرة ، وفيها يردد قوله تعالى : (اهتدوا الصراط المستقيم) .

فما هو الصراط المستقيم ؟

الصراط المستقيم : هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف . وقد كثر كلام المفسرين في المراد بالصراط المستقيم :

قال ابن عباس : الصراط المستقيم هو الاسلام .
وقال الامام علي : الصراط المستقيم هو كتاب الله تعالى .

وقال ابو العالية : الصراط المستقيم هو الطريق القويم ، والمعنى وفقنا الى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه من بعده أبو بكر وعمر . وكل هذه الاقوال تلتقى على ان معنى الصراط المستقيم هو جملة ما يوصل الناس الى سعادة الدنيا والآخرة من مفائد وآداب واحكام . وهو سبيل الاسلام الذي ختم الله به الرسالات السماوية وجعل القرآن دستوراه الشامل ، ووكّل الى محمد صلى الله عليه وسلم تبليغه وبيانه .

فالاسلام والقرآن والنبي محمد يطلق عليها الصراط المستقيم ، لأن الاسلام دعوة هادية ، والقرآن كتاب حق وهداية ، والنبي محمد مبين للقرآن وشارح لاعماله ، وهو التطبيق الحي والأسوة العملية ، سئلت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : كان خلقه القرآن .
أيها المؤمن ،

ان لنا في رسول الله أسوة حسنة ، وان علينا ان نتبع هديه وان تقتدى بسنته وأن نعترف من رحيق تعاليمه ، فقد ختم الله به الرسالات وأرسله كافة للناس بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وأنزل عليه القرآن هدى ورحمة فيه قصص السابقين وخبر اللاحقين ، وحكم ما بين المؤمنين :

(ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوام ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا ، وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما) الاسراء / ٩ ، ١٠ .

هدانا الله وإياكم الى الصراط المستقيم ، ووفقنا الى مرضاة الله رب العالمين .

الثبات في المحنة

يقول الله تعالى في كتابه الكريم : (يا ايها الذين آمنوا خلوا حذرکم فانفروا ثبات او انفروا جميعا) النساء / ٧١ .

كتب الله علينا الجهاد ، وجعله بابا من ابواب الجنة وطريقا من طرق السيادة والعزة وسبيلا الى حماية العقيدة والدفاع عن المقدسات والدود من الحمى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع الحسنيين) العنكبوت / ٦٩ .

وقد جعل الله الحياة ميدانا للخير والشر ، والنور والظلام والليل والنهار والشدة والرخاء ، والعسر واليسر (ونبلوكم بالشر والخير فتنة ، والينا ترجعون) الانبياء / ٣٥ .

وكما يوضع الذهب الابريز في النار ، فيبرز معدنه وتظهر ميزته ، فان الشدائد والمحن تظهر رجولة الرجال وعزم الأباة وصدق المؤمنين ، قال تعالى (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ، ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم ان الله كان عفورا رحيفا) الاحزاب / ٢٣ ، ٢٤ .

وفي تاريخ البشرية الطويل وقف المؤمنون المخلصون وقفات خالدة ، أشد رسوخا من الجبال الراسيات دفاعا عن العقيدة والمثل ، ولم يكن الانبياء والمرسلون الا نماذج عالية ، ومعالم هادية في الثبات على العقيدة ، وقوة الصبر والاحتمال . قال تعالى (فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم ، كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يفتشوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون) الاحقاف / ٣٥ .

وحفظ تاريخ الاسلام امجادا سطرت بحروف من نور ، وكان صمود الرجال فيها من أسباب صيانة الحق والخير واندحار الباطل والشر ، قال تعالى (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق) الانبياء / ١٨ وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، ارتد كثير من الناس عن الاسلام ومنع بعضهم الزكاة ولم يثبت على دينه الا اهل المدينة وقريش بمكة وثقيف بالطائف وبعض المؤمنين وما هو الا ان شرح الله صدر ابي بكر فارسل الجيوش لقتال المرتدين ومانعى الزكاة فدحروهم وهزمهم ونصر الله الحق واهله وخذل الباطل واهله (قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد) سبأ / ٤٨ ، ٤٩ .

وظل الزحف الاسلامي المقدس يغالب قوى الشر والظلم فيصرمها واحدا تلو الآخر . وتقدمت الجيوش الفاتحة تحمل كتاب الله ونور الاسلام

وهدى النبوة وقوة الحق وصدق العقيدة ، ويحدثنا التاريخ ان المسلمين عندما توجهوا لغزو الروم ارسل ملك الروم في طلب مندوب من جيوش المسلمين ليحادثه . فدخل عليه عبادة بن الصامت ، وكان عبادة اسود الوجه مريض المنكبين طويل القامة وقد كساه جلال الاسلام هبة ووقارا ، وارتاع ملك الروم من منظر عبادة ، وحاول ان يطلب مندوبا غيره فاصر الجيش الا يتكلم عنه الا عبادة فقال ملك الروم لعبادة لقد كنتم معشر العرب اذل الناس نستأجركم لرعاية تجارتنا وحراسة قوافلنا الا انا جمعناكم وتركناكم تجارتكم على حمانا وقدمتم بلادنا وان لدينا من الجيوش ما يفوقكم في العدة والعدد ولا طاقة لكم بحربنا وانا نقبل ان ترجعوا عنا ونجعل لكل واحد منكم جملا ولأميركم جملا .

فقال عبادة ، ايها الملك لقد كنا كما تقول حفاة ضعافا حتى ارسل الله الينا رسولا منا يأمرنا بالحق والعدل والمعروف والصدق وينهانا عن الفحشاء والمنكر فأمننا به وصدقناه فأزرننا الله به ، وخرجنا نبشر بهذا الدين وندعوا الناس اليه . واما ماخوفنا به من كثرة جيوشكم فان ذلك والله ارفع لنا في قتال أعدائنا فما خرج واحد منا وهو يود ان يرجع الى اهله او بلده بل يتمنى ان يرزقه الله الشهادة في سبيله . وانا ندعوكم الى الاسلام فان أبيتم فالجorie ، فان أبيتم كان السيف والقتال ، ثم قال ملك الروم هذا الذي راى منظره ، ثم روعى حديثه ، وان صح مايقولون فسيملكون مائحت قدمي هاتين .

وصح قول عبادة وهزم ملك الروم وفر الى سوريا ثم لاحقته جيوش المسلمين فاتحة منتصرة ، فقال ملك الروم سلام عليك يا سوريا سلاما لالقاء بعده .

ايها المؤمنون ،

ظهرت رجولة الرجال وبرز ايمان المؤمنين في احلك ساعات الشدائد والمحن في حروب الردة ، في حصار القسطنطينية ، وفي فتوحات الاسلام الخالدة ، في موقعة حمورية ، في معركة حطين ، وفي كفاح الجزائر ، الا وان رحى الحرب دائرة والايام دول ، والنصر مع الصبر ، والحزم والعزم ، فاشحدوا همتمكم وامضوا في عزيمتكم (واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير) الحج / ٧٨ .

نعم الله

اذا تأمل الانسان في نعم الله عليه وجدها اجل من ان تحصى وأكثر من ان تعد ، قال تعالى : (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) . ابراهيم / ٢٤
لقد خلق الله الانسان في احسن تقويم وشق له للنظر عينين وللسمع

اذنين وللبطش يدين ، وللمشى رجلين وهده التجدين وبين له الطريقين .
قال تعالى : (هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا . انا
خلقنا الانسان من لطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا ، انا هديناه
السبيل اما شاكرا واما كفورا) . الانسان / ١ - ٣

وواجب الانسان ازاء هذه النعم ان يشكر المنعم سبحانه وتعالى . فمن
شكر النعمة زاده الله فضلا وعزا ومن جحد النعمة واستغفلها في الفساد
والافساد فانه يلقي جزاءه في الدنيا وله في الآخرة عذاب شديد . قال تعالى :
(واذا تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد)
ابراهيم / ٧ .

أيها المؤمن :

ان الحياة رسالة ينجح فيها المؤمنون ، ويفشل فيها الخاسرون . قال تعالى
(افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لاترجعون فتعالى الله الملك الحق
لا اله الا هو رب العرش الكريم) المؤمنون / ١١٥ - ١١٦ .
خلق الله الحياة للامتحان والابتلاء . قال تعالى (الذي خلق الموت
والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا) الملك / ٢ .

وجميع ما على وجه الأرض من جاه ومال ومتاع اما هو مادة ذلك
الابتلاء . قال تعالى : « انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهن ايهم احسن
عملا » الكهف / ٧ .

والانسان هو المخلوق الوحيد الذي كرمه الله واسجد له الملائكة وسخر
له الليل والنهار والشمس والقمر والسماء والأرض والافلاك والبحار ،
والفضاء والهواء . قال تعالى (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر
والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)
الاسراء / ٧٠ .

الانسان هو المخلوق الوحيد الذي تحمل الأمانة وميزه الله بالعقل
والتفكير والإرادة فاذا حفظ الانسان الامانة واستقام على الطريق القويم كان
من اجتباهم الله وقربهم ، واذا خان الانسان الامانة وعاث في الأرض فسادا،
فحكمته شهواته واسلم قياده لنزواته طمس الله على بصيرته ، فصار لا يسمع
دعاء الهدى ولا يبصر طريق النور ، قال تعالى : (افرايت من اتخذ الهه هواه
واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن
يهديه من بعد الله افلا تذكرون) . الجاثية / ٢٣ .

أيها المؤمن :

لقد بين الله طريق الهدى وطريق الضلال وجعل عونه وفضله للمهتدين
وأعد عقابه للجاحدين لكنه أخر العقاب حتى ينفى الناس الى ربهم ويتوبوا

الى خالقهم فمن تاب اليه قبل توبته ومن رجع اليه فتح له بابه . وصدق الله العظيم : (قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) . الزمر / ٥٣

القرآن واليهود

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) .

من رحمة الله بخلفه وتمايم نعمته على عباده ، ان ارسل اليهم الرسل وانزل عليهم الكتب في اجيال متعاقبة لهداية الناس الى الدين الحق وارشادهم بالبراهين الساطعة والادلة الفاطمة الى العقيدة الصحيحة التي تقوم على الايمان بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر ، فجميع الرسل كانت دعوتهم الى الله وحده : (اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا) .

وجاء الاسلام خاتما للرسالات وكان محمد صلى الله عليه وسلم خامسا للرسول الكرام عليهم السلام ، ولا يتم ايمان المسلم الا اذا آمن بجميع الانبياء والمرسلين ، ولقد حفل القرآن الكريم في كثير من سوره ، باحداث اليهود قديما في عهد موسى وهارون كما قص علينا كثيرا من صفاتهم والوانا من اخلاقهم ، يندى لها جبين الانسانية في كل زمان فلقد طلبوا من موسى بعد نجاته من فرعون وبطشه ، وبعد ظهور المعجزات على يديه ان يصنع لهم صنما يعبدونه ويخافونه ويرجونه ، قال تعالى .

(وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ، قال انكم قوم تجهلون ، ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون) .

نفسية وضيفة لا تريد ان ترتفع الى عالم الروح والحق انما تهبط بطبيعتها الى عالم المادة الحالك السواد ، وحين حاول موسى اقناعهم بوجود الله الذي انجاهم من فرعون وتفضل عليهم بضروب النعم المختلفة ، قالوا ارنا الله جهرة حتى اذا ذهب موسى الى ميقات ربه حنوا الى طبيعتهم المادية المظلمة وعبدوا عجلا جسدا له خوار وبعد رجوع موسى بالتوراة التي فيها حكم الله ، لم يرموا حقها ، ولم يؤدوا احكامها بل اعتدوا في السبت (فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) وظلموا انفسهم وغيرهم وصدوا عن سبيل الله واخذوا الربا واكلوا اموال الناس بالباطل ، فحرم الله عليهم بعض ما كان قد احل لهم من الطيبات في الدنيا واعد لهم عذابا اليما في الآخرة ، قال تعالى (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن

سبيل الله كثيرا ، واخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما) .

وهكذا يقص القرآن ويحكى التاريخ من جرائمهم ومنكر أخبارهم مالا يشرف أمة ندعى كدبا وزورا انها شعب الله المختار وتقول نحن أبناء الله واحباؤه فنظرة واحدة الى تاريخهم الطويل تدلنا في غير خفاء الى صفاتهم المرذولة الممقوتة ، فهم الجبناء على مدى التاريخ (لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة او من وراء جدر) ومن قبل ذلك قالوا لموسى (اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) ، وهم الجشعون المحبون لجمع المال من كل السبيل وهم الموزعون في الأرض الأذلاء في كل دولة المبغضون الى كل أمة لا يعول لهم شأن ولا يظهر لهم كرامة الا بمساندة غيرهم لتتم العبرة للمؤمنين ،

او بقوة من الله ليفتنوا فيستحقوا غضب الله وعذابه ، ولم يذكر التاريخ لهم عزة ذاتية ولا كرامة نفسية ، وصدق الله العظيم (ضربت عليهم الذلة اينما نفقوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)

هكذا كان اليهود ، جماعة ذليلة موزعة في الأرض ، وقد أقامت في يثرب ، مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، جماعات منهم ، ولما هاجر المسلمون الى المدينة وصارت دار الاسلام الاولى اراد الرسول أن يتفرغ لتربية المؤمنين على فاضل الصفات وعظيم الخلال وللدعوة المشركين الى الإيمان بالله حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

ف عقد مع هؤلاء اليهود معاهدة تنص على مبادئ الحرية الدينية والمسالمة وحسن الجوار والتعاون على دفع كل اذى يلحق بالمدينة ، التي صارت دارا للمسلمين واليهود على السواء .

وكعادة اليهود في الغدر ونقض العهد نقض اليهود عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن أمام المسلمين في سبيل تثبيت دعوتهم وحماية دينهم وحياتهم - طريقا أفضل من جعل المدينة دارا خالصة للاسلام والمسلمين .



وفي ثلاث مواقع تطهرت مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم من رجسهم ونزلت سورة الحشر في بنى النضير (هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدى المؤمنين فاعتبروا يااولى الابصار) .

وفي بنى قريظة وهم آخر من بقى من اليهود بالمدينة نزل قوله تعالى
 في سورة الاحزاب (وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيصهم
 وفذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا واورثكم ارضهم
 وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤوها وتان الله على كل شيء قديرا) وهكذا
 انتهت حياة اليهود في مدينة الاسلام الاولى .



وقد بليت الأمة العربية في هذا العصر ، بدولة العصابات في اسرائيل
 وطباعهم كطباع اسلافهم في الخيانة والفدر والنفاف والختل (لتجندن اشد
 الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشرکوا) .



وفي سياسة الرسول معهم لنا اسوة حسنة ، بل انه بشرنا بالنصر
 عليهم كما روى البخاوى في صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 (لن تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود فيختبئ احدهم وراء الحجر فيقول
 الحجر يا عبد الله هذا يهودى ورائى فاقتله) .

من ادب سورة الحجرات

سورة الحجرات سورة مدنية ورغم أن آياتها لا تتجاوز ثمانى عشرة
 آية الا ان السورة تضمنت آدابا سامية وحقائق كبيرة من حقائق العقيدة
 والشرعية ، ومن حقائق الوجود والاسسانية حقائق تفتح للقلب وللعقل
 آفاقا عالية ، وآمادا بعيدة ، وتثير في النفس والذهن خواطر عميقة ومعانى
 كبيرة ، وتشمل من مناهج التكوين والتنظيم ، وقواعد التربية والتهذيب
 ومبادئ التشريع والتوجيه ، ما يتجاوز حجمها ، وعدد آياتها مئات المرات .

وأول ما يبرز للمنظر عند مطالعة السورة ، هو أنها تكاد تستقل
 بوضع معالم كاملة ، لعالم رفيع كريم نظيف سليم ، متضمنة القواعد والأصول
 والمبادئ والمناهج التى يقوم عليها هذا العالم ، والتى تكفل قيامه أولا ،
 وصيانتة أخيرا . عالم نقى القلب نظيف المشاعر ، عف اللسان ، وقبل
 ذلك نقى السريرة .

عالم له ادب مع الله ، وادب مع رسوله ، وادب مع نفسه ، وادب
 مع غيره ، وفي الوقت ذاته له شرائعه المنظمة لأوضاعه ، وله نظمه التى
 تكفل صيانتة .

تبدأ سورة الحجرات بهذا النداء

(يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله
 سميع عليم) .

فتنادى المؤمنین بصفة الايمان الذى حبه الله اليهم وزينه فى قلوبهم اختيارا لهم ومنه عليهم ، وتحثهم على تقديم امر الله وأمر رسوله على رايهم ، وننهاهم عن النعدى على أحكام الله ، وقال الطبرى فى تفسير الآية : يا ايها الدين أقروا بوحدانية الله ونبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) اى لا تعجلوا بقضاء امر فى حروبكم أو دينكم قبل أن يقضى الله لكم ورسوله فتقضوا بخلاف امر الله وأمر رسوله .

وقال مجاهد : لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء حتى يقضى الله تعالى على لسانه .

وقال ابن عباس : لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة

وفى الآية أدب نفسى مع الله ورسوله وفيها منهج فى التلقى والتنفيذ وهو أصل من أصول التشريع والعمل فى الوقت ذاته وهو منبثق من تقوى الله وراجع اليها هذه التقوى النابعة من الشعور بأن الله سميع عليم وكل ذلك فى آية واحدة قصيرة نلمس وتصور هذه الحقائق الأصيلة الكبيرة .

الطاعة

قال تعالى : (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) البقرة / ٢٨٥ .

هذه الآية والتى بعدها حتام سورة البقرة وهى أطول سورة فى القرآن وتسمى الزهراء الاولى .

وقد رسم للمسلمين حياتهم وبينت تشريعاتهم ، وفى ختام السورة تلخيص لأصول الايمان :

انه الايمان الذى ينبع من قلب الرسول الكريم ويشترك معه المؤمنون فى هذا الايمان وهذا تشریف لهم . ومن أصول هذا الايمان : الايمان بالله ربا وخالقا ورازقا ومشرعا بيده الخلق والامر ، والايمان بالملائكة ، وهم عباد مقربون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . والايمان بكتب الله ورسله : بالتوراة والانجيل والزبور والقرآن : ويرسل الله اجمعين ، وبأنهم هداة البشرية ، وحملة الخير والنور للانسانية وبذلك تمتد جذور الايمان الى اصول عميقة تتلاقى على الايمان بالرسول والكتب ، ويكون الرسل جميعا أئمة هدى ودعاة اصلاح يشتركون فى بناء الايمان وارساء قواعده كما ورد فى الحديث الصحيح : « انما مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى دارا فاتمها واكملها الا موضع لبنة فجعل

الناس يقولون ما احسن هذه الدار لو وضعت هذه اللبنة فانا هذه اللبنة وانا خاتم الرسل » .

ومن سمات هذا الايمان السمع والطاعة لامر الله ورسوله فلا اسلام بلا طاعة لامر الله ، وانفاذ لمنهجه في الحياة ، ولا ايمان حيث يعرض الناس عن امر الله في الكبره والصغيرة من شئون حياتهم ، او حيث لا ينفذون شريعته ، او حيث يتلفون تصوراتهم عن الخلق والسلوك والاجتماع والاقتصاد والسياسة من مصدر غير مصدره ، فالايمان ما وقر في القلب وصدقة العمل .

ومع السمع والطاعة لامر الله يكون الشعور بالتقصير والطمع في رحمة الله العلى القدير ، فيقولون : **غفرانك ربنا واليك المصير)** .

والايمان بالبعث والحشر والجزاء جزء من عقيدة المسلم الذى يؤمن بالله خالقا ورازقا ، خلق الانسان بيده ونفخ فيه من روحه وسخر له الكون كله ورسم له منهج السلوك والعبادة وشرع له العبادات والمعاملات رحمة به في الحياة والممات . ثم ان المصير والمرجع الى الله (وان الى ربك الرجعى) (ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون) .

وبذلك يتلاقى البدء والمعاد في تصور المؤمن ويمتد ايمانه الى جميع الرسل ، ثم يمتد اعتقاده بان المصير الى الله والمرجع اليه والجزاء العادل منه . (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) .

التسامح

قال تعالى : (فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين) آل عمران / ١٥٩ .

كان صلى الله عليه وسلم سمحا سهلا مؤالفا محبا حباه الله بالخلق الجميل وميزه بمكارم الأخلاق .

وكان النبی مع اصحابه كاحدهم لا يتميز عليهم ، وفي هذه الاية يذكره الله بنعمته عليه وعلى المسلمين ان جعل قلبه رحيمًا بهم لينا معهم ولو كان فظا غليظ القلب لنفروا منه وشردوا . . ذلك ليستجيش هذه الرحمة الكامنة في صدره - عليه الصلاة والسلام - فتغلب ما في نفسه منهم . . ثم يدعوهم ان يعفو عنهم ويستغفرلهم ويشاورهم في الامر كما كان يشاورهم ، حتى اذا اعتزم بعد المشاورة لم يتردد ومضى متوكلا على الله لا يتلفت .

(فيما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من

حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين) .

وهكذا يقرر الاسلام مبدأ الشورى في الحكم حتى ومحمد الرسول هو الذى يتولاها وهو نص جازم قاطع ، لا يترك للامة الاسلامية شكاً في أن الشورى مبدأ أساسى من مبادئ الحكم في الاسلام .

اما كيف تتم هذه الشورى ، فذلك متروك لمقتضيات الحياة ، واختيار الامة المسلمة حسبما تراه .

السحر في القرآن

قال تعالى : (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولوا انما نحن فتنه فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ، ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون ، ولو انهم آمنوا واتقوا لثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ، يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم ، ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) البقرة ١٠٢ - ١٠٥ .

المفردات

(تلو) أى تقرأ أو تتبع يقال تلاه يتلوه تلاوة أى قرأه ، وتلاه يتلوه تلاوا أى تبعه . (ببابل) بابل مملكة قديمة كانت بالعراق . (هاروت وماروت) اسما ملكين هبطا من السماء الى الأرض لتعليم الناس السحر ابتلاء من الله للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة ، وهذا بعيد عن العقل وأحسن منه ما قيل من أنه عنى بالملكين رجلين صالحين سماهما ملكين لصلاحيهما (فتنه) أى اختبار وابتلاء ، والفتنة أيضا الضلال والاثم والفكر والفضيحة والعذاب والجنون واختلاف الناس في الآراء وما يقع بينهم من الاضطراب ، فعلة فتن يفتن فتنه ، وفتنه الشيء أعجبه ، وأفتن فلانا أوقعه في الفتنة وفتن في دينه وافتتن مال عنه ، (بضارين) بضرين يقال ضاره مضارة وضاروا ضره وآذاه . (خلاق) أى نصيب . (شروا) هنا بمعنى باعوا . فان فعلى شرى وباع يؤدى أحدهما معنى الآخر (لثوبة) أى لثواب ، والثواب ما يرجع الى الانسان من جزاء عمله (راعنا) راقبنا .

معنى الآيات

تحدثت الآيات السابقة عن اليهود فوصفتهم بالفدر ونبد العهد والمواثيق .

واضافت هذه الآيات الى اليهود أنهم نبذوا كتاب الله ليجروا خلف أساطير غامضة لاتستند الى حقيقة ثابتة . لقد تركوا ما أنزل الله من القرآن مصدقا لما معهم ، وراحوا يتتبعون ما يقصه الشياطين عن عهد سليمان وما يضللون به الناس دعاوى مكذوبة عن سليمان ، اذ يقولون : انه كان ساحرا، وانه سخر ما سخر عن طريق السحر الذى كان يعمله ويستخدمه .

والقرآن ينفى عن سليمان — عليه السلام — انه كان ساحرا فيقول — وما كفر سليمان — فكانه يعد السحر واستخدامه كفرا ينفيه عن سليمان — عليه السلام — ويثبته للشياطين : (ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) .



لقد انهك اليهود في اتباع ما كان يقرأه الشياطين على عهد ملك سليمان من السحر يعلمونه للناس افسادا لهم وابعوا أيضا ما أنزل على الرجلين الصالحين بابل من الامور السحرية مع انهما كانا اذا علما أحدا حذراه من استخدامه في الايذاء وقالوا له انما هو امتحان للناس فلا تفكر بالله بسببه ، فكان الناس يتعلمون منهما ما يفرقون به بين الزوجين ، وما هم بمؤذين به من أحد الا باذن الله وقد علموا أن من تجرد لهذه الأمور المؤذية ماله في الآخرة من نصيب .

ولو أن هؤلاء الذين يتعلمون السحر آمنوا وخافوا الله لاثابهم جزاء اعمالهم مثوبة أفضل مما شغلوا أنفسهم به .



يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا لرسول الله راعنا بل استعصوا عنها بقولكم انظرونا ، واسمعوا ما يقال سماع قبول ، وللكافرين عذاب اليم ، وقد أبدل الله بقولهم (راعنا) قولهم (انظرونا) لأن اليهود لما سمعوا الصحابة يقولونها للنبي صلى الله عليه وسلم وراوا أن هذه الكلمة توافق كلمة سب في العبرية أخذوا يقولونها بتلك النية .

ثم أخبر الله المؤمنين بأن أعداءهم من المشركين والذين كفروا من أهل الكتاب لا يحبون أن يتتابع نزول وحى السماء عليهم حقدا على المسلمين أن يختارهم الله لهذا الخير وينزل عليهم القرآن ويحبوهم بهذه النعمة ويعهد اليهم بأمانة العقيدة في الأرض وهى الأمانة الكبرى فى الوجود .

والله أعلم بمن يستحق الخير فهو يختص محمدا بالرسالة والمؤمنين به بالهداية لانهم أهل لهذا الاختصاص .

والله ذو الفضل العظيم وهو صاحب المنة والعطاء فهو يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ، وليس أعظم من النبوة والرسالة ، وليس أعظم من نعمة الايمان والدعوة اليه .

وفي هذا رد على اليهود الذين حقدوا على العرب المسلمين أن يختار الله محمدا من بينهم فيبين القرآن ان الرسالة فضل من الله يؤتیه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

قال تعالى (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما ، فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا) النساء / ٥٤ ، ٥٥ .

ويقول صاحب الجوهرة :

ولم تكن نبوة مكنسبـه ولو رقى في الخير أعلى عقبه
بل ذاك فضل الله يؤتیه من يشاء جل الله واهب المنن

باب السعادة

قال تعالى : (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليهما ، ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون والذين عقدت إيمانكم فآتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شيء شهيدا) . النساء ٣٢ ، ٣٣

شرح المفردات :

الموالى جمع مولى وهو بمعنى الولى ، أى الذى يتولى غيره أو يتولاه غيره ، كقوله تعالى : (الله مولى الذين آمنوا) ، أى وليهم ، ويقال للعبد هذا مولى فلان ، ويقال لسيده مولى كذلك ، لان كليهما يتولى الآخر . ومعنى قوله تعالى ولكل جعلنا موالى أى لكل انسان جعلنا ورثة يرثونه . (والذين عقدت إيمانكم) أى والذين ربطت إيمانكم . والمراد بهم أحلاف الرجال ، فقد كان من عادة العرب أن يتحالف الرجل مع رجل آخر على تبادل النجدة والمعونة في مهام الحياة ، وكان الحليف يرث سدس مال حليفه وفي هذه الآية حث على ابتاء الحليف حقه من الميراث ، ولكن نسخ هذا بقوله تعالى (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض) .

التفسير :

(ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض . للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن ، واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليهما) .

وردت روايات كثيرة في سبب نزول هذه الآية ..

فقد قال الرجال : نرجو ان يكون اجرنا على الضعف من اجر النساء كالميراث . وقالت النساء يكون وزننا على نصف وزن الرجال كالميراث .

وعن مجاهد قال : قالت أم سلمة : يارسول الله تغزو الرجال ولا تغزو، وانما لنا النصف من الميراث فأنزل الله تعالى : (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) .

وعن مكرمة ان النساء سالن الجهاد فقلن وددنا ان الله جعل لنا الغزو فنصيب من الأجر ما يصيب الرجال ، فأنزل الله هذه الآية .

والآية توحى بان فريقا من الرجال والنساء تمنى بعضهم نصيب الآخر . والارجح ان يكون النساء هن اللواتى تمنين فضل الرجال عليهن في الميراث وفي غنائم الحرب .. ولبس لهن فيها نصيب ، لانه ليس عليهن جهاد .

ولكن العبرة بعموم النص لا بخصوص السبب ، والنص هنا عام بنهى من تمنى ما في ايدي الآخرين من فضل ، ويامر بالتوجه الى فضل الله ، تكريما للنفس عن التطلع ، وتنقية للضمير من الحسد ، وبرئة للقلب من الحقد ، وتوجيها للفرد الى الله الذى لا تغلق خزائنه ولا تنفد .

وليس في هذا تحذير للفقراء ليتركوا الاغنياء وغناهم ، ويكتفوا بالتطلع الى رزق السماء ، انما المقصود هو صيانة ارواحهم من التهاوى والضعف ، ومن الحسد والحقد امام الثراء والاثرياء .. اما حقوق الفقراء في اموال الاغنياء فيكفلها لهم التشريع عن طريق آخر ، غير طريق التطلع والتمنى : والتمنى هو التطلع العاجز السلبي ، الذى لا يدفع الى جهد ولا محاولة .

واما الرغبة في الثراء عن طريق العمل ، فهى رغبة حميدة مشروعة ، لانها تدفع الى الانتاج والنماء والصلاح ، وهى ابتغاء فضل الله الذى لا يستحقه الا العاملون ، والله هو العليم بمداخل النفوس ومسارب الاحاسيس ، ومسالك الخير في الحياة (ان الله كان بكل شيء عليهما) .

واذا كانت المرأة لا ترث الا نصف الرجل . فلانها اذا كانت بنتا فهي في كفالة ابيها ، واذا كانت زوجة فنفتها ونفقة الاولاد على زوجها . فمن حكمة التشريع ان اعطاها من الميراث على قدر حاجتها واعطى الرجل على قدر تبعاته .

[illegible]

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْرًا شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ الَّذِي كَفَرُوا بِهِمْ وَيَعْلَمُ مَا هُمْ فِيهِ يَدْعُونَ

وَأَسْأَلُكَ (فِيهِ) أَنْ تَجْعَلَ مِنْ دُونِ الْإِنْعَامِ مَا تَنْفَعُهُ مَطَالِبُ
الْإِنْعَامِ وَأَنْ تَجْعَلَ مِنْ دُونِ الْإِنْعَامِ مَا تَنْفَعُهُ الْآخَرِينَ .
وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ مِنْ دُونِ الْإِنْعَامِ مَا تَنْفَعُهُ الْعِبَادَةُ .

فمنهم من ساء له بعداده خبير بصير)

[illegible]

مصالح الجمهور فعلى كل واحد أن يرضى بما قسم له علما بأن ما قسم له هو خير له ، ولو كان خلافه لكان وبالا عليه ، كما قال : (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض) .

وفي الكلمات القدسية : من استسلم لقضائي، وصبر على بلائي، وشكر نعمائي ، كتبته صديقا وبعثته يوم القيامة مع الصديقين ، ومن لم يرض بقضائي ، ولم يصبر على بلائي ، ولم يشكر على نعمائي ، فليخرج من أرضي وسمائي ، وليطلب ربا سواي .

قال المحققون لا يجوز للإنسان أن يقول : اللهم أعطني دارا مثل فلان ، وزوجة مثل زوجة فلان وإن كان هذا غبطة لا حسدا ، بل ينبغي أن يقول : اللهم أعطني ما يكون صلاحا لى في ديني ودنياي ومعاشي .
وعن الحسن لا يتمنى أحد المال فلعل هلاكه في ذلك المال .



وقيل في سبب نزول الآية ، أن وافدة النساء اتت الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت : رب الرجال والنساء واحد ، وانت الرسول اليها واليهن ، وابونا آدم وامنا حواء ، فما السبب في أن الله يذكر الرجال ولا يذكرنا فنزلت الآية ، فقالت وقد سبقنا الرجال بالجهاد فمالنا ؟

فقال صلى الله عليه وسلم : أن للحامل منكن أجر الصائم القائم ، وإذا ضربها الطلق لم يدر أحد مالها من الاجر ، فان أرضعت كان لها بكل مصة أجر احياء نفس .

(للرجال نصيب مما اكتسبوا ..) أى للرجال نصيب مما اكتسبوا بسبب قيامهم بالنفقة على النساء والنساء نصيب مما اكتسبن بحفظ فروجهن وطاعة أزواجهن والقيام بمصالح البيت ، فينبغي أن يرضى كل فريق بما قسم له (١) .

(ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والاقربون) ، موالى يرثون هؤلاء وهؤلاء ويؤول اليهم منهم ومنهن نصيب ، فلكل من الرجال والنساء حق في الكسب وحق في الارث فلا يتمن أحد ما فضل الله به بعضهم على بعض .
(والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم أن الله كان على كل شيء شهيدا) .

قيل ان هذا النص يشير الى ما كان في الجاهلية : ان يتحالف الرجل مع الرجل على تبادل النجدة على أن يرث الحليف السدس من الميراث .

وقيل : انه يشير الى ما كان في صدر الاسلام من المؤاخاة بين المهاجرين والانصار والتوارث فيما بينهم .. وذلك قبل ان يقصر الارث على ذوى القربى ..

ومعناه ان هؤلاء الذين قام بينكم وبينهم انفاق قبل قصر الميراث على الاهل ، عليكم ان توفوا لهم بنصيبهم وفاء بتلك الايمان (ان الله كان على كل شيء شهيدا) .

الاحسان في القرآن

قال تعالى في كتابه الكريم :

(قول معروف ومفطرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غنى حلیم ، يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالبن والأذى كالذي ينفق ماله رثاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثلته كمثله صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يفترون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين ، ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثله جنة بربوة اصابها وابل فآتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير) البقرة ٢٦٣ - ٢٦٥ .

قرر القرآن ان المال مال الله وان الرزق الذي في أيدي الواجدین هو رزق الله .

فحة القمح الواحدة قد اشتركت في ايجادها قوى وطاقات كونية من الشمس الى الأرض الى الماء والهواء ، وكلها ليست في مقدور الانسان ، وقس على ذلك نقطة الماء وخيط الكساء وسائر الاشياء . فاذا اعطى المحسن للفقير شيئا فانما اعطاه من فضل الله فينبغي الا يبطل صدقته بالبن والتناول على الفقير .

ويقرر القرآن ان الكلمة الطيبة والتسامح والمفطرة خير من صدقة يتبعها اذى وتناول على الفقير والمسكين ، (والله غنى حلیم) غنى عن الصدقة المؤذية ، حلیم يعطى عباده الرزق فلا يشكرون .

ثم يرسم القرآن مشهدا عجيبا ، او مشهدين عجيبين :

المشهد الاول مشهد القلب الجاحد الاصم الذي لا ينبض بقطرة من الرحمة ، فهو لا يؤمن بالله واليوم الآخر ، وانما ينفق ماله رثاء الناس وتظاهرا وطلبا للفخر والثناء بين الناس ، فهذا القلب أشبه بحجر صلد عليه تراب يغطيه ويحجب صلالته وقسوته وجذبه عن الناس . ثم امطرت السماء فتركت هذا الحجر عاريا مكشوبا ، لا ينبت ثمرا ولا يشمر خيرا .

أما المشهد الثانى فهو مشهد قلب المؤمن الذى يتحرك بذكر الله وينفق المال ابتغاء مرضات الله وطمعا فى النبات على الايمان ، هذا القلب الخير تمثله جنة خصبة عميقة التربة على ربوة مرتفعة من الأرض نزل عليها المطر من السماء فأحياها وضاعف انتاجها كما تحيى الصدقة قلب المؤمن فيزكو ويزداد صلة بالله ، (فان لم يصبها وابل) غزير من المطر (فطل) أى رذاذ قليل يكفيها وينمبها لأن تربتها طيبة .

وكذلك قلب المؤمن يستفيد بالصدقة ، ويستشعر مرضاة الله ويرجو ثوابه بعمله .. انه يعطى الله ، ولا يرجو الا ثواب الله .

(والله بما تعملون بصير) انه مطلع ومشاهد لحركات الجسم والنفس .

وفى الحديث الصحيح : سبعة يظلهم الله تعالى فى ظله يوم لا ظل الا ظله من هؤلاء السبعة : « رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه » .

(٩)

الحلال والمحرام

الحليل والتحريم

يقول الله تعالى في كتابه الكريم : (هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا)

البقرة / ٢٩

خلق الله الانسان وسخر له الليل والنهار والشمس والقمر ، والبحار والأنهار وأباح له الانتفاع بخيرات الأرض جميعها أكلا وشربا ولباسا وتداويا وركوبا وزينة ، وغير ذلك مما جعله الله رزقا حلالا لبنى آدم . وصدق سبحانه اذ يقول :

(ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) الاسراء / ٧٠

ومن هذا يتضح لنا نص الدليل القطعى على القاعدة المعروفة عند الفقهاء « أن الأصل فى الأشياء المخلوقة الإباحة » .

أى ان الله أباح منافع العالم عامة للانسان . قال تعالى :

(وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا) الجاثية / ١٣

وقال سبحانه : (وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها) النحل / ١٤ .

وقال سبحانه : (ويصل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث)

الأعراف / ١٥٧

والطيب من الأطعمة ما تستطيبه الاذواق وتستفيد منه فى التغذية النافعة ، والطيب من الأموال ما أخذ بحق وتراض فى المعاملة . والخبث

من الأطعمة ما تمججه الطباع السليمة وتستتقذره ذوقا كالميتة والدم المسفوح أو تصد عنه العقول الراجحة لضرره في البدن كالحم الخنزير الذى تتولد من أكله الدودة الوحيدة . والخبيث من الأموال ما يؤخذ بغير حق كالربا ، والرشوة والسرقة والخيانة والغصب والسحت قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله أن كنتم إياه تعبدون إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم) البقرة ١٧٢/ ، ١٧٣ .

قال الامام محمد عبده في تفسير المنار : « لا يفهم هذه الآية حق فهمها الا من كان عارفا بتاريخ الملل عند ظهور الاسلام وقبله ، فان المشركين وأهل الكتاب كانوا فرقا وأصنافا منهم من حرم على نفسه أشياء معينة بأجناسها أو أصنافها كالبحيرة والسائبة عند العرب وكبعض الحيوانات عند غيرهم . وكان البعض يتقرب الى الله تعالى بتعذيب النفس واحتقارها وحرمانها من جميع الطيبات المستلذة ، واحتقار الجسد ولوأزمه ، واعتقاد الا حياة للروح الا بذلك وأن الله تعالى لا يرضى منا الا احياء الروح » .

وقد تفضل الله تعالى على الأمة الاسلامية بجعلها أمة وسطا تعطى الجسد حقه والروح حقها . قال تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا البقرة / ١٤٣ . فأحل الطيبات ولتتسع دائرة نعمه الجسدية علينا ، وأمرنا بالشكر عليها ليكون لنا منها فوائد روحانية وعقلية ، فلم يجعل حياة الانسان لخدمة الجسم وحده كالأنعام ، ولا لخدمة الروح وحدها كالملائكة ، وإنما جعلنا بشرا نأكل الطعام ونتمتع بالطيبات ونؤدى حق الله . وفى الحديث الشريف : « ان لبدنك عليك حقا ، وان لزوجك عليك حقا ، وان لربك عليك حقا فاعط كل ذى حق حقه » .

أيها المؤمن :

ماحرم الله شيئا الا لضرره في الجسم أو العقل أو الدين أو المال أو العرض والضرر يختلف باختلاف الأشخاص والأوقات والأحوال، وقد يتخلف أحيانا اذ يكفى فى التحريم أن يكون ضارا فى الغالب ، فمن عمل عملا من شأنه الضرر فى الجسم فربما ينجو من ضرره بقوة مزاجه اذا هو لم يسرف فيه ، لكنه وشيك الوقوع فى الخطر ، بعيد عن الأمان والاطمئنان .

ومن حكمة الله سبحانه انه اذا حرم أمرا ، أمر بسد الطريق على بواعثه ودواعيه ، فما لا يتم الواجب الا به فهو واجب .

لقد حرم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وأرشد المسلمين الى حرمة الخلوة بالأجنبية . وأمرهم بغض الابصار والبعد عن مواقف التهم ، طلبا للسلامة وإبتعادا عن الشبهات .

روى البخارى فى صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
«الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتهيات لا يعلمهن كثير من الناس .
فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع
فى الحرام ، كراعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه . الا وان لكل ملك
حمى ، الا وان حمى الله محارمه ، الا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح
الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ، الا وهى القلب » .

الحلال والحرام

أحل الله الحلال وحرم الحرام لحفظ حياة الانسان وعقله وعرضه وماله ،
وما حرم الله شيئا الا وفيه مضرة حقيقية قد تظهر لبعض الناس ، وقد تفيى
من بعضهم ، ولكن الحقيقة الثابتة أن ماشرعه الله لعباده فيه نفعهم وصلاحهم
لأن رب العباد أعلم بما يصلح حال العباد .

حرم الله الميتة ، والمراد بها مامات حتف أنفه بدون ذبح ، اذ يغلب على
الميتة أن تكون ماتت بسبب المرض أو الضعف أو غير ذلك من أنواع الاضرار ،
كما حرم الله الدم المسفوح الذى يسيل ويراق من الحيوان ، وحكمة تحريمه
ما فيه من عسر الهضم وشدة الضرر بالجسم . أما الدم المتجمد فى الطبيعة
كالطحال والكبد فقد أحله الله ، وفى الحديث : « أحلت لنا ميتتان ودمان .
السك والجراد ، والكبد والطحال » .

وقد حرم الله أكل لحم الخنزير لما يترتب عليه من الضرر بالجسم ،
وجل ضرره ناشئ من أكله للقاذورات ، والاسلام طيب يحب الطيبات ويحرم
الخبائث ويبالغ فى أمر النظافة . كما أن أكل لحم الخنزير يولد الديدان
الشريطية كالدودة الوحيدة ، وسبب سريان ذلك اليه أكل العذرة . ومعروف
أن لحم الخنزير أصغر اللحوم هضما لكثرة الشحم فى أليافه العضلية ، وقد
تحول الأنسجة الدهنية فيه دون عصير المعدة فيعسر الهضم وتتعب معدة
أكله ويشعر بثقل فى بطنه واضطراب فى قلبه .

أيها المؤمن :

حرم الله شرب الخمر ، وأمر بالابتعاد عنها ، وجعل ذلك سببا فى الفلاح
والنجاح وقد بين الله أن للخمر والميسر نفعاً ولكن ضررها أكبر من نفعهما وما
كثر ضرره وجب تركه .

ولقد احتوت الخمر على العديد من الاضرار ، فمن أضرار الخمر الصحية
افساد المعدة ، وفقد الشهية للطعام ، وتغيير الخلق ، فالسكارى يسرع اليهم
التشوه فتجحظ أعينهم وتمتقع سحتهم ، وتعظم بطونهم ، بل قال أحد
الأطباء : ان السكير ابن الأربعين يكون نسيج جسمه كنسيج ابن الستين
ويكون كالهزم جسما وعقلا .

اما ضرر الخمر في العقل فهو مسلم عند الناس ، وليس ضرره فيه خاصا بما يكون من فساد الصور والادراك عند السكر ، بل ان السكر يضعف القوة العاقلة ، وكثيرا ماينتهى بالجنون ، ولأحد أطباء المانيا كلمة اشتهرت كالأمثال هي : « اقللوا لى نصف الحانات أضمن لكم الاستغناء عن نصف المستشفيات والبيمارستانات والتكانا والسجون » .

ومن اضرار الخمر في التعامل وقوع النزاع في الخصام بين السكارى بعضهم مع بعض وبينهم وبين من يعاشرهم ويعاملهم ، تشير ذلك أدنى بادرة فيوغلون فيه حتى يكون عداوة وبغضاء ، وهذه العلة في التحريم من أكبر العلل في نظر الدين ولذلك ورد بها النص في سورة المائدة : (انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر) .

ومن اضرار الخمر افشاء السر وهو ضرر يتولد منه مضرات كثيرة ، لاسيما اذا كان السر يتعلق بأمور الدولة ومنها الخسة والمهانة في أعين الناس، فان السكران يكون في هيئته وكلامه وحركاته بحيث يضحك منه ويستخف به كل من يراه حتى الصبيان ، لأنه يكون أقل منهم عقلا وأبعد عن التوازن في حركانه وأعماله ، والضبط في أفكاره وأقواله .

وتنقل كتب الأدب عن السكارى من النوادر الغريبة ما يكفي في ردع الانسان العاقل عن الاقتراب من الخمر .

اما منافع الخمر التي أشار اليها القرآن فأهمها التجارة ، فقد كانت ولا يزال موردا كبيرا للثروة ومادة عظيمة للتجارة ومنها انها تثر النخوة وتشجع الجبان ، وقد كان هذا أعظم منافعها عند العرب في الجاهلية ، وهو من أكبر مضراتها في أيامنا هذه ، لأن الحمية هي السبب فيما يكون بين السكارى من التنازع والنخاصم والاعتداء ، ولا حاجة اليها في الحرب الآن بل هي ضارة فيها . لأن الحرب صارت صناعة دقيقة وفنا من العلم لا بد فيها من حضور العقل وجودة النظر ، فرب غلطة من قائد تذهب بجيشه وتمكن منه عدوه ، فالضباط مديرون والجنود آلات عاقلة في أيديهم لا نجاح لها الا بالسمع والطاعة مع الفهم ، والسكر قد يحول دون حسن التدبير من العقلاء وسرعة الامتثال من الجنود .

أها المؤمن :

كلما تقدم الزمان ، كلما أثبت صدق القرآن الذي حذر من الخمر والميسر ، وبين أن ضررها أكبر من نفعهما ، وقد وضعنا ذلك في شأن الخمر، اما الميسر وهو القمار فضرره أظهر وأوضح ، لاسيما في هذا العصر الذي كثرت فيه أنواع القمار وعم ضررها حتى ان الحكومات الحرة التي تبيع تجارة الخمر تمنع أكثر أنواع القمار وتعاقب عليها .

فمنفعة القمار وهمية ومضراته حقيقية ، فان المقامر يبدل ماله المملوك

له حقيقة على وجه اليقين لاجل ربح موهوم ، وقد انتهى الامر بكثير من المقامرین الى قتل انفسهم غما ، او الرضى بعيشة الذل والمهانة .

قال الامام محمد عبده : اننى اعرف رجلا كانت ثروته لا تقل عن ثلاثة ملايين جنيه ، فما زال شيطان القمار يغريه باللعب حتى فقد ثروته كلها وعاش بقية حياته فقيرا معدما .

وصدق الله العظيم : (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واتمهما اكبر من نفعهما) .

التدرج في التشريع

يقول الله تعالى في كتابه الكريم .

(يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واتمهما اكبر من نفعهما ، ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) .

حرم الله شرب الخمر تحريما تدريجيا ، فبين أن ضررها أكثر من نفعها ثم نهى عن شرب الخمر في أوقات الصلاة ، ثم حرمها تحريما قاطعا ، وبين سبحانه أن الخمر والميسر رجس من عمل الشيطان يجب الابتعاد عنه .

وقد كان الحق سبحانه يأخذ بيد الجماعة الاسلامية الناشئة خطوة خطوة في الطريق الذى اراده لها ويصنعها على عينه للدور الذى قدره لها ، وهذا الدور العظيم لا تتلاءم معه تلك المضيعة في الخمر والميسر ، ولا تناسبه بعثرة العمر ، وبعثرة الوعى ، وبعثرة الجهد في عبث الفارفين ، الدين لا تشغلهم الا لذائد انفسهم ، أو الدين يطاردهم الفراغ والخواء ، فيفرقونه في السكر بالخمر والانشغال بالميسر ، أو الدين تطاردهم انفسهم فيهربون منها في الخمار والقمار ، كما يفعل كل من يعيش في الجاهلية والرذيلة ، الا ان الاسلام على منهجه في تربية النفس البشرية كان يسير على هنية وفي سر وتودة ، وهذا النص الذى بين ايدينا كان اول خطوة من خطوات الحريم ، فالأشياء والأعمال قد لا تكون شرا خالصا . فالخير يتلبس بالشر ، والشر يتلبس بالخير في هذه الأرض ، ولكن مدار الحل والحرمة هو غلبة الخير أو غلبة الشر . فاذا كان الاثم في الخمر والميسر اكبر من النفع فتلك علة تحريم ومنع ، وان لم يصرح هنا بالتحريم والمنع .

هنا يبدو لنا طرف من منهج التربية الاسلامي القرآني الرباني الحكيم ، وهو المنهج الذى يمكن استقراؤه في الكثير من شرائعه وفرائضه وتوجيهاته ، ونحن نشير الى قاعدة من قواعد هذا المنهج بمناسبة الحديث عن الخمر والميسر .

عندما يتعلق الأمر أو النهى بفاعدة من قواعد التصور الإيماني أى بمسألة اعتقادية فان الاسلام يقضى فيها قضاء حاسما منذ اللحظة الاولى .
ولكن عندما ما يتعلق الأمر أو النهى بمادة وتقليد أو بوضع اجتماعى معقد ، فان الاسلام يتريث به ويأخذ المسألة باليسر والرفق والتلرج ، ويهيىء الظروف الواقعية التى تيسر التنفيذ والطاعة فعندما كانت المسألة مسألة التوحيد أو الشرك : امضى أمره منذ اللحظة الاولى ، فى ضربة حازمة جازمة لا تردد فيها ولا تفلت ، ولا مجاملة فيها ولا مساومة ، ولا لقاء فى منتصف الطريق ، لأن المسألة هنا مسألة قاعدة أساسية للتصور لا يصلح بدونها إيمان ولا يقام اسلام .

فأما فى الخمر والميسر فقد كان الامر امر عادة والف ، والعادة تحتاج الى علاج ، فبدأ بتحريك الوجدان الدينى ، والمنطق التشريعى فى نفوس المسلمين ، بأن الأثم فى الخمر والميسر أكبر من النفع ، وفى هذا إحياء بأن تركهما هو الأولى ، ثم جاءت الخطوة الثانية بآية سورة النساء : (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) . والصلاة فى خمسة أوقات معظمها متقارب ، لا يكفى ما بينها للسكرو والافاقة ، وفى هذا تضيق لفرص المزاولة العملية لعادة الشرب ، وكسر لعادة الادمان التى تتعلق بموايد التعاطى ، اذ المعروف أن المدمن يشعر بالحاجة الى ما ادمن عليه من مسكر أو مخدر فى الموعد الذى اعتاد تناوله فاذا تجاوز هذا الوقت وتكرر هذا التجاوز فترت حدة العادة وأمكن التغلب عليها .. حتى اذا تمت هاتان الخطوتان جاء النهى الحازم الأخير بتحريم الخمر والميسر : (انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متتهون) .

تحريم الخمر والميسر

بسم الله الرحمن الرحيم

(يا أيها الناس قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهتدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) .

أيها المؤمنون :

أرسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله بإذنه وسراجا منيرا .

أرسله ربه على حين فترة من الرسل ، فى وقت خفت فيه صوت الحق

وانمحت معالمه ، فقد كان أهل الجاهلية يثدون البنات وينهكون الحرمات وقيمون الحروب لأتفه الأسباب ، ويعتدى القوى على الضعيف ، ويعيش بعضهم على السلب والغارة . فلما جاء الاسلام دعاهم الى الايمان الذى نقى قلوبهم وطهر أفئدتهم وسما بأرواحهم الى معالم الخير والحق .

وكان القرآن ينزل فيهدب النفوس ويحث على الفضائل ويدعو الى مكارم الاخلاق ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث .

ومما حرمة القرآن شرب الخمر لما لها من اثر فى فساد العقل وانتشار الاثم والشر ، قال تعالى : (يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون) الايتان ٩٠ ، ٩١ من سورة المائدة .

فقد وصفت الآية الخمر والقمار وعبادة الاصنام بأنها رجس أى ذنب كبير ووصفتها بأنها من عمل الشيطان ، وهو كناية فى اللسان العربى وفى الاسلوب القرآنى عن غابة التبجح ونهاية الشر ثم أمرت الآية باجتناب هذه الاشياء الضارة ، فقال سبحانه (فاجتنبوه) ، ومعناه ان تكون الخمر فى جانب والمؤمن فى جانب منها بحيث لا يقربها ، فضلا عن أن يتصل بها فضلا عن أن يتناولها .

ثم سجلت الآية أن الخمر تصرف المؤمن عن الصلاة ، وتصدده عن ذكر الله وعن تذكركم جماله وجلاله .

وأخيرا تختتم الآية هذه الجهات كلها بهذا الاستفهام التقرىعى الدال على غاية التهديد : (فهل انتم منتهون) ؟

تلك اساليب التحريم التى تضمنتها آية الخمر وانه لفى الواحد منها مايملا قلب المؤمن بربه رهبة من غضبه اذا ماحدثته نفسه أن يقترب من الخمر .

وقد جاءت الاحاديث الصحيحة عن رسول الله (ص) بروايات متعددة وأسانيد مختلفة تثبت حرمة الخمر وضررها فقال (ص) : « كل مسكر خمر وكل خمر حرام » . وقال (ص) : « لعن الله الخمر ، شاربها وساقياها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة له » .

والاحاديث فى تحريم الخمر اكثر من أن نحصى حتى قال العلماء ، ثبت عن النبى (ص) تحريم الخمر بأخبار تبلغ بمجموعها رتبة التواتر ، واجمعت الأمة من لدن الرسول صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا على تحريمها ، وبذلك استقرت الحرمة حكما للخرم فى الاسلام وصارت حرمتها من المعلوم

من الدين بالضرورة ، ومن لو ارم ذلك ان من استحلها ، وأنكر حرمتها ، يكون خارجا عن الاسلام . وان من يناولها طائعا مختارا تكون فاسقا عن امر الله خارجا على حدوده عاصيا لأحكامه .

أيها المؤمن :

هذه هي احكام الاسلام في الخمر : حرمة تناولها ، حرمة الانتفاع بداتها ، حرمة اهدائها ، حرمة بيعها والانتفاع بثمنها ، اهدار قيمتها ، وجوب العقوبة عليها قد بينها كما امر الله سبحانه ، حتى يعرف المؤمن ضرر الخمر فينبعد عنها وسلك طريق النجاة بانباع ما امر الله ، وبالتزام طريق التوبة والانابة والاستقامة . (ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم) .

أيها المؤمن :

قرن الله الخمر بالميسر وبين أن امهما كبير ، والميسر هو القمار ، واشتقاقه من اليسر بمعنى السهولة لأنه كسب بلا مشقة ولا كد ، وقد جاء فيه ما جاء في الخمر من كونه يورث العداوة والبغضاء ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة . وهذا ظاهر واضح . ثم انه طريق لأكل أموال الناس بالباطل أى بغير عوض حقيقى من عين أو منفعة . وهذا محرم بنص القرآن ، قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) .

ومن مضرات الميسر افساد التربية بتعويد النفس على الكسل وانتظار الرزق من الطرق الوهمية ، واضعاف القوة العقلية بترك الاعمال المفيدة في طرق الكسب الطبيعية ، واهمال المقامرين للزراعة والصناعة والتجارة التى هى أركان العمران .

ومن أشهر مضرات القمار تخريب البيوت فجأة بالانتقال من الغنى الى الفقر في ساعة واحدة ، فكلم من عشيرة كبيرة نشأت في الغنى والعز وانحصرت ثروتها في رجل أضاعها عليها في ليلة واحدة فأصبحت غنية وأمست فقيرة لاقدرة لها على أن تعيش على ما تعودت عليه من السعة .

ويشترك الميسر مع الخمر في أن متعاطيهما قلما يقدر على تركهما والسلامة من اثرهما ، فللخمر تأثير في الاعصاب يدعو صاحبه الى العودة اليها ، وأما الميسر فان صاحبه كلما ربح طمع في تعويض الخسارة ، ويضعف الادراك حتى تعز مقاومة هذا الطمع الوهمى وهذا شر ما في هاتين الجريمتين .

أيها المؤمن :

ذاك هو هدى القرآن ، في حفظ العقول والأموال والأعراض ، ومن يهد الله فلا مضل له ، ومن يضل الله فما له من هاد .

حكمة التشريع الاسلامي في القصاص (١)

جعلت الشريعة القصاص عقوبة للقتل العمد ، والجرح العمد ، ومعنى القصاص ان يعاقب المجرم بمثل فعله فيقتل كما قتل ويجرح كما جرح .

ومصدر عقوبة القصاص هو القرآن والسنة ، فانه عز وجل يقول
(يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى) الى آخر
الايتين ١٧٨ ، ١٧٩ من سورة البقرة .

ويقول جل شأنه : (وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين
والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به
فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) المائدة ٥ .

وفي السنة (من قتل له قتيل فأهله بين خيرين ان احبوا فالقود وان
احبوا فالقتل) أي الدية .

(وفي السنة) من اعتبط مؤمنا يقتل فهو قود به الا ان يرضى ولي
المقتول) .

وليس في العالم كله قديمه وحديثه عقوبة تفضل عقوبة القصاص فهي
اعدل العقوبات اذ لا يجازى المجرم الا بمثل فعله وهي أفضل العقوبات للأمن
والنظام ، لأن المجرم حينما يعلم انه سيجازى بمثل فعله لا يرتكب الجريمة
غالبا .

والذي يدفع المجرم بصفة عامة للقتل والجرح هو تنازع البقاء وحب
التغلب والاستعلاء ، فاذا علم المجرم انه لن يبقى بعد فريسته أبقى على
نفسه بايقائه على فريسته واذا علم انه اذا تغلب على المجنى عليه اليوم فهو
متغلب عليه غدا لم يتطلع الى التغلب عليه عن طريق الجريمة ، وامامنا على
ذلك الأمثلة العملية نراها كل يوم ، فالرجل العصبى المزاج السريع الى الشر
تراه أهذا ما يكون وأبعد عن الشر وطلب الشجار واذا رأى خصمه أقوى
منه أو قدر انه سيرد على الاعتداء بمثله .

والرجل المسلح قد لا يثنيه شيء عن الاعتداء ولكنه يتراجع ويتردد اذا
رأى خصمه مسلحا مثله ويستطيع أن يرد على الاعتداء بالاعتداء والمصارع
والملاكم لا يتحدى شخصا يعلم انه أكثر منه قوة أو مرانا أو جلدًا ولكنه
يتحدى بسهولة من يظنه أقل منه قوة وأضعف جلدًا .

والتفسير ، وخاصة تفسير المنار ١٣٥/٢ - ١٤٧ ، (١) مقتبس من كتب التشريع الاسلامي ،
والتشريع الجنائي الاسلامي مقارنا بالقانون الوضعي ٦٦٣/٨ ط ٢ .

تلك هي طبيعة البشر وضعت الشريعة على أساسها عقوبة القصاص فكل دافع نفسى يدعو الى الجريمة يواجهه من عقوبة القصاص دافعا نفسيا مضادا يصرف عن الجريمة ، وذلك ما يتفق تمام الاتفاق مع عام النفس الحديث .



وللمجنى عليه ولوليه حق العفو عن عقوبة القصاص فاذا عفا سقطت العقوبة والعفو قد يكون مجانا وقد يكون مقابل الدية ولكن سقوط عقوبة القصاص بالعفو لا يمنع ولى الأمر من أن يعاقب المجرم بعقوبة تعزيرية مناسبة .

ولقد كانت الشريعة عملية ومنطقية في منح حق العفو للمجنى عليه أو ولية لأن العقوبة فرضت أصلا لمحاربة الجريمة ولكنها لا تمنع وقوع الجريمة فى أغلب الأحوال :

أما العفو فيؤدى الى منع الجريمة فى أغلب الأحوال لأنه لا يكون الا بعد الصلح والتراضى وصفاء النفوس وخلوها من كل ما يدمو الى الجريمة والأجرام .

فالعفو هنا يؤدى وظيفة العقوبة وينتهى الى نهاية تعجز العقوبة عن الوصول اليها . وفى تفسير المنار :

« وقد تقع فى كل بلاد صور من جرائم القتل يكون فيها الحكم بقتل القاتل ضارا وتركه لا مفسدة فيه كأن يقتل الانسان أخاه أو احد أقاربه لعارض دفعه الى تلك ويكون هذا القاتل هو العائل لذلك البيت وإذا قتل يفقدون بقتله المعين والظاهر بل قد تكون فى قتل القاتل أحيانا مفسد ومضار وان كان أجنبيا من المقتول ويكون الخير لأولياء المقتول عدم قتله لدفع المفسدة أو لأن الدية أنفع لهم ، فأمثال هذه الصور توجب الا يكون الحكم بقتل القاتل حتما لازما فى كل حال بل يكون هو الأصل ويكون تركه جائزا برضاء أولياء المقتول وعفوهم فاذا ارتقت عاطفة الرحمة فى شعب أو قبيل أو بلد الى أن صار أولياء القاتل منهم يستنكرون القتل ويرون العفو أفضل وأنفع فذلك اليهم .

والشريعة لا تمنعهم منه بل ترغبهم فيه وهذا الإصلاح الكامل فى القصاص هو ما جاء به القرآن .

وما كان ليرتقى اليه بنفسه علم الانسان (١) .

(١) تفسير المنار ١٣٧/٢ ، ١٣٨ .

« الرضاع المحرم للزواج »

سألنى كثير من الناس عن حكم الشرعة فى حالات تتصل بالرضاع فمنهم من يسأل عن زواج منى بعتاه رضع على اختها التى تكبر عنها ولم يرضع عليها نفسها ويظن ان الرضاع المحرم هو رضاع الفتى على الفتاة التى يريد التزوج بها خاصة .

والله تعالى يقول فى كتابه الكريم :

(حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخوانكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الأخت وامهاتكم اللاتى ارضعنكم واخوانكم من الرضاعة) .

فهذه الآية من سورة النساء وهى السورة التى تناولت تنظيم المجتمع الاسلامى فبدأت بالأسرة وهى الخلقة الاولى فى المجتمع وأوصت بالبتييم ثم تحدثت عن أقدم رابطة بين اثنين وهى الزواج وبينت المحرمات من النساء سبب القرابة وهن سبعة أصناف .

الأم والبنات والأخت والعمة والخالة وبنات الاخ وبنات الأخت ثم ذكرت الآية المحرمات من الرضاع فقالت (وامهاتكم اللاتى ارضعنكم واخوانكم من الرضاعة) فاجملت المحرمات من الرضاع فى صنفين (الامهات والأخوات) ثم جاء الحديث الصحيح المشهور وهو قوله صلى الله عليه وسلم (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب) فبين ان الصنفين اللذين ذكرا فى التحريم بالرضاع يتناولان الأصناف السبعة التى ذكرت فى التحريم بالنسب .

ومعنى هذا انه يحرم بالنسب سبعة أصناف أيضا هى الامهات من الرضاعة والأخوات والعمات والخالات وبنات الاخ وبنات الأخت من الرضاعة .



وجدير بنا فى هذا المقام ان نجمل مذاهب العلماء فى مقدار الرضاع الذى يحرم الزواج بين الرضيعين وقد كثرت المذاهب فى هذه المسألة تبعاً لاختلاف النظر فى الآية مع الأحاديث التى وردت فى قدر الرضاع .



فمن الائمة من رأى ان قليل الرضاع وكثيره سواء فى التحريم ولو كان الرضاع قطرة واحدة تصل الى الجوف فانه يثبت بها التحريم .

ومنهم من رأى ان المحرم خمس رضعات فأكثر .

ومنهم من رأى ان المحرم سبع رضعات وهكذا الى خمس عشرة رضعة .

ومنشأ هذا الخلاف هو كثرة الاحاديث الواردة فى هذا الشأن وتحكيم كل فريق فى الرضاع ما صح عنده من الاحاديث .

واذا لجأنا الى القرآن الكريم نجد ان معنى الامومة من الرضاعة لا يتحقق بالقطرة ولا بالقطرات فالله عز وجل يقول (وامهاتكم اللائي ارضعنكم) ولا شك ان عنوان (الامهات) يعطى ان مدة الرضاعة امتدت وقتا شعرت فيه المرضعة بمعنى الامومة للرضيع ولا شك ان هذا الوقت الذى يتحقق به معنى العطف والحنو والشوق من المرضعة للرضيع لا يكون من رضعة ولا من ثلاث رضعات بل اقل ما يتحقق به معنى الرضاع وما يثبت به امومة المرضعة هو خمس رضعات مشبعات فيها يتحقق انبات اللحم وانشاز العظم كما ورد فى الحديث الشريف (الرضاع ما أثبت اللحم وانشز العظم) .

وهذه ناحية اعرضها للبحث الذى يستعان فيه برأى الأطباء الواقفين على المقدار - الذى يثبت فيه اللحم وينشز العظم ونرجو أن يصل العلماء الى ما يرفع اختلاف المعنيين فى هذه المسألة فكثيرا ما تحدث عقد نفسية بين الزوجين حينما يخبران بأن فلانة ارضعتهم .



واذا كان جمهور العلماء اليوم يتوسطون بين الآراء ويختارون منها ان المقدار المحرم (خمس رضعات فاكثر) .

فان كثيرا من المفتين الذين يسألون يرجعون الأسر الهائلة بأن قليل الرضاع وكثيره سواء فى التحريم وكان الأولى اختيار الأوفق والأيسر والأبعد عما يثير فى نفوس الأسر الزعزعة والاضطراب .



واذا رجحنا ان المقدار المحرم هو خمس رضعات فاكثر فيجب أن نعلم ان التحريم يثبت بين الرضيعين من المرضعة الواحدة سواء اتحد زمن رضاعتهم منها ام اختلف ومن المعروف ان كل اثنين اجتمعا على لدى واحد لم يجز لهما ان يتزاوجا .

فالتدى يحرم من رضع منه من قبل ومن بعد .



(تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله ويتمدد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) . النساء ١٣ ، ١٤

واليك تحديد للمبادئ العامة فى الرضاع

- ١ - لا يحرم من الرضاع الا خمس رضعات فاكثر .
- ٢ - اذا اجتمع اثنان على ثدى واحد بخمس رضعات فاكثر فى مدة الرضاع وهى حولان كاملان حرم الزواج بينهما .
- ٣ - لا نتوقف حرمة الزواج بالرضاع على اختلاف الزمن ولا على اختلاف زوج المرضعة .
- ٤ - يجوز للانسان ان ينزوج أخت أخيه من الرضاع وللفتاة أن تنزوج أخا أخيها من الرضاع - لأنهما لم يجتمعا على ثدى واحد ولم يتدرجا تحت الاصناف السبع المحرمات بالرضاع .

(١٠)

سؤال وجواب

السؤال والجواب

هذه اسئلة متنوعة بعضها قدم لى من القاهرة ، واكثرها قدم لاذاعة البرامج الأجنبية ويظهر فيه اثر البساطة والسؤال عن أمور بديهية أو أمور لا يتعلق بمعرفتها كبير فائدة .

وقد اجبت على هذه الأسئلة فى حينها وتركزت اثرا حسنا فى نفوس السائلين وقوبلت بالقبول والاستحسان والتأثر .

ورجوت فى اثباتها هنا ان يكون فيها بعض الفائدة وأن تكون نموذجا عمليا للسؤال والجواب .

وقد ورد السؤال والجواب فى القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة .

قال تعالى (يسألونك عن الخمر والميسر ...)

(يسألونك عن الأهلة ...)

(يسألونك عن الشهر الحرام ...)

(يسألونك عن الأنفال ...)

وفى صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه ذات يوم اسألونى فتحيبوا أن يسألوه

فدخل رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ليس عليه سحناء السفر ولا يعرفه أحد من الجالسين .

فسأل الرجل النبى صلى الله عليه وسلم عن الاسلام ثم عن الايمان ثم عن الاحسان ثم عن الساعة . واجابه الرسول صلى الله عليه وسلم .

ثم انصرف الرجل فقال صلى الله عليه وسلم ردوا السائل فذهبوا وراءه فلم يجدوا شيئاً .

فقال صلى الله عليه وسلم هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم .

والتعليم عن طريق السؤال والجواب فيه رياضة للنفس ، وتنويع في طريق المعرفة ، وتبسيط لبعض امور الدين ، واجابة لبعض ما خفى منها ، وفي بعض ما ترى سداجة تمثل الفطرة البشرية وهو عرض لبعض تصورات الانسان . وقد كان عمر رضى الله عنه يستشير النساء والأطفال لأن ذهنبهم حاضر وفكرهم غير مشغول فربما قدموا مشورة حسنة أو فكرة جيدة .

سؤال : هل تبطل صلاة المصلى اذا تجشأ فى صلاته ؟

الجواب :

التجشأ لا يبطل الصلاة ولكن تركه من الآداب التى ينبغى مراعاتها . فاذا كان الانسان مضطراً وقلبه التجشأ فيرفع بصره للسماء حتى لا يؤذى المصلين بجواره . قال الفقهاء « ويكره رفع البصر الى السماء الا فى حال التجشأ اذا كان يصلى مع الجماعة فيرفع وجهه حتى لا يؤذيه برأئحته ولا كراهة فى رفع الوجه الى السماء فى حال التجشأ » .

ومبطلات الصلاة عند الشافعية ما يأتى :

الكلام بكلام اجنبى عن الصلاة ، والعمل الكثير الذى ليس من جنس الصلاة وهو ما يخيّل للناظر اليه أن فاعله ليس فى الصلاة . ومنها التحول عن القبلة ، ومنها الاكل والشرب وكل ما وصل جوف المصلى فانه يبطل الصلاة .

ومن مبطلات الصلاة طرؤه ناقض الوضوء أو الغسل أو التيمم أو المسح على الخفين ومنها البكاء والائنين ، ومنها انكشاف العورة فى الصلاة مع القدرة على سترها . واتصال نجاسة غير معفو عنها يبدنه أو بملابسه ، وسبق المأموم امامه بركنين فعليين أو تأخره عنه بهما . ويشترط أن يكون كل منهما من غير عذر .

وتبطل الصلاة بترك ركن من أركانها عمداً ، وبانقضاء مدة المسح على الخف أثناء الصلاة .

سؤال :

امراة نزل عليها الحيض ثم انقطع بعد ٢٤ ساعة ، فهل تجب عليها الصلاة حينئذ أم لا ؟ . وهل تعتبر فى حالة الحيض ؟

الجواب :

ذهب الشافعية الى أن اقل مدة الحيض يوم وليلة بشرط أن يكون الدم نازلاً على الاتصال المعتاد في الحيض بحيث لو وضعت قطنة لتلوثت .
فهذه المرأة تعتبر في حالة حيض لمدة ٢٤ ساعة ولا يجب عليها الصلاة في هذه الفترة .

وذهب الحنفية الى أن اقل مدة الحيض ثلاثة أيام وأوسطه خمسة وأكثره عشرة . ويعتبر الدم الذي ينزل أقل من ثلاثة أيام دم استحاضة . والاستحاضة هي سيلان الدم في غير وقت الحيض والنفاس . فكل مازاد على أكثر مدة الحيض أو النفاس أو نقص عن أقله فهو استحاضة . ولا تمنع الاستحاضة شيئاً مما يمنعه الحيض والنفاس من قراءة القرآن ومس مصحف ودخول مسجد واعتكاف وطواف وغير ذلك . وتوضأ المستحاضة لوقت كل صلاة .

ومما تقدم نرى أن هذه المرأة لا تعتبر في حالة حيض عند الحنفية بل هي مستحاضة من أصحاب الأعداء فتجب عليها الصلاة وتقوم بكل شئونها كأنها طاهرة .

أما الشافعية والمالكية والحنابلة فيرون أن هذه المرأة في حالة حيض ولا تجب عليها الصلاة فترة الأربع وعشرين ساعة التي نزل فيها الدم . ومن أحكام الحيض والنفاس ما يأتي :

يحرم على الحائض والنفساء مس كتابة المصحف ودخول المسجد ولا يقبل منهما الصوم والصلاة أيام الحيض والنفاس .

وتقضى الحائض والنفساء الصوم ولا تقضيان الصلاة ويحرم جماع الحائض والنفساء لقوله تعالى (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن) .

ويباح للرجل أن يستمتع من زوجته الحائض بما شاء ماعدا الجماع . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن الحائض : « اصنعوا كل شيء إلا النكاح » .

سؤال :

ما حكم زواج رجل من امرأة حامل من زنا ؟ وهل يعاد عقد الزواج بعد الوضع ؟

الجواب :

حرم الله الزنا ونهى عنه وتوعد فاعله بالعذاب والنكال . فقال سبحانه :
(ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً) .

والزنا يهدم كيان الأمة ويضعف شأن الأسرة ويشيع الأمراض والفساد بين الناس .

أما حكم زواج المرأة المزنى بها ، فإذا كان راغب الزواج هو الزانى فله أن يتزوجها ويدخل بها ولو ظهر بها الحمل عند أبى حنيفة والشافعى لعدم الدليل على تحريم هذا الزواج ، ولأن ماء الزنا لا حرمة له .

ورأى مالك رضى الله عنه أنه ليس له أن يتزوجها حتى يستبرئها من مائه الفاسد لأن النكاح له حرمة ، ومن حرمة ألا يصيب ماؤه على ماء السفاح فيختلط الحلال بالحرام ، ويمتزج ماء المهانة بماء العزة .

وأما غير الزانى بها - فقبل ظهور الحمل له أن يتزوجها ويدخل بها عند أبى حنيفة ، وقال محمد بن الحسن الشيبانى لا أحب له أن يطأها مالم يستبرئها بحيضة لاحتمال أن تكون قد حملت من الزانى .

وبعد ظهور الحمل ، له أن يعقد عليها عند أبى حنيفة ومحمد والشافعى لعدم ذكرها فى المحرمات ، ودخولها بهذا فى قوله تعالى (وأحل لكم ماوراء ذلكم) ولأن الزانى ليست له حرمة توجب المحافظة على ثمرة جرمه ، غير أن الزوج يجب عليه الامتناع عن قربانها حتى تضع حملها لما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يستقى ماءه زرع غيره) .

وذهب مالك وأحمد وأبو يوسف وزفر الى أنه لا يصح العقد عليها لا احتراماً للزانى ، بل احتراماً للحمل الذى لم يرتكب جريمة يستحق العقوبة عليها ، ولهذا لا يجوز إسقاطه باتفاق .



ومما تقدم يمكن أن نقول :

أن زواج الرجل من امرأة حامل من زنا زواج صحيح جائز ، ويعاد عقد الزواج بعد الوضع خروجاً من خلاف الفقهاء واحتياطاً للتأكد من صحة الزواج .

السؤال :

هل يجوز الشاب المسلم أن يترك شعره بدون تقصير ؟

الجواب :

خلق الله الانسان فى احسن تقويم وامر الاسلام بالنظافة وحث المسلم على أن يكون حسن المظهر حسن المخبر . قال صلى الله عليه وسلم : (تنظفوا وتزبنوا حتى تكونوا كالشامة البيضاء بين الامم) .

ان الله خاق الكون وجعله آية في الابداع وحسن التنظيم . وفي الحديث الشريف : (ان الله جميل يحب الجمال نظف يحب النظافة طيب يحب الطيبين) .

كما امر الاسلام ان يكرم الرجل شعره ويفسله ويرجله . قال صلى الله عليه وسلم (اذا كان لاحدكم شعر فليكرمه) .

ودخل على النبي صلى الله عليه وسلم رجل طويل الشعر نثر الرأس « غير منظم . ولا مرجل » فقال صلى الله عليه وسلم : (يدخل أحدكم علينا نثر الرأس كأنه شيطان اما كان في بيتك مشط) .

فنظافة الشعر وترجيله والعناية به امر حسن وهو من النظافة المطلوبة من المؤمن ، والنظافة من الايمان .

ومن ناحية اخرى ورد في الحديث : (لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال) .

ونحن نعلم ان اصابع اليهود وراء بعض المودات . فالرجل الذي يطيل شعره طولا غير مناسب ويتشبه بالاناث في طريقة تسريحته وقصه يخرج بذلك عن آداب الاسلام . ويجب ان نعلم ان الأمر متروك في ذلك الى ضمير المسلم وحسن اختياره ، فاطالة الشعر في حد ذاتها لا بأس بها .

ولكن اذا أصبح تطويل الشعر زيادة عن المجهود تشبها بالاناث ونقليدا لليهود او غيرهم فانه مستهجن من هذه الناحية . ونستطيع ان نلخص ما سبق فيما يأتي :

١ - الدين يحث على النظافة وعلى حسن المظهر .

٢ - الدين يأمر باكرام الشعر وتنظيفه وترجيله حتى يظهر المسلم أنيقا جميلا حسن الهيئة .

٣ - الدين ينهى عن تشبه الرجال بالنساء ولذلك يجب ان يظل طول الشعر محدودا وان يكون مظهر الرجل مشعرا بأنه رجل . ويقول الشاعر الحكيم :

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالرجال فلاح

السؤال :

هل يجوز للمسلم ان يستحم في مكان غير مستور ، كان يستحم في النهر مثلا ؟

الدعوة الاسلامية - ٣٠٥

الجواب :

حدد الاسلام عورة الرجل وعورة المرأة .

فعورة الرجل من السرة الى الركبة ، وعورة المرأة جميع بدننها ماعدا وجهها وكفيها وقدميها .

وقد حث الاسلام على تعلم السباحة والرماية والرياضة . فاذا لبس المسلم ازارا يستر عورته فانه يجوز له ان يستحم في النهر بشرط الا يكون فاتنا ولا مفتونا وان يضمن انه لن يثير فتنة وان المكان ليس فيه نساء يتطلعن اليه .

وقد ذكر الفقهاء ان الرجل اذا كشف جسمه فلا يباح للمرأة ان تنظر اليه والمرأة اذا كشفت عن بعض عوراتها فلا يباح للرجل ان ينظر اليها .
ويجب ان نفرق بين حالتين :

في الريف مثلا يستحم بعض الرجال في النهر بدون ان يراهم احد وبدون اثاره فتنة . ولكن على شاطئ الكورنيش وشاطئ البحر الابيض المتوسط يجتمع جموع من الرجال والنساء ويلبس الناس ملابس قصيرة لا تستر الا العورة المغلظة . وينظر الرجال الى النساء وتنظر النساء الى الرجال . وهذه وسائل الشيطان لان الله كرم الانسان وميزه بأن يلبس ملابس تستر عورته وتوارى سوءته قال تعالى : « يا بني آدم قد انزلنا عليك لباسا يوارى سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلمهم يذكر » .

والخلاصة انه يباح للمسلم ان يستحم في النهر اذا كان يلبس ازارا يستر عورته . واذا اطمأن الى عدم وجود نساء ينظرون اليه .

اما المصايف التي ينظر فيها الرجال الى النساء والنساء الى الرجال فهي وسيلة الشيطان الى الفتنة وينبغي للمسلم ان يبتعد عن أماكن التجمع ، وان يستحم في مكان منعزل حتى ينال رضا الله سبحانه وتعالى . والله الموفق والهادي الى الطريق القويم .

السؤال :

هل يجوز قبول طالب كافر في مدرسة اسلامية ؟

الجواب :

نعم يجوز قبول طالب كافر في مدرسة اسلامية ، فقد جاء الاسلام دعوة عامة للناس جميعا بحمل الخير والبركة والمودة والرحمة للجميع ،

وأمرنا الاسلام ان نحسن جوار الآخرين وان نعلم من أراد ان يعلم . قال تعالى (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بانهم قوم لا يفقهون) سورة النوبة الآية ٦ .

ومعنى هذه الآية ان المترك اذا طلب ان يفهم في جوار الرسول صلى الله عليه وسلم فليقبل النبي جواره حتى يسمع القرآن ويعرف احكام الاسلام . وينعلم شئون الدين . وعلى المسلمين ان يحافظوا على هذا المترك وان يحرسوه في طريق عودته الى قومه حتى يصل الى مكان الأمان ، لان المشركين لا يفقهون الاسلام مهم في حاجة الى من يفقههم ويعلمهم لعلمهم يهتدون .

وينبغي ان نعلم ان بعض الكفار يريد ان يندس في صفوف المسلمين لبتجسس عليهم وليلبغ أخبارهم لأعدائهم فمثل هذا يعامل بحذر واحتياط وتفيد الآية السابقة ان المشرك يبغى في جوار المسلمين حتى يتعلم ثم يعود الى اهله ولا يبقى طويلا بينهم حتى لا ننقل أسرارهم .
والخلاصة انه يجوز قبول طالب كافر في مدرسة اسلامية بشرط ان نضمن وتؤكد انه ليس جاسوسا على المسلمين .

فاذا كان المسلمون في حالة حرب مع بعض الأعداء فلا سمح بقبول غير مسلم في المدرسة من الأعداء .
اما اذا لم يكونوا في حالة حرب وتأكدوا ان الطالب الكافر يريد التعليم فقط فيجوز قبوله في المدرسة الاسلامية . والله تعالى يوفقنا جميعا الى طريق الصواب والرشاد .

السؤال :

هل وجد في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم منظمة دينية او جمعية من أى نوع ؟

الجواب :

ايها السائل العزيز . الاسلام نفسه كان جمعية دينية كبيرة تجمع جميع المسلمين تحت لواء التوحيد . ومع هذا فقد وجدت جماعات للقراء وجماعة أهل الصفة وهم قوم من الفقراء كان لهم مكان خاص في المسجد ياكلون فيه وينامون فيه ، ووجدت جماعات للحرب وجماعات للتدريب وجماعات لكتابة الوحي . وهي جماعات تشبه التخصص العلمي في العصر الحديث . فالمعروف انه كان بين المسلمين من شغل نفسه بالحروب والكفاح والجهاد مثل سيدنا خالد بن الوليد وأبي عبيدة عامر بن الجراح وغيرهم . ومن

المسلمين من شغل نفسه برواية الحديث الشريف مثل سيدنا أبو هريرة وأبي سعيد الخدري وغيرهم ، ومن المسلمين من شغل نفسه بكتابة الوحي للرسول صلى الله عليه وسلم مثل سيدنا معاذ بن جبل وزيد بن ثابت وغيرهم .

فكانت هناك جماعات متخصصة على أن الحاجة الى هذه الجماعات لم تكن ماسة لأن كل مسلم كان يعرف قدراً مشتركاً من الفرائض كالجهاد والسنة والقرآن ، ثم يتخصص في نوع من أنواع التكاليف الإسلامية . وكان الإسلام هو الرابط المتين الذي يجمع بين المسلمين جميعاً . قال تعالى (والفر بين قلوبهم لو أنفقت مائى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألفت بينهم أنه عزى حكيم) الأنفال / آية ٦٣ .

السؤال :

ما تفسير لا اله الا الله ، فقد سمعت أن معناها لا حاكم ولا مشرع الا الله .

الجواب :

معنى لا اله الا الله = لا معبود بحق الا الله ، وما سمعته عن معناها هو من لوازم المعنى لأن الاله الحق هو الذى يشرع لعباده . وهذه الجملة هى أساس التوحيد ، وهى الكلمة الطيبة التى قال الله عنها : (ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) سورة إبراهيم الآية ٢٤ ، ٢٥ .

فهذه الكلمة مدخل الى التوحيد وباب اليه لا يصير المسلم مسلماً الا بها وقد كان كفار مكة يتخذون آلهة متعددة ، وسألوا النبى صلى الله عليه وسلم عن صفة ربه ولونه ونسبه ، فأنزل الله تعالى قوله :

(قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد) .

فاله واحد فى ذاته ليس معه شريك آخر ، وواحد فى صفاته لأنه قادر مريد متصف بالكمال ، وواحد فى أفعاله ، فهو الذى يحفظ الكون ويرفع السماء ويهبط الرزق ويحيى ويميت وهو على كل شيء قدير .

(الله الصمد) أى الغنى عن عباده الذى يحتاج اليه جميع الموجودات ، وهو لم يلد ولداً ولم يولد من أب ولم يكن له نظير ولا شبيه ولا مثيل ولا كفؤ له ، (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) . فمعنى (لا اله الا الله) لا معبود بحق الا الله فكل ماعداه عن الآلهة والشركاء لا دليل على الوهيتهم ولا

حجة ، أما الله سبحانه فهو الاله الحق وهو المعبود بحق وكل ماسواه باطل ، قال تعالى (فذلکم الله وبکم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فانی تصرفون) سورة يونس الآية ٣٢ .

السؤال :

سمعت ان من نوضاً أو اغتسل من الجنابة لابد أن يزيل جميع الدهون من جسمه ، فهل هذا صحيح ؟ .

الجواب

نعم هذا صحيح لأن الاغتسال : هو تعميم البدن بالماء يصل الى كل عضو يمكن اصال الماء اليه من غير حرج . ويجب الغسل بنزول المني في بطنه أو نوم ، كما يجب الغسل على الحائض والنفساء بعد انقطاع الدم ويستحب الغسل في يوم الجمعة والعبدن ، وللأحرار للحج ولدخول مكة وللوقوف بعرفات .

وفرائض الاغتسال ثلاثة :

- ١ - تعميم الماء جميع أجزاء البدن .
- ٢ - المضضة : وهي غسل الفم بالماء .
- ٣ - الاستنشاق : وهو غسل داخل الانف بالاستنشاق .

ومما تقدم نعرف أن ازالة الدهون من على الجسم واجب حتى يصل الماء الى جميع أجزاء الجسم ، فإذا كان هناك حرج أو مرض أو جراحة أو عذر يمنع من اصال الماء الى بعض أجزاء الجسم فإن الانسان يباح له التيمم .

والله الموفق والهادي الى سواء السبيل .

السؤال :

ماحكم الاحتفال بالمولد النبوي ومتى بدأ الاحتفال به وفي أي بلد ومن احتفل به لأول مرة ؟

الجواب

الاحتفال بالمولد النبوي في هذه الايام مناسبة كريمة وشعره حسنة وعبادة مستحبة لذكير المسلمين بفضل الرسول صلى الله عليه وسلم وعظمته وجهاده وكريم صفاته وآدابه العالية .

ولم يكن الاحتمال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم معروفا في صدر الاسلام ولا في عصر الصحابة رضوان الله عليهم ولا في عصر التابعين .

وقد عرف عن دولة الفاطميين بمصر عنايتهم بالاحتفالات الدينية وخصوصا مولد النبي صلى الله عليه وسلم . وسرى ذلك التمليد وانتشر في سائر البلاد الاسلامية فاصبح العرب والمسلمون يحتفلون بذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم باقامة الحفلات والغناء المعطات وقراءه القصص والسيرة النبوية وكلها آداب جميلة لا نأس بها .

ولكن المسلمين في حاجة الى أن ينركوا الاحتفالات التقليدية التي نوزع فيها الحلوى وعرائس المولد ، وهم في حاجة الى احياء المعالم الاسلامية والاداب المحمدية والاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم فدوة حقيقة في صدقه واخلاصه وشجاعته وعفته ونزاهته ونواضعه وبذلك تحيا فيهم اخلاق الاسلام ويعود الاسلام رباطا قويا وسابجا منيعا يحفظ المسلمين وبرد الهم عزتهم وكرامتهم . قال تعالى (والله العزة لرسوله وللمؤمنين) .

السؤال :

ماحكم العقيقة ، وهل يجوز تسمية المولود بدون العقيقة ؟

الجواب

العقيقة هي دبح ساة عن المولود عند ولادته شكرا لله على هذه النعمة . والعقيقة سنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويجوز تسمية المولود بدون العقيقة ، ويستحب أن تكون التسمية يوم السابع من ولادة المولود .

قال الشعراني في الميزان، العقيقة عند مالك والشافعي مستحبة وعند أبي حنيفة مباحة وعند أحمد في أشهر روايته سنة والثانية انها واجبة واختارها بعض أصحابه وهو مذهب الحسن البصري وداود الظاهري ، والسنة في العقيقة عند الأئمة الثلاثة عن الفلام شاتان وعن الجارية واحدة . وقال الامام مالك عن الفلام شاة واحدة كما في الجارية .

ويشترط أن ينوى عند ذبح العقيقة أنها عقيقة كما في الأضحية ، ويستحب أن يقول عند ذبحها بعد التسمية اللهم لك واليك عقيقة فلان ، ويستحب أن لا يتصدق بلحمها نبثا بل يطبخه شيء حلو ويتصدق به على الفقراء ، ويستحب أن يأكل منها ويتصدق ويهدى . والسنة أن يكون ذبحها في اليوم السابع ولا تفوت بتأخيرها عن السبعة لكن ستحب أن لا يؤخرها عن البلوغ فان بلغ سقط حكمها عن الوالد والولد مخير أن شاء عق عن نفسه وان

شاء لم يعق ولو مات بعد اليوم السابع وبعد الممكن من الدبح يستحب أن يعق عنه ويسنحب أن نذبح أول النهار وأن يدفع للعابله رجل العقيقه .

وفعل العميه افضل من التصديق بمنها ، وسن الشاه الى سديح عقيقه كالأضحيه ، جدمه : وهي ماتم له سنه او اهل اذا كانت من الصان ، فاذا كانت من المعرف فنجريء الننيه وهي مادخلت في السنه النانيه او النانيه . وقد ذهب الامام أحمد بن حنبل في احدى رواينيه الى أنها واجبه وذهب الامام الأعظم أبو حنيفه انها ليست واجبه ولا سنه بل هي بدعه . وقد سبق أن ذكرنا أن الامام مالك والامام الشافعي ذهبا الى أنها مستحبة واستدلوا على اسنحبها بما رواه الترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الفلام مرهين بعقيقته نذبح عنه يوم السابع ويحلق رأسه ويسمى . ومن هذا الحديث نعلم أن العقيقه سنه ، وأن من السنه أن يحلق شعر الصبي يوم السابع ويوزن بالفضة ويتصدق بوزن شعره فضه ، ومن السنه أن يسمى العلام يوم السابع ، ويجوز تسمية المولود بدون العقيقه ، لأن التسميه سنه مسقلة ، والعقيقه سنه مسقلة عن التسميه ، والله تعالى الموفق والهادي الى سواء السبل .

السؤال :

مسلم يعيش في بلد يطول بهارها عن المعتاد ثلاث أو أربع ساعات مثلا فما حكم صومه ؟

الجواب :

الصيام فريضة محكمة فرضها الله بنص القرآن والسنة . قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا » .

فالصوم عبادة صحية وبدنية وروحية ولا بد من أدائها لأنها شعيرة من شعائر الدين وركن من أركان الاسلام .

لكن كيف يصوم من يعيش في بلد يطول نهاره عن المعتاد ؟

والجواب أن مثل هذا المسلم يصوم من الساعات بمقدار نهار معتاد فليتخير بلدا مثل مكة أو المدينة حيث نزل الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم ويعرف مقدار ساعات النهار التي يصومها المسلم في هذا البلد ، ثم يصوم من الساعات بمقدارها .

وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن صيام من يفيم في بلد يطول ليله أو بهاره فقال : اقدروا له . أى صوموا بمقدار نهار متوسط معتاد . فالدين سر لا عسر ، ولا ضرر ولا ضرار في الاسلام . ومن مواعد الاسلام أن المشقة تجلب التيسر وإن الأمر إذا انسح وان الأصل في العبادات رفع الحرج والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

السؤال :

ماهى الصفات التى يجب أن يتحلى بها الامام ؟

الجواب :

ذكر الفقهاء ان الأحق بالامامة هو امام المسجد ورب المنزل ثم الأعم بأحكام الصلاة ثم الأجود قراءه ، ثم الأكبر ورعا وتقوى ثم الأكبر سنا ثم الأحسن خلقا ثم الأحسن وحها ثم الأنرف نسبا ثم الأنظف بوبا .

ومما تقدم يعرف ان الامام هو شفيع المأمومين وقائدهم وأن الامام لسان الجميع والمتحدث باسمهم فيجب أن يتحلى بصفات الكمال والادب والمحافظة على قراءة القرآن ودراسة الفقه والتفسير والحديث والعلوم والمعارف ، والمعرفة بأحوال المسلمين وبأحكام الدين وبحجج الموحدين وأدلة العقائد وطرق الهداية وأساليب الارشاد .

والامام مع ذلك قدوة حسنة ، فينبغى أن يتحلى بالسلوك الحسن والأخلاق الفاضلة حتى يقتدى به الناس وهم مطمئنون الى قبول صلاتهم .

قال الفقهاء : وتكره امامة العبد والاعمى والاعمى والاعمى وولد الزنا والجاهل والفاسق والمبتدع ، ويكره للامام أن يطيل الصلاة اطالة شديدة تدعو للسامة والملل لأن الصلاة لقاء ومودة ومحبة بين العبد وربيه والطول الزائد مكروه لقوله صلى الله عليه وسلم (من أم بالناس فليخفف فان منهم الكبير والضعيف وذا الحاجة) رواه البخارى .

أما اذا كان المقصود من السؤال . ما هى الصفات التى يجب أن يتحلى بها الامام أى الحاكم .

فالصفات التى يجب أن تتوفر فى الامام هى :

١ - العدل فالعدل أساس الملك قال تعالى (واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) .

٢ - المساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات .

٣ - الشورى واخيار اهل الحل والعقد والرجوع الى رأيهم قال تعالى :
(وشاورهم فى الامر) وقال سبحانه (وامرهم شورى بينهم)

٤ - حسن اختيار الولاة والمساعدين فى الحكم وان يكون اساس اختيارهم
الامانة والقوة والقدرة على انجاز العمل بكفاءة ونشاط قال تعالى :

(ان خير من استاجرت القوى الامين) ..

السؤال :

فى اى يوم يجب ان يعطى المولود اسما هل يوم ولادته ؟ أم بعد اسبوع
من ولادته ؟

واذا مات المولود هل يعطى له اسما قبل دفنه أم بعد الدفن .

الجواب :

من حقوق الولد على ابيه ان يحسن اسمه قال صلى الله عليه وسلم
(انكم تدعون يوم القيامة باسمائكم واسماء آبائكم فاحسنوا اسماءكم) .

وافضل الاسماء عبد الله وعبد الرحمن ، ويستحب ان تكون التسمية
يوم السابع من ولادته ، ويستحب تسمية السقط الذى ولد ميتا لخبر ورد
فيه ، فان تركه ولم يسمه طالبه السقط بذلك يوم القيامة ، حكى الغزالى
ان السقط يوم القيامة يسمى الى ابيه فيقول انت ضعيتنى وانت تركتني
ولا اسم لى ، فان لم يعلم هل السقط ذكر أم أنثى سمي باسم يصلح لهما
مثل : شمس ، وعصمت ، وحمزة ، وطلحة ، وعماره ، ونحو ذلك .

وقال الامام مالك لا يسمى مالم يستهل صارخا ، فاذا نزل السقط
من بطن امه صارخا ثم مات فانه يسمى ثم يغسل ويكفن ويصلى عليه ويعطى
له الاسم قبل الدفن .

ويستحب تغيير الاسم القبيح فقد ورد ان النبى صلى الله عليه وسلم
غير اسم عاصيه الى جميلة ، وفى الصحيحين ان زينب كان اسمها برة فقبل
توكل نفسها بهذا الاسم ، فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب ،
وفى الصحيح ان شخصا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما اسمك
قال حزن ، قال انت سهل ، قال الرجل لا اغير اسما سمانيه أبى فمازالت
الحزونة والشدة فيه وفى اولاده ، والحزونة غلظ الوجه وشيء من القساوة
وبهذا يعلم الآتى :

١ - يستحب ان نتخير لاولادنا اسماء جميلة مناسبة مثل عصام ،
عماد ، أيمن ، عبد الرحمن ، عبد القادر .. الخ .

- ٢ - يستحب أن يكون إطلاق الاسم على المولود يوم السابع من ولادته .
- ٣ - إذا نزل سقطا ميتا فلا يعطى له اسم الا اذا نزل صارخا حتى ندرك أنه كانت فيه حياة .
- ٤ - إذا مات المولود يعطى له اسم قبل دفنه .
- ٥ - الأب الذى لا يسمى السفط يخطئ خطأ كبيرا فى حق ولده فما دام السقط قد نزل صارخا وجب على أسرته أن تسميه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الغلام يعق عنه يوم السابع - (أى يذبح عنه عقيقة كشاة أو عنزة) ويسمى ، ويماط عنه الأذى فاذا بلغ ست سنين أدب فاذا بلغ تسع سنين عزل من فراشه فاذا بلغ ثلاث عشرة سنة يضرب على الصلاة فاذا بلغ أوان الزواج زوجه أبوه ثم اخذ بيده وقال قد أدبتك وعلمتك وزوجتك أعوذ بالله من فتنك فى الدنيا وعذابك فى الآخرة .

السؤال : ما هى نواقض الوضوء

الجواب : ينتقض الوضوء بالأمور الآتية :

- ١ - خروج خارج معتاد من أحد السبيلين كالبول والغائط والمذى والودى والريح ، والمذى ماء رقيق يخرج عند الملاعبة ويقرب الى البياض وقد اتفق العلماء على نجاسته لم يخالف فى ذلك الا بعض الامامية .
- روى عن على رضى الله عنه قال : كنت رجلا مذاء فسألت النبى (صلى الله عليه وسلم) فقال (من المذى الوضوء ومن المنى الفسل) .
- ٢ - غيبة العقل بسبب من اسباب المغيبات كتعاطى مسكر ، أو جنون ، أو صرع ، أو اغماء ، أو غيرها .
- ٣ - النوم الثقيل الا نوم الممكن مقعدته من الأرض .
- ٤ - وينقض الوضوء عند الشافعية لمس المرأة الأجنبية وهذا اللبس ينقض ولو بدون لذة ولو كان الرجل هرما والمرأة عجوزا شوهاء ، بشرط عدم الحائل بين بشرة اللامس والملمس ، ويكفى الحائل الرقيق .
- ولا ينتقض الوضوء الا اذا كانت المرأة قد بلغت سن الشهوة عند أرباب الطباع السليمة .
- واستثنوا من بدن المرأة شعرها وسننها وظفرها فان لمسها لا ينقض الوضوء ولو تلمذ به لأن من شأن لمسها عدم التلذذ .
- وينتقض الوضوء بلمس الميت ، ولا ينتقض بلمس المحرم (وهى التى حرم نكاحها على التابيد بسبب نسب أو رضاع أو مصاهرة) .

أما التي لا يحرم زواجها على التأييد ، كاخت الزوجة وعمتها وخالتها
فإن لمس أحدهن بنقض الوضوء .

السؤال : على من تجب ركاه الفطر وما هو وقت أدائها

الجواب : جعل الله شهر رمضان موسما للعمل الصالح ، كما جعله
موسما للصدقة وصلة الرحم ، وقد أوجب الله زكاة الفطر على الصائمين ،
مشاركة بين الفنى والفقر ويجوز اخراجها قبل آخر رمضان بمدة يتمكن فيها
الفقر من الانتفاع بها في يوم العيد ، وذلك تحقيق للمعنى المقصود منها ، وهو
غناء الفقير عن مد يده في يوم العيد . قال صلى الله عليه وسلم « أغنوهم عن
ذل السؤال » .

والأصل في الزكاة - بوجه عام أن تصرف في بلد المزكى وجاز نقلها
لقريب في بلد آخر ، ويحسن أن يراعى بعد قرابة النسب ترتيب قرابة الجوار
مع تفاوت الحاجة ، وهى على العموم لا يجوز إعطاؤها لمن يعود نفعه الى المزكى
فلا يعطيها لوالده الفقير ولا لابنه الفقير لأن نفقة الأصل والفرع واجبة عليه ،
وكل من تجب نفقته من الأقارب يمنع إعطاؤهم من الصدقة .

ونعطي صدقة الفطر الى الأصناف الذين تصرف لهم الزكاة المفروضة ،
والفقراء والمساكين هم أولى الأصناف بها ، لما ورد في الحديث ما معناه « فرض
رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهره للصائم من الذنوب والآثام
واطعام للمساكين » .

ويجوز دفع زكاة جماعة الى مسكين واحد كما يجوز دفع زكاة الفرد
الى مساكين

والمستحب اخراج زكاة الفطر في المكان الذى فيه المتصدق لأنها تتعلق
بلمة المؤدى لا بماله ، وهذا بخلاف زكاة المال فإنها تؤدى حيث يكون المال .

وليعلم المسلم أن الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا ، فليبادر المسلم الى
اخراج زكاة الفطر مخلصا لوجه الله مطهرا نفسه من الشح والبخل ، مطعما
أخوانه المسلمين في ختام رمضان وعلى أبواب العيد حتى يأتى العيد وقد فرح
به المسلمون ، وصاروا فيه أسرة واحدة يتبادلون التهاني بيوم الفطر ويذكرون
فضل الله وإنعامه ، أعاده الله علينا وعلى المسلمين جميعا بالعرز والاقبال .

السؤال : كيف يستطيع الرجل زواج الأمة إذا كانت ليست ملكا له .

الجواب : يستطيع الرجل زواج أمة غيره بأن يخطبها من مالها
ويتزوجها .

قال الفقهاء (ولو تزوج أمة غيره فجاءت بولد ثم ملكها صارت أم ولد
له ومعنى ذلك :

انه يحق للانسان أن يتزوج جارية ملكا لرجل آخر .
وقد راعى الاسلام في ذلك أن الجارية أنسنة ولها حاجات بيولوجية
ونفسية فمن حقها أن تتزوج اذا وافق مالکها على ذلك ويشترط موافقة
المالك لأنه بمجرد أن تتزوج الجارية من رجل آخر يحرم على سيدها أن
يوطئها حتى لا تختلط الانساب .
فاذا وافق السيد على زواج جاريته فانه يعتبر ضمنا انه اسقط حقه
في وطئها وصار محرما عليه هذا الوطء لأن المرأة لا تحل الا لرجل واحد
حيث انها مكان الحرث وهى المحضن الذى يتم فيه الحمل .
وفى الحديث (ملعون من سقى ماءه زرع غيره) .
وقد اباح الاسلام الرق ، واباح للسيد المالك الاستمتاع بجاريته .
لما يأتى :

جاء الاسلام والرق نظام عالمي لا يستغنى عنه المجتمع فكان الغاء الرق
فجأة من شأنه أن يربك المجتمع ، مثل أن نلغى استخدام الكهرباء في هذا
الزمن ، لقد كان الرقيق كهرباء الحياة وبخارها .

ولكن الاسلام عمد الى تشبيه الرق بنهر له منابع ومصببات فضيق
المنابع ووسع المصببات حتى يجف نهر الرق في مستقبل الأيام وقد حث
الاسلام على تحرير الارقاء وجعل عتق الرقاب كفارة لأحداث تكرر في
المجتمع ، واباح للرجل أن يتسرى بجاريته لأنها متى أنجبت ولدا فقد أعنتها
ولدها ولا يصح لسيدها أن يبيعها ، وقد أنكر عمر بيع أمهات الأولاد وقال
(أبعد ان اختلطت لحومكم بلحومهن ودمائكم بدمائهن تريدون بيعهن) (١) .
فالاسلام قد اباح لمالك الجارية أن ينكحها ليكون ذلك وسيلة الى تحرير
العبيد وعتق الرقاب ، وقد استغل الاسلام في ذلك ميول الغريزة للقضاء على
روافد الرق واشاعة الحرية بين الناس ، حيث تعتق الجارية ويعتق أولادها
من سيدها ، وفى الأثر (اعتقها ولدها) .

السؤال : هل الدين الاسلامي انتشر الى سائر البلدان العربية وغير العربية
بعد السيف أم بالاقناع ؟

واذا كان قد انتشر بالاقناع فما هو السبب الرئيسى في الفتوحات
الاسلامية هل هو العامل الاقتصادي أم الدينى ؟

الجواب : الدين الاسلامي رسالة عالمية ودعوة انسانية صالحة لكل
زمان ومكان .

وقد ادعى اعداء الاسلام انه انتشر بالسيف وهذه دعوى باطلة
لما يأتى :

(١) بدائع الصنائع للكاظمي ص ١٢٤ .

١ - أساس الاسلام اخلاص الوجه لله واقتناع القلب وذلك يتناقى مع الاكراه فى الدين قال تعالى : « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشيد من الفى » .

٢ - لا يقبل الاسلام ما لم يتبعه تصديق القلب ويفين الوجدان واطمئنان النفس قال تعالى : « قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولا يدخل الايمان فى قلوبكم » .

السبب الرئيسى للفتوحات :

مكث المسلمون فى مكة ثلاثة عشر عاما بعد البعثة المحمدية يدعون الى دين الله بالحق ويتحملون فى سبيل هذه الدعوة كثيرا من الآلام ، وقد أمرهم الله بالصبر والاحتمال . ثم هاجر المسلمون من مكة الى المدينة ، وتركوا اموالهم وأرضهم ودورهم ، وحاول أهل مكة أن يحاربوهم وأن يذلوهم عند ذلك أذن الله للمسلمين أن يقاتلوا وأن يحاربوا فى سبيل الله ، فالقتال فى سبيل الله لم يكن لعامل اقتصادى وانما كان للأسباب الآتية :

أولاً : الدفاع عن النفس قال تعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله » الحج / ٣٩ ، ٤٠

ثانياً : تحطيم طواغيت الكفر وأهل الظلم والعدوان من المشركين .

ثالثاً : الدفاع عن المستضعفين من الصغار والنساء والشيوخ المسنين حتى لا يضغط عليهم الكفار وحتى لا يفتنهم فى دينهم . قال تعالى : « وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لذك ولياً واجعل لنا من لذك نصيراً » النساء / ٧٥

رابعاً : الدفاع عن الاسلام حتى ينتشر بين الناس ويدخل فيه من شاء حراً طليقاً بدون خوف أو رهبة .

وقد حارب المسلمون فى غزوات معينة هى غزوة بدر وغزوة أحد والخندق والحديبية ، ثم غزوة فتح مكة ، وغزوة حنين والطائف ، وكلها فى بلاد العرب وكلها كانت دفاعاً عن النفس ، أو رداً للعدوان أو حماية للضعفاء ، قال تعالى : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا » ثم فتح المسلمون بلاد الفرس وقد كانت تعبد النار وقد مزق ملك الفرس خطاب النبى صلى الله عليه وسلم اليه فقال النبى الكريم (مزق الله ملكهم شر ممزق) .

وكانت مصر تتعرض لظلم الرومان وابتزاز اليهود وتجبر الحكام فجاء

الاسلام فخلص السوريين والمصريين من ظلم الرومان وكان أقباط مصر يرحبون بالفاتحين المسلمين ويقدمون لهم الزاد والمؤنة لأنهم علموا بعدلهم وسماحتهم مع اهل الاديان الأخرى .

ومن ذلك نعلم أن الاسلام دين رحمة وهداية عامة للناس وأنه رسالة البشرية وأنه حارب مضطرا لأهداف دينية وإنسانية لا لأسباب اقتصادية كما يدعى المغرضون ، وقد بين القرآن أن رسالته عامة فقال للنبي محمد صلى الله عليه وسلم « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » وقال القرآن أيضا : « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » .

السؤال : هل سيأتى نبي الله محمد عليه الصلاة والسلام هاديا في آخر الزمان أم لا ؟

وهل سنراه في أرضنا مرة أخرى ؟

الجواب :

الموت حق وقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى : « انك ميت واتهم ميتون » .

وقال تعالى : « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ان كان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم » .
ومن هذه الآيات نتعلم الآتى :

١ - مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد أن بلغ الرسالة وادى الأمانة .

٢ - جاءه الوحي على سن الأربعين وقد مكث حيا بعد نزول الوحي ٢٣ عاما ومات وسنه ٦٣ عاما .

٣ - لن يأتى النبي صلى الله عليه وسلم في آخر الزمان ، ولن نراه في أرضنا مرة أخرى .

٤ - يأتى دعاة ومصلحون ومجددون ينصحون الناس بالتمسك بسنته ، قال صلى الله عليه وسلم (لا يزال الله يرسل لأمتى على رأس كل مائة عام من يجدد لها أمر دينها) .

٥ - عدم حضوره في آخر الزمان لا ينقص من قيمته ولا يفيض من قدره .

٦ - يدعى بعض الجهلاء أن عيسى إذا كان سيظهر في آخر الزمان فالأولى أن يظهر محمد أيضا . ويجب على هذا بأن الخصوصية لا تقتضى

الأفضلية ، فذلك خصوصية بسيدنا عيسى لا تعفى انه افضل من محمد بل ان الاحاديث الصحيحة أفادت أن عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان حكما عدلا يدعو الناس الى المسك بالحق واحياء شريعة الاسلام ورسالة محمد عليه الصلاة والسلام .

٧ - ينبغي أن نشغل أنفسنا بامور العبادات والمعاملات وان ننترك الغيبات . وقد نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن (قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال) .

السؤال : كم يجب اخراج زكاة ألف ريال سعودي ؟ وهل يجوز اعطاء الزكاة لأحد من أقاربه الفقراء ؟

الجواب :

أولا : زكاة المال مقدارها ربع العشر اي ($\frac{1}{40}$ ٪) اثنان ونصف في المائة أو ٢٥ في الألف ، ومعنى ذلك أن زكاة الألف ريال سعودي هو (٢٥) خمسة وعشرون ريالا سعوديا . وتجب كل سنة مرة بعد أن يحول الحول على المال . ويجوز اخراج الزكاة قبل موعدها اذا رأينا محتاجا أو مضطرا فنُدفع له من الزكاة بمقدار ما يزيل اضطرابه وحاجته .

ثانيا : يجوز اعطاء الزكاة لأحد الأقرباء اذا كان فقيرا بل اخراج الزكاة الى القريب الفقير أولى من اخراجها الى الفقير غير القريب ، وفي الأثر . صدقتك على الغريب صدقة ، وصدقتك على القريب صدقة وصلة رحم . لكن لا يجوز أن يخرج الانسان الزكاة الى شخص تجب نفقته عليه ، مثل الابن وابن الابن وان نزل والأب والجد وان علا .

لأن الانسان يجب عليه أن ينفق على أولاده الصغار وأولاده الكبار اذا كانوا عاجزين عن الكسب ، وأن ينفق على زوجته وآبائه وأجداده اذا كانوا في حاجة الى النفقة .

فاذا كان القريب لا تجب نفقته على المزكى مثل العم وابن العم والخال وابن الخال وأشباه ذلك ممن يسمون بالحواشي فهم ليسوا من الأصول ولا من الفروع ولكنهم من الحواشي والأطراف ، فانه يجوز أن يدفع لهم الانسان الزكاة ، وينبغي أن نلاحظ أن الزكاة فرضها الله للفقراء والمساكين والمحتاجين فلا يصح أن نأخذ حق الفقراء والمساكين ونُدفعه للأقرباء الملاصقين .

مثل الاخ فان بعض الفقهاء يقول ان نفقة الاخ الفقير واجبة على أخيه الغنى .

فمن دفع الزكاة الى اخيه ، كان منصرفا في مال الفقراء فهو ينقل حقوق الفقراء والمحتاجين الى اخيه ، ونقول له ادفع الزكاة الى الفقراء ، وادفع الى اخيك من الصدقة الواجبة عليك .

وحاول أن تكون فوق الشبهات ما استطعت الى ذلك سبيلا .

والخلاصة : انه يجوز دفع الزكاة الى القريب قرابة غير ملاصقة ، ولا يجوز دفعها الى القريب قرابة قريبة كالابن والجد لأن هؤلاء نفقتهم واجبة على الانسان أما الأخ فان بعض الفقهاء يعتبر النفقة عليه فرضا على اخيه الغنى .

والأحوط أن تدفع للأخ من الصدقة الواجبة ولاندفع له من الزكاة .

السؤال : مسلم يصوم رمضان دون أن يصلى التراويح هل صومه مقبولا أم لا ؟

الجواب : صيام رمضان فريضة فرضها الله بنص الكتاب والسنة والاجماع ، وصلاة التراويح سنة سنّها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي الحديث الشريف (من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) .

فمن صام رمضان دون أن يصلى التراويح فصومه صحيح مقبول .
ولكن من آداب الصيام ما ذكره الفقهاء فيما يأتي :

١ - تعجيل الفطر وتأخير السحور

٢ - أن يفطر على تمر أو على شيء حلو فإن لم يجد فعلى الماء فإنه ظهور

٣ - أن يتخير مطعمه من الحلال حتى يكون صومه مقبولا
قال تعالى : (**كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا**) .

٤ - ألا يستكثر من الطعام عند الافطار فان في ذلك اضرارا بالمعدة
وفي الحديث (**لَا ضَرَرٌ وَلَا ضَرَارٌ**) .

٥ - أن يحافظ على صلاة التراويح وهي قيام الليل في رمضان وقد شرمّت فيها الجماعة وهي عشرون ركعة تصلى مثني مثني يستريح القوم فيها بين كل أربع ركعات بقدرها ، وان شاءوا ذكروا الله تعالى وان شاءوا صلوا على النبي صلى الله عليه وسلم وان شاءوا سكتوا .

ونلاحظ أن صيام رمضان فريضة لا بد من أدائها ، قال تعالى :
(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لِعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بنى الاسلام على خمس :
شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة
وصيام رمضان ، وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا) .

وفي حديث طلحة بن عبيد الله : (أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله : أخبرني عما فرضه الله على من الصيام . قال
شهر رمضان . قال : هل على غيره ؟ قال : لا الا أن تطوع) .

ومن كل ما تقدم نلاحظ أن ما فرضه الله من الصيام هو صيام شهر
رمضان وإن صلاة التراويح كمال وأدب ولكن تركها لا يبطل الصيام .

السؤال : هل ختان البنت سنة أم فرض أو مندوب في مذهب الامام
مالك ؟

الجواب : اختار الله للأنبياء عليهم السلام سننا وآدابا وأمرنا بالاعتداء
بهم فيها وجعلها من قبيل الشعائر التي يكثر وقوعها ليعرف بها اتباعهم
ويتميزوا بها عن غيرهم وهذه الخصال تسمى سنن الفطرة ومن هذه الآداب
والسنن : الختان وتقليم الأظافر وإكرام الشعر بأن يدهن ويسرح ويفسل
والعناية بالنظافة ، والتطيب بالمسك وغيره من الطيب الذي يسر النفس
ويشرح الصدر وينبه الروح ويبعث في البدن نشاطا وقوة .

الختان

الختان : هو قطع الجلد التى تغطى الحشفة لثلا يجتمع فيها الوسح وليتمكن من الاستبراء من البول ، ولثلا تنقص لذة الجماع ، هذا بالنسبة الى الرجل ، واما المرأة فيقطع الجزء الاعلى من الفرج بالنسبة لها وهو سنة قديمة فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اختتن ابراهيم خليل الرحمن بعدما انت عليه ثمانون سنة ، واختن بالقدم » رواه البخارى ، والقدم آلة النجار أو موضع بالشام ومذهب الجمهور والمالكية أن الختان واجب ويرى الشافعية استحبابه يوم السابع وقال الشوكاني : لم يرد تحديد وقت له ولا ما يفيد وجوبه .

وعندما نستعرض الاحاديث الواردة عن النبى صلى الله عليه وسلم التى وردت فى الأمر بختان المرأة نجد أنها ضعيفة لم يصح منها شيء .

والراى المختار من كلام الفقهاء : أن الختان واجب بالنسبة للرجال وأنه مكرم بالنسبة للمرأة وأن الأفضل الا يقطع قدر كبير من الجزء الاعلى من الفرج ، والا يقطع قدر صغير بل تقطع نسبة متوسطة مألوفة معروفة عند الخبراء .

لأن قطع قدر كبير من الجزء الاعلى من الفرج يجعل البنت عندما تتزوج لا تستجيب لزوجها بسرعة وربما كان عندها برود جنسى .

واذا قطعنا جزءا صغيرا أو تركنا الختان بالمرّة فربما تصبح البنت عندها تهيج جنسى .

ويرى المجتهدون المحدثون أن ختان البنت امر طبي بحت بخضع لخبرة الناس ومعرفتهم ، فلم يرد حديث صحيح يأمر بختان البنت . وبذلك أصبح الامر متروكا لخبرة الأطباء وأهل الاختصاص . فاذا كان الختان يؤدى الى مضرة فلا بأس من تركه ، واذا كان للختان محامد وفضائل فالأولى عمله .

واذا كان للختان مضار في البلاد الباردة يترك ، واذا كان له لمحمد في البلاد الحارة يفعل - لان الختان للبنات امر من امور العادات خاضع لتحقيق المصلحة العامة والاستحسان . فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن - وعلى هذا فختان البنت امر من امور العادات لامن امور العبادات فمن فعله فهو حسن ومن تركه فلا اثم عليه . لان الاعتبار والمعول عليه هو مصلحة البنت والانفع لها بحسب كل بلد والله اعلم .

السؤال : ما هي السن التي اذا وصلت اليها المرأة لا يتزوج منها الرجل ؟

الجواب : سن اليأس عند المرأة

نصف النساء يكون يأسهن بين ٤٥ - ٥٠ سنة

ربع النساء يكون يأسهن بين ٤٠ - ٤٥ سنة

ثمن النساء يكون يأسهن بين ٣٥ - ٤٠ سنة

ثمن النساء يكون يأسهن بين ٥٠ - ٥٥ سنة

ومن هذا الاستعراض السابق نعلم ان المرأة تظل صالحة للحمل والولادة الى سن اليأس وهي ٤٥ سنة أو ٥٠ سنة أو ٥٥ سنة ، ومن الممكن ان يتزوج الانسان المرأة في أى سن مهما كانت كبيرة اذا كان القصد من الزواج المودة والرحمة والألفة أو لم يكن الرجل حريصا على انجاب الاولاد ، وقد كانت خديجة زوجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها وكان عمرها ٤٠ سنة وعمره خمسة وعشرون سنة وظل وبقا لها لم يتزوج عليها حتى ماتت وكان عمرها ٦٢ سنة (اثنتين وستين سنة) وعمر النبي عند وفاتها (٤٧) سبعة وأربعون سنة .

ومسألة السن امر اعتبارى يختلف باختلاف الظروف والاحوال ولكن الأفضل ان يكون هناك تقارب في السن حتى ينشأ عن ذلك نوع من الألفة والمودة والرحمة والحب .

واذا كان فارق السن محتملا فلا بأس به فهذه امور اعتبارية ترجع الى طبيعة الزوج والزوجة ومدى استعدادهما للنفاهم والتقارب والعمل في أسرة موحدة يجمعهما سقف واحد وهدف واحد . والله اعلم .

السؤال : قيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم هو خير خلق الله فهل جاء ذلك في القرآن أو الحديث ؟ واذا كان في القرآن ففي أى سورة واذا كان في الحديث فما هو الحديث ؟

الجواب :

فضل الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم بعدد من الفضائل والمزايا . فقد أرسله الله للناس أجمعين قال تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) سورة الانبياء الآية ١٠٧ .

وقال تعالى (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا) سورة سبا الآية ٢٨ . وروى البخارى فى صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلى :

١ - نصرت بالرعب مسيرة شهر .

٢ - وجعلت لى الارض مسجدا وترابها طهورا فايما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل

٣ - واحلت لى الغنائم ولم تحل لنبي قبلى

٤ - واعطيت الشفاعة .

٥ - وأرسل كل نبي الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة .

وخلاصة شرح هذا الحدث ما يأتى :

١ - عندما يذهب النبي صلى الله عليه وسلم الى حرب قوم فان الله عز وجل يلقى الرعب فى قلوبهم فينهزمون أمام رسول الله ، وتضعف روحهم المعنوية .

٢ - ان المسلم يستطيع التيمم والصلاة فى الصحراء والأراضى الزراعية وغير المسلم لا يصلى الا فى الكنيسة او البيعة او دار العبادة .

٣ - ان المسلم أحل الله له الغنائم عند الحرب أما موسى عليه السلام فكان يحرق الغنائم وأما عيسى فلم يؤمر بالحرب .

٤ - ان الأنبياء يوم القيامة لا نستطيع أن تشفع للناس حتى يستريحوا من هول الموقف ، ويعتذر المرسلون جميعا فيقول سيدنا إبراهيم انى كذبت على قومي حين كسرت الاصنام ، ويقول سيدنا موسى انى قتلت رجلا خطأ ويقول سيدنا عيسى نفسى نفسى ان الجبار قضب اليوم غضبا شديدا لم يغضب مثله اذهبوا الى قيرى اذهبوا الى محمد صلى الله عليه وسلم .

فيذهبون للنبي صلى الله عليه وسلم يطلبون منه الشفاعة عند الله فيقول النبي أنا لها أنا لها ثم يسجد تحت ساق العرش ، فيقول له الله ارفع واشفع تشفع وسل تعطى فذلك المعام المحمود الذى قال له الله (ويبعثك ربك مقاما محمودا) .

والخلاصة أن محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل خلق الله وإن علينا أن نهتم بالعمل الصالح والتمسك بسيرة النبي وأعماله وأخلاقه ولا نتمسك بأمور الخلاف والجدال . فما منح قوم الجدل إلا منعوا بركة العمل .

السؤال : قيل إن رسول الله وجد نبي الله موسى ذات يوم جالسا على جلد مفروش على الأرض . فجلبه بعيدا عن المكان الذي كان يجلس فيه فهل هذا صحيح وإذا كان صحيحا فهل يعتبر شرا أم خيرا .

الجواب :

هذا الخبر ليس صحيحا ، لأن سيدنا موسى عليه السلام قد مات قبل ميلاد النبي محمد صلى الله عليه وسلم بألاف السنين .

ومثل هذه الأخبار من الاسرائيليات المخالفة للمنقول وللمعقول .

فهذا الخبر لم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح ، والدين الاسلامي أمرنا أن نتقبل أمور الدين من القرآن والسنة المطهرة وما أثر عن الصحابة والتابعين .

أما الأخبار الواهية والأحاديث الموضوعة فأننا نرفضها ومن علامات الحديث الموضوع ما يأتي :

١ - ركافة معناه وضعفه .

٢ - فساد معناه كان يخالف البدهيات أو ما هو معروف مسلم به من القواعد العامة في الحكم والأخلاق .

٣ - مخالفته للكتاب أو السنة المتواترة أو الاجماع القطعى .

٤ - مخالفته الوقائع التاريخية المقطوع بصحتها .

٥ - اشتغال الحديث على افراط في الثواب العظيم جزاء عمل صغير أو اشتغاله على مبالغة في الوعيد الشديد على الأمر الحقير .

ومن كل ما تقدم يتأكد لدينا أن الكلام الوارد في السؤال ليس صحيحا لأن سيدنا موسى قد مات قبل النبي محمد صلى الله عليه وسلم وهذا الكلام الوارد في السؤال مخالف للوقائع التاريخية المقطوع بصحتها .

السؤال : ما رأى الدين في المزاح بين الزوجين ؟

الجواب :

أمر الاسلام الزوج بحسن المعاشرة والملاطفة واکرام الزوجة واعطائها حقوقها وهى المهر والنفقة والكسوة والعشرة بالمعروف والصبر عليها

واحتمال بعض الهفوات قال تعالى : « وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » .

قال أبو حامد الفزالي - ومن أدب الزواج ان يزيد على احتمال الآذى بالمداعبة والمزاح والملاعبة فهى التى تطيب قلوب النساء ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح معهم وينزل الى درجات عقولهن فى الاعمال والأحلاق حتى روى أبو داود والنسائي ، وابن ماجه بسند صحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسابق عائشة فى العدو (الجرى) فسبقته يوما وسبقها فى بعض الأيام فقال عليه الصلاة والسلام هذه بذلك ، وفى الخبر أنه كان صلى الله عليه وسلم من أفكه الناس مع نسائه .

وقال صلى الله عليه وسلم اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم بأهله ، وقال عليه السلام خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي ، وقال عمر رضى الله عنه ينبغى للرجل ان يكون فى أهله مثل الصبي فاذا التمسوا ما عنده وجد رجلا ، وروى البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجابر حين تزوج نيبا (هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك) أى هلا تزوجت بكرا حتى تلعب معها ولتعب معك ، فالمزاح والملاعبة بين الزوجين سنة مشروعة ولكن ينبغى ألا يريد الرجل فى الدعاية وحسن الخلق والموافقة باتباع هوى الزوجة الى حد يفسد خلقها ويسقط هيئته عندها بل يرامى الاعتدال فيشتد ويفضب اذا رأى منكرا ، وينبسط ويفرح اذا رأى شيئا حسنا وخير الأمور الوسط وكان عليه الصلاة والسلام يحب الرفق فى الأمر كله ، والخلاصة ان المزاح كالمالح للطعام ينبغى أن يكون باعتدال وفى اوقات مناسبة ، فهناك ساعة للجد ووقت للمزاح والمجاملة ، وفى الحديث الصحيح (ان لربك عليك حقا وان لزوجك عليك حقا فاعط كل ذى حق حقه) .

ثلاثة أسئلة

السؤال الاول : كم كان عمر موسى عندما ذهب الى مدين وما هو الوقت الذى استغرقه سفره الى مدين وما هى المدة التى قضاه عند شعيب ؟

الجواب :

اقام موسى بمصر الى ان بلغ أشده وصار عمره ثلاثين عاما ثم قتل رجلا خطأ فهرب من مصر ماشيا على قدميه فى شهور الصيف ، واشتد به الجهد والجوع وحفيت قدماه من السير فلما وصل الى أرض مدين ساعد بنتى نبي الله شعيب فى سقى أغنامهما ، ثم استراح فى ظل شجرة وقال (رب انى

لما انزلت الى من خير فقير) ، مجاءته ابنه شعيب ودعته لمقابله ابيها وهناك تزوج من هذه الفتاة ومكث عند شعيب عشر سنوات ، وبذلك اتم أربعين سنة وبينما هو عائد الى مصر اعطاه الله الرسالة والنبوة وارسله الى فرعون وقومه .

وقد عاش موسى بعد أن أصبح رسولا ثمانين عاما منها ثلاثين سنة قضاها بمصر قبل اختراقه البحر ، وخمسين سنة قضاها بعد اختراق البحر ومات وعمره ١٢٠ عاما .

فعر موسى كالآتي :

ثلاثين سنة في مصر ، عشر سنوات في مدين ، تم جأته الرسالة وعمره أربعون عاما وهو في طريق عودته من مدين الى مصر .

ثم عاش ثمانين سنة بعد الرسالة ومات وعمره ١٢٠ سنة .

السؤال الثاني : عندما ذهب موسى الى مصر هل كانت معه صفة ابنة شعيب ؟

الجواب :

جاء في تفسير مقاتل بن سليمان ، المتوفى سنة ١٥٠ هـ ، « وهو تفسير مخطوط حققه الدكتور عبد الله شحاته » ، وعند تفسير الآية ٢٩ من سورة القصص ما يأتي :

« اتم موسى عشر سنين عند شعيب وتزوج من ابنته الكبرى صبورا بنت شعيب بن نويب بن مدين بن ابراهيم . (فلما قضى موسى الاجل) اى السنين العشر وسار باهله ليلة الجمعة رأى نارا ناحية الطور ، وكان قد تحير ليلا وضل الطريق فقال لاهله امكثوا مكانكم لعل آتيكم بجدوة من النار تستدفئون بها أو أجد عند النار من يرشدنى الى الطريق » . ومن تفسير مقاتل يتضح أن اسمها صبورا لا صفة كما ذكر السائل . أما موسى عليه السلام فقد وجد عند النار نورا الهيا ونداء ربانيا هو نداء الحق سبحانه : (ان يا موسى انى انا الله رب العالمين) القصص / ٣٠

ثم اعطاه الله الرسالة فذهب بها الى فرعون وقومه بأرض مصر .

السؤال الثالث : أين حصل موسى على عصاه في مدين أو في مصر وماذا

كان لون العصا ؟

الجواب : جاء في تفسير مقاتل بن سليمان لقوله تعالى في سورة طه (وما تلك يمينك يا موسى قال هى عصاى اتوكا عليها واهش بها على غنى ولى فيها ما رب اخرى) طه / ١٧ ، ١٨

كان موسى عليه السلام يحمل زاده وسقاهه على عصاه ، وكان اذا ركزها في الأرض خرج الماء فاذا رفعها ذهب الماء وكانت بضء بالليل في غير قمر لبهتدى بها ، ويرد بها عنمه عليه وكانت تعصه باذن الله من الآفات ويقتل بها الحيات والعقارب باذن الله عز وجل .

حدثنا عبيد الله قال وحدثني أبي عن الهذيل عن مقال قال دفع جبريل عليه السلام العصى الى موسى وهو متوجه الى مدين بالليل واسم العصى نفعه .

أما السؤال عن لون العصا فهو من المكلف الذي لا فائدة منه وأولى بالمسلم أن يصرف همه الى فهم كتاب الله والاكتفاء بما جاء به .

قال الامام الحافظ بن كثير في حديثه عن الاسرائيليات : « وعالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود الى امر ديني ولهذا يخلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيرا ويختلف المفسرون عادة بسبب ذلك ، كما يدكرون في مثل أسماء اصحاب أهل الكهف ولون كلبهم وعدتهم وعصا موسى من أى شجر كانت وأسماء الطيور الى أحيائها ابراهيم ، ويعين البعض الذي ضرب به القتيل من البفرة ، ونوع الشجرة الى كلم الله منها موسى الى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى في القرآن حيث لا فائدة منه تعود على المكلفين في دينهم أو دنياهم » .

ويقول ابن كثير ايضا : « وفي القرآن غنية عن كل ما عداه من الاخبار المتقدمة لأنها لا تكاد تخلو من بديل وزيادة ونقصان وقد وضع فيها أشياء كثيرة .

ويقول المحقق الأسناذ احمد شاكر « ان في ابات مثل هذه التفسيرات بجوار كلام الله ما يوهم أنها بيان لمعنى قول الله وتفصيل لما أجمل فيه . وحاشا لله ولكتابه أن يفسره بأسرائيليات أمرنا بالآ نصدقها ولا نكذبها ، وبالتالي أمرنا ألا نضعها موضع التفسير أو البيان لكتاب الله » .

سؤالان

س ١ - الكتب السماوية أربعة . القرآن الكريم باللغة العربية .

ما هى اللغات التى أنزلت بها الكتب الأخرى ؟

ج ١ : أنزل الله صحفا على أنبيائه ورسله . قال تعالى (ان هذا لفي الصحف الأولى ، صحف ابراهيم وموسى) .

كما أنزل القرآن والتوراة والانجيل والزبور .

نزل القرآن على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم باللغة العربية قال تعالى (انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) يوسف ، وقد أنزل الله التوراة بالعبرانية وأنزل الزبور بالعبرانية ، وأنزل الانجيل بالآرامية ونلاحظ أن الكتب التي نزلت على بنى اسرائيل وهى التوراة والزبور كانت بلغتهم العبرانية قال تعالى :

(وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم)

وقد ذكر القرآن هذه الكتب السماوية وبين أنها منزلة من عند الله قال تعالى فى بداية سورة آل عمران (ألم . الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل) وقال سبحانه (وآتينا داود زبوراً)

والمؤمن مطالب أن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وأن يصدق بأن الله أرسل رسلا وأنزل عليهم كتباً وأن هذه الكتب فيها أحكام الله ، وبعضها دخله التحريف والقرآن متم لهذه الكتب ومهيمن عليها ولم يدخله تحريف فهو حاكم صادق على الكتب السابقة ، وقد نسخ الاسلام الشرائع السابقة وجمع القرآن أهم الأحكام السابقة فى الكتب المنزلة وزاد عليها قواعد أساسية تمس حاجة الانسان فى جميع العصور فهو كتاب البشرية الخالد أحكامه عامة وقواعده عادلة قال تعالى :

(انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)

س ٢ : كيف يستطيع المسلم أن يعوض صلاته التى أقامها فى غير وقتها .

ج ٢ : الصلاة ركن من أركان الاسلام فرضها الله وبين أوقاتها وأمرنا أن نحافظ عليها وأن نواطب على أدائها فى أوقاتها قال تعالى (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) أى فرضاً مؤقناً يؤدى فى وقته وإذا اضطرب الانسان وأدى صلاته فى غير وقتها ، فإن كفارة ذلك هى الندم والاحساس بالتقصير والاستغفار والعزم على المحافظة على الصلاة فى المستقبل .

ولم يؤخر النبى صلى الله عليه وسلم صلاة عن وقتها ، وفى غزوة الأحزاب جمع الظهر والعصر والمغرب والعشاء فى وقت واحد ثم دعا على الكافرين وقال ملأ الله بيوتهم وديارهم ناراً شغلونا عن الصلاة الوسطى - صلاة العصر .



ان المحافظة على الصلاة من صفات المؤمنين الخاشعين الذين اختاروا طريق الفلاح قال تعالى (قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون) ثم قال سبحانه (والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون)

ومن أنى الصلاة متاخرة من وقتها الشرعى ، وأراد أن يعوض هذا التأخير ، فإن عليه الندم والاستغفار والاحساس بالتقصير وليعزم على المحافظة على الصلاة ويمكن أن يتبع ذلك بصلاة ركعتين تطوعا وإخراج صدقة وتقديم عمل نافع ، كمساعدة محتاج أو تفريج كربه مكروب أو تلاوه القرآن أو نحو هذا قال تعالى (واقم الصلاة ظرفى النهار وذلما من الليل ان الحسنات يذهب السيئات ذلك ذكرى للذاكرين)

أي أن الأعمال الصالحة والطاعات تخفف آثار السيئات وتمحو عقابها لأن الحسنات اذا رجحت كفتها في الميزان فقد فاز الانسان قال تعالى (فاما من ثقلت موازينه ، فهو فى عيشة راضية ، واما من خفت موازينه ، فاما هاهوية ، وما أدراك ما هييه ، نار حامية) القارة ٦ - ١١

ثلاثة أسئلة

س ١ - هل يجوز التهرب من الفرائض التى يدفعها الزوج عقابا له على طلاق زوجته ؟

ج ١ - الطلاق حلال وأبغض الحلال الى الله الطلاق .

ومعنى ذلك أن الله شرع الزواج وجعله وسيلة لاقامة الأسرة المستقرة الناجحة ، وقال عليه الصلاة والسلام (ان الله لا يحب اللواقين ولا اللواقات فاذا تزوجتم فلا تطلقوا)

والدواق هو الذى يتزوج المرأة ليدوق طعمها ثم يتركها الى امرأة أخرى . مع أنه لو فكر جديا لوجد أن أساس الهدى الإسلامى هو الاكتفاء بزوجة واحدة تكون أساس الاستقرار والسعادة وتكون أشبه بالنحلة التى يقدم لها الغذاء فتخرج عسلا شهيا مختلفا ألوانه فيه شفاء للناس .

فاذا رأى ولى الأمر أن بعض الناس يستغل حق الطلاق ويتعسف فى استخدام هذا الحق ويستعمله فى غير محله ، واذا أراد ولى الأمر أن يحافظ على سلامة المجتمع من أضرار الطلاق ثم فرض غرامة على كل زوج يطلق زوجته عقابا له فيجب على الانسان أن يدفع هذه الغرامة عند الطلاق ولا يجوز له أن يتهرب منها . لأنها تأديب ووسيلة من وسائل تقليل الطلاق حتى يفكر الانسان طويلا قبل أن يقدم على طلاق الزوجة وليعلم المؤمن أن الانسان خلق ضعيفا والمرأة خلقت شديدة العاطفة والتأثر فينبغى للرجل أن يحسن عشرتها وأن يصفح عن بعض هفواتها والا يبادر للطلاق لأسباب يسيرة . وفى الحديث الشريف يقول النبى صلى الله عليه وسلم (لايفرك مؤمن مؤمنة ان كره منها خلقا رضى منها آخر)

أى لا يبغض زوج زوجته من أجل عيب معين وليبحث عن صفاتها الحميدة الأخرى .. وربما ينقلب بغضه لزوجه الى حب وتعاون وربما رزق

منها ولدا أو ساعدته الايام على التفاهم والسعادة الزوجية مال تعالى
(وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله
فيه خيرا كثيرا) النساء / ١٩

س ٢ - هل يجوز للمسلم ان يزوج فناه غير سريعة

واذا كان يجوز فماذا يفعل .

ج ٢ - امرنا الاسلام ان نختار الزوجة وان نحسن الاحيار والعوامل
التي يختار الانسان من اجلها الزوجة هي الجمال والمال والحسب والدين .

فلا بأس ان يكون جميله جمالا سسبيا وكره الفقهاء صاحبه الجمال
الباهر لأنها تزيه بجمالها .

ولا بأس ان يكون لديها مال يعين على نوايب الحياه .

ولكن اذا كانت فقيرة حسنه السيرة والخلق فان الله قد وعد زوجها
بالغنى قال تعالى (وانكحوا الايامي منكم والصالحين من عبادكم وامانتكم ان
يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله والله واسع عليم) النور / ٣٢ .

ولا بأس ان يكون الزوجة من عائلة كريمة معروفة بالاستقامة وحسن
السلوك ولا يلزم ان تكون عائلة غنيه أو حاكمة بل يكفى ان تكون عائلة ذات
مسوى اخلاقى كريم .

واخيرا يجب ان تكون الزوجة ذات دين وايمان يعصمها من التردى في
الرديلة ويدعوها الى الاعمال الحسنة .

قال صلى الله عليه وسلم (تنكح المرأة لأربع لمالها وجمالها وحسبها
ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك) أى احرص على زواج المرأة المؤمنه
التي نلتزم بأحكام الاسلام وتنقل أوامر الله وتجتنب المحرمات وهناك ملاجئ
ودور حضانه ، ومؤسسات ترمى اللغطاء وساعدهن على التعليم واكتساب
حرفة او مهارات معينه .

فاذا رأى الانسان فتاة لقيطه أو فتاة من غير زواج شرمى أو فتاة ضلت
الطريق وأعجبته ورأى انه قادر على رعايتها وحمايتها من الرذيلة فلا مانع من
زواجها ، ويجوز له ان يتقدم لخطبتها من ولى أمرها فان لم يكن لها ولى
خطبها من اقرب الناس اليها أو ممن يرمى أمورها .

وعليه ان يتم عقد الزواج تماما بالصورة الشرعية .

فيقدم لها الهدايا ويعقد القران ويقدم لها المهر وعند حضور وقت
الزواج يتم بصورة طبيعية ولا بد من حضور الشهود وعلان الزواج
واشهاره امام الناس .

س ٣ - ما هي اللغة التي كان يتكلم بها أبونا آدم وأمنا حواء ؟
ج ٣ - أولا : البحث من هذه الأشياء تكلف لا داعي له ، وقد امرنا أن نسأل عما فيه فائدة .

ثانيا : كان آدم قد علم أسماء الأشياء والمسميات قال تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها)

ومن هذه الآية يمكن أن نسمى لغة آدم اللغة الآدمية نسبة إلى آدم .
أو نسميها اللغة الإلهية نسبة إلى الإله سبحانه لأنه هو الذي علمها لآدم .

ثالثا : نحن نعلم انه كانت هناك وسيلة للتفاهم بين آدم وحواء والملائكة أما ما هي الوسيلة وما اسم اللغة التي كان يتكلمها آدم ، فالبحت عنه تكلف غير مفيد وفي القرآن (قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبسرون وما كنتم تكتمون) البقرة / ٣٣

وخلاصة معنى هذه الآية ان الله علم آدم أسماء الأشياء وقواعد اعمار الكون واستخلاص النتائج من المقدمات ، ثم طلب من الملائكة أن تنطق بأسماء الأشياء التي امامها فعجزت لعدم علمها ولأنها مخلوقات مجبرة على الطاعة لا تملك اسباب الابتكار والاستنتاج . فطلب الله من آدم أن يخبرهم بأسماء الأشياء التي امامهم فلما أخبرهم آدم بأسماء الأشياء أعلمهم الله أن الأرض لا يعمرها الا انسان وان الله عليم بغيب السماء ولذلك جعل عمارة الأرض بيد آدمي من أفراد الانسان لأن الانسان بصعانه الغريزية وطبيعة التنافس والتغالب فيه هو الذي يتناسب مع عمارة الأرض وتكاليف الحياة الدنيا ، أما الملائكة فأجسلم من نور لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

سبعة أسئلة

س ١ : هل الحب حرام أم حلال

ج ١ - مدح الله المؤمنين بقوله سبحانه (يحبهم ويحبونه)

وامتن الله على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : (والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم) .

وقد ألف الناس أن يطلق الحب على العلاقة العاطفية بين الفتى والفتاة أو بين الرجل والمرأة .

مع أن الحب يمكن أن يمتد إلى حب الوطن وحب الأسرة وحب العمل وحب الحياة وحب الناس وحب العبادة ومحبة الله وهي الحب الأكبر .

قال صلى الله عليه وسلم : (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه الا الله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار) .

والحب العاطفى بين الفتى والفتاة من الأمور التى نلمسها فى حياتنا وعادة ما يتعرض له الفتيان والفتيات بل الشباب والشابات وليس الحب ميبا فى ذاته انما العيب هو الاستسلام للهوى والشهوة والاسترخاء امام جموح العاطفة وقد أمرنا أن نسامى بعواطفنا وأن نغطم أنفسنا عما حرم الله ، وأن نحفظ الجوارح من معصية الله قال تعالى (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والله واسع عليم) .

س ٢ : لى زميل يترك عمله الرسمى الى صلاة الظهر ويستمر فترة طويلة جدا فى الصلاة هل ذلك جائز أم غير جائز .

ج ٢ : فرض الله الصلاة وجعلها خمس صلوات فى اليوم والليلة وجعل لكل صلاة وقتا محددا . قال تعالى (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) .

ولابد من الصلاة فى أوقاتها وذهب الامام احمد بن حنبل الى جواز جمع الظهر مع العصر جمع تقديم والمغرب مع العشاء جمع تأخير فى السفر والمرض والبرد والعدر الشديد ، كالشرطى الذى ان ترك عمله اعتدى للصوص على أموال الناس التى يحرسها .

اما من ترك عمله وتغيب منه فترة طويلة جدا للصلاة . فانه يتشاغل من عمله بدون حق . كما قال القائل .

إذا رام كيدا بالصلاة مقيما فتاركها عمدا الى الله أقرب
لقد قرن التجار بالمجاهدين فقال سبحانه :

(وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله) .

وقد وسع النبى صلى الله عليه وسلم انواع العبادة وجعل أوجه النشاط المختلفة نوعا من العبادة اذا قصد بها وجه الله .

راى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شابا جلدا قويا قد بكر ليسعى فقالوا يارسول الله لو كان شبابه وجلده فى سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم : « دعوه فانه ان كان خرج يسعى على أبوين كبيرين فهو فى سبيل الله وان كان خرج يسعى على صبية له صغارا فهو فى سبيل الله وان كان خرج يسعى على نفسه يعفها عن المسألة فهو فى سبيل الله وان كان خرج يسعى استكثارا للمال وتفاخرا به فهو فى سبيل الشيطان »

فمن ذهب الى الصلاة فليؤدها في وقتها وعليه الا يضيع وقتنا طويلا جدا بعيدا عن عمله ، بل يؤدي الصلاة ويعود الى عمله ليسعى على رزقه من حلال .
قال تعالى (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله) .

س ٣ : اشتريت فاكهة وعندما عدت الى المنزل وجدت في الكيس الذي أحمله نوعا رديئا بسبب الفس . أرجو توجيه كلمة الى التجار .

ح ٣ : حرم الله الفس وتوعد فاعله بالعذاب والنكال .

قال صلى الله عليه وسلم (من غشنا فليس منا) .

وروى الامام احمد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(المسلم أخو المسلم ولا يحل لمسلم اذا باع من أخيه بيعا فيه عيب ان لا يبينه)

وكما حرم الاسلام الفس فقد حرم تطفيف الكيل والميزان . قال تعالى
(ويل للمطففين • الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون • واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون • الا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم) .

فقد توعد الله من يبخس الناس حقهم في الكيل والميزان بالويل وهو و
في جهنم بعيد غوره شديد عذابه ، فله الويل والسعير لانه اذا اشترى اسنوفى حقه واذا باع بخص الناس حقها .

قال تعالى (أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم)

وكذلك حرم الاسلام الاحتكار وهو جمع السلعة رجاء زيادة سعرها ، وفي الاثر (بش التاجر المحتكر اذا أرخص الله الاسعار حزن واذا اغلاها فرح

س ٤ : هل يجوز اعتناق المذهب المادى

ج : أرسل الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا ومشررا ونديرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وقد أنزل الله عليه القرآن داعيا الى الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

وساق القرآن العديد من الأدلة على وجود الله . ولفت نظر الانسان الى خلق السماء والارض والشمس والقمر والليل والنهار والبحار والانهار ، قال تعالى :

(هذا خلق الله فارونى ماذا خلق الذين من دونه)

وقال سبحانه (أم من جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا)

قالانسان جسم وروح والاسلام دين وسط . قال تعالى (وكذلك جعلناكم امة وسطا) .

ان المذاهب المادية تنكر الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتدعى ان الدين خرافة وانه افيون الشعوب وكل ذلك افتراء على الله .

لقد ادت الاديان دورا هائلا في خدمة البشرية ، ولا غنى للانسان عن عفيده سليمة تربطه بخالقه ورازقه . قال تعالى : (قل انتم اعلم ام الله) .

وقال سبحانه (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) .

س ه : بعض الناس يهتمون بذكر صفات الرسول الجسدية فما حكم الدين في ذلك

ج ه : الملح للطعام قليله مفيد ، وكثيره يفسد الطعام

وهذا الامر ينطبق على موضوع السؤال

ذلك اننا اذا نظرنا الى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وجدنا سفرا ضخما في حياته ودعوته وجهاده وهجرته وخلقه . وصفاته النفسية والخلقية .

وفي كتب السيرة القديمة او الحديثة نجد مجلدات كبيرة في وصف حياة النبي صلى الله عليه وسلم ونجد صفحة او صفحات تصف النبي صلى الله عليه وسلم من ناحية شكله وصورته .

فمن ذلك . ان النبي صلى الله عليه وسلم مر في طريق الهجرة من مكة الى المدينة بخيمة ام معبد ولم يكن عندها طعام وقد خرج زوجها يرمى الأغنام ، وترك شاة ضعيفة متخلفة لا لبن لها فقال النبي صلى الله عليه وسلم قريبا يا ام معبد ومسح على ضرعها فدر باللبن وشرب منه أبو بكر الصديق وشربت ام معبد وشرب رسول الله ومألت ام معبد وأولياها باللبن .

فلما حضر زوجها سألها عن مصدر اللبن فقالت حضر رجل مبارك ومر يديه الكريمتين على ضرع الشاة فدر باللبن فقال لها زوجها صفيه يا ام معبد فقالت :

(لبس بالطويل ولا بالقصير . ضخم الراس مشربا وجهه حمرة ادمع العينين (الدمع شدة السواد وشدة البياض) سبطه الشعر (سهلا غير ملبد) سهل الخدين (غير مرتفع الوجنتين) كان عنقه ابريق فضة ، واذا التفت التفت جميعا ، كان العرق في وجهه اللؤلؤ الرطب لطيب عرقه وريحه .

س ٦ : أحيانا أسرح أثناء تلاوة القرآن مما يسبب لى بعض المتابع النفسية كيف اتغلب على ذلك .

ج ٦ : القرآن كلام الله وهو خطاب الله الى البشر ومن سبل الانصات احساس السامع انه يتنفى كلام الله له . وفى الاثر اقرأ القرآن كأنما أنزل عليك .

ومن سبل الانصات معرفة الانسان بالأهداف العامة لسور القرآن الكريم فسورة البقرة تناولت موضوعين رئيسيين : الأول : الحديث من بنى اسرائيل وعدوانهم فى السبت وظلمهم أيام موسى وبعد موسى .
والثانى : شريع الله للمسلمين أحكام تنظيم حياتهم . من ذلك تشريع الصيام والجهاد وشئون الاسرة .

وسورة آل عمران عنيت بالحديث عن غزوة احد
وسورة النساء عنيت بالحديث عن شئون النساء واليتامى والميراث ونظام المجتمع .
وسورة المائدة عنيت ببيان احكام الحلال والحرام وذكرت قصة قابيل وهابيل .

وسورة الانعام عنيت بذكر أدلة الألوهية ونعم الله على الناس .
وسورة الاعراف عنيت بذكر قصة آدم وقصص الانبياء .
وسورة الأنفال عنيت بذكر اخبار غزوة بدر وبينت وسائل النصر .
وهكذا عندما يحس الانسان بالروح العامة للسورة ويهتم بالمعنى الاجمالى للآيات ، يجمع بين حضور الدهن وتدبر المعانى . قال تعالى (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون) ويساعد على ذلك اختيار القارئ فى الميائم والمحافل سورا سهلة الفهم مثل سورة مريم ، طه .

وفقنا الله لما يحب ويرضى وهدانا سواء السبيل .

س ٧ : ما حكم الاحتفال بالمولد النبوى ومتى بدأ الاحتفال به وفى أى بلد ومن احتفل به لأول مرة ؟

ج ٧ : الاحتفال بالمولد النبوى فى هذه الأيام مناسبة كريمة وشعيرة حسنة وعبادة مستحبة لتذكير المسلمين بفضل الرسول صلى الله عليه وسلم وعظمته وجهاده وكريم صفاته وآدابه العالية .

ولم يكن الاحتفال بمولد النبى صلى الله عليه وسلم معروفا فى صدر الاسلام ولا فى عصر الصحابة رضوان الله عليهم ولا فى عصر التابعين .

وقد عرف عن دولة الفاطميين بمصر عنايتهم بالاحتفالات الدينية وخصوصا مولد النبي صلى الله عليه وسلم . وسرى ذلك التقليد وانتشر في سائر البلاد الاسلامية فاصبح العرب والمسلمون يحتفلون بذكري مولد الرسول صلى الله عليه وسلم باقامة الحفلات والقاء العظات وقراءة القصص والسيرة النبوية وكلها آداب جميلة لا بأس بها .

ولكن المسلمين في حاجة الى ان يتركوا الاحتفالات التقليدية التي توزع فيها الحلوى ومرائس المولد ، وهم في حاجة الى احياء المعالم الاسلامية والاداب المحمدية والاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم قدوة حقيقية في صدقه واخلاصه وشجاعته وعفته ونزاهته وتواضعه وبذلك تحيا فيهم اخلاق الاسلام ويعود الاسلام رباطا قويا وسياسا منيعا يحفظ المسلمين ويرد اليهم عزهم وكرامتهم . قال تعالى (والله العزيز الواسع) .

استثله من طلبة الجامعة

س انا الطالب /ع/ع بجامعة القاهرة

اتلو اليك هذه المشكلة راجيا من الله ان تأتى لنا باجابة يرضاها هو عن وجل .

كان لى أخت هى اكبر اخواتى . كنت حين ذاك فتى صغيرا لم أتعجاوز الثامنة من عمري وقد زفت وبعد زفافها بأشهر طلقت منه ... فبعد عدة أيام من طلاقها ، وذات يوم وأنا نائم أفقت على أثنين وانها تعلونى وتمارس معى الجنس كأحد من الأشخاص التى لا تعرفهم كنت لا أعرف لماذا تفعل ذلك معى حتى انها استمرت فى هذا ، فكانت تناديني وتبدأ بممارسة الجنس معى علانية فى صسحتوى . كنت أطيعها لانها كانت تضربنى كثيرا لو رفضت لها طلبا استمرت هذه الطريقة لمدة عام كامل حتى بلغت التاسعة من عمري وكنت فى الرابعة الابتدائية . وتزوجت شخصا آخر وبعدت بعيدا عنا . ولكنها تركت فى غريزة جنسية عنيفة الى الآن وكراهة فظيعة لأخوتى .. حتى اننى عندما بلغت وأحسست بالمراهقة كدت أمارس الجنس مع أخت صغيرة لى كما كانت تفعل معى أختى الكبرى ، ولكن خشية من الله كنت أبعد كثيرا عن البيت كى لا أقع فى مثل هذا العمل ولكن عاشت هذه الغريزة عندى بطريقة لا معقولة حتى أول هذا العام .. أولا ماذا أفعل ؟ ؟ ثانيا ما حكم الدين والشريعة الاسلامية فى مثل هذا العمل ؟ ؟ ثالثا : ما موقف الاسلام منى ؟ ؟ رابعا : هل يغفر لى الله مثل هذا الذنب الذى ارتكبته وأنا الآن من الذين يعبدون الله حق عبادته ؟؟ أخبرنى بالله عليك .

المعذب

ع . ع . ع

ج : اما ما حدث وانت صغير فقد رفع عنه القلم لأنك كنت دون سن التكليف الشرعى . فانسسه وانس كل ما ينصل به . وعقابه الكبير على من كانت تدفعك اليه .

اما وقد بلغت سن التكليف الشرعى فحذار مما قد يسول لك الشيطان به لأن الزنا بمحرم كالأخت والبنت حكمه الشرعى هو القتل . فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (من وقع على ذات محرم فاقتلوه) .

فاكثر من استغفار الله والاعتصام به وبأوامره ونواهيه ، وهل يعالج الخطأ الشنيع من ناقصة عقل ودين بمعصية أشنع منها ، وانت من الذين يعبدون الله حق عبادته ؟

وفى علم النفس أن ما تعرف سببه لا يمثل عقدة مستعصية .

أنت انسان طبيعى ، وقد يكون الذنب من أبواب الوصول الى الله والله غافر الذنب وقابل التوب . للتائبين ، وهو شديد العقاب لمن أصر على المعصية .

قال تعالى (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ، ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير)

س : انا طالب بالسنة الثالثة الجامعية نشأت فى أسرة محافظة عودنى الخلق الكريم مند الصغر ، لى جارة نصرنى بأقل من عام نربينا معا منذ طفولتنا ، ودون قصد من أينأ أصبحت طباعها مماثلة لما طبعت عليه ، وأصبحت أمرها بالشئ تفعله دون جدال إيماناً بأن ما أفوله هو الصواب واستناداً الى سمعتى الطيبة فى الحى عامة وعند أسرته خاصة ، فأمرتها بالصلاة فصلت وأمرتها بالاحتشام فالتزمت بالزى الاسلامى واربط كل منا بالآخر للدرجة لا يمكن ايضاحها ، فانتحت والدتى لأخذ منها كلمة لمستقبلى وصدمت لما وجدته من أصرار لديها على رفض هذه الفتاة بالذات وبررت ذلك بأن أسرته ليست من نفس المستوى الاجتماعى وأن لها شقيقان ليسا على خلق وأن كانا قد حصلنا على شهادات متوسطة ، وحقيقة أن أسرته دون مستوانا الاجتماعى وأن شقيقها سيئا الخلق ... ولكن مالى ومالها بكل هذا .. وأين أجد فتاة فى مثل خلقها فى آنسات هذه الحضارة الزائفة .

أرجو من سيادتكم الرأى والمشورة

ولسيادتكم وافر الشكر والتحية

ج : بنى العزيز ، لست من انصار الزواج لطالب فى السنة الثالثة الجامعية خصوصا وحولك هذه الظروف التى شرحتها نصيحتى ، انصرف لدراستك ، واصرف ذهنك كلية عن الموضوع واتمنى أن تكون رفيقة حياتك حائزة على شرطين الأول رضالك ، الثانى رضا أسرتك ، وستجد فى المستقبل

ان شاء الله من ينحرف فيها ذلك . والدنيا بخير (والخير في وفي امسى الى يوم
القيامة) كما ورد في الحديث التبرف

س : ابلغ من العمر ٣٠ سنة متزوج ولى طفلين لى اخ كفيفه تسكن
معى فى نفس الحجرة التى اسكن فيها انا واسرتى دخلى محدود للغاية ولى
أخ ميسر الحال يعيش فى الصعيد ، وهل ارسل أخنى لتعيش مع أخى
هذا وهو بيته كبير وواسع واتولى انا الانفاق على تعليم اولادى او من
واجبى ان أنرك أخنى تعيش معى رغم ان أخى هو الأكبر فى السن والمال فما
راى الدين فى هذا

وشكرا ، ،

ج : ارسل أخنك الى أخيك ، والافضل أن تكتب له خطابا تشرح
له فيها ظروفك وحاجتك الملحة اليه فى أن يرعى أختك لينفق عليها ويرماها .
قال تعالى (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما
آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاه سيجعل الله بعد عسر يسرا) . الطلاق/٧

س : ما حكم شرب الحشيش والبيرة ؟

ج : دلت نصوص القرآن الكريم والسنة الصحيحة - فى مجموعهما -
على حرمة كل ما خامر العقل أى أثر عليه بذهاب أو سكر أو تخدير أو
نحوها .

فكل ما أدى الكثير منه الى شىء من ذلك فالقليل منه حرام . ولا
يجادل فى حرمة ذلك مؤمن صحيح الايمان .

ويرى ابن تيمية وجمهور فقهاء المسلمين - أن من استحل شيئا من
ذلك وزعم أنه حلال فإنه يستتاب ، فان تاب والا قتل مرتدا ، لا يصلى
عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين .

والخمر والمخدوات وسائر المشروبات الكحولية - ومنها البيرة - سواء
فى هذا الحكم .

س : انا طالبة جامعية بالفرقة الرابعة استفسر عن حكم الشرع فى
المرأة التى تذهب لأداء فريضة الحج وأثناء أداء مناسك الحج قد جاء ميعاد
الدورة الشهرية فأتت فى أثناء أداء هذه المناسك فماذا تفعل حتى تحسب
لها الحجة أرجو تفسير ذلك بايضاح ونشرها فى مجلة الوعى الدينى اذا
سمحت .

وشكرا .

ج : كل ما عليها أن تمتنع عن الطواف بالبيت الحرام حتى تطهر ،
ثم تطوف .

روى مسلم عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها وهي تبكى .

فقال : انفسى (حضت) ؟

قالت : نعم .

قال : ان هذا شيء كتب الله على بنات آدم ، فاقضى ما يقضى الحاج غير الا تطوفى بالبيت حتى تفتسلى . وهذا هو حكم من حاضت أثناء الحج .
فاذا أنزل عليها الحيض بعد أن طافت طواف الافاضة ، فانها ترمى الحمار ، وتساقر عندما تشاء السفر ويسقط عنها طواف الوداع لأنه سنة ، ويسقط طواف الوداع عن الحائض والنفساء .

أنا الطالب/ عطية - ١ . النائية كلية الآداب

أحببت فتاة من الكلية حين التحقت بها وزاد هذا الحب بطريقة غير معقولة عبر هاتين السنتين اللتين قضيتهما في الكلية ونجحت والحمد لله ويتفوقه بتقدير جيد ، ولكن هذه الفتاة متذبذبة من الناحية الدينية كذلك أن معارفها من الشبان زادت بطريقة غير طبيعية وصادقت أحدهم غيرى وعندما كنت أكلهما في هذا تقول انه صديق كائى صديق في الكلية وانها تخرج مع اى شاب الى خارج المنزل وخارج الكلية وكانت تتأخر خارج البيت كثيرا اننى لا اثق في حبها لى .

جعلك الله لنا عونا

١ - هل اتقدم لخطبة مثل هذه الفتاة .

٢ - هل أستمر في علاقتى بها .

٣ - ما رأيك في هذه الفتاة من جميع النواحي .

ابنك

عطية .. بالسنة الثانية

ج : اهرب بنفسك ودينك وعرضك ومستقبلك كله من هذه الفتاة ، وحذار أن تخادعك نفسك بغير هذا .

ورأى فيها تعرفه من السطرين السابقين ،

أنا طالبة جامعية في الخامسة والعشرين متزوجة ولى بنتان وكل ما أسأل عنه هو حقى لأننى أعرف واجبى جيدا تجاه بناتى وزوجى ووالدى وأخوانى والحمد لله أنى أؤدى واجبى على أكمل وجه بشهادتهم هم ولكن ما هى حقوقى

ما هو حقى عند والدى ؟

ما هو حقى عند أمى ؟

ما هو حقى عند زوجى ؟
 ما هو حقى عند اخوتى ؟
 هل من حقى ان اعرف دخل زوجى كاملا ؟
 هل من واجب والدى الانفاق على وعلى دراستى لانه متيسر الحال ؟
 هل من واجب زوجى ان ينفق على اخوته وامه رغم ان والده موجود
 ومن الاثرياء ؟

ان من حق الزوج ترك زوجته اذا مرضت فهل من حق الزوجة ان
 تترك زوجها اذا مرض ؟

ادخر لى والدى مبلغا منذ طفولتى لكى يؤثت لى به بيتى ولكن عند
 زواجى لم يمس هذا المبلغ وأثت البيت بأحسن جهاز ، والآن يعرض على كى آخذه
 فرفضت فهل أخطأت فى حق اولادى رغم ان أبى هو المنولى الانفاق على اذا
 مرضت وعلى كتب الكلية وملابسى . وشكرا .

أرجو الإجابة بلا تحيز لجنس الرجال
 أو الشفقة على بل احكم بما أمر الله .

ج ١ : أنت فى دوامة يا بنيتى ، الحياة ليست مسطرة توضح حقوق
 الناس بالستيمتر . الحياة اخذ وعطاء وأمور متداخلة فى بعضها .

الحياة سلوك سليم ورحمة بالآخرين وعمل نافع بالمجتمع وثقى من
 تعود العطاء سيجد الجزاء .

ولكن لا بأس من توضيح بعض المواقف
 ١ - ليس من واجب والدك الانفاق عليك

لكن اذا عاوبك بالشفقة وشراء الكتب فهذا تفضل منه واقسم لك
 صادقا لو كانت لى ابنة متزوجة فى حاجة الى الانفاق لأنفقت عليها بل وعلى
 زوجها حتى يقفا على أرجلهما كما أنفق على اولادى .

٢ - ليس من واجب زوجك ان ينفق على اخوته وامه مادام والده
 موجودا ومن الاثرياء بل عليه الرعاية الحسنة والهدية المتيسرة ، وفرض
 على زوجك ان ينفق عليك وعلى منزله .

٣ - من قال ان من حق الزوج ترك زوجته اذا مرضت ؟

هل هذا هو الوفاء والمودة والرحمة ، ان الانسان يجب ان يعتنى
 بالحيوان اذا مرض فما بال شريكة الحياة أو شريك الحياة . الانسانية ،
 المودة ، الألفة ، لا تظهر الا عند المرض والبلاء . والله جعل الزواج سكنا
 وآية من آيات الله .

أذبيي الجليد بينك وبين زوجك وان كان زوجك ممرضاً عن الحق فانقلى له هذا الكلام أو حكى أحد العلماء الفضلاء ليلزمه بالحق ويحكم بالعدل بينكما .

٤ - إذا عرض عليك أبوك أن يعطيك المال المدخر مرة أخرى فأقبله واتركه باسمك في البنك فهذا خير ساقه الله اليك ، ولا ترفض الخير وابتسمي للحياة واشكري أباك على حنانه وعطفه ومساعدته ولمحى لزواجك أن مساعدة والدك يجب أن تخف ليتولى هو شؤون الأسرة .

وعند تخرجك من الكلية ستدور عجلة الحياة وتحل الأمور نفسها . ليس الأمر تحيز للرجال أو شفقة على النساء انما الأمر عدالة يجب أن تأخذ مجراها .

ودائماً يجب أن تعلم أنه لا بد من الزيت الذي يوضع مع الحديد حتى يدور .

الزيت هو الليونة أو المرونة في التعامل مع الحياة ، الرفق ، التأقلم الاحد والعطاء ، الدبلوماسية الكياسة ، حسن التأنى للامور . وفقك الله . ووفقنا جميعاً لما يحب ويرضى .

س : يصلى بنا في المسجد رجل كبير السن ولا يستر فروة رأسه ، فهل صلاة المأمومين صحيحة ؟
ج : نعم صحيحة .

س : هل يجوز لأي شخص لديه القدرة على الخطابة أن يخطب في المسجد أم لا بد من شروط معينة .

ج : يجوز لأي شخص لديه القدرة على الخطابة أن يخطب ، والأفضل أن يقدم أقدر الحاضرين على الخطابة وأكثرهم علماً وفقهاً واقناعاً .

س : هل يجوز أن تصلى المرأة صلاة الجمعة ركعتين كالرجل أم تصلى أربع ركعات ؟ وهل تقبل صلاتي - كفتاة يتعذر عليها الذهاب للصلاة في المسجد يوم الجمعة على صوت المذياع ؟

ج : أولاً : صلاة الجمعة ركعتان للرجل والمرأة ، وإذا ذهبت المرأة الى المسجد وأدت صلاة الجمعة فهي صلاة مقبولة وتسقط الفريضة عنها .

ثانياً : لا يجوز الصلاة على صوت المذياع لأنه يشترط أن لا يفصل بين الامام والمأموم طريق تمر فيه العربى ولا نهر يمر فيه الزورق .

س : ما موقف الدين من العادة السرية بكل صراحة ؟

س . ١ . م السنة الاولى - جامعة القاهرة

س : هل المنى اذا اصاب الملابس الداخلية ينجسها ؟ بماذا تنصحني لأخفف من حدة العادة السرية ؟

م . ف . اولى - كلية دار العلوم

س : انا أصلى وأمارس العادة السرية ، ولكنى متألم نفسياً جداً وقد ثبت منها ثم رجعت لها مرة واحدة بعد التوبة وضميرى الى الآن لم يغفر لى ذنبى ، وحينما أدخل الصلاة أخجل خجلاً شديداً وأخاف خوفاً كبيراً من الرحمن ، فما موقف الدين من صلاتى أثناء ممارستها ، وصلاتى بعد التوبة التى أريد من الله أن يوفقنى لها .

ملاحظة : أرجو الإجابة على هذا السؤال رافة بحالتى النفسية سريعاً

س . ا . م السنة الاولى - كلية الآداب

ج : اولاً : المنى اذا اصاب الملابس الداخلية لا ينجسها - قال صلى الله عليه وسلم « يا عائشة اغسليه وطبا وامركيه يابسا » فيغسل المنى اذا كان رطبا ويفرك اذا كان يابسا ، وقد ذهب الشافعية الى أن المنى طاهر ، وذهب غيرهم الى نجاسة المنى وراى الشافعية راى قوى ، ولكن الأفضل غسل المنى اذا تيسر ذلك . فان لم يغسل فالصلاة به صحيحة .

ثانياً : العادة السرية - نشرت « مجلة الوعى الاسلامى » فى عدد ذى الحجة سنة ١٣٩٢ هـ سؤالاً يقول :

هل ينجم عن العادة السرية اضرار صحية وما حكم الدين فيها ؟

الإجابة : يقول الأطباء : ان العادة السرية تنجم عنها اضرار صحية وعقلية ، فهى تعقد الانسان حساسيته الجنسية وهذا يؤثر على الحياة الزوجية كما ان الافراط فيها يسبب التبدل الدهنى والنسيان . فضلاً عن انها تسبب التهاباً فى المسالك البولية وتؤدى الى ارتعاش أطراف معتادها ويقول الامام أحمد انها حرام واستدل على ذلك بقوله تعالى : « والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم او ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون »

وأقول للأخ س . ا . م : وفقاً بنفسك لقد ثبت وعدت لها مرة واحدة ثم اخلصت فى التوبة فلا تكثر من الخوف والقلق وكن سعيداً بتوبتك وثق ان الله يقبل التوبة ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله ، ويرى بعض علماء التربية الجنسية والصحية أن أكثر من ٩٠ ٪ من الشباب يمارسون العادة السرية فى وقت من أوقات حياتهم وان العادة السرية فى ذاتها ليس فيها ضرر كثير ولكن الضرر يأتى من ادمانها أو الاكثار منها ، والضرر يأتى كذلك من توهم المرض والضعف والامتناد الخاطيء المنتشر بين الناس بأنها سبب لضعف

البصر والقوى العقلية والجسمية .. الخ وهذه اوهام لا حقيقة لها كما ان خطر العادة السرية في التخوف الزائد من غضب الله وعقابه او اليأس من قبول التوبة ، ويرى هؤلاء العلماء « ان العادة السرية مرض عارض يصادف الكثير من الشباب في بعض مراحل حياتهم ، وان من الخطر ان نذكر له عيوباً ومساوئ ليست فيه بل ان الحق أحق وأولى بالقول والمعرفة » .

ويجب ان يدرك الشباب ان العادة السرية لا تسبب كل الأضرار والأمراض التي تشاع عنها وأنها مرض طارئ يمكن التغلب عليه وأن الضرر في الإدمان عليها ، وفي توهم المرض والخوف والقلق بعد ممارستها وان كثيراً من الشباب مارسوها ثم تركوها وهذا فيها وتعالياً بأنفسهم وسموها بأقذارهم ان تضعف أمام اقتراف الشهوة ، ومما يساعد على التخفيف من العادة السرية « قراءة القرآن ، والمحافظة على الصلاة ، والصلاة بالليل ، والاخلاص في الصلاة ، وصيام بعض الأيام ، وانشغال الإنسان بعمل نافع كرحلة خلوية أو ممارسة رياضية أو الاشتراك في صحيفة بالكلية أو ممارسة هواية نافعة كالاشتراك في جمعية للشعر أو التصوير أو غير ذلك » .

ان حياة الطالب حياة اجتماعية سليمة وسفل فراقه بعمل نافع كليل بأن يسمو به الى الحياة الجادة ، وان أخطأ فليستعرج بالتوبة النصوح ، وليثق بأن باب الله مفتوح وأن رحمته واسعة وأنه يحب التوابين ويحب المتطهرين قال تعالى :

« قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم » .

أيها السائل هنيئاً لك توبتك وأترك الخوف والقلق واشرح صدرك وثق بنفسك وضع يدك في يد الله فما أقرب مولاك منك وانت لاتشعر بقربه وما أحبك اليه وانت لاتشعر حبه - قال تعالى : « والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا للذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولهم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين » - وفي صحيح البخاري يقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن رب العزة جل جلاله انه قال : « ان تقرب مبدى الى شبرا تقربت اليه ذراعاً وان تقرب الى ذراعاً تقربت اليه باعاً وان جاءني يعشي آتيته مهرولاً » .

س : انا طالبة بالسنة الثانية - كلية الآداب جامعة عين شمس جمعتني الصدفة بزميل لى في نفس السنة على درجة عالية من الدين والأخلاق ، واتضح من خلال صداقتي له ومن كلامه معي أنه يريد خطبتي ، فرفضت نظراً لظروفي الاجتماعية وبعد الرفض لاحظت عليه اليأس والضيق النفسي وصرح لى أنه لم يذاكر وأنه سيرسب لو لم أوافق على الخطبة منه .

سيدى الدكتور ماذا أرد عليه لأتقد مستقبله هل أنركه وأبتعد عنه أو أعدده بالخطبة منه حرصا على مستقبله وعند التخرج كل واحد فينا يذهب لشأنه .

شكرا لسيادة الدكتور للإجابة على هذا السؤال - أختك س. 1 بالسنة الثانية جامعة عين شمس .

ج : لى تعليق على سؤالك قبل الإجابة عليه ، فانا لا أوافق على أن يكون سبب الرفض هو ظروفك الاجتماعية السيئة ، وإذا كان سبب الرفض هو الفقر فليس الفقر عيبا ، فقد كان أشرف المرسلين فقيرا .

لقد تعلمت الفتاة وصارت قادرة على العطاء والمشاركة فى تحمل أعباء الحياة ، فانت بالتعليم والأخلاق والثقافة والقدرة على التفاهم ثروة كبرى لا تقدر - وانت انسانية والانسان مقدر بإنسانيته لا بظروفه الاجتماعية ، وانا أعرف أن المجتمع له حكم صارم ، ولكننا يجب أن نقاوم عوج المجتمع وأن نقدر الفتاة بأخلاقها وإنسانيتهما وفضيلتها لا بفقر أهلها أو غناهم ، فالقرآن يقول : « لا تزد وازدة وذر أخرى » ويقول سبحانه وتعالى : « كل امرئ بما كسب رهين »

أما الإجابة على السؤال ، فانا من دعاة الصراحة ، كونى صريحة مع نفسك ومعه ، قولى له أنا رفضت الخطبة نظرا لظروفى الاجتماعية السيئة ، فان قبل فأهلا وسهلا ، وان رفض فمع السلامة . ولا أوافق مطلقا على الوعد بالخطبة حرصا على مستقبله - أنه رجل والرجل يجب أن يتحمل مثل هذا الموقف بشجاعة - ان الذى يرهب من أجل رفض خطبته لا يصلح أن يكون زوجا يتحمل مسئولية الحياة الزوجية وأعباءها ومتطلباتها - كونى حازمة ، وعموما فالابتعاد عنه اليوم أفضل من الوعد بالكاذب الذى ينتج عنه أسوأ الأثر فى المستقبل .

على حافة الهاوية

س : سكنت فى شقة بعد أن تركت المدينة الجامعية فوقعت فريسة المنزل كله .. كل يوم أجد امرأة تداعبنى بشكل مفر حتى الجيران .. هم أيضا يفعلون ذلك .. كدت أرتكب الخطيئة أكثر من مرة مع فتيات ونساء ولكن كان إيمانى والحمد لله قوى ، حاولت البحث عن شقة أخرى ، ولكن للأسف لم أجد مطلقا .. ولكن خوفى من هذا البيت يزداد يوما تلو الآخر وأحساسى بأننى سوف أرتكب الذنب يؤلمنى كثيرا ، ويراودنى الشيطان أكثر من مرة باعتبارى شابا فى مثل هذه السن .

ماذا أفعل بالله عليك يا استاذى الفاضل ؟ .. أدركنى والا وقعت فى الخطيئة .

(عطية . ع)

الاجابة : يظل في ظل عرش الله تعالى سبعة ، منهم : (رجل دعت امرأة ذات منصب وجمال فقال انى أخاف الله رب العالمين) .
إذا آمنت بالله حقا فالتفت الى علومك واشغل نفسك ببعض الأنشطة والرياضة خارج المنزل ، وثى أن هناك جزاء عادل من الله لكل مؤمن يقاوم الاغراء وينتصر على الهوى ويسير في الطريق القويم .
الكلام لا يكفى منى ، لكن بالارادة الصادقة والعزيمة الجادة تجد من السعادة فى طاعة الله مالا يجده الأشقياء فى معصيته . انك تطيع الرحمن وهو الفائل (وليستغف الذين لا يجدون نكاحا) أى لا يقدرون على الزواج الحلال (حتى يغنيهم الله من فضله) . قواله الله والهكم السداد . (واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى) .

بنى العزيز ،

رب شهوة ساعه اورتب اهلها حزنا طويلا ، تذكر امرتك : أمك ..
أختك ، وابنتك فى المستقبل ، زوجتك ، هل تحب أن تنتهك اعراضهم .
انق الله فى اعراض الناس . وفى الحديث الشريف (عفوا تعف نساؤكم ، وبروا اباؤكم ببركم ابناؤكم) .

لقد مدح الله المؤمنين ووصفهم بالفلاح ، اذا اقاموا الصلاه وآتوا الزكاة وحفظوا فروجهم من الزنا ، قال تعالى (**والذين هم لفروجهم حافظون**) .
وقال صلى الله عليه وسلم : « من يضمن لى ما بين لحييه ورجليه أضمن له الجنة » .

س : اننى فتاة متزوجة .. ذات يوم وجدت زوجى يخوننى فى الشقة المجاورة لشقتنا ، وهذا بعد ان علمت من العلاقة التى بينه وبين المرأة المجاورة لنا .. فاردت الانتقام لنفسى ولكرامتى فكان يسكن فى الدور الثالث طالب جامعى فى مثل سننى ، أو ربما كنت أكبر منه قليلا راودته عن نفسه فوقع تحت تأثيرى وزنا بى فانا لم اكن أعقد النية لخيانة زوجى ولكن ردا لشرفى وكرامتى فعلت ذلك بالرغم من اننى لم اكن راضية نفسيا على ما فعلت .

اولا : هل لهذا الطالب المسكين ذنب فى هذا وهو على وشك التخرج من الجامعة .. وهل يففر له الله اذا تاب .. وهل يقبل منه النوبة .

ثانيا : اننى ارتكبت الخطيئة مع اكثر من واحد واغلبهم من الوسط الجامعى .. فهل يمكن أن يقبل الله منى هذه التوبة ويجعلها توبة نصوحا بعد ذلك .. وكيف اتوب الى الله ؟

ثالثا : هل اصارح زوجى بالحقيقة ثم ألقى الضوء على ما يفعله هو واقول انه السبب .. أم لا ؟ اريد ان اتوب ..

المعلبة : ع . ع . ١ . ١

السنة الثالثة - حقوق القاهرة

ج : الى المعذبة ع . ع . ١ . ١ . بالسنة الثالثة - بجامعة القاهرة

ارتعدت عندما قرأت خطابك ودارت بى الأرض وتركت مكتبى وكل الأسئلة نافرا منها . وابتعدت عن اجابة الأسئلة كلها ثلاثة أسابيع . ثم عدت للاجابة .
- ابنتى ،

لقد عرفت أن زوجك يخونك فانحرقت وزعمت أنك انتقمتم لشرفك بجريمة الزنا مع جارك .

ولكنك والله مرغت شرفك فى الوحل .
ثم أنك استمررت الخطيئة وطريق الحرام .
وأضع أمامك هذه الحقائق :

(١) من رأى شريك حياته يخونه فليفكر طويلا فى أسباب الخيانة ، وليحاول أن يسبغ على شريك حياته العطف والحنان والرعاية وأن يتحلى بالنظافة والطهارة والصبر . وأن يلتمس العذر للآخرين ، عندئذ ستجدين من زوجك ندما وإرمواء وعودة الى حماك عودة التائب المنيب ، النادم على ما فعل .

(ب) الزنا جريمة فى حد ذاته ولكنه من المتزوج جريمة أشنع . وقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء والمعراج رجلا بين يديه طعام هنئ نضيج وطعام خبيث نبيء فجعل الرجل يترك الطعام الهنيء النضيج ويأكل من الطعام الخبيث ، فقال النبى ما هذا يا جبريل . قال : هذا الرجل من أمتك تكون عنده زوجة حلالة طيبا فيتركها ويبيت بامرأة خبيثة والمرأة من أمتك تقوم من عند زوجها حلالة طيبا فتتركه ويبيت برجل خبيث . قال الفقهاء ولا عبرة بالبيات بل المراد الوقوع فى الزنا على كل حال .

ابنتى ، تسألين ثلاثة أسئلة . وهذه أجوبتها :

أولا : نعم لهذا الطالب المسكين ذنب ، وهو ذنب المطاوعة والمشاركة ، ولكن الله مطلع على كل ما حول الموضوع ولا يحاسب الإنسان الا بقدر ما اشترك . وتسألين عن توبته : والجواب نعم اذا تاب وأخلص التوبة وابتعد نهائيا عن الحرام ، تاب الله عليه وقبل توبته .

ثانيا : ان جريمة المتزوج اشد وأفظع لأن عنده الحلال فيتركه الى الحرام . فاطمى الله واطمى نفسك من السوء واتركى طريق المعصية بكل جد وتصميم .

ثالثا : لا نصارحى زوجك بالحقيقة ، ولا تلقى الضوء على ما يفعله فالإنسان معاند مكابر ، قولى له أنك أفضل رجل وأطهر إنسان وأنبل زوج

وأغدق عليه عطفك واعتنى بمظهرك اخلصى له اخلاصا حقيقيا ، وتوبى الى الله توبة نصوحا ، وادع الله أن يشرح صدرك ويلهمك رشداً وأن يشرح صدر زوجك حتى يلتئم شمل هذه الأسرة .

وطريق التوبة واضح ، ويتكون من ثلاثة أمور :

١ - الندم الصادق على الذنوب .

٢ - الاقلاع عنها في الحال .

٣ - العزم والتصميم على البعد عنها في المستقبل .

مع دوام المراقبة لله ومراقبة نفسك حتى تحملها حملا على الطريق القويم .

جواب حذف سؤاله

تلميذتى المعبدة

لماذا نحول النعم الى نقم ، لماذا نريد أن نعيش في دراما متصلة وأحزان وعذاب .

شيء طبيعي أن يصادفك في حياتك معجب أو معجب مخلص وشيء طبيعي أن يتردد أهلك خوفاً عليك وشكاً في قدرتك على اختيار شريك لحياتك .

الدين يعطيك الحق في اختيار شريكك ويعطى لأسرتك الحق في الاطمئنان على أن خطيبك كفء في منزلته وأسرته وشكله ومجموع أموره إذا اقتنعت بالزميل ، واقتنع به أهلك فلا مانع من اعلان الخطبة بعد انتهاء الامتحان .

وفي الحديث الشريف «خير النساء ما خفت مهورها وقصرت خطبتهن» أى أن من يمن الزوجة أن تكون فترة الخطوبة قصيرة لا طويلة .

لا أدري يقينا سر عذابك ، ولكن إذا لم توافق أسرتك ، أو لم توافق أنت فكونى شجاعة وصارحية بوجوب أن يتركك فترة حتى تستقر عواطفك وتختارين رأياً بعد ثرو ومهلة كافية ،

جواب محطوف السؤال

الطالبة س ف بالفرقة الرابعة الجامعية

تصرفك أشبه بتصرفات الصغار الذين يريدون أن يجمعوا كل شيء في أيديهم ؟

لماذا قبلت أن يعقد قرانك على ابن عمك ، هل هذا لعب أم جد ؟

كوني عاقلة ، أبحثي عن مستقبلك ، لاتظني أن زميلك سيموت أو
ستطبق عليه السماء . كلا .

ستطلع الشمس في كل يوم وسيجد زوجة تناسبه
انسي زميلك تماما . وبعد الامتحان واستقرار الاعصاب حاولي أن
تقبلي ابن عمك فان لم تقدرى فاطلبى منه الطلاق ان لم يكن من ذلك بد .

وأضع بين يديك هذا الحديث الشريف .

«أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما سبب لم ترح رائحة الجنة»
اكرر نصيحتي حاولي أن تقبلي ابن عمك ، فإذا رأيت أن كرهك له
كامل لا يحتمل فاطلبى منه الطلاق .

علما بأن الفتاة العاقلة تنظر بعين العقل وميزانه فان كان ابن عمك فيه
صفات مؤلمة فلعل هناك صفات أخرى مرضية

وفي الحديث الشريف « لا يفرك مؤمن مؤمنة ان كره منها خلقا رضی
منها آخر » ومعناه لا يبغض الزوج زوجته بغضا كاملا فان كان فيها بعض
العيوب فليتنظر بعين الرضا عن صفاتها الحسنة .

ومثل هذا يقال للزوجة ، انظري اليه ككل بعيدة عن كل تأثير ، والله
يوفقك

تعدد الأديان

تعرفت على صديق برع في مهنته ، وعرف بين الناس بأمانته
كصيدلي يبيع الدواء في صيدليته ويخلص في عمله ، وساق الحديث بعضه
بعضا الى الكلام عن الايمان بالله وأخذ يسألني

إذا كان الله واحدا فلم تعددت الأديان السماوية ولم تكن ديننا
واحدا ؟

وأجبنه

ان تعدد الأديان ، تعدد في الشكل لا في الموضوع ، فكل رسالة
كانت مناسبة خاصة لفترة من فترات البشرية ولرحلة من مراحلها ، فهي
أشبه بتدرج التشريع الواحد في الشريعة الواحدة وبلغة الطب ، هي أشبه
بالطبيب الذي يغير الدواء للمريض الواحد تبعا لتطور مرضه ، والطبيب
واحد والمريض واحد .

ولقد كان رب الكون بطب للبشرية ، ويرسل لها من يعالج أدواءها
ويهديها سواء السبيل .

وضربت له مثلا بقولى اذا كان لمطير من الأفطار حاكم واحد وولى عددا من المتصرفين لعدة ألوية أى طبق نظام اللامركزية ، أو الادارة المحلية ، فلكل متصرف قوانينه التى نناسب اللواء الذى يريده ولكن جميع المتصرفين يخضعون فى الاساس العام للنظام الرئيسى للدولة وقوانينها وحاكمها .

وبهذا المثل بهم كيف تعددت الرسالات بما يناسب الامم والشعوب وكان كل رسول يدعو قومه الى توحيد الله ويأمرهم بالفضائل وينهاهم عما شاع بينهم من الرذائل مع خضوع المرسلين جميعا لأساس واحد وشريعة واحدة هو الله سبحانه وتعالى .

ودراسه التاريخ الطبيعى يؤكد قوله تعالى (كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه)

بل ان الشريعة الواحدة كانت تتدرج فى تشريعاتها ترويضاً للنفس البشرية وتمهيدا لقبول الوحي الالهى وتريثا فى بربية المؤمنين ونزيين الايمان فى قلوبهم ، فان البطء مع التنظيم خير من العجلة مع الفوضى .

وحسبنا على سبيل المثال ان نذكر النحرى القرآنى المتدرج للمادة الشعورية الخطيرة المسماة (بأدمان المسكرات)

فقد نزل فى أمرها قوله تعالى (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما) - البقرة - ٢١٩ .

فوجه انظار السكارى الى ان الحرمة انما تقوم على غلبة الشر ، فمهما يكن فى الخمر من منافع اقتصادية فى المتاجرة بها ، ومن منافع ظاهرية فى حمرة الخد التى توهم الصحة الحسنة ، ومن منافع اجتماعية فيما تدفع اليه من السخاء والجود فى حالة السكر والعريضة او من الشجاعة التى تبلى أحيانا حد التهور فى ساحة الحرب ، فان اثمها اكبر من نفعها فتلك علة كافية لتحريمها ، فكانت الخطوة الاولى تحريكا للمنطق ، بقوله تعالى

(يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) ٤٢ - النساء .

فضيق عليهم الفرصة لمزاولة السكر ، لأن الصلوات الخمس كانت قد شرعت فى أوقات متفرقة ، لا يكفى ما بينها للافاقة من نشوة الخمر حتى اذا أصبحت فرصة السكر نادرة - بطبيعة الحال حرم الله عليهم الخمر فى لهجة قاطعة جازمة فقال سبحانه (يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون) ٩٤ - المائدة .

فقالوا انتهينا وانتهاوا حقيقته واصبحوا ينتظرون حدود الله في شارب الخمر ، ويخجلون ان يصل الامر بأحد المسلمين الى ان تقام عليه هذه الحدود .

أخرج البخارى في صحيحه عن عائشة قالت : انما نزل او ما نزل منه (اى القرآن) سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى اذا ناب الناس الى الاسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل اول شيء .

(لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبدا ، ولو نزل (لا تزنوا) لقالوا لا ندعوا الزنى أبدا) صحيح البخارى ١٨٥/٦ .

ذلك من فضل الله وتيسيره ورحمته بعباده ان مهد نفوسهم لمقبل أحكامه حتى لا يكون فيها حرج ولا مشقة قال تعالى (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)



وسكت صديقى كأنه تقبل الامر في الظاهر والله اعلم بالسرائر ، ففرات له ثلاث آيات من سورة النساء هي قوله تعالى (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الدين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم ، والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما . يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا) . النساء ٢٦ ، ٢٨

وما رواه البخارى في صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (انما مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى دارا فآتمها وأكملها الا موضع لبنة فجعل الناس يقولون ما أكمل هذه الدار وما أجملها لو وضعت هذه اللبنة فانا هذه اللبنة وأنا خاتم الرسل) - وقوله (صلى الله عليه وسلم) (والأنبياء أخوات لعلات (١) أمهاتهم شتى ودينهم واحد) .

(١) أبناء العلات هم أبناء الفرائر أيهم واحد وأمهم متعددة .

(١١)

قصص القرآن الكريم

« جهاد الأنبياء والمرسلين »

أرسل الله الرسل وأنزل عليهم الكتب لهداية الناس من الضلالة إلى الهدى وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، قال تعالى
(وسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)
١٦٥ - المائدة

وقد أبلى الأنبياء والمرسلون بلاء حسنا وتعرضوا لكثير من ألوان العذاب وصنوف الاضطهاد فصبروا وصابروا واحتسبوا قال تعالى
(فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل)

وضع في النار إبراهيم ، فجعلها الله بردا وسلاما عليه واضجع للدبح إسماعيل حين قال له أبوه (يا بني أتني أرى في المنام أتني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين ، فلما أسلما وتلاه للجبين ونادياه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا أنا كذلك نجزي المحسنين أن هذا لهو البلاء المبين وفديناه ببذبح عظيم) ١٠٣ - ١٠٧ الصافات

وأخرج موسى من مصر خائفا يترقب (قال رب نجني من القوم الظالمين) وضاق يونس بقومه حين خرج هاربا منهم فركب سفينة كادت أن تفرق بسببه فالتقى في البحر ، وفي ظلام البحر وظلام الألم والغم لم يياس يونس من رحمة الله (فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك أتني كنت من الظالمين . فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين) .

٨٧ ، ٨٨ الأنبياء .

واشد البلاء والمرض نأوب عليه السلام ولكنه صبر واحتسب حتى صار فدوه حسنة وملا يحتذى قال تعالى (وايوب اذ نادى ربه انى مسنى الضر وانت ارحم الراحمين ، فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وابيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين) ٨٣ - ٨٤ الانبياء .

وتعرض يوسف الصديق لمحنة نفسية قاسية حين راودته امرأة العزيز عن نفسه وقالت هيت لك ولكنه قاوم الاغراء ولبى نداء ربه ونهى النفس عن الهوى (قال معاذ الله انه ربي احسن مثواى انه لا يفلح الظالمون) ٢٣ - يوسف .

وجمعت زليخا اتباعها وامرت يوسف بالخروج عليهن فلما رأيته اكبرنه فسلب لهن جماله وحجر الباهن بحسنه وكمال خلقته فانضمت النسوة الى زليخا وزاد الاغراء منهن والتبدل - والامتحان ، فلما قاوم يوسف وتأبى ، وذكرهن بالله ، وحرمة الازواج ، وعقوبة الظالمين ، لم تلق قناة زليخا ، بل اوعده بالسجن والدل والصغار ، ولكن يوسف آثر السجن فى طاعة الله (قال رب السجن احب الى مما يدعونى اليه والا تصرف عني كيدهن الاصب اليهن واكن من الجاهلين ، فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم) ٣٣ ، ٣٤ - يوسف

ولما ارسل الله سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام (شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا) اخذ يدعو قومه الى توحيد الله ، والايمان بالبعث والحساب والجزاء وبرسدهم الى الرحمة والعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهاهم عن الفحشاء والمنكر والبغى ، ويحذرهم من عبادة الأصنام وقد لاقى عليه الصلاة والسلام عنقا شديدا وضيقا وحرجا من كفار مكة الذين آذوه وآذوا اصحابه بكل صنوف الاذى ، حتى اضطروهم للهجرة الى الحبشة ولم نكتف كفار مكة بذلك بل بعثوا وراءهم من بكيل لهم التهم ، عند النجاشي ملك الحبشة ، حتى بوغروا صدره على المسلمين ويخرجهم من بلاده .

ولكن النجاشي ابى أن يخرج المسلمين حتى يستمع الى كلامهم فاستدعاهم الى مجلسه وسألهم عن هذا الدين الجديد الذى جاءوا به فقال له جعفر بن أبى طالب (رضى الله عنه) .

(ايها الملك ، كنا قوما اهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ونقطع الأرحام ، ونسئ الجوار ، ونأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وامرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وفول الزور وأكل مال

اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام فصدقناه وآمنا به .. فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا ، وضيقوا علينا، وحاولوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادكم) .

ثم قرأ جعفر بن أبي طالب صدرا من سورة مريم (كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا ، اذ نادى ربه نداء خفيا ..) فلما اتم قصة زكريا وقصة مريم ، عليهما السلام قال النجاشي هذا والله هو الذي جاء به المسيح انه لينبع من مشكاة واحدة .

أيها المستمع الكريم

تلك صفحات مشرقة ، من جهاد الأنبياء ، وبلاء المرسلين ، وصدق السابقين الأولين من المؤمنين ، في اخلاص النية وجلال التضحية والفداء وجمال الصبر في البأساء وشدة البلاء (والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) ..

ادريس

ادريس نبي الله ابن بارد بن سهلايل بن قيثان بن انوش بن شيث بن آدم عليه السلام واسمه في التوراة العبرية خنوخ وفي الترجمة العربية اخنوخ .

قال الله تعالى : (واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا) .

قال الحافظ ابن كسير وهو أول من أعطى النبوة بعد آدم وشيث عليهما السلام .

وقال ابن اسحاق هو أول من خط بالقلم .

وفي صحيح البخارى في حديث الاسراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر في السماء الرابعة فرأى ادريس عليه السلام .

قال البخارى ويذكر عن ابن مسعود وابن عباس أن الياس هو ادريس عليه السلام .

ولد ادريس عليه السلام بمصر وكان مولده بمدينة منف ولما كبر ادريس آتاه الله النبوة فنهى المفسدين عن مخالفة شريعة آدم وشيث ، ودعا الخلائق الى الايمان بالله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطاعة الله عز وجل ودعا قومه الى تخليص النفوس من عذاب الآخرة بالعمل الصالح في الدنيا ،

وحث على الزهد فى الدنيا والعمل بالعدل وأمر قومه بصلوات ذكرها لهم على صفات بينها ، وأمرهم بصيام أيام معروفة من كل شهر وحثهم على الجهاد لأعداء دينهم وأمرهم بزكاة الأموال معونة للضعفاء ، وحرم السكر من كل شئ من المشروبات وشدد فيه أعظم تشديد وجعل لهم أعيادا كثيرة فى أوقات معروفة ، منها أعياد الرؤية الهلال ، وأعياد لدخول الشمس ورءوس البروج ..

ولما ملك ادريس الأرض رتب الناس ثلاث طبقات كهنة وملوكا ورعية ، وجعل مرتبة الكاهن فوق مرتبة الملك لأن الكاهن يسأل الله فى أمر نفسه وفى أمر الملك وفى أمر الرعية وليس للملك أن يسأل الله الا فى ملكه وفى الرعية ، ولا يدعو فى أمر الكاهن لأن الكاهن أقرب الى الله منه وبذلك تنقص منزلة الملك عن منزلة الكاهن ، ولبس للرعية أن تسأل الله فى شئ الا فى انفسها لأن الملك أجل منزلة منها عند الله الذى ملكه على الرعية فنقصوا بذلك مرتبة عن الملك ومرتبتيه عن الكاهن .

صورة ادريس :

قيل انه كان رجلا آدم (أحمر يضرب الى سواد)

تام القامة حسن الوجه كث اللحية مليح الشمائل والتخطيط عرض المنكبين ضخم العظام قليل اللحم براق العينين أكحلهما متأنيا فى كلامه كثير الصمت ساكن الأعضاء اذا مشى أكثر نظره الى الأرض كثير الفكرة به عيسه وبحرك سبابته اذا تكلم .

وكانت مدة حياته فى الأرض ٨٢ سنة .

وكان على فص خاتمه (الصبر مع الايمان بالله يورث الظفر) وعلى المنطقة التى يلبسها وقت الصلاة (السعيد من نظر لنفسه وشفاعته عند ربه أعماله الصالحة)

وكانت لادريس مواعظ وآداب تجرى مجرى الأمثال والرموز ومن ذلك قوله :

(لن يستطيع أحد أن يشكر الله على نعمه بمثل الأنعام على خلقه)

وقال (من أراد بلوغ العلم وصالح العمل فليترك من يده أداة الجهل وسىء العمل) .

وقال (اذا دعونم الله سبحانه فأخلصوا النية ، وأخلصوا النية كذلك فى الصلاة والصيام) .

وقال (لا تحلفوا كاذبين ولا تهجموا على الله سبحانه باليمين ولا تحلفوا الكاذبين فتشاركوهم فى الائم) .

وقال (تجنبوا المكاسب الدنيئة)
وقال (أطيعوا لملوككم وأخضعوا لأكابركم واملأوا أفواهكم بحمد الله) .

ابراهيم عليه السلام

ساق القرآن الكريم كثيرا من القصص للعظة والاعتبار أو لتحقيق مبدأ وتأكيد هدف وإبراز حكمة من أحكام التشريع أو العقيدة أو البعث والجزاء .

ولقد جرى القرآن الكريم أن يكتفى من القصة بموضوع العبرة ومحل العظة ، وقد ساق كثيرا من قصص الأنبياء والمرسلين ليكونوا نماذج هادبة وأعلام مضيئة ، قال تعالى : « لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الأسباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » .

أيها المؤمن :

تحدث القرآن عن ابراهيم الخليل فذكر انه أبو الأنبياء وأبو الملة (الديانة) والرجل الذي جمع خصائص الرجولة فكان أمة واحدة « أن ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين »

وقف ابراهيم يناقش قومه ويجادل أباه آزر وكان أبوه يصنع الأصنام لقومه ويدعوهم لعبادتها فقال ابراهيم لأبيه اتخذ أصناما آلهة ؟ أنتنحت الأصنام بيدك وتصنعها من الأخشاب بقدمك ثم تسجد لها من دون الله مع أنها لا تسمع ولا تبصر ولا تجيب ولا تضر ولا تنفع .

وينكر الأب على ابنه عزوفه عن آلهته ويستصغر سنه بل يلح عليه أن يتبعه ويهدده بالطرد والحرمان ويتلطف ابراهيم في خطاب أبيه فيخبره أن الهدى بيد الله وليس الهدى مقصورا على كبير ولا محجوبا عن صغير ، يقول ابراهيم :

(يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا يا أبت انى قد جاءنى من العلم ما لم ياتك فأتبعنى أهلك صراطا سويا . يا أبت لا تعبد الشيطان أن الشيطان كان للرحمن عصيا » .

أيها المؤمن :

للإيمان الحق أثره الواضح في صلق الهمة ومضاء العزيمة ونجاح العمل وقد أوتى ابراهيم الخليل من كل ذلك النصيب الأوفى وكان من أولى العزم من الرسل .

ناقش ابراهيم قومه في عبادة الأصنام وبين لهم خطأ فكرتهم وضلال

عبادتهم ، وان الأولى بالعبادة هو الاله الواحد الخالق الذى رفع السماء
وبسط الارض وقدر الأزواق والأفوات وهو الذى يسمع النداء ويجب
الدعاء .

ولما اصم القوم آذانهم عن سماع دعوته وحجبوا عقولهم عن التفكير فى
رسالته لجأ الى برهان عملى قام به فى جراءة ومضاء ، فقام الى الأصنام التى
يعبدونها من دون الله فانها لم تحط بها تحطيماً ونكسيرا حتى صارت قطعاً قطعاً
وترك صنما كبيرا لم يمسسه .

فلما جاء القوم وراوا ما صنع ابراهيم بأصنامهم أجمعوا على محاكمته
وواجهوه بالتهمة فلم ينكرها ، وانما طلب منهم أن يسألوا الصنم الكبير عما
كسر الأصنام .

وهنا بدأ القوم بناملون فى أعمالهم ويتشككون فى سلوكهم ويتبينون أن
الحق مع ابراهيم ، ولكنهم تكبروا عن الخضوع لرأيه وقالوا له فى إباء
وجحود : لقد علمت يا ابراهيم أن الأصنام لا تنطق ولا تتكلم وهنا صاح
ابراهيم فيهم :

« افتعبلون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم »

ولما هزم القوم أمام منطق ابراهيم وحجته الواضحة لجأوا الى القوة
والعنف فاوقدوا نارا عالية والقى ابراهيم فى النار فحفظه الله منها وجعلها
بردا وسلاما عليه وكانت هذه معجزة للخليل ابراهيم عليه السلام .

أيها المؤمن :

للخليل مواقف خالدة على مر الزمان منها نقاشه أمام النمرود ملك
بابل وقوله للملك « ان الله ياتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب
فبُهِتَ الذى كفر » اى تحير وانقطعت حجته .

ومن مواقف ابراهيم الخالدة قصة الفداء حين أمر بذبح ولده اسماعيل
فامتنل لأمر الله واخذ ابنه للجبل واضجعه للدبح ولما رأى الله منه الصدق
والامتنال أرسل اليه ملاكا يحمل كبشا للفداء ونجا اسماعيل بعد أن صار
علما من اعلام الصدق والوفاء .

وفد كان ابراهيم دائم التأمل فى ملكوت الله ، يتأمل فى النجوم وفى
القمر وفى الشمس ، ثم يقول النجوم تغيب والقمر يغيب والشمس تغيب
والاله لا يغيب « انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما
انا من المشركين » الأنعام ٧٩ .

يوسف الصديق

يوسف الصديق نبي الله - أبوه يعقوب نبي الله ، وجده ابراهيم خليل الله وقد رأى يوسف في منامه رؤيا أخبر بها أباه .

قال يوسف لأبيه رايت الشمس والقمر يسجدون لى ورايت وراءهم احد عشر كوكبا يسجدون لى أيضا .

وقال الأب لابنه اكنم هذه الرؤية عن اخونك لأن معناها ان أباك وامك واخونك الاحد عشر سينحنون لك ساجدين . وكان السجود علامة التعظيم وكان مباحا وجائزا قبل الاسلام ثم حرم الاسلام السجود الا لله .

وقد سرب خبر هذا الحلم الى اخوة يوسف فأخذوه معهم الى المرقى ثم الفوه فى بئر عميق لينخلصوا منه .

ولكن الله الكريم اراد ان ينجيه من البئر لانه مظلوم وممرت جماعة من الناس ارادوا أن يشربوا فألقى أحدهم دلويا ليملا الماء من البئر، فتعلق يوسف بالدلو وفرحت به القافلة لأنه كان جميلا ثم باعوه ظمنا الى ملك مصر واشتراه الملك بمن قليل ونركه فى الفصر وقال لزوجته أحسنى معاملة هذا الغلام لان عليه علامة النبوغ وكرم الاصل والسماحة ،

ونما يوسف وترعرع وكان يزداد فى كل يوم جمالا وتوضح معالم شبابه وفتونه ، وراودته امرأة العزيز عن نفسه وعرضت عليه جمالها ومفاتنها وحاولت أن تغربه بنفسها

(وقالت هيت لك .. قال معاذ الله)

امتنع يوسف عن الفحشاء والمنكر وحافظ على الامانة والفضيلة . وحاولت زليخا تنفيذ غرضها بالقوة فأسرع يوسف من أمامها وادركته زليخا فجذبتته من قميصه وقطعت القميص ، وفى أثناء ذلك كان الملك يمر فى القصر ورأى بنفسه منظرا مريبا .

فاتهمت زليخا يوسف بالتعدى عليها ولكن الله نجاه من تهمتها لان القميص كان مشقوقا من الخلف وهو يجرى منها وتسامع النسوة بخبر يوسف وجاءوا الى قصر الملكة يلومونها على انشغالها بخادمتها . فأجلستهن الملكة وأمرت يوسف أن يخرج عليهم فلما راوه بهرهن جماله .

(وقلن حاشى لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم)

نال يوسف من حياة القصر ونمى ان يعيش فى السجن بعيدا عن الفتنة والافراء واستجاب الله دعاءه فمكث فى السجن سبع سنين وكان يوسف يفسر الاحلام ويدعو للايمان ويأمر المظلومين بالصبر والرضا بالقضاء .

ورأى الملك فى منامه سبع سنبلات خضر وسبع سنبلات جافة ورأى سبع بقرات سمان قوية يأكلهن سبع بقرات عجاف ضعيفة ، وطلب الملك من يوسف نفسير رؤيا ففسر البقرات القوية بأنه سيأتى سبعة أعوام يزيد فيها النيل ويكثر الزرع ويعم الخير ،

وفسر البقرات الضعيفة بأنه سيأتى سبعة أعوام أخرى مجدية تستهلك كل ما ادخروه فى الأعوام السابقة وبعد السنوات المجدية يأتى عام جميل يزيد فيه النيل وتجدد الأرض بالزراعة ، وينتهى المجاعة ويسود الحير أنحاء البلاد .

ولما فسر يوسف الرؤيا للملك جعله الملك وزيرا للتموين حتى يحفظ القمح فى سنبله والذرة فى كيزانه ويخزن السموين وينظم صرف الحبوب ونيجت البلاد من المجاعة بفضل تدبير يوسف .

وجاءت البلاد المجاورة تشتري القمح من مصر .

وجاء أخوة يوسف فعرّفهم وأكرمهم وذكرهم بما فعلوه معه فطلبوا منه العفو والصفح وطلب منهم يوسف أن يحضروا معهم أباهم وأمههم وبقيّة أخوتهم ، وقدم الجميع الى يوسف وخروا له سجداً الاب والام والأخوة الأحد عشر وأجلس يوسف أبويه على عرش الوزارة وشكر الله على فضله ونعمه وأكرم أخوته وأحسن معاملتهم قال تعالى :

(ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً وقال يا أبت ههنا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربي حقاً ، وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين أخوتى ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم) • سورة يوسف الآية ١٠٠

٢٣ - « قصة موسى وفرعون »

حديث اليوم عن قصة نبي كريم هو موسى عليه السلام .

وهو حديث موصول السبب بقدرة الله وعظيم تدبيره فاذا أراد أمرا هيا له الأسباب ثم قال له كن فيكون .

لقد طفى منفتح ، أحد ملوك قدماء المصريين الملقب « بفراعون »

فذبّح الأبرياء واستباح الحرمات وجعل الناس شيعة وأحزابا يقرب فئة ويستبعد أخرى .

وولد موسى عليه السلام فى هذه الظروف القاسية فوضّعه أمه فى نابوت والقتة فى البحر والقى الله على موسى محبة من عنده فكل من رآه أحبه

رأه آسية امرأة فرعون وكانت عديمة الولد ففرحت به وقالت : (لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون) ٩/العصر .

وهكذا نرى موسى في بيت فرعون وسافت الأقدار أمه اليه ترضع ولدها وتأخذ أجرتها ، والفطرة السليمة كالتسجيرة الطيبة تؤتى أكلها كل حين يأذن ربها ،

نشأ موسى سليم الفطرة يكره ظلم فرعون وبطشه بل كان يندره ويحدره وانطلق موسى الى الناس يدعوهم الى الايمان بالله وينهاهم عن عبادة فرعون حتى ضاق فرعون ذرعا بموسى وأمر بعله ، وفي أحلك ساعات العصر نظهر رجولة الرجال وصدق الاصدقاء قال تعالى :

(وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملا ياتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين) ٢٠ سورة القصص .

خرج موسى من مصر خائفا يترقب قال رب نجنى من الفوم الظالمين . . بيد ان المروءة وفعل الجميل ، ان ضاع جزاؤها عند الناس فلن يضيع عند رب الناس .

سقى موسى الغنم لبنى نبي الله شعيب وجلس تحت ظل شجرة - في أرض مدين - جائعا خائفا ، فمد يده الى السماء وقال : رب انى لما انزلت الى من خير فقير .

فجاءته احدهما نمى على اسحيا فالب : ان ابى يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا .

وهكذا قبض الله لموسى الكلم ، أن يصهر الى نبي كريم ويمكن عثر سنين في أرض مدين ثم يعود الى مصر ، ليجاهد فرعون ويخلص بنى اسرائيل وفي طريق سيناء عند التسجيرة المباركة يسمع موسى صوت الحق الالهى يبشره بالنبوة والرسالة ، والفضل العظيم يسمع قوله تعالى :

(يا موسى . انى أنا ربك فاخضع نعليك انك بالوادي المقدس طوى . وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى . اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكري) ١٢ - ١٤ طه

ويذهب موسى مع أخيه هارون الى فرعون الى توحيد الله والكف عن ظلم الرعية فيهزأ بهما فرعون ويقول : من ربكما يا موسى ؟

كان فرعون يسأل عن صفة الرب ما لونه ؟ وما جرمه ؟ وما هيئته فبين له موسى ان الاله منزّه عن الكم والكيف فلا يحده مكان ولا يحويه زمان وليس جوهرًا ولا عرضًا ولا جرما ولا صورة انه علّه العلل او هو المعلول الاول : يخلق ولا بخلق يوجد ولا يوجد هو مسبب الاسباب وخالق الخلق ومبدع الاكوان .

قال موسى : ربنا الذى أعطى كل سىء خلفه ثم هدى

قال فرعون : فما بال العرون الأولى

أى ما شأن الاجيال السابقة التى هلك وصارت رمادا باليا أبعد
ما نكون عن الحياة

قال موسى : (علمها عند ربى فى كتاب لا يفضل ربى ولا ينسى ، الذى
جعل لكم الأرض مهذا وسلك لكم فيها سبيلا وانزل من السماء ماء فأخرجنا به
ازواجا من نبات شتى)

فقال فرعون : هل من دليل على صدق رسالك ودعوائك ؟

قال موسى نعم : وأخرج موسى يده من جيبه فإذا هى ببضاء بياضا
باهرا يغلب ضوء الشمس ويبهز العيون والابصار ثملقى موسى عصاه
فانقلب حية هائلة خاف منها فرعون وولى الادبار ، فأسار موسى للحية
فعادت عصاه كما كانت فى يد نبي الله ، ورجع فرعون قائلا : أجتنا
لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى ؟ فساجمع لك السحرة ليطاولوا سحرك
ولك أن تحدد يوم اللقاء .

قال موسى : موعد اللقاء يوم العبد فى وب الضحى ليشهد الناس
ظهور الحق واندحار الباطل .

وجمع فرعون السحرة من كل مكان ومباهم الامامى ووعدهم بالفردى منه
وبالدرجات العلا وفى اليوم الموعدلقى السحرة حالهم بعد أن وضعوا عليها
الزئبق فلما أرسلت الشمس اشعها كان للرجال نموج وناق وبريق فخيل
للمشاهدين أن الرجال تسعى وتتحرك ، « وسحروا أعين الناس واسترهبوهم
وجاءوا بسحر عظيم »

فأوحى الله الى موسى أنلقى عصاك ، فالقى موسى عصاه فانقلب حية
هائلة ابتلعت جميع الرجال ، ثم عادت الى يد موسى .

وهنا أيفن السحرة أن عمل موسى ليس سحرا ولكنه معجزه الهة فوق
قدرة البشر وطافهم فخروا سجدا لله : قالوا آمنا رب هارون وموسى .
واشتد غضب فرعون حين شاهد إيمان السحرة وهددهم بالوعيد
والعذاب الشديد ، ولكن الإيمان اذا دخل القلب عن بعن وعقده صادقة
اتسع له الصدر وانشرح وهانب الدبا بجوار بواب الله وعقابه ،

فعال السحرة لمرعون : انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه
من السحر والله خير وأبقى .

أيها المستمع الكريم : كانت العاقبة للمتقين ، وفى النهاية انتصر إيمان

المؤمنين واهلك الله الطغاة المفسدين فنجى الله موسى ومن آمن معه واهلك
فرعون ومن ابغعه دولة الباطل ساعة ودولة الحق الى قيام الساعة .
قال تعالى : (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا
 وعدوا حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو
 اسرائيل وانا من المسلمين ، الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم
 ننجيكَ بيدك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون)
- الآيات : ٩٠ - ٩٢ / سورة يونس

(١٢)

تَرْبِيَةِ إِلَهِيَّة

عام جديد (١)

قلت للواقف على باب العام اعطنى نورا يضىء لى الطريق فقال لى ضع يدك فى يد الله فانه نور كل تىء وضياه وهو الذى فلق الظلمات بنوره . وهو الذى يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء .

على رأس كل عام يقف المؤمن وقفة يستعرض عامه الذى مضى وما قدم فيه من خير أو شر ، فيحمد الله على الخير ويتوب اليه ويستغفره من التقصير والتأخير فى أداء الواجب فان المؤمن بين مخافتين أجل قد مضى لا يدرى ما الله قاض فيه ، وأجل قد بقى لا يدرى ما الله صانع به ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الموت فهو الذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب وما بعد هذه الدار من دار الا الجنة أو النار .

لقد انقضى عام كامل من حياتك أيها الانسان وختم فصل من فصول الكتاب الذى تمثله ، وفى يوم القيامة ستجد كتابك بين يديك فيه جميع أعمالك والكتاب مكون من أبواب وفصول وأوراق وصفحات ، فالأبواب هى السنون الرئيسية فى حياتك والفصول هى الشهور والأوراق والصفحات هى الأيام والليالى . وقد أثبت فى هذا الكتاب ما قدمته فى دنياك وسجل فيه كل عمل أحصاه الله ونسيته ، قال تعالى : « ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يفادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا » . سورة الكهف ٤٩ .

فى ختام هذه السنة نجد ظاهرة لا تتكرر الا فى كل ثلث قرن وهى التقاء رأس السنة الميلادية برأس السنة الهجرية ، فالسنة الميلادية تزيد

(١) القيت فى يوم الجمعة . أول محرم سنة ١٣٩٦ الموافق ، يناير سنة ١٩٧٦ م .

أحد عشر يوما عن السنة القمرية أى أن كل ثلاث وثلاثين سنة ميلادية يكون فيها فرق سنة للسنوات القمرية وكل مائة سنة ميلادية يكون فيها فرق ثلاث سنوات عن السنوات القمرية وقد المبح القرآن الى أن كل ثلاثمائة سنة شمسية تزيد أيامها نسع سنوات عن مثيلاتها من السنوات القمرية ، قال تعالى : « ولبنوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تساعا » الكهف ٢٥ .

والقرآن بذلك يشير الى نظام السنين وحساب الأيام والليالي وقدره الله المبدعة الى سخرت الليل والنهار وجعلت الليل ظلاما للنوم والراحة وجعلت النهار ضياء للسعى والعمل قال تعالى : « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا » الاسراء/ ١٢ .

في هذه السنة نفترب نهاية السنة الهجرية من نهاية السنة الميلادية ويحصل المسلمون والمسيحيون بأعيادهم وتعقد مؤتمرات عالمية وقومية لتوطيد العلاقة بين الأديان ولبيان أن الأديان السماوية في جملتها هي رسالات الهية لاصلاح العفيدة والدعوة الى مكارم الأخلاق وبث الفضائل والآداب وتلقين الشرائع والاحكام ومحاربة الرذائل والمنكرات .

فالرسل جميعا اساتذة ورواد للبشرية يبلغونها احكام السماء ويأخذون بيدها الى طريق الاستقامة والعدل . وهم وسائط للحق والخير يحملون رسالة الوحي عن ملائكة الله ويبلغونها الى الناس لئلا يدعى انسان أن رسالة الله لم تصله وأن طريق النور والصلاح لم يعرض عليه قال تعالى : « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما » .

ان الأديان كلها دعوة الى التوحيد ، وصيحة للحق والعدل ، وغضبة في وجه الظالم ، وهمة للتحرير والبناء ، والمؤمنون جميعا أسرة واحدة في ركب الايمان ، قال تعالى : « أن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصائبين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » البقرة / ٦٢ .

ايها المؤمن : أمامك عام للعمل والامل وخلفك عام اعطيت فيه الحياة والوقت وغيرهما فماذا عملت فيه ؟ ، ان كنت عملت خيرا فاحمد الله على التوفيق واسأله المزيد ، وان كنت اخطأت فاختم عامك بتوبة نصوح تندم فيها ندما شديدا على ذنبك واقصد باب مولاك بتوبة صادقة فانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات . وثق أن السعيد من أرضى مولاة وصدق في توبته وأخلص في عبادته .

ان التوبة في حقيقتها عرمان بالخطأ وكل بني آدم خطاء وخير الخطائين

النوابون ، التوبة في حقيقتها طهارة من الذنوب ، ومغفرة من السيئات وصلح على الرحمن وزجر للشيطان وباب للاستغامة والعمل الصالح قال تعالى :

« والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين » آل عمران ١٣٥ ، ١٣٦ .

ايها المؤمن :

امامك عام حافل فاغتنم أوقانه للعمل الصالح وثق ان الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه فساعد المحتاج ، وفرج كربة المكروب ، وعز المحزون وخلد بيد الضعيف ، وتعاون مع المواطنين لبناء صرح الوطن ، واعزازه واسعاده فحب الوطن من الايمان .

وعليكم بالوحدة والجماعة وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وثقوا ان النصر مع الصبر وان الشجاعة صبر ساعة وان وحدة الصف قوة وسعادة وان الفرق والتخاذل باب الهوان والتخلف قال تعالى :

« ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص » .

الصف / ٤ .

اجعلوا من هذا العام عاما للوحدة الوطنية وتماسك أبناء الوطن من أجل استرداد حقوقه ، وارغام عدوه ، وبناء مستقبل مشرق للأجيال القادمة .

قال تعالى : « واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين » الأنفال/ ٤٦ :

السعادة في التمسك بالدين

يقول الله تعالى في كتابه الكريم .

(واذا سالك عبادي عنى فانى قارب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) .

ايها المؤمن ، ما أقرب مولاك منك وانت لا تشعر قربك وما أحبك اليه وانت لا تشعر حبه انه قريب من عبادك يكلؤه بمطفه وبرعاهم بعنايته يجيب السائلين ويرحم المسترحمين ويغفر للمستغفرين جعل الارض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا جعل الشمس سراجا والقمر نورا يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل ، يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ، يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء وعن ناداه بيده الخلق والامر (كل يوم هو في شأن) رفع السماء بلا عمد وقسم الارزاق فلم ينس احد .

قديم وجوده هميم فضله وجوده اول بلا ابتداء وآخر بلا انتهاء ، لا تراه

العيون ولا تحيط به الظنون تنره عن النظر والمسل ، لس كمله شئ وهو السميع البصير .

وقد حننا الله على الدعاء وحرصنا على الالتجاء اليه فبابه مفتوح ورحمته واسعة ومغفرته سابقة بغفر الذنب ويقبل التوب لا برد من فصد بابه ولا يحرم من التجأ اليه كرمه سابغ وفضله واسع يرزق من شاء بغير حساب .

لقد لجأ الى باب الله الأنبياء والأصفاء ، والضعفاء والفقراء ، والاقوياء والاغنياء فهو لا برد سائلا ولا يخيب طالبا فاعتمد عليه واكثر التضرع بين يديه .

لا نسالن بنى آدم حاجة وسل الذى ابوابه لا تحجب الله بغضب ان تركت سؤاله أما ابن آدم حين يسأل بغضب ناب اليه آدم فقبل توبته ونوسل اليه نوح فأجاب دعونه وباده ذو النون (لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين) قال الله تعالى (فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين) ونضرع اليه ايوب قائلا (انى مسنى الشيطان بنصب وعذاب) فاستحق نعمة ربه وقال له : (اركض برجلك هذا مقتسل بارد وشراب ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولى الألباب) .

واشكى اليه موسى فقره وحاجته قائلا : (رب انى لما انزلت الى من خير فقير) وما ان اتم كلامه حتى جاءته فتاة نمشى على استحياء (قالت ان ابى يدعوك ليجزبك اجر ما سقيت لنا) .

والتجأ اليه خاتم الانبياء والمرسلين حين اشتد عليه ايداء المشركين فتضرع الى رب العالمين قائلا : (اللهم انى اشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا رب العالمين انت رب المستضعفين وانت ربى الى من تكلنى ؟ الى عدو يتجهمنى او بعيد ملكته امرى اعوذ بنور وجهك الذى اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والآخرة ان ينزل بى غضبك او يحل على سخطك لك العتبى حتى ترضى ان لم يكن بك غضب على فلا ابالى ، عافيتك هي اوسع لى) .

وما ان اتم النبى هذا الدعاء حتى جاءه جبريل الأمين يقول يا محمد ان الله امرنى ان اطيعك فى قومك بسبب ما فعلوه بك فان شئت ان اطبق عليهم الاخسسين فعلت ، فقال له النبى لا تفعل اتى لارجو ان يخرج من ظهورهم من يعبد الله اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون ، ولم تخلف زكريا عليه السلام عن دعاء ربه والتضرع اليه فقال (ولم اكن بدعائك رب شقيا) فسمع زكريا صوت الحق جل جلاله (يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا)

أيها المؤمن

لقد كان قادة الجيوش الإسلامية يستمدون النصر من السماء بأخلاص الدعاء والاستغاثه بمن يجيب المضطر إذا دعاه وفي أول معركة فاصله بين المسلمين والكافرين - في ليلة الفرقان - وقف النبي يدعو ربه طويلا حتى أوشك رداؤه أن يسقط عن كتفه وأبو بكر وراءه يقول يا رسول الله خفف عن نفسك إن الله منجز لك وعدك وفي ذلك يقول الحق سبحانه (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بالرف من الملائكة مردفين • وما جعله الله الا بشرى ولتنظمن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم) ٩ ، ١٠ - الانفال .

واثر ان لبعض الصالحين دعاء مقبولا فكان المطر اذا ابطأ عن اهل بغداد لجئوا الى بعض الأتقياء والصالحين فخرجوا معهم الى الفضاء وصلوا صلاة الاستسقاء واستغاثوا بالله والحواء في الدعاء فينتشر الغيم في السماء ويهطل المطر باذن الله قال نعالى (استغفروا ربكم انه كان غفارا • يرسل السماء عليكم مدرارا • ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا) .

وقد وردت ادعية وابتهاالات اثرت عن الأئمة المتعبدين تهر اوتار القلوب وتخلص في المتضرع الى علام الغيوب فمن ذلك ابتهاال أبى حيان التوحيدى حين قال :

اللهم انى أبرأ من الثقة الا بك ومن الأمل الا فيك ومن التسليم الا لك ومن التوكل الا عليك ومن الطلب الا منك ومن الرضا الا عنك ، أسألك أن تجعل الاخلاص قرن عقيدتى ، والشكر على نعمك شعارى ودئارى ، والنظر الى ملكوتك ، دأبى وديدنى ، والانتقياد لك شأنى وشغلى ، والخوف منك أمانى وإيمانى ، اللهم انى أسألك خفايا لطفك وفوائج توفيك ومألوف برك وعوائد احسانك وأسألك الفناعة برزقك والرضا بحكمك .

ومن دعاء للجنيد يعول (اللهم انى أسألك يا خير السامعين وبجودك ومجدك يا أكرم الأكرمين وبكرمك وفضلك يا أسمح السامحين ، أسألك سؤال خاضع خاشع متدلل متواضع ضارع اشتدت اليك فاقته وعظمت فيما عندك رغبته وعلم الا يكون شىء الا بمشيئتك ولا يشفع شافع اليك الا من بعد اذنك ، الهى وسيدى وسندى أنا بك عائد مستغيث مستنجد) .

هذه مآثر الصالحين الذين عرفوا ربهم فى الشدة والرخاء وشكروه على النعماء وصبروا على البأساء حتى لفوا ربهم راضين مرضيين (رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه)

« الإنسان الصالح خليفة الله في الأرض »

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

(واذا قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم ما لا تعلمون) ٣٠ - القمه .

أيها المؤمن :

أرايت كرامة الإنسان عند ربه ومنزلته لدى خالقه ، لقد أسنخلف الله الإنسان لعماره الأرض وأخبر الملائكة بذلك ، والملائكة عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

ومن المشاهد أن الكون كله يخضع لله خضوع القهر والغلبة فالسمااء مرفوعة والأرض مبسوطة والجبال مرساة ، والبحار مجرة والليل مظلم والنهار مضى والشمس تسير في مدارها والقمر يظهر في منازل (وكل في فلك يسبحون) . أى أن كل ما في الكون إنما سخر بقدره الله وخضع لأمره وقوانينه والملائكة أنفسها قد خضعت لطاوعه واستمرت على عبادته بدون مخالفة ، والإنسان هو المخلوق الوحيد الذى أعطى العقل والتفكير والإرادة ، وأعطى القدرة على الطاعة والمعصية ، فان أطاع صار خيراً من الملائكة وان عصى كان شراً من البهائم .

وقد كان اعتراض الملائكة متضمناً هذا المعنى حين قالت لله سبحانه (اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟) فقد عرفت الملائكة أن هذا الإنسان سيحمل خصائص مميزة تجعله يستطع الإصلاح والافساد ويملك المقدرة على عمل الخير والقدرة على فعل الشر وسفك الدماء .

وكان جواب الله سبحانه للملائكة (انى أعلم ما لا تعلمون) أى أنى أعرف أن الأرض لا يعمرها الا الإنسان وحده ، فهو الذى يملك خصائص التنافس والتسابق فى عمارة الأرض واختراع الآلة واستخدام العقل والفكر واستنتاج المجهول من المعلوم ، وهو أهل لأن يعرف خصائص الأسماء والمسلمات ولو كانت الأرض كلها ملائكة تعبد الله لما وجدت من يعمرها ويفلح أرضها وبغوص بحارها ويطير فى سمائها فالإنسان الصالح خليفة الله فى الأرض لأقامة الحق والعدل وبت الحياة والنماء فى جنبات الأرض فى كشف الظنون (لو علم عباد الله أن رضى الله فى أحياء أرضه لم يبق فى وجه الأرض خراب)

أن الإنسان الفاضل والمؤمن الصادق أهل لأن يكون خليفة الله فى الأرض فعليه أن يحيى مواتها ويبيع جوانب الخير والنماء فيها بالزراعة والصناعة والتجارة واثقان الحرفة واحترام المهنة واعتبار العمل - أى العمل - قربة الى الله ومساهمة عملية فى نفع الناس ورفق الأمة ودمم الثروة قال صلى الله

عليه وسلم (ما أكل أحدكم طعاما خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده) رواه البخارى وأبو داود والنسائى وغيرهم .

إن العمل فى حد ذاته كسب شريف ومهنة نافعة وهو نوع من العبادة الصامته يسعى الإنسان على نفسه عمل صالح ورعايته لأسرته عمل صالح وكفالاته لوالديه وذوى قرابته عمل صالح .

روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع أصحابه يوما فنظروا الى شاب ذى جلد وقوة قد بكر ليسعى فقالوا ويح هذا لو كان شبابه وجلده فى سبيل الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولوا هذا فإنه إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان) رواه الطبرانى .

أيها المؤمن :

لقد بعث الاسلام النشاط والهمة فى نفوس المؤمنين به فاذا رايت المسلم رايت نشاطا لا يهدأ وعزيمة لا تكل ، استمع الى قوله تعالى (فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه) وقوله سبحانه (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله) .

فانطلق المسلم ولم يدع سهلا ولا جبلا ولا واديا ولا عامرا ولا غامرا الا وقد تحصن باسلاميته ثم اقتحمه واستعمره وأجرى الخير فى جنباته واطلع السعادة فى آفاقه .



الا ان الأمل أن نسرى روح النشاط فى جميع أعمالنا وأن يفلح الزارع الأرض وينميها ويجرى الخير والحضرة فى جنباتها ، فلا سئ يذيب نفسى حسرة أكثر من رؤيتى أرضا صالحة للزراعة والنفع والحياة وأراها مع ذلك مهملة يبابا قفرا بلفعا ويحضرنى كلام العالم المفكر الفيلسوف (ابن حزم) الأندلسى :

« أعلموا ان اللذة والسلامة والعز والأجر فى أصحاب فلاحه الأرض » فإن فى اصلاح الأرض وزراعتها آية من آيات الله ودليلا من دلائل قدرته قال تعالى (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى أحيها لمحيى الموتى انه على كل شئ قدير) ٣٩ - فصلت .

انما تبنى الأوطان وترقى الأمم بجد أبنائها واخلاص شبابها وقيام كل ذى مهنة وحرفة باتقانها وفى الحديث الشريف

(ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه) .

واذا استلأن الناس حياة الدعة والراحة وأهملوا سبل التقدم والتطور
فقد استبدلوا الذي هو أدنى بالذى هو خير .

ان للحياه قوانين صارمة ونواميس قاطعة تقوم على تمجيد العاملين
واهلاك المترفين واستخلاف الصالحين قال تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من
بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) .

فاعملوا كما عمل أسلافكم وجدوا فقد جد الزمان بكم واعلموا ان قافلة
الحياة تسير ولا مكان لمتخلف أو كسول وقد كان من دعاء رسولنا العظيم .
(اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل
وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال) .

المقدوة الحسنة

جاء الاسلام ومعه الدعوة الى القدوة الحسنة ، والطريق القويم ،
والفضيلة والهداية قال تعالى (ومن احسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل
صالحاً وقال اننى من المسلمين) وكان الاسلام روحاً وحياة ، ايقظ الجزيرة
العربية من غفوتها وبعثها من سباتها فحول العرب من رعاة للشاه والغنم الى
هداة للدين والأمم .

وانتشر الاسلام الى فارس والروم وامتد من المحيط الاطلنطى الى
الخليج الفارسى وكان النشاط الاسلامى ينهض بالمجتمع فى افرادة وفى
مجموعة فلا ترى المسلم الا غادياً الى بيت الله أو مجاهداً فى سبيل الله أو
عاملاً على سعادة أمتة وتقدم بلاده أو باحثاً عن العلم والمعرفة .

قدم المسلمون الى العالم حضارة من أرقى الحضارات قامت على
احترام العقل وحرية الفكر وتمجيد العاملين .

فهذا كتاب الله يبحث على العلم والمعرفة فيقول سبحانه وتعالى
(قل انظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء) (هل
يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة
واولوا العلم)

وقال صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة .

وحضارة الاسلام العقلية والفكرية غنية بأبطال كانوا رواداً أوائل ،
اناروا الدنيا واستضاء بعلاومهم الفكر الانسانى فى الشرق والغرب ، ونزع
الاسلام من نفوس هؤلاء الرواد كل هوى أو غرض ذاتى ، وجعل فيها
الإخلاص لله وحده (أوئلك الذين هدى الله فبهم اهم القنده) .

ومن هؤلاء الرواد الاعلام الامام محمد بن ادريس الشافعى ، فقد كان رضى الله عنه عجيبة من عجائب الدنيا ، حفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين ، وجلس للفتيا وعمره خمسة عشر عاما ، ورحل الشافعى الى العراق سنة ١٩٥ هـ ، وأسس بها مذهب القديم . ثم رحل الى مصر سنة ١٩٨ هـ ، ورأى مصالح الناس وأحوالهم على نمط جديد فأسس بمصر مذهب الجديد ، لأنه يرى أن الفقه قانون الحياة والحياة متطورة فيجب أن يتطور الفقه بما يوافق شرع الله من جهة وما يناسب مصالح الناس من جهة أخرى ، وأينما توحّد المصلحة فثم شرع الله .

والامام الشافعى ، واضع علم أصول الفقه ، ومبتكر قواعده وأحكامه ،
مثل :

ان العبرة بالمعاني لا بالألفاظ ، وان الضرورات سيجح المحظورات ، وان المشقة تجلب التيسير ، وان الضرر الخاص يتحمل لدفع الضرر العام ، وانه لا يفكر تغير الأحكام بتغير الأزمان ، وانه لا ضرر ولا ضرار في الاسلام .

وكان الامام الشافعى بحرا لا يجارى في فقهه وعلمه ، وكان عالما بالرياضة والانساب والشعر والرمى والفروسية ، ويرمى العشرة أسهم فتصيب جميعها الهدف ولا يخطئ في رمية واحدة .

وسئل الشافعى يوما بم عرفت الله ؟ قال بالنحلة نصفها يلسع ونصلها يعسل .

أبها المؤمن :

لقد نزع الاسلام من هذه الأنفس الخيرة كل حقد وكل ضغينة فلن نجد رجلا حربا على رجل ولا عالما حاقدا على عالم .

واليكم حادثة حدثت بين الامام الشافعى والامام أحمد بن حنبل وكلاهما امام مجتهد في الدين ، ولن ترى بينهما الا الولاء والحب والتقدير ، وانما يعظم فضل الواحد منهما على مقدار ما أسدى الى الناس من نفع .

نزل الشافعى ضيفا على أحمد بن حنبل ، وكانت للامام أحمد ابنة سالحة تسمع أخبار الشافعى وتتشوق الى رؤية صلاحه وعبادته فرقيب عبادته بالليل وذكره بالاسحار ، لكن الشافعى أصبح مستلقيا على ظهره حتى الفجر وابن حنبل مشغول بذكره وعبادته فلما أصبحت قالت لأبيها رأيتك تعظم الامام الشافعى وما رأيت له في هذه الليلة صلاة ولا ذكرا ولا وردا ، فبينما هما في الحديث قام الامام الشافعى فقال له الامام أحمد كيف كانت ليلتك ؟ قال ما رأيت ليلة أطيب منها ولا أبرك ولا أريح .

فقال الامام أحمد وكيف ذلك ؟ قال الشافعي لاني استنبطت في هذه الليلة مائة مسألة ، وانا مستلق على ظهري كلها في منافع المسلمين ثم ودعه ومضى .

فقال أحمد بن حنبل لابننه هذا الذي عمله الليلة وهو نائم أفضل مما عمله وأنا قائم .

وكان أحمد بن حنبل رضى الله عنه يقول ما صليت صلاة منذ أربعين سنة الا وأنا أدعو للشافعي ، فقال له ابنه أى رجل كان الشافعي حتى ندعو له كل هذا الدعاء ؟ قال الامام أحمد يابنى كان الشافعي كالشمس للدين والعاية للناس فانظر يابنى هل لهدين خلف ؟ أو عنهما حوض ؟ .
أيها المؤمنون :

تلك هي القدوة الحسنة أولئك الدين هدى الله فهداهم اقتده ، تكافؤ وتساند في سبيل الهدف الأسمى ، وتعاون وتآزر في خدمة الدين ومرضاة رب العالمين

رجال وهبوا حباثهم لله ، وجهودهم لنصرة دين الله ،
فمنحهم الله توفيقه العظيم ، وجدد بهم شباب الدين ، وحقق بهم ما قاله النبي الأمين محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم .
(لا يزال الله يرسل لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها امر دينها) .

من هدى الأنبياء

ميز الله الانسان وفضله على سائر المخلوقات ومنحه كثيرا من الفضائل والمزايا ووهبه قدرات خاصة ومكنه من تنميتها واستغلالها الى أبعد حد .

وأرسل الله الرسول وأنزل الكتب وشرع الشرائع لهداية الانسان والأخذ بيده الى مسالك الخير والسمو بنفسه وروحه الى مراحل التطهر والنقاء . وكان الأنبياء والمرسلون عناصر ممتازة من الرجال اصطفاهم الله واختارهم ليحطمو للناس مصابيح الهداية وأساليب الرفعة والعزة .

وكان للأنبياء حواريون وأتباع مخلصون تأثرت أفئدتهم وقلوبهم برسول الله وأنبيائه وكانوا أكثر تفاعلا مع العقيدة وأوضح إيجابية مع التعاليم الدينية . قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فآيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) .

وإذا كان هدف التربية الحديثة هو إيجاد أكبر قدر من التماسك والترابط بين المواطنين باعتبار التعليم وسيلة من وسائل التقارب الفكرى بين المعلمين ، فلقد كانت رسالات السماء جميعا من أسبق أساليب لتربية في الدعوة الى المساواة والاخوة بين الناس .

فلم تفرق بين جنس وجنس ، ولا بين طبقة وطبقة ، بل كانت دعوات عامة الى الناس جميعا باعتبار ان الانسان هو المخلوق الاسمى ، الذى خلقه الله بيده واسجد له ملائكته واباح له الكون ليستعمله ويستثمره ، فكان نداء النبوات والرسالات الى هذا الانسان سواء اكان عبدا أم حرا ، حاكما أم محكوما غنيا أم فقيرا ، قويا أم ضعيفا ، فالجميع عباد الله وخلق ، ومن اجلهم جميعا خلق هذا الكون وسخر لهم افلاكه وأرضه وسماءه . قال تعالى (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفصلناهم على كثير ممن خلقنا تفصيلا) . الاسراء / ٧٠

وكانت آيات القرآن نداء جهيرا يدعو الناس - كل الناس - الى دعوة الحق والصدق وتكريم الانسان .

وفي أول آيات تنزلت من الوحي يقول الله تعالى : (اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم) العلق / ١ - ٥ .

وافلح رسول الله (ص) فى اكتشاف هذه النفس الانسانية وفى تفجير الطاقة الهائلة من المواهب والقوى فجمع المسلمين على معان سامية من الوحدة والاخاء ، والجد والبناء ، ثم حثهم على الصدق والصبر والتحمل ، ودفعهم الى الجهاد فى سبيل الله واعلاء كلمته ، فكانوا العقل الجديد والفجر الجديد والروح الجديد . وفتحوا البلاد بأخلاقهم قبل أن يفتحوها بسيفوفهم . واستعدوا على المال والجاه والسلطان وكانت نفوسهم أقوى من عوارض الحياة التى تعترضهم ، فلما نجحوا فى تطهير انفسهم وأفلحوا فى الامساك بزمامها واحكام قيادها ، رزقهم الله الفلاح والنصر ، وكانوا أهلا للعزة والسيادة ومظهرا من مظاهر سمو الروح البشرى وآبة من آيات الله فى اظهار فضائل الانسان . وكان المربى العظيم والقائد الكريم يفرح حين يرى أصحابه بين يديه نروة من المواهب المبدعة ، وحلقة يكمل بعضها بعضا فيهم الفائدة المحنك الذى يعرف سبيله الى النصر ، والفقيه العالم الذى حفظ الحديث وفقه كتاب الله ، والقاضى العادل الذى لا يحتسب فى الحق لومة لائم ، والفدائى المخلص الذى باع نفسه لربه ، والدائمة المسلم الذى يأخذ سبيله الى القلوب والنفوس بما يحمل من كتاب الله وكلماته . وكان الصحابة رضوان الله عليهم نجوما زاهرة ، وثمارا يانعة ورد وصعفا فى التوراة والانجيل والقرآن .

قال تعالى : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء

بينهم تراهم ركعا ساجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطاها فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما) . الفتح ٢٩/

صفات المؤمنين

بسم الله الرحمن الرحيم

(انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) . الانفال ٢ - ٤

(وجلت) أى خافت : يقال وجل يوجل وجلا أى خاف (تليت) أى قرئت .

وصف الله المؤمنين هنا بخمس صفات : وجل القلوب عند ذكر الله ، وزيادة الايمان عند تلاوة آياته ، والتوكل على الله وحده ، واقامة الصلاة ، والانفاق مما رزق الله .

ثم بين انهم بهذه الأوصاف يكونون من أهل الايمان واستأنف مبينا جزاءهم بقوله (لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) .

الصفة الأولى وجل القلوب :

والصفة الأولى تدل على أن من خصائص المؤمنين عند ذكر الله الوجل والخوف ، والخوف على قسمين : خوف العقاب ، وخوف العظمة والجلال ، وخوف الجلال والعظمة لا يفارق قلب المؤمن لأنه يرى بايمانه أن الله غنى وما سواه محتاج ، قوى وما سواه عاجز ، عالم مطلع على خفيات النفوس ، وما سواه جاهل لا يحيط بسوء من علمه ، فاذا استحضر الانسان فقره وحاجته وضعفه وعجزه وجهله أمام عظمة الغنى القوى المحيط بكل شيء ، امتلأت نفسه وقلبه بوجل الهيبة والجلال والعظمة والجمال ، سواء تذكر عصيانا يخشى عقابه ، أم تذكر طاعة يرجو نوابها .

الصفة الثانية زيادة الايمان :

والصفة الثانية زيادة الايمان عند تلاوة الآيات ، وللايمان اطلاقان : يطلق ويراد منه التصديق فقط كما فى قوله تعالى : (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه) ويطلق ويراد منه جميع عناصر الدين من تصديق واقرار وعمل وذلك كما فى قوله تعالى : (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا ؟)

وزياده الايمان بالمعنى الثانى مما لا سبيل الى انكاره لأن من اجزائه العمل ولا ريب انه يزيد وينقص ، وبزياده يزيد الايمان وينقصه ينقص الايمان كالرجل يكمل خلقه ، فيقال كامل الحلقى وكالرجل يفقد بعض أعضائه فيقال ناقص الخلق أو مشوه الخلق .

أما الايمان بمعنى التصديق ففقد استهزأ به انه لا يقبل الزيادة ولا النقصان والحق انه يقبل الزيادة والنقصان ورياده الايمان معناه الفقه والاطمئنان واليعين الكامل بالله العلى الفدير . فكلما قلب المؤمن بصره فى القرآن أو تأمل آيات الله فى الكون زاد ايمانه رسوخا فى النفس و يقينا فى القلب . قال تعالى (ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما) .

التوكل على الله

والصفة الثالثة : التوكل على الله وحده ، والتوكل على الله اعلى مقامات التوحيد ، وان من مقتضيات الايمان بأن الله هو المدبر للامور ، التوكل عليه فى كل ما يحتاج اليه المؤمن فيما وراء مقدوره . وليس من متناول التوكل ترك الأسباب وتنبك سنن الله فى الخلق فمن يترك الطعام والشراب باسم التوكل على الله فى حفظ حياته فهو جاهل بالله ، ومن يترك العمل للحصول على الرزق باسم التوكل على الله فهو جاهل بالله ، ومن يترك اعداد العدة للدفاع عن الوطن واعلاء كلمة الله باسم التوكل على الله وباسم ان يدافع عن الدين آمنوا فهو جاهل بالله .

التوكل معناه الأخذ فى الأسباب وعمل ما يمكن عمله مما هو فى اختيار المخلوق ثم ترك النتائج اعتمادا على الله وتوكلا عليه .

أما ترك الأسباب بالكلية فهو تواكل وتنطع فى الدين . والتوكل الحقيقى عمل وسعى ، ثم يقين صادق وثقة كاملة بالله . وقد جمع الرسول صلى الله عليه وسلم شطرى التوكل فى كلمة جامعة . حين جاءه اعرابى وقال : يا رسول الله ناقتى بالباب اعقلها ؟ أم اتركها واتوكل على الله ؟ فقال عليه الصلاة والسلام (اعقلها وتوكل على الله) .

اقامة الصلاة :

والصفة الرابعة : اقامة الصلاة ، واقامتها عبارة عن ادائها مقومة الأركان كاملة فى صورتها وأركانها الظاهرة من قيام وركوع وسجود وقراءة وذكر ، وفى معناها وروحها الباطنة من خشوع وحضور فى مناجاة الرحمن ، وتدبر وانماظ بتلاوة القرآن ، وهذه الاقامة الحققة هى التى تجعل صاحبها

مستقيدا بخشوع الصلاة متبها عن الفحشاء والمنكر قال تعالى (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)

الانفاق مما رزق الله

والصفة الخامسة الانفاق مما رزق الله ، فقد قضت حكمة الله - ابتلاء لخلقه - ان يجعل فيهم الفقير والغنى ، وان يربط الفقراء والأغنياء برباط اخوه الدين والانسانية ، وان يكلف الغنى بمقتضى ذلك الرباط ان يسد حاجة الفقير ، حما له في ماله ، وواجبا دينيا في ذمته ، (والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) المعارج ٢٤ ، ٢٥

وبذلك يكمل التعاون وتطهر القلوب ، وتصفو النفوس من الأحقاد التي يولدها الجشع ويسميها التسح . والآية بعمومها تطلب الانفاق من كل ما رزق الله وهو يشمل كما فصل الفقهاء زكاة النقدين والزروع والمواشي والبضائع التجارية .

تلازم الصلاة والزكاة :

لا نكاد نجد آية غرضت للصلاة ، الا وتذكر الانفاق في سبيل الله كما انا لا نكاد نجد آية تعرض لأوصاف المؤمنين وتهملها أو تهمل احداهما ، فقد جعل الله اقامة الصلاة مثلا لبلد النفس في سبيله ، وجعل الانفاق مثلا لبلد المال في سبيله ، واقتصر في كثير من المواضع عليهما من جهة الأعمال الظاهرة كما نراه في آيتنا هذه .

وقد ذكر قبلها من احوال القلوب ثلاث مراتب : الأولى : الوجيل من هبة الله وجلاله ، الثانية : نمو هذا الوجيل وامتلاء النفس به ، الثالثة : الاعتماد القلبي على الله وحده في جميع الشئون .

الجزاء المعد لأرباب هذه الصفات :

بعد أن ذكر الله هذه الأوصاف ختم لأصحابها بخاتم الايمان الحق الذي لا مكان فيه للباطل فقال : (أولئك هم المؤمنون حقا) وأثبت لهم بهذه الأوصاف (درجات عند ربهم) .

واذا كانت الأحوال الباطنة والأحوال الظاهرة متفاوتة في ذاتها وهي التي بها وعلى قدرها استحقاق الجزاء ، كانت الدرجات متفاوتة بتفاوتها ، فيقدر ما يكون عند المؤمن من هذه الصفات يكون له عند الله من هذه الدرجات .

ثم عطف على هذه الدرجات (مقفورة ووزق كريم) مقفوره الله لهم ، وورزقه الكريم اياهم .

اما المغفرة فهي محو ما يكون من سيئات (ان الحسنات يذهبن السيئات) والتجاوز عن عقابها حتى لا يعكر عليهم صمو هذه الدرجات والرؤف الكريم هو المنحه الالهية الى لا يعلم حقيقتها ولا يحيط بكميتها الا خالقها ومانحها فهي رؤف كريم من رب كريم .

فساد بنى اسرائيل فى الارض

يقول الله تعالى فى سورة الاسراء (وفضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا) الاسراء / ٤

هذه الآية هى الآية الرابعة من سورة الاسراء ، وبعيد هذه الآية والآيات الأربعة التى تليها أن من طبع اليهود البغى والعدوان ، والظلم والظفیان ، وخلاصة المعنى المستفاد من هذه الآيات ما يأتى :

١ - أخبر الله أن بنى اسرائيل سيفسدون فى الأرض مرتين وهذا الفساد معناه ظفیان وعدوان منهم على عباد الله وخروجهم على الطريق القويم

٢ - أخبر الله عنهم أنهم لما طفوا وبغوا سلط الله عليهم من ينتقم منهم .

٣ - بعد الانتقام الاول عادوا الى طريق الجادة فانتصروا على أعدائهم لكنهم لم يلبثوا أن عادوا للفساد محقق عليهم وعيد الله .

٤ - سلط الله عليهم فى المرة الثانية من أذلهم وهدم هيكلهم وهدم المسجد الأقصى وفضى عليهم وعلى ملكهم .

٥ - ذكر الله أنه يشملهم برحمته اذا نابوا اليه فان عادوا للفساد عاد عليهم بالعقاب .

٦ - كثر عدد اليهود بعد الافساد الأول والثانى وعقوبتهما . وأعزهم الله بعد الدل واعطاهم المال والجاه .

٧ - ارسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا يعرفون صفته فى التوراة ، ولكنهم كذبوه وغدروا به فسلط الله عليهم المسلمين فحاصروهم وقابلوهم وفرضوا عليهم الجريئة وأخرجوهم من بلاد العرب .

٨ - استمرت حياة اليهود بين مد وجزر فكلما أرخى الله لهم الحبل ومتعوا بالنعمة أسرفوا فى استغلال النعمة وفى الفساد وسلط الله عليهم من ينتقم منهم .

٩ - كان من افسادهم فى الوقت الحاضر سيطرتهم على فلسطين سنة ١٩٤٨ واغتصاب مساحات واسعة من البلاد العربية عام ١٩٦٧ .

١٠ - بكافيت مصر والامة العربية الاسلاميه فعامت حرب رمضان عام ١٣٩٣هـ وبميسا دمرت اسرائيل وبركت حصونها في خط بارليف وبدأ الأمل يراود المسلمين في أن يسردوا حقهم وارضهم المفضبه .

لكل معان سطلق بالآيات الى ذكرت فساد بنى اسرائيل في الأرض مريين ، ولم يذكر هذا المعنى في القرآن كله الا مرة واحدة في سورة الاسراء . وفي ختام الآيات بتساره من الله للمسلمين بأنهم اذا تمسكوا بالقرآن وعملوا بأحكامه وادبوا بأدابه فان امامهم طريق النصر في الدنيا والوالب الكبير في الآخرة .

وبعيد الأحاديث الصحيحة ان المسلمين سيعالون اليهود قتالا عنيفا، وان اليهود ستختبئ في الحصون خلف الاحجار ولكن الحصون برشد اليهم وتدمر المسلمين الى قتالهم .

وقد بحمفي ذلك في حرب العاشر من رمضان ، والأمل وطييد في الأمة العربية أن يستمر تماسكها وتساندها ، وأن تعلم أنها أمام عدو شرس عنيد، ولا فلاح لنا في الدنيا والآخرة الا بالتزام طريق الجهاد والنضال ، جهاد الميدان ، وجهاد النفس ، وجهاد الكلمة ، وجهاد العمل ، وجهاد الأمل ، فطريق النصر له معالم وأسس تتمثل فيما يلي :

١ - وحدة الكلمة ووحدة الصف لأن يد الله مع الجماعة ، فالاتحاد قوة والتفرق ضعف .

٢ - اخلاص النية والرغبة في الجهاد والطمع في السواب وايتار الآخرة على الدنيا .

٣ - انقان العمل واعتقاد كل مواطن انه على ثغرة من تغور العدو فالصانع والزارع والطبيب والمهندس والمدرس والموظف ، كل واحد من هؤلاء اذا قام بعمله وأدى واجبه فانه يسهم في بناء صرح الوطن ويضيق لبنة في بناء العزة والكرامة والاعداد والقوة ويحقق قوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) الانفال / ٦٠ .

الانسان في القرآن

جعل الله الانسان خليفته في الأرض ، ليعمرها ويثريها ويقيم عليها الحق والعدل ، وقد كرم الانسان أنواعا من التكريم ، فممنحه العقل وميزه على جميع الكائنات ، لأن السماء والأرض والجبال والبحار ، تخضع لله خضوع القهر والغلبة ، أما الانسان فهو المخلوق الوحيد الذي يخضع لله ويعبده عن حرية وإرادة ، واختيار وتفكير، وفي تفسير الأمانة - التي مرضها

الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان - أنها هي الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية ، لقد خبرت هذه المخلوقات بين التفكير والإرادة ، وبين الطاعة النامة بلا تفكير ولا إرادة فاختارت الطاعة النامة بلا تفكير ولا إرادة .

وهذا معنى قوله تعالى (وحملها الإنسان انه كان ظلوما جهولا) .

فالأرض لا يعمرها ملاك مطيع ، ولكن يعمرها إنسان ينافس ويتسابق ويطيع . ويعصى ، ويعمل الخير والشر فهذا جزء من حقيقة هذه الحياة ، حتى يتميز المحسن من المسيء . قال تعالى (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين ، إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) هود ١١٨، ١١٩
لقد كان الإنسان مجهولا في ظلمات العدم قهيا الله له الحياة والوجود ، ولدرج خلقته من تراب ثم من طين ثم من حمأ مسنون ثم خلق من نطفة ثم معلقة ثم مضفة ثم عظام ثم كسى العظام لحما ثم أنشأ خلقا آخر فبارك الله أحسن الخالقين .

قال تعالى (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ، انا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا ، انا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا) الإنسان ١ - ٣

لقد خلق الله الإنسان من نطفة أمشاج : والأمشاج هي الخلط ، يقال مشججه يشججه مشججا خلطه ، والمراد اختلاط الحيوان المولى للذكر ببويضة الأنثى فينشأ مخلوق جديد يحمل صفات الأب وصفات الأم ، بل يحمل صفات الأجداد والأقارب ، وملايين الحيوانات المنوية حجمها في مثل رأس الدبوس ، يسبق حيوان واحد منها فيتم عملية الإخصاب ، ويحمل هذا الحيوان خصائص اللون والتفكير والصفات النفسية والحسية لوالديه ، ثم يتم الخلق بقدرة الله ، ليتم الابتلاء والاختبار ولذلك وهب الله الإنسان أدوات التفكير والإرادة فجعله سميعا بصيرا ، وبين له طريق الهدى والضلال ليختار الشكر والعرفان أو الكفر والنكران ، فمن عصى فله النار ، ومن أطاع فله جنات النعيم .

نعيم الآخرة :

تحدث القرآن عن وصف الجزاء في الآخرة فذكر البعث والنشور والحساب ، والصراط والميزان والجنة والنار ، وقد بين الله في سورة الإنسان جزاء الكفار وثواب الأبرار .

فتحدث عن الكفار في آية واحدة هي قوله تعالى : (انا اعتصمنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا) الإنسان ٤

أى جعلنا لمن كفر بالله وصد عن سبيله سلاسل للأيدي وأغلالا وقيودا في العنق ، وسعيرا تتلظى ، ونارا تحرق جميع الجسم .

ثم تحدث عن النعيم الإلهي في آيات مستفيضة تبدأ من قوله تعالى :
(ان الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا) الإنسان ٥

فذكر أنهم أبرار ، والبر هو الذي أطاع ربه ، وبر خالفه وابتعد عن إيذاء الآخرين ، هؤلاء الأبرار يشربون خمر الجنة وقد مزجت مرة بالكافور ، ومزجت مرة بالزنجبيل ، ويأكلون من ثمارها ، وهي ثمار قريبة منهم ينالها القائم والقاعد والمضجع والمتكى .

ويطوف عليهم فلان صباح الوجوه لا يعتريهم المشيب كأنهم في صفائهم وجمال وجوههم اللؤلؤ المنشور ، ويلبس أهل الجنة حريرا رقيقا ، وحريرا مبطنا ، ويحيطون أساور الفضة والذهب واللؤلؤ .

ويتمتعون بالنعيم الكبير ، والجنة الواسعة والملك العريض ، وإذا رأت ثم رأيت نعيمها وملكا كبيرا) الإنسان ٢٠

وهناك رضوان الله ورؤية الجبار ، وعرف الأوتار ، وجرى الأنهار وقطف الثمار .

هناك أنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى .

هناك مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، هناك رضوان من الله أكبر ، أى رضا الله وفضله عن المتقين .

قال تعالى : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) يونس ٢٦

أى للذين آمنوا وأحسنوا الجنة ورؤية الله ورؤية تكريم وتشريف .
قال تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة) القيامة ٢٢ ٢٣

أرحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم

انصف الله بالرحمة ، وقسم الرحمة مائة جزء أنزل جزءا واحدا في الدنيا يتراحم به الناس ، وادخر ٩٩ جزءا يرحم بها العباد يوم القيامة .

وحين نستفتح الصلاة نبدأها بقولنا « بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله وب العالمين ، الرحمن الرحيم » وقد وصف الله رسوله بالرحمة فقال (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) وقال عليه السلام عن نفسه (انما أنا رحمة مهداة) .

وقد حث الاسلام على الرحمة وبين انها صفة من صفات المؤمنين .

وتواردت أحاديث النبی الامین ندعو الى الرحمة وبحث عليها وهو الذي يقول (ان البر يهدى الى الجنة ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء ، لا يرحم الله من لا يرحم الناس ، الراحمون يرحمهم الرحمن ، لا تنزع الرحمة الا من شقى) .

وقال تعالى : (لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف وحيم) .

وقد اتسعت رحمته صلى الله عليه وسلم فشملت الكبير والصغير والغنى والفقر وجاهد لنحرير العبيد ورفع قيمتهم ، فلم يدخر مالا ولا سلطانا ولا دعوة فى سبيلهم وكانت روحه تفيض بالرحمة عليهم والبر بهم .

من أبى مسعود قال : ضربت غلاما لى بالسوط فسمعت صوتا من خلفى ، فاذا برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام .

وبلغ من رحمة النبی الامین . أنه كان لا يطيق أن يقول أحد : عبدى أو امتى فأمر المسلمين أن يكفوا عن ذلك وأن يقولوا فتاى وفتاى وقد كان لهذه التربية أحسن الأثر فى تحرير الأرقاء ، ونشر المساواة ، وتغليب روح الاخوة والمودة والرحمة .

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من نفس عن مؤمن كربة نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن أطمع جائعا أطمعه الله من ثمار الجنة ومن كسا عريانا كساه الله من اللين الأخرى يوم القيامة والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه) .

أيها المؤمنون :

لقد بحث الاسلام على التراحم والتكافل فمن رحم عباد الله شمله الله برحمته وفضله .

ارحم عباد الله يرحمك الذى

عم البرية فضله ونواله

فالراحمون لهم نصيب واقر

من رحمة الرحمن جل جلاله

وهذا معنى الحديث الشريف ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم ، اى عليكم بالسماحة والعفو والصفح فما تواضع أحد الله الا رفعه وعاذ الله عبدا يغفو الا عزا .

قال تعالى : (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن
فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم • وما يلقاها الا الذين صبروا وما
يلقاها الا ذو حظ عظيم) •

تعاونوا على البر والتقوى ، وكونوا يدا واحدة كالبنين المرصوص
يشد بعضه بعضا ، فالله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه ، والله
يضعف ثواب العاملين ، ويبارك خطى المنفقين قال تعالى (ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات انا لا ننصيع أجر من أحسن عملا) •

مصر تعاليم السماء

ورد ذكر مصر فى كثير من آيات القرآن منها قوله تعالى على لسان نبي
الله يوسف (ادخلوا مصر ان شاء الله آمين)

ووردت احاديث كثيرة تصف مصر بأنها كنانة الله فى أرضه وتدعو
المسلمين الفاتحين الى معاونة الاقباط . ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
(ستفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لهم ذمة ورحما)

وقد حكى القرآن أن نبي الله ابراهيم جاء الى مصر ، وان نبي الله
موسى جاء الى مصر ، وان نبي الله عيسى جاء الى مصر ، وأن رسالة النبي
محمد صلى الله عليه وسلم وردت الى المقوقس عظيم القبط بمصر وفيها
(اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين) •



وقد حملت كنيسة الاسكندرية دورا رائدا فى الدعوة الى الهداية
والإيمان •

ولما جاء الاسلام الى مصر خلص أهلها من عنت الرومان وابتزاز اليهود
ونشر العدل وال عمران ، وليس صدقا أن الاسلام انتصر بالسيف ، ولكن
الحق أن الاسلام انتصر على السيف . وأراح الناس من الظلم والجبروت
وهيا لهم العدالة والاستقرار •

ان الاسلام هو الدين الوسط الذى لا غلو فيه ولا تفريط قال تعالى
(وكذلك جعلناكم أمة وسطا) •

ان الاسلام يحترم الملكية الفردية ولكنه يجعل الفنى موظفا فى ماله عليه
ان يخرج منه الزكاة وصدقة الفطر والميدين والأضحية والتدور والكفارات
والصدقات الموسمية •

وتلك وسيلة الاسلام الى التصاون والتكافل والتراحم قال تعالى
(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) •

وقال صلى الله عليه وسلم (مثل المسلمين في نواذهم وتواضعهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو ندعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى) .

لقد مكث الأزهر في مصر الف عام ويندر أن تجد بلدا من بلاد الاسلام الا وتجد فيه اثرا لعالم ازهرى او كتاب ازهرى ، وقد امتدت مصر البلاد العربية والاسلامية بالعلماء والمدرسين . ونأمل أن تقوى . . اواصر التعاون والتكاتف بين الأمة العربية جمعا وبين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها لتعود لنا العزة والكرامة بصدق العقيدة وسلامة الفكرة وحمل الدعوة الصادقة وخيرها وسعادتها . قال تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) .

أمة واحدة

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم (ان هذه امتكم أمة واحدة وانا ربكم فاعبدون) . الانبياء « ٩٢ »

كان العرب في جاهليتهم اشباعا مختلفة وقبائل متفرقة لا بجمعهم سلطان ولا توحيدهم حكومة وربما تفاخروا بالفارسة على بعضهم البعض ، واقتخر القوى بسلب حق الضعيف واذا رحلوا في طلب الكلا والمرعى تركوا كبار السن في الصحراء يلقون مصيرهم المحتوم .

فلما ارسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم مبشرا وندبرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، دعا الى توحيد الله وندد بعبادة الاوثان والأصنام وقد مكث في مكة ثلاثة عشر عاما يؤكد سلامة العقيدة ويحارب الشرك والانحراف ، فلما هاجر المسلمون الى المدينة المنورة نزلت التشريعات المدنية والاجتماعية والانسانية تنظم حياة الفرد وحياة الأسرة وحياة المجتمع وتغير المثل الأعلى في الاسلام عنه في الجاهلية . فصار المثل الأعلى للمؤمن هو طاعة الله والتزام الاوامر والبعد عن المحرمات واقامة الحق والعدل وترك الفحشاء والمنكر والبغى .

وخلق القرآن روحا جديدا بين العرب ورباطا جديدا بين المسلمين فاذا المؤمنون أخوة متحابون متعاونون متساندون يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، واصبح المسلمون يدا واحدة وقوة متماسكة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا وتوات آيات القرآن تحت على التعاون والتراحم وتنهى عن الخلاف والشقاق فيقول سبحانه (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) . المائدة « ٢ »

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قائدا حكيما ومصالحا ومربيا حازما

فوضع لهم أساس الوحدة والقوة وجنبهم مواطن الضعف والخلاف وأرسل توجيهاته الحكيمة وأحاديثه الشريفة تقوى روابط المودة والألفة بين المسلمين وتحارب التنابذ والفرقة فيقول عليه الصلاة والسلام :

(إياكم والظن فان الظن اكذب الحديث ، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ، ولا تحاسدوا ولا تبافضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله أخوانا كما أمركم الله تعالى ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم : كل المسلم على المسلم حرام ماله ودمه وعرضه ، ان الله لا ينظر الى أجسادكم ، ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم) رواه البخاري ومسلم .

لقد كانت وحدة المسلمين وترابطهم وتعاونهم من أسباب قوتهم وعزتهم بل أصبحوا أقوى قوة في الجزيرة العربية وامتد نور الاسلام فعم بلاد العرب وفتحت مكة أم القرى ودخل الناس في دين الله أفواجا وجماعات ولم نمض عشر سنوات على وفاة الرسول الأمين حتى كان الخلفاء الراشدون يفتحون بلاد الفرس والروم ومصر وينشرون دين الله في المشارق والمغارب .

يا من رأى عمرا تكسوه برده

والزيت آدم له والكوخ مأواه

يهتز كسرى على كرسية فرقا

من بطشه وملوك الروم تخشاه

ولقد كانت الفرقة والخلاف بين المسلمين بعد ذلك من أسباب ضعفهم وتفرق كلمتهم وانزاع بعض أملاكهم وسقوط بعض دولهم .

ثم شاء الله أن يبعث في المسلمين روحا جديدا وفجرا جديدا ونورا جديدا فتقاربت أمورهم في العصر الخاضر وتعاونت رؤسائهم ، وتساندت دولهم وقامت حرب العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ هـ - أكتوبر سنة ١٩٧٣م - وعبر المصريون قناة السويس وحطموا خط بارليف وتقدم السوريون ليطبقوا على أعداء العرب والاسلام وإذا العرب جميعا يدا واحدة هدفهم واحد ، وأملهم واحد ، نشيدهم واحد ، وأحرزوا جانبا من النصر حين توحدت كلمتهم وتوحدت صفوفهم ، ودخل البترول في المعركة سلاحا حاسما بنبه الجميع الى حقوق العرب في أوطانهم وبلادهم ، وفهم الناس لغة القوة وأدركوا أن فلسطين عربية فتحتها العرب المسلمون منذ أكثر من ألف عام وبقيت عربية اسلامية طوال هذه القرون ، وان إسرائيل المعتدية قد تنجح لفترة محدودة ولكن الباطل عمره قصير ودولة الباطل ساعة ، ودولة الحق الى قيام الساعة .

أيتها الأمة العربية الإسلامية ، هدفنا واحد ، كتابنا واحد ، ربنا واحد ، نبينا واحد ، قبلتنا واحدة ، أمنا واحدة ووجدتنا هي مصدر عزتنا وقوتنا

يمينا لو يمينك في يميني لقبلت الشعوب لنا يميننا

ان امضى سلاح في يد اليهود هو سلاح الكيد والدس والخداع والفتنة وقديما حاول شاس اليهودى ان يدكى نار الخلاف بين الانصار من أهل المدينة فقال لفلام تسال الى الارس والخروج وذكرهم بيوم بعث . وهو يوم مشهور تحاربوا فيه في الجاهلية . فتناشدوا اشعار ذلك اليوم واختلفوا وتنادوا السلاح السلاح وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج جزعا يجر رداءه وقال :

(ادعوى الجاهلية وانا بين ظهرانيكم ؟ ذروها فانها مفتنة ذروها فانها مفتنة) وتنزل آيات القرآن الكريم تقول :

(يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين . وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم) . آل عمران « ١٠٠ ، ١٠١ » وعاد الانصار اخوة يتعاقبون بعد ان ادركوا دسياسة الاعداء ومكرهم .

أيتها الأمة العربية الإسلامية . ان أعداءكم ببذلون جهودا مكثفة حتى يشفلوكم بانفسكم ويقضوا عليكم بأسلحتكم ، ويتركوكم فريسة للنزاع والخلاف والاطماع . فاحذروا الفتنة فانها قائمة لعن الله من أيقظها (والفتنة أشد من القتل) .

ارتفعوا فوق الحقد والضغينة ، وتناسوا آلام الماضي من أجل آمال المستقبل ، وتعاونوا فيما اتفقت عليه ، وليعذر بعضكم بعضا فيما اختلفتم فيه وثقوا أن النصر مع الصبر وأن يد الله مع الجماعة ، وأن رحى الاسلام دائرة ، فدوروا مع الكتاب وعليكم بالجماعة فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية .

أيتها الأمة العربية المسلمة : ان العمل هو الحياة فلا مكان على ظهر هذه البسيطة للكسالى والعاطلين ، ان العمل شرف وقوة والله تعالى يقول :

(ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا) الكهف « ٣٠ » . اتقنوا اعمالكم وأخلصوا في خدمة اوطانكم وأعلموا ان ميدان المعركة واسع رحيب يشمل الزارع في حقله والصانع في مصنعه ، والمدرس في فصله ، والعالم في معمله ، والموظف في مكتبه ، وكل عامل على ثغرة من ثغور الوطن فلا يؤثمن من قبله ،

لقد كانت الحروب في القرون الوسطى تعتمد على شجاعة القائد وتنظيم الجيوش بانهزام أميرها ولكن الحروب الآن تنوعت وتعقدت وصارت فنا من فنون العلم والمعرفة ، وأصبح ميدان المعركة محتاجا الى كل ذى خبرة وموهبة ، وصارت الجيوش مرتبطة بالشعوب نستمد منها الزاد والروح والفكر والالهام .

أيها الشعب المصرى ان لك ماضى فى الحضارة عريق ولك قدم فى الجهاد أصيل طهرت البلاد من الفزاة والمفسامين وقمت بواجب التحرير فى حرب رمضان وأصبح أمامك واجب مقدس هو اكمال التحرير والتطهير واتمام البناء والتعمير فلنعمل جميعا يدا واحدة ، وشعورا وطنيا سابقا ، ولنعلم ان حب الوطن من الايمان وان الايمان ليس كلاما ولكنه عمل وجهاد ، وسعى وجلاد ، وتضحية وانتاج . قال صلى الله عليه وسلم (ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل الا وان اقواما غرهم الامانى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا على الله لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل) .

الاسلام والتربية الجنسية

جاء الاسلام ديننا عاما لارساء قواعد التوحيد واصلاح العقائد وثبتت دعائم القيم والأخلاق الحميدة . وقد مكث النبى عليه الصلاة والسلام ثلاثة عشر عاما فى مكة داعيا الى توحيد الله مذكرا بما أصاب الامم السابقة التى كذبت انبياءها . منبها الى الحياة الآخرة وما فيها من بعث وحساب وجزاء وجنة ونار .

فلما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة مكث عشر سنوات يرسى دعائم الاخوة بين المسلمين ويبلغ عن ربه قواعد العبادات والمعاملات ويعلم المسلمين أمور دينهم ودنياهم موضحا لهم أن قوة الأمة فى قوة عقيدتها وأن النصر مرتبط بتمسك الأمة بالقيم والأخلاق والمبادئ وأهداف الدين .

وفى سبيل ذلك وضحت آيات القرآن المدنى أحكام الحلال والحرام وتشريعات الصلاة والصيام والزكاة والحج ، وسنت للناس أحكام الجهاد والقصاص ، والزواج والطلاق وعلاقة المسلم بربه وعلاقة المسلم بأخيه المسلم وبغيره من الناس .

وقد شملت التشريعات الاسلامية شئون الحياة كلها فى الحرب والسلم والبيع والشراء وطرق المقاضاة واقامة الدعوى وأنواع الشراكات ، والرهن والاجارة . الى جوار الاخلاق والآداب التى ينبغى مراعاتها والتمسك بها .

ومما وضحه القرآن أيضا الحدود والقصاص ، وكل ما يكفل سلامة الفرد والمجتمع .

وقد كان القرآن منهجيا وتربويا في علاجه للأمراض الاجتماعية المنتشرة ووضع العقوبات اللازمة لمن يتعدى حدود الله .

ومن أمثلة ذلك تحريم الخمر ، فقد سلك القرآن سبيل التدرج في تحريمها ، فبين أولا أن ضررها أكبر من نفعها ، ثم نهى عن الدخول في الصلاة عند السكر ، ثم حرمها تحريما قاطعا صريحا .

✽ قال تعالى : (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما أثم كبير ومنافع للناس وأثمهما أكبر من نفعهما) البقرة / ٢١٩

✽ ثم قال سبحانه : (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) النساء / ٤٣

✽ وأخيرا قال عز شأنه : (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانتصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) المائدة / ٩٠ و ٩١

كذلك في التشريعات الخاصة بتحريم الزنا ، فقد سلك القرآن الى ذلك طريقة الحكيم فارسي دماثم التوحيد أولا ثم شرع للمسلمين أمور الحلال والحرام ، وتوج هذه التربية بتحريم الزنا والخمر بعد أن مهد لذلك بالتهذيب والتأديب والتدريب العلى والسلوكى .

قالت عائشة رضى الله عنها : إنما نزل من القرآن أول ما نزل آيات تدعو الى توحيد الله وتحث على الإيمان بالله وملائكته ورسوله واليوم الآخر . ولو نزل أول ما نزل آيات تدعو الى ترك الزنا لقال العرب لا نترك الزنا أبدا . ولو نزل أول ما نزل آيات تبين تحريم الخمر لقال العرب لا نترك الخمر أبدا .

لقد وضع القرآن الأساس السليم من الدعوة المتكررة الى الإيمان بالله وساق الأدلة المتعددة على وجوده ولفت نظر الإنسان الى الكون وما فيه من أدلة شاهدة على عظمة الخالق وإبداعه ، فلما استقر الإيمان في القلوب شرع للناس الشرائع وبين الأحكام . ثم وضع الحدود لمن يخالف هذه الأحكام

وكمثال على ذلك علاج القرآن لجريمة الزنا ، فقد كانت منتشرة بين العرب فى الجاهلية ، وكانت هناك نساء ينصبن رايات حمراء فوق بيوتهن ليرشدن الزوار اليهن . وكانت بعض الاماء تكره من سادتها على ممارسة البغاء حتى يجلبن المال لسادتهن .

قال تعالى : (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا
عرض الحياة الدنيا ، ومن يكرههن فان الله من بعد اكرههن غفور رحيم)
النور / ٣٣

وكانت بعض النساء في الجاهلية تخرج لقضاء حاجتها وتلتقي جماعات
النساء مع جماعات الرجال في الطرقات ، وربما دار هناك حديث أو كلام
وربما اعقب ذلك ملاطفة أو مواعدة .

وتنزل آيات القرآن تدعو الى انصاف المرأة وحمايتها من الفواية
والرذيلة فقد نهى القرآن عن الزواج بالمشركة وبالزانية وبالبغى فقال سبحانه
(لا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم
ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك
يدعون الى النار والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين آياته للناس
لعلهم يتذكرون)
البقرة / ٢٢١

وحرم القرآن الزنا ، وبين ما يترتب عليه من آثار ضارة بالفرد
والمجتمع فقال سبحانه : (ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا
الاسراء / ٣٢ .

وفي سورة النور استهلال بارع ببيان احكام الزناة ووجوب اقامة الحد
عليهم ، وتنفير من الزنا بأحكام بيان وأروع أسلوب . قال تعالى :

(الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما
رافة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من
المؤمنين ، الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان
او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين)
النور / ٢ و ٣ .



وفي نفس السورة بين الله طائفة من الاحكام تستهدف صيانة المرأة
وابعادها عن التبذل والاثارة والفتنة ، واغلاق الباب امام حيل الشيطان
واساليبه ، فقد حرم الله الخلوة بالمرأة الاجنبية ، كما حرم اللمس
والقبلة والنظرة ، وصان المجتمع من عبث العابثين وطرق المفسدين . قال
سبحانه : (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك اذكى
لهم ان الله خير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن
فروجهن ولا يبدن زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن
ولا يبدن زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن او ابناءهن او اخواتهن او بنى
بعولتهن او اخوانهن او بنى اخواتهن او نسائهن او ما ملكت
ايماهن واتباعن غير اولى الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على

عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون (النور / ٣٠ و ٣١

وقد تتابعت آيات القرآن تحت على الفضيلة ونحدر من الفواة والرذيلة وتأخذ على الشيطان مسالكه ونأمر المرأة أن تستر جسمها والا تبدى مواطن الفتنة والا تظهر شيئا من العورة ، لأن القرآن اذا حرم شيئا حرم السبل المؤدية اليه من باب قولهم مالا يتم الواجب الا به فهو واجب . قال تعالى : (يا ايها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يذنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما)

الأحزاب / ٥٩

ووجه الله امهات المؤمنين الى الطريقة المثلى والقذوة العملية فنهاهن عن أسباب الانسابة والفتنة وحذرهن من النبرج ومن اظهار الزينة أمام الاجانب ، وحشهن على اقامة الصلاة وابتاء الزكاة وتلاوة القرآن وبذلك رسم للمرأة طريق العفاف النفسى وطريق الحماية والحفاظ الاجتماعى .

قال تعالى : (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا ، وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى واقمن الصلاة وآتين الزكاة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا ، واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا) .

الأحزاب / ٣٢ - ٣٤

وتكفل رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسم الطريق الامثل لسلوك الرجل والمرأة ، فامر بفض البصر وحفظ الجوارح وحذر من الزنا وشدد فى النكير عليه ، وبين الطرق النفسية والتربوية لتنقية المجتمع من هذه الفاحشة الضارة .

ورد فى الحديث الصحيح أن شابا موفور الصحة والقوة جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله أرجو ان تأذن لى فى الزنا . فتألم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأوشكوا ان يأخذوا على يد الشاب . فقال (ص) لأصحابه مه مه (أى كموا عنه) ، ثم قال للشباب أدن (أى اقرب) اتحب ان يفعل ذلك بأمك ؟ قال لا يا رسول الله . فقال النبي ولا الناس يحبون لأمهاتهم ، ثم قال النبي (ص) للشباب : اتحب ان يفعل ذلك بزواجتك ؟ قال : لا يا رسول الله ؟ قال النبي : ولا الناس يحبونه لزواجهم . ثم قال النبي للشباب : اتحب أو بفعل ذلك بابتنتك ؟ قال الشاب : لا يا رسول الله . فقال النبي : ولا الناس يحبونه لبناتهم .

وفى رواية: اتحب ان يفعل ذلك بعمتك أو خالتك ؟ قال : لا يا رسول الله . فقال له : ولا الناس يحبونه لعماتهم ولا لخالاتهم .

ثم مسح النبي صلى الله عليه وسلم على صدر الشاب وقال : اللهم اشرح له صدره ويسر له أمره والهمه رشده ، قال الشاب فوا الله ما وجدت انرا لنزغ الشيطان بعد ذلك .

وتوات احاديث الرسول الكريم تهيب بالمسلم ان يحفظ عينه ويده ورجله وان يحفظ قلبه وفكره .

روى البخارى فى صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
(ان الله كتب على ابن آدم حفظه من الزنا ادرك ذلك لا محالة فالعينان تزنيان وزناهما النظر ، واليدان تزنيان وزناهما اللمس ، والرجلان تزنيان وزناهما الخطى ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويصدق ذلك الفرج او يكذبه)

وفى القرآن الكريم يقول الحق سبحانه (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا) الاسراء / ٣٦ .

وامتدت توجيهات النبي الكريم فامرت بغض البصر وحفظ الفرج ، واداء الأمانة وترك الخيانة . وصدق الحديث ووفاء العهد ، وكلها آداب سلوكية تؤدي الى خلق سلوك مهذب ومجتمع سليم .

قال صلى الله عليه وسلم (يا معشر الناس اضمنوا لى ستا اضمن لكم الجنة : اصدقوا اذا حدثتم ، وأوفوا اذا عاهدتهم ، وادوا الأمانة اذا أؤتمنتم ، وغضوا أبصاركم ، واحفظوا فروجكم ، وكفوا أيديكم) .

وحدوت الأحاديث النبوية من تتبع العورات ، ونهت عن اتساع النظر لأن النظر بريد الزنا ولأن العين هى الدائرة التى تطل على الدنيا وترى بها كل شيء من الخير والشر .

وفى الحديث : (يا على لا تتبع النظرة النظرة ، فان لك الأولى وعليك الثانية) .

(من نظر الى امرأة لاحتل له صب فى عينيه الا انك - وهو النحاس الأصفر - يوم القيامة) .

وفى الحديث القدسى (النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها خوفا منى أبدلته إيمانا يجد حلاوته فى قلبه) .

وقد تمكن هذا الهدى الالهى من نفوس المسلمين فادى الى حفظ المجتمع الاسلامى وتماسكه والى قلة الرذيلة فيه . قال أنس بن مالك :

« نظرت الى امرأة فاتبعتهما بصرى ثم دخلت على عثمان بن عفان فقال عثمان يدخل أحدكم علينا وأثر الزنا بين عينيه . قلت أبوه بمسد رسول الله يا عثمان ؟ قال لا ولكن المؤمن ينظر بنور الله » .

وقد فرق جمهور الفقهاء بين الزانى المحصن (المتزوج) والزانى الاعزب فاذا كان الزانى متزوجا فحده الرجم حتى يموت لانه كفر بنعمة الله وترك زوجته الجلال الى اخرى لا تحل له .

واذا كان الزانى اعزبا فانه يجلد مائة جلدة ، يضرب بسوط لا نمره فيه (اى لا عقدة به) ويوزع الضرب على جميع جسمه حتى يحس بالالم كما أحس باللذة الحرام ، ولا يضرب على وجهه لانه مجمع المحاسن ولا يضرب على فرجه لانه مقتل ، ولا يشدد على الزانى الضرب فيؤدى ذلك الى هلاكه ولا يخفف عليه فيؤدى ذلك الى عدم الاحساس بالالم ، بل يضرب ضربا وسطا ويراه طائفة من الناس ليعتبروا به وليكون اوقع فى احداث الالم النفسى به ، فان شرع الله يحارب الزناة ، ويأخذ على الرذيلة طريقها ويسد الباب امام السعار الجسدى ويامر بغض البصر وحفظ الفرج وينهى عن الرذيلة والفاحشة .

وما نراه الآن من انتشار الامراض الفتاكه كالسيلان والزهرى بين الزناة وانتقال ذلك الى ذريتهم ومن يخالطهم هو اكبر دليل على صدق القرآن وهو تفسير عملى لقوله تعالى (ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا) .

الاسراء / ٣٢

وتيسر الزنا يؤدي الى تقليل الزواج ، وبذلك تنهار الأسرة وينهار المجتمع بعد ذلك .

قد حقت كلمة العذاب على امم سابقة لاحقة فاصابها الخزي والخلدان نتيجة لسيرها فى طريق الهوى وبعدها عن الحفاظ والاستقامة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (خمس بخمس) قلنا يا رسول الله وما خمس بخمس ؟ قال : (ما ظهرت الفاحشة فى قوم يتعامل بها علانية الا انشا فيهم الطاعون والابواب التى لم تكن فيمن قبلهم ، ولا حكموا بغير ما انزل الله الا جعل الله تعالى بأسهم بينهم ، ولا عطلوا حدود الله تعالى الا سلط الله عليهم عدوهم فاستنقلوا بعض ما فى أيديهم ، وما منع قوم الزكاة الا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ، وما طفف قوم الكيال والميزان الا اخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور الحكام) .

ان الأمة اذا اختلت فيها القيم وسادت الرذائل وهجرت الفضائل فسدت ذوقها وتمطلت فيها الحدود وانتشر المنكر وهجر المعروف ، بل

تنشأ فيها أجيال تأمر بالمنكر لأنها الفتنة وشاهدته وتنهى عن المعروف لأنها
هجدته ولم تعرفه وحينئذ نترك الأمة في حيص بيص وفي شدة يعسر
التخلص منها فيحس المؤمن أنه حائر لا يدري أين الطريق ، ولا طريق له
سوى طريق الله ، وننفذ الحدود وأقامه الأحكام .



قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف بكم إذا طغى نساؤكم
وفسق شبانكم وتركتم جهادكم ؟ قالوا وإن ذلك لكائن يا رسول الله ؟ قال
نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون . قلنا وما أشد منه يا رسول الله
قال : كيف بكم إذا تركتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ قلنا : وإن
ذلك لكائن يا رسول الله ؟ قال : نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون .
قلنا : وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال كيف إذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر
معروفا ؟

قلنا وإن ذلك لكائن يا رسول الله ؟ . قال : نعم والذي نفسي بيده
وأشد منه سيكون . قلنا : وما أشد منه يا رسول الله قال : كيف بكم إذا
أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؟ قلنا : وإن ذلك لكائن يا رسول الله ؟ .
قال : نعم والذي نفسي بيده يقول الله تعالى : (بى حلفت لا تعينن لهم فتنه
يصسير العظيم فيها حيران) .



خاتمة

هذا كتاب قدمت احاديثه بالاذاعة والتليفزيون

ثم نظمت هذه الأحاديث ، ورتبتها بحسب موضوعاتها ، وقدمت لها بفكرة عن الدعوة الى الله وعن فن الخطابة والاعلام الدينى ، وآمل أن يفيد الداعية وأن يجد فيه المسلم زادا روحيا مناسباً وأن يعاون الامام والمتصدى للدعوة الى الهدى ،

وأن يكون وسيلة لعرض الدعوة الاسلامية بأسلوب العصر ، والكتاب غير متخصص فى فن الدعوة ، ولكنه حصاد خبرة عملية فى ميدان الخطابة الدينية والاعلام ، والكتب فى هذا الميدان محدودة .

ومن يمن الطالع أن هناك بوادر نهضة اسلامية كبرى فى الدعوة والاعلام، فقد انشئ معهد للدعوة الاسلامية بجامعة الامام محمد بن مسعود بالرياض بالملكة العربية السعودية وهو معهد عال يقبل جميع الحاصلين على أى شهادة جامعية مدنية او دينية فيقبل الأطباء والمهندسين ورجال الاعلام وخريجي كليات الآداب والتجارة والشريعة واللغة العربية ، وبه ثلاثة تخصصات ، تخصص لخريجي الكليات العملية ، وثان للكليات النظرية ، وثالث للكليات الشرعية وانشئت كلية للدعوة الاسلامية بمدينة طنطا بجمهورية مصر ، تقبل الحاصلين على شهادة الثانوية ويدرسون بها التفسير والحديث وسائر العلوم الاسلامية والعربية فضلا عن دراسة الدعوة الاسلامية .

وهناك وثبة اسلامية فى العناية بالدعوة والتاريخ لها وتنظيم مناهجها وتوضح طرقها .

واسأل الله أن يوفقنا جميعا لاقوم السبل وأن يرزقنا الاخلاص والقبول (قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى وسبحان الله وما انا من المشركين) ١٠٨ يوسف .

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المحتوى

٣	مقدمة
٥	الدعوة الى الاسلام
١٣	منهج الدعوة الاسلامية
١٩	فن الخطابة والاعلام الدينى
٣٣	الاعلام الدينى
٣٩	البحث والمقال
٤١	العقيدة والايمان بالله
٥١	نظام الأسرة فى الاسلام
٦١	الايمان سبيل السلام للفرد والمجتمع

احاديث الاذاعة

٧١	- العبادات (الصلاة - الصيام - الزكاة - الحج)
٩٥	- الآداب الاجتماعية
١١٩	- المرأة
١٣٩	- الجهاد
١٧٧	- الأخلاق
١٨٥	- الذكريات الاسلامية
٢١١	- هذا هو الاسلام
٢٥٣	- من هدى القرآن
٢٨٧	- الحلال والحرام
٣٠١	- سؤال وجواب
٣٥٢	- قصص القرآن الكريم
٣٦٣	- تربية الهية

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٤٣١٥/١٩٨٦

ISBN ٩٧٧ - ٠١ - ١٠٥٨ - ٢

مطامع الهيئة المصرية العامة للكتاب

٣٥٠ قرشا